

بروفسير الزين عباس عماره

استاذ الطب النفسى

مدير مجمع الدكتور

الزين عباس عماره الطبى - الخرطوم - السودان

مستشار الصحة النفسيه - وزارة الصحة

دولة الإمارات العربية المتحدة (سابقا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ

صدق الله العظيم  
الأحقاف (١٩)

الإهداء

الى روح أخى الأكبر وصديق العمر

الفنان الراحل المقيم

عثمان حسين

أهدى هذا (الشجن) القديم

دعوة خاصة جدا..

إلى أسرتي وأبنائي وأحفادي  
وهم يرونني أترجل عن سهوة جواد الطيب  
لأمتطي سهوة جواد الأدب مرة أخرى  
قبل فوات الأوان  
وهم يقرأون عني خارج الوطن  
أن يعيدوا قراءتي داخل الوطن  
لتكتمل صورة الغربة

المؤلف

الصفحة

الفهرست

الإهداء

دعوة خاصة

المقدمة

كلمة لا بد منها

رسالة تحية

الغربة.. نثرا وشعرا

لبيك يا وطني

لقاء صحفي (١)

لقاء صحفي (٢)

بطاقة معايدة إلى مغترب

خالد

مايا

فرحة الإمارات

وداع الأحبّة

ثقافة السلام  
كرنفال في موسم الحزن  
بطاقة شكر  
أحزان أمة  
السلام والصحة النفسية  
العاصمة الثقافية.. مرة أخرى  
قصيدة للسلام  
ذاكرة الأجيال  
ونفس وما سواها  
الرجوع إلى الحق  
حوار حول المصالحة الوطنية  
الطريق والقافلة  
البحث عن الجذور  
ملف القضية  
لا يأس مع السلام  
قصة كفاح

محطات مضيئة

خواطر غريب في لندن

المصيدة

مرثية الأمم المتحدة

رجع الصدى

الإبداع أيام زمان

محطة أركويت

طريق العودة

كلمات ملتهبة في وداع صديقتي بريطانيا

الحزن النبيل

عبقريّة فنان

من الأرشيف

قضية التعريب

روح الوفاق

كل الألوان

بوابة التاريخ

الموقع الإلكتروني

ماذا حدث؟

الانتقال السلمي

ربيكا.. نصيرة السلام

ما أشبه الليلة بالبارحة

رب صدقة خير من ميعاد

دائرة الفن

فضاءات جديدة

مشاعر فضائيات

ربوع السودان

عيد بأية حال

أمة شاعرة

درع الثقافة

جائزة الإبداع الشعري

الشعر والشمس والقمر

الحلم والحقيقة



جائزة الإبداع الشعري... مرة أخرى

بين الشروق والغروب

الشعر فن وصنعة

بيروت.. لن تموت

إن للملاقات أوقات

بريد الشوق

من مآثر بعشر

عشتم أهل بلدي

الاذاعة عالم الجميع

لا خيار لمن لا يختار

ما أحلى الرجوع إليه

لذة الهواية وألم الإحتراف

الطب والأدب

صفحات من مذكرات خبيب

سيكولوجية الإبداع

الإبداع والشخصية

وسام الابن البار

نهر العظيرة

خرب الحواس.. لماذا؟

خرب الحواس.. إلى أين؟

خرب الحواس.. أخيرا

وحدة المصير ١

وحدة المصير ٢

وحدة المصير ٣

موال الغلاية

ثم ماذا بعد؟؟

صدى صوت العقل

صوت العقل لماذا؟

رحلة بين (الصافية) .. (وسارية)

بطاقة معايدة.. إلى (أسرة ساريه)

فرحة الأعياد

وقفة على شرفة استقلال السودان

أوباما.. لماذا؟؟

اوباما.. لماذا؟؟ مرة أخرى

رسالة تونس الخضراء

حنتوب وأخواتها

حنتوب الجميلة

حنتوب.. بكاء على الأختلال

الزراعة.. البترول الحقيقي

دروس من عرفات

قارب الكرامة

الله.. واللهيب

من خط النار

غزة.. تحت النار

قوة الحق.. أم حق القوة

دخان المعركة

حالة سيكولوجية خاصة

وثيقة سفر أم ناقوس خطر؟

بين النصر والهزيمة

خمس صفحات من مفكرة أيلول الأسود

الصفوة.. بين الصحوة والغفوة

قطار التهدئة

من أجل عيون السودان

قصتي مع عثمان حسين

١) أغنية الوتر المشدود

٢) أغنية صدى

٣) أغنية أوعديني

٤) أسطورة الطرب... وقيثارة التطريب

٥) وداعا عثمان حسين

## المقدمة

سبحان مغير الأحوال من حال إلى حال.. لقد قررت في البداية نشر هذا الكتاب في الموقع الإلكتروني وقد فعلت هذا في جزء كبير منه بعد تجربة خويلة مضمينة مع سوق النشر والطباعة.. أقول هذا وأنا أقارن بين الحاليين، الحال الذي تمت فيه طباعة ديواني الأول " الضياء والحريق" عام ١٩٦٨، وبين الحال الآن والذي تتم فيه طباعة هذا الكتاب "الغربة .. نثرا وشعرا" في عام ٢٠١٠ م. قرابة أربعة عقود تواترت فيها الأحداث وتغيرت فيها الأحوال في كل شئ. وهذا أحد جوانب التغيير.

لقد كنت أخط بيدي قصائدي وأذهب بها إلى من يجيد فن طباعة الآلة الكاتبة. وفي ذلك الوقت، كان موظفا مؤهلا على درجة عالية من الكفاءة يمثل عملة نادرة وأكبر من أن يفتح مكتب طباعة. وكنت أقصده إما صديقا أو ذا علاقة خاصة بي. وبعد عشرين عاما، وفي عام ١٩٨٨، أصبحت الطباعة مهنة عامة وتجارة خاصة. وفي منطة الخليج أصبحت سوقا رائجة لشتى الجنسيات، فتعهدت بطباعة مقالات كتاب "مدخل إلى الطب النفسي" إلى خبايع هندي يجيد تقليد الخط العربي، وعليك أن تتصور حجم المعاناة الذي يصاحب هذه التجربة في رصد المعلومات والتي تنتهي بتصحيح صفحة جديدة وتشويه أخرى قديمة سبق تصحيحها. وهكذا تجمع عندي ما يفوق حجم صندوق كبير من ورق المسودات قبل أن يصل الكتاب إلى دار الثقافة في بيروت للطباعة والتي عندما وصل إليها وجدت الدار قد نسفت مع ساحة "رياض الصلح"، التي ذهبت مع رياح نيران الحرب الأهلية في عام ١٩٩٥.

بما أن التكنولوجيا لم تكن قد وصلت مرحلة الانتقال الأثيري فعندما قرر صاحب الدار الصديق الأستاذ خليل خجمة نقل دار الثقافة إلى قبرص فقد نقل ضمن مخطوطاتها مسودة الكتاب والتي إنتقلت إلى أيدي جديدة تتناوب عملية الصف والتصحيح. وبما أنه لم تتوفر في ذلك الوقت وسيلة الأقراص المدمجة " أو البريد الإلكتروني" فقد خرج الكتاب يعاني من تشوهات الأخطاء المطبعية والفنية. وحزنت عليه ولكن عزائي أن التشوهات النفسية والجسدية لضحايا الحرب اللبنانية كان أشد قسوة وأكثر إيلاما. وأتمنى ان يتقدم أحد الأخباء أو الأدباء الشباب باعادة تنقيح الطبعة الثانية من هذه المجموعه وهذه دعوة مفتوحة فى الطب والأدب

و أرى الحال اليوم وقد بدأت كتابة هذه المقالات في شكل لقاءات أسبوعية. وكان أقصى ما اصبو إليه أن أنشرها في الصحف السودانية ليس فقط لأهمية مخزونها وخصوصية مضمونها، وإنما أيضا لأن مناخ الحرية الذي توفر كان يحرضني على الخوض في كثير مما قال فيه المتنبئ:

يحرمه لمع الأسنة فوقه... فليس لظمان إليه وصول

وفكرت في آلية الوصول واخترت صحيفة "ألوان" كما سيرد لاحقا واستعملت في البداية وسيلة الفاكس ولم تكن مثالية وقد تطورت الفكرة بايعاز من الصحفي المتميز الأستاذ أمين حسن عبد اللطيف المحرر الفنئ فى صحيفة (الوان) وخلق مني أن أرسل المقال مرفقا بالبريد الإلكتروني وتنصب مباشرة في أعمدة الصحيفة، بلا تحريف أو تزييف.. وكان هذا الحال جديدا بكل المعايير. واستمر الحال حتى احتجاب الصحيفة فانتقلت بايعاز من صديق الطرفين الكاتب والاعلامى الدكتور ابراهيم دقش الى صحيفة (الخرخوم) بنفس المنهجية.

ووصلت قمة التطور بالفكرة عندما نصحني إبني الأصغر (تامر) المتخصص في هندسة الكمبيوتر والمولع بفض التقنية الحديثة والذي صمم لي الموقع الإلكتروني الحالي، وقد كان خير

الناصحين. فقد عرض علي خباعة المقال وإرساله إليه مرفقا بالبريد الإلكتروني إلى بريطانيا ليقوم بوضعه في اللقاء الأسبوعي ويرسل صورة منه إلى الصحيفة بحيث يكون متوفرا للقاريء داخل وخارج السودان.

وهكذا ضربت عصفورين، بل عدة عصافير، بحجر واحد من موقعي البعيد بأبوظبي صائدا هذه العصافير المحلقة في فضاءات العالم. وبعد فترة وجيزة وجد أن المقال تصدر في الصحيفة وتقرأ في الموقع وتخزن في الأرشيف ووجدت فجأة أن مهارات التقنية الحديثة قد وفرت لي خباعة كتابي الجديد بل مع إعادة النسخ والتصحيح و صف الكتاب بل وتصميم الغلاف حتى يقضي الله أمر خباعته في ورق مصقول تتداوله الأيدي.

واستمر الحال في النشر في (المنتدى الأسبوعي) في الموقع الإلكتروني... حتى اشعار آخر وعندما عدت الى الخرطوم أيقنت ان لا غنى عن الكتاب حتى في ظل كل الوسائل الثقافية ولست حقيقة (خير جليس في الزمان كتاب) وصدق مقولة (القاهره تكتب ويبروت تطبع والخرطوم تقرأ) ولكي تقرأ الخرطوم كتابي لا بد له ان يطبع باذن الله.

.....

## كلمة لا بد منها

انضم الينا الدكتور الزين عباس عماره كإستشاري للطب النفسى فى مستشفى النور  
بابوظبى فى مطلع عام ٢٠٠٤م

وقد انتقل بالعيادة النفسيه من مجمع العيادات الخارجيه لتكون وحدة تخصصيه  
متكامله من الطبيب النفسى واخصائى الاعصاب والاصنائى النفسى الاكلينيكى ثم  
استشارى جراحة الاعصاب فى بيئته مزودة بالمعدات الطبيه المتطوره كرسام الدماغ الكهربائى  
وجهاز رسم نشاط العضلات الى جانب الاختبارات النفسيه والسيكلوجية للكبار و الصغار  
كاختبارلت الشخصية واختبارات الذكاء الخ.

وقد اكتسبت التجربة وضعا متميزا حتى اصبحت قسما متكاملا للخدمات النفسيه. وقد  
اهتم الدكتور الزين بالمساهمة فى برامج التوعية الجماهيريه خاصة فى برنامج (الطب والحياه)  
والذى تقدمه المستشفى فى تلفزيون ابوظبى لعدة سنوات حتى قبل التحاقه بالعمل فى المستشفى.

وقد شارك فى عدة انشطه تعليميه و تنظيميه مثل اللجنه الطبيه الاستشاريه لادارة  
المستشفى ولجنة التعليم الطبى المستمر ولجنة المستشفى الخاصة بتوزيع شهادة الجدارة  
والاستحقاق للاخباء والعاملين بالمستشفى كما ترأس لجنة اخلاقيات المهن الطبيه حتى تاريخه..

ولعل من الجدير بالذكر انه بالتعاون مع لجنة التعليم الطبى المستمر قد نظم المؤتمر السنوى  
العالمى الثالث لمستشفى النور فى فبراير ٢٠٠٧ حول ( الصحة النفسيه فى الطب العام) وقد حضره



اكثر من خمسمائة خبيب على المستوى المحلى و الاقليمى والعالمى وقد كان من انجح المؤتمرات  
فى مجال الصحة النفسية والتي عقدت فى ابوظبى..

والان وقد أبدى رغبته فى العودة الى وخنه الاول(السودان ) مودعا أسرة المستشفى بروح المودة  
لا يسعنا الا ان نبادله هذه المشاعر النبيلة الواردة فى كتابه ( الغربية...نثرا ..وشعرا ) والسنوات  
الجميله التى قضاها فى المستشفى متمنين له التوفيق فى حياته الجديده..

الدكتور قاسم العوم

المدير العام

مجموعة مستشفيات النور- أبوظبى

دولة الامارات العربية المتحده

## رسالة تحية واجلال

تشرفت بلقاء الأستاذ الدكتور الزين عباس عمارة لأول مرة أثناء المؤتمر الاقليمي الثالث للطب النفسي في مدينة العين- الامارات العربية المتحدة. قبل إنخراخي للعمل معه في مستشفى الطب النفسي – أبو ظبي التابع للمستشفى المركزي و الجزيرة انذاك في ١٩٩٨ /١٢/٣٠ والتي كانت قد فتحت أبوابها للمرضى النفسيين منذ سنة ١٩٩٥ بناء على توجيهات الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان (رحمه الله وأسكنه فسيح جناته)

كان الأستاذ الدكتور الزين عباس عمارة من مؤسسيها و ثم أصبح مديرها العام حين ذلك . وقد عمل مثابرا ومجاهدا في سبيل الارتقاء بها لتصل الى مستوى خدمي وعلمي جيد جعلها تتبوأ المركز الطبي النفسي الاول والمركزي لخدمات الطب النفسي في الامارات والمركز التدريبي في إختصاص علم النفس والطب النفسي لطلبة وخالبات كلية الطب وعلم النفس في جامعة الامارات – العين . ولقد أختيرت مركزا إقليميا في الخليج سنة ١٩٩٩ لدراسة الطب النفسي لغرض الحصول على شهادة البورد العربي في إختصاص الطب النفسي ضمن الإختصاصات الطبية الممنوحة من قبل المجلس العلمي للإختصاصات الطبية – مجلس وزراء الصحة العرب – جامعة الدول العربية . كما سعى جاهدا مع زملائه من الأخباء الاستشاريين والأختصاصيين للحصول على إعتراف الكلية الملكية للأخباء النفسيين في لندن لمستشفى الطب النفسي كمركز تدريبي للطب النفسي لغرض الحصول على شهادة الكلية الملكية البريطانية في إختصاص الطب النفسي

وقد قام بتنظيم والمشاركة في العديد من المؤتمرات الطبية المحلية والدولية كما أن له عدة مشاركات وأنشطة تعليمية وعلمية وقد أهتم الدكتور الزين بالمساهمة في برامج التوعية الجماهيرية للقضاء على وصمة المرض النفسي و لتعميم الثقافة الطبية النفسية في كل الوسائل الاعلامية

يتمتع الدكتور الزين بدمائة الخلق والفراسة والاخلاص في العمل وغزارة العلم مما جعله نموذجا للطبيب النفسي المتفهم لمعاناة المريض النفسي وحقه في العلاج و التأهيل والعيش بكل سعادة وكرامة وهو يحترم المريض ويكن له كل الحنان والرعاية التي يستحقها كإنسان

والان وقد عبر عن رغبته في العودة لوخنه الام ( السودان ) للإستقرار بعد سنوات خويلة من العطاء والإخلاص في مجال العمل الطبي وخصوصا تأسيس و تطوير الطب النفسي في وخنه الثاني (الامارات العربية المتحدة) وكان بحق ألاب الروحي للطب النفسي في الإمارات والذي يستحق ان نبادله كل مشاعر الحب والتقدير والاحترام متمنين له كل الموفقية و النجاح في وخنه الام و بين اهله الكرام.

الدكتور خارق صادق خماس

استشاري الطب النفسي

مستشفى النور- أبوظبي

## الغربة.. نثرا وشعرا

فى أحدى الإجازات الصيفية للسودان زارنى أحد الصحفيين الشباب الذين يسكنون جوارى فى حى أركويت..وقد قدم لى نفسه وكان الصحفى (عثمان شبونه) الكاتب فى صحيفة (الوان) وغلب إجراء مقابلة صحفية معى .. وترددت كثيرا لأننى دائما ما تكون اجازتى قصيرة بصورة لا تسمح لى بمتابعة رجع الصدى فيما أقول وأكتب .. وكنت حذرا ولكنه وعدنى بمتابعة المقابلة .. ومراسلتى بردود الفعل وبدأت المقابلة التى نشرت فى صحيفة (الوان) فى أغسطس عام ٢٠٠٠ و ... وكان هذا أول رد فعل حيث يتساءل الكثيرون لماذا (الوان) بالذات وفى هذا الوقت بالذات؟؟

وإذا كان للصحفى العذر فيما سأل فلأنه يمتلك خلفية من أحد الأقارب عن الماضى البعيد والقريب .. وقرأ بعض اصداراتى لكن القارئ العادى ابن الثلاثين وما دون - وهى سنوات اغترابى خارج الدولة - قطعاً لا يعرف كثيرا عن الاجابات .. التى لا تخلو من الضبابية فى وقت لا تزال تلين وتضعف فيه القبضة الحديدية .. خاصة على القول .. ناهيك عن الفعل .. وكنت أملك اجابات قاخعة .. ذكرتها فيما بعد فى نفس الصحيفة .. وفى وقت لاحق .. وبالعنوان العريض بعدما أنفكت الحرية من عقالها .. ولو بالقدر اليسير وقد كنت منصفا و عقلانيا الى الحد الكبير حتى بعد أن خرجنا من الأنغلاق الفصامى الى هوس الانفتاح.. وتقديرا لذلك الشاب واصلت كتابة هذه المقالات فى صحيفة (الوان) تقديرا أيضا لموقفها معى فى وقت الشدة وبداية زمن الأنفراج .. باخلاق سراح قلمي فى كل الاتجاهات .. وللصحفى الشاب (عثمان شيونه) الذى دفع ضريبة الحرية نيابة عنى فى بعض المواقف ..

خرجت من هذه التجربة .. بحسن ظنى بانى ما زلت أعيش فى ذاكرة بعض شرائح الاجيال اللاحقه .. رغم أننى قد غبت كثيرا عن دائرة الفعل فى الحركة الأدبية والفكرية والفنية الى آخر الساحات التى كنت ارتادها .. وما كان يمكن ان أعيد عقارب الساعة الى الوراء . لاعيش تجربة الماضى أو انقل الجيل اليها وصعب على ان أنقل تجاربى .. أو استشهد بها وهى ليست حاضرة فى العين ولا عالقة بالذاكرة .. ولا موجودة فى المكتبات داخل السودان ..

وكنت أشير الى بعض الأحداث وكاننى اتحدث عن الأساخير .. فجمعت اكبر قدر من اصدراتى الشعرية والعلمية وارسلتها الى دارالوثائق الوخنية فى الخرطوم بارقام ايداع .. وكان هذا لا يكفى .. ففى أحد مطالعاتى الى المنتدى فى الموقع الالكترونى (سودانيزاون لاين) خلب منى أحد القراء أحدى القصائد فأشرت اليه بأنها فى ديوان (الضياء والحريق) والذى صدر فى عام ١٩٨٦م .. ورد بانه فى مقابلة (ايوا - ليونيانا) فى امريكا الشمالية لاكثر من ١٠ سنوات ولا يستطيع الحصول على الديوان أو القصيدة .. ففكرت جديا فى تصميم موقع الكترونى شخصى أجمع فيه شتات ما كتبت خوال رحلة العمر .. بالقدر المستطاع .. ونشرتها فى هذا الموقع وكتبت عنه فى صحيفة (الوان). وكان من الطبيعى أن أكتب عن الغربية وأنا بالخارج خيلة ثلاثة عقود نثرا .. وشعرا.. وما كان يمكن لى إعادة ما كتبت الا بالاشارة الى الاصدارات للتدقيق والتوثيق من خلال الموقع .

والحق يقال .. وجدت ان كثيرا من الأسئلة التى خرحت والقضايا التى نوقشت كانت لى فيها اراء مسبقة .. ومواقف ثابتة موثقه وهى بضع دواوين .. أو عدة مقالات فى القضايا المطروحة ...فاكتفيت بالاستشهاد والاستدلال على ضعف القرائن .. ووجدت أننى قد عانيت فى صمت .. وكابدت فى صبر .. وقللة من الزملاء الذين عاصرونى بالداخل وعرفونى فى الماضى يدركون هذه

الحقيقة ..حتى أبنائى الذين شبوا فى المهجر و وصلوا مرحلة النضج الفكرى و السياسى أعادوا قراءتى من خلال كتاباتى القديمة و أمل أن يعيدوا البحث عنى داخل الوجود

ويقيني ان من يراجع مرافعاتى المكتوبة فى أوقات متباعدة .. قد يندهش لمعايشتى أحداث السودان وأنا بالخارج اكثر مما يتوقع كثيرون يعيشون بالداخل أما لانهم تلوحهم شمس المعاناة أو يتقلبون فى حرارة التجربة أو يكتون بنير الأنظمة التى فرخت فى حقوقهم و أفرخت فى عقوقهم.. ولكننى والحق يقال وللأمانة والتاريخ كنت أحاول جاهدا التفريق بين أحزان الوجود .. وخبغيان الأنظمة .. فلا أسقط على الأول مثالب الثانى .. وكانت مهمة صعبة للغاية .. أن تكظم الغيظ و تعفو عن الظالم خشية نشر الغسيل فى خارج الوجود و هو موقف أخلاقى ملزم و ملتزم-أو هكذا ينبغى أن يكون- ولا خيار لمن لا يختار .

والثمن الغالى الواجب السداد فى مثل هذه المواقف هو أن تشكر نظاما تختلف معه سياسيا اذا احتكم الى صوت العقل فى حق الوجود وأن تعادى نظاما لا تختلف معه سياسيا ولكنه فرط فى حق الوجود .. فقد اتفقت واختلفت مع كثير من الأنظمة فى المواقف التى كانت تضع مصلحة الوجود فوق كل اعتبار .. ونادرا ما حدث ذلك .. وفى هذه الندرة كنت المتضرر الأول فى الاختلاف والاتفاق .. وما زالت راضيا فى الحاليتين .. ولسان حالى يقول فى قصيدة (لبيك.. يا وخبغى ) التى القيت فى المركز الثقافى السودانى فى عيد الاستقلال عام ١٩٨٣م ونشرت فى الصحف السودانية .

أجد واسعى فى هواك وغايتى أراك على الحالين عنى راضيا

ويوجد النص الكامل للقصيدة فى ديوان (أشباح المدينة) المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الأول - ص ١٢٢ . وهكذا تتوالى الاستدلالات والشواهد.. شهادة على العصر - اكررها فى

كل موضوع .. وفي كل مناسبة وفي كل لقاء .. وفي كل حلقة اذاعية او تلفزيونية في  
هرولتي بين الداخل والخارج على مدى ثلاثة عقود .. هي اشجان الغربية .. نثرا وشعرا.

.....

## لبيك يا وخنيا \*

نظمت هذه القصيدة في يناير ١٩٨٣ و نشرت في صحيفة (الإتحاد ) الإماراتية في ابوظبي و القيت في الأحتفال بذكرى استقلال السودان في المركز الثقافي الاجتماعي السوداني في نفس الليلة في أبوظبي و خبعت في ديوان ( أشباح المدينة ) المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الثاني ص ١٢٢ .

ابئك أشجاني غريبا وباكيا  
تظن مدى عمري عزيزا وعاليا  
يفيض بروح البنذل والحب ساميا  
بكاك دموعا واشتهاك قوافيا  
تعدد من رحلوا وما زلت باقيا  
تذكرت اسما أمطر الدمع هاليا  
تحسن بكئي النار في الكف قاسيا  
وعافاك من سقم اصابك شاكيا  
تداعب أختيار الشروق الشواديا  
جموعا واسرابا .. دليلا وحاديئا  
تسجلن تاريخا وتصنع راويا  
شعور عليل اغمض الجفن داميا  
الى الخلف شان الظل يمشي ورائيا  
الى حوق متجاة يجيب دعائيا  
نكابدنا صبنا وتمضى تماديا  
خياري .. لاء التيل عطشى صواديا  
كأضغاث حلم زاود العين جافيا  
تحسن بأحراني وتذري بكائيا ؟  
فسال رضابا في مذاقي صافيا

لبيك يا وخنيا قريبا ونائيا  
فديتك يا سودان شعبا وموخنا  
أمجد استقلالك الأكبر الذي  
وجاء يدق الباب في المهجر الذي  
رعاك الله يقظان ساهرا  
تحن الى الابن المهاجر كلما  
تظن على جمر الأبوة قابضا  
فداك دعاء الغائبين ضراعة  
وأثبت في غاباتك الخضرجنة  
تنادي بقايا العائدين مواكبا  
من العالم المهجور من ألف موقع  
سئمت بغادي عنك حتى أصابني  
ثقل الخطى يمشي اليك تراجعيا  
أمد يدي مثل الغريق تطلعا  
تسير بنا الأيتم في ظل غربة  
نهيم بشوق الأرض ظمنا نفوسنا  
نسير نياما لا تقدر عيوننا  
شقيت فأبكاني هواك فهل ترى  
وذقت شراب المز شهدا وعلقما



أغالب في صبر الغريب كآبة  
تدور بنا الأيام نجتز ما مضى  
لك الله يا سودان في كل محنة  
كانك في الأفلاك نجم معلق  
فلا تحسبن العيش في قلب جنة  
ولا المال والجاه العريض وما حوى  
وما كان يقصينا على البعد لم يعد  
ستجعله الأيام وشما معلقا  
وتبقى لنا الأرض الحنون مظلة  
هي الأرض مهما أثمرت من خطيئة  
عشقتك يا أرضي بكل جوارحي  
نيوتا من الغشب القديم تعانقت  
وساحات تنفيس من الضيق والضنى  
وأهات محزون اذا سال جرحه  
لأن وجوه الأهل خارج موجني  
وأشكال فغار اذا ما تهشمت  
وتنخر في جسدي وتكسر شوكتي  
وما ضقت ذرعا في ثراك ولم يكن  
مضيت وقد لاقيت في كل خطوة  
ولو عجزت قدمي عن السير في اللظى  
فان بني السودان مهما تفرقوا  
ترككتك مثل الطقل في خضن أمه  
أجد وأشقى في هواك وغايتي  
حنائك يا أمي حنانك يا أبي  
صبرت على أمل اللقاء ولم أعد  
وما عاد يشغلني سواك ولم تزل

تجز عني الأوجاع ظمان ساقيا  
وننبش حاضرتنا فنلقاه قاضيا  
تجلجل في الأسماع صوتا متاديا  
يرواح في وجهي ويمشي أماميا  
يعادل يوما في ربوعك خاويا  
يعوض ما قد ضاع أو ظل باقيا  
سوى حدث قد مر بالعمر لاهيا  
على صدر مغترب وما سر رأيا  
من الشمس والظلماء أنا وراعيا  
فان حصاد الخير ما زال دانيا  
تلالا وأنهارا .. صحارى وواديا  
وغابات أسمنت تلاقى عواليا  
اذا شئت غصون .. نخلة ودواليا  
أجل له وجه من الأهل شافيا  
تماثيل شمع كم تذوب تلاشيا  
تمزق أحرافي .. تشق ردائيا  
صنوف زرايا تجعل الفكر باليا  
شعوري في ظل القراق معناديا  
ذروبا من الأشوال أمشيها خافيا  
أواصل مشواري على الجمز جاريا  
يشقون في دزب الرجوع نواصيا  
على دفء أحضان الطبيعة غافيا  
أراك على الحالين عني راضيا  
وهل أرتجى من دون قلبك خانيا  
أقاوم كتمان الذي كان خافيا  
تزلزلي خبا ولو كنت ساليا

وأجمل ما في العشق صد وجفوة  
أحسن بجسمى تحت أرضك ميّتا  
ولو قسيت الدنيا بمقدار لهفتي  
ولو وزنوا الدنيا بميزان كفتي  
أشيد من خلل الخرائب مسكنا  
واحمل أشغاري كتابا مزخرفا  
وأصدقك القول الذي ما نطقته  
ومن أجل عيتك اللتين أراهما  
تهون عذابات الستين وتتجلي  
وما قيمة الدنيا اذا لم تضمّني

وشيء من الحزمان يدمى المأقيا  
أعز حياة بل أشد تباها  
إليك لما كان الخيار مساويا  
لما رجحت عندي ترابك خاليا  
وألبس من خرق الثياب حواشيا  
توشى حواشيه خزوفك زاهيا  
لأكسب معروفًا وأرضى مواليا  
تسعان خبا صادق الوعد ناميا  
سحابات حزن تجعل الحزن غاليا  
إليك وتدعوني ... فليبيك داعيا

يناير ١٩٨٣م (صحيفة الاتحاد)

\* القيت هذه القصيدة في الاحتفال بذكرى استقلال السودان في المركز الثقافي الاجتماعى السودانى بأبوظبى فى يناير ١٩٨٣م ونشرت فى (ديوان اشباح المدينة) فى المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الثانى ص ١٢٢ الموقع الألكترونى.

## لقاء مع صحيفة ألوان (١)

حيث ما يزهو الشعر... يندثر الطغاة

"لقاء مع الدكتور الزين عباس عمارة عام ٢٠٠١ بصحيفة ألوان السودانية"

الدكتور الزين عباس عمارة مدير مستشفى الطب النفسي بابوظبى الكاتب والباحث والشاعر الذي لمع في زمان النجوم والغناء ثم حولته الاسفار الي حنين متحرك صوب تداعيات شعرية فصيحة ، بيد انه قريب من البوح اللحني فى قصاصات شغلته تداخلات العام والخاص في حياته الموزعة بين هذا العالم الفسيح الذي احتفي به واختاره ضمن اهم الشخصيات في مجال الطب والفكر الانساني فنا وادبا وبحثا ، فكان ان منح قبل اكثر من عام جائزة (Global ٥٠٠) وانهالت علينا تباشير ذلك الاختيار علي اكثر من صعيد محتفل ... ثم لما عاد هنا في هذا الخريف مستكينا بمنزله المطل على الشارع العام ، وجدناه كعادته محاصرا بالمواعيد والاوراق ، فاقتطفنا من الحوار الذي لم يكتمل بعد هذه (الدردشة) الصباحية :

ثرثرة أولي عن الغياب والمكان والطيور المهاجرة ؟

أولا اشكرك على هذه التحية وارد لك باجمل منها ، ويبدو انك كثير السؤال عني ولست انا كثير الغياب ، ورغم انك لست ابن الزمان الذي ولدت فيه ، ولكن ابن الساحة التي أعيش فيها .. واقول هذا ليس تبريرا للغياب ، ولكن تأكيدا لان خوال هذه العقود ما غاب السودان عن البال وما رحل عن الذاكرة . وكنت الراحل المقيم ، لا اشد رحالي الا لاعود بعد عام أو عامين شأني شأن الطير المهاجر كما يقول صلاح احمد ابراهيم .. وحتى اكون اكثر تحديدا واشد دقة ، فهذا

المسكن الذي اعيش فيه كان اول شجرة تعود فيها الطيور المهاجرة علي امتداد هذا الشارع الطويل الذي يربطنا بالنيل فى آخره ، واول الطوابق التي تدخلها الكهرباء .

وحتى لا يكون ذلك تاريخا كان الناس فى اركويت يحددون مواقعهم من امام او خلف بيتنا، حتى ان صديقى المهندس حسن بشير سراج مدير الهيئة القومية للمياة السابق قال لى ان الناس يتوقون لمعرفة صاحب ذلك البيت ، وقد تم بناؤه وسكنت فيه منذ عقدين ومنذ تاريخها وانا احضر للسودان مع اسرتى اقضي فيه بضعة ايام اوصل فيها ما انقطع من الارحام ، وما زالت هذه الطوابق خالية على عروشها لا يسكنها احد الا حينما اعود اليها ولهذا البيت نفسه قصة.

غطت البحوث والاسفار والطب على الشاعر .. ثم تحولتم الي قصائد الذات والمناسبات والاسرة وحدثت نقلة في الحنين ؟

يقول المثل ( البعيد عن العين بعيد عن القلب ) وان الاسفار والبحاث والطب لم تغط علي شاعريتي بقدر ما اثري هذا الوجدان وقوي عودي وصقل موهبتي واكسبني تجارب كثيرة ربما غابت عن النشر او ضلت خريقها لوصول من يعينهم الامر من الفنانين والكتاب والشعراء والمهتمين وجمعهم تربطني بهم علاقات شخصية كنت وما زلت اعتز بها .. ان الاشياء التي كانت حيننا معذبا ما زالت تعذبني حتي الآن ولو قرأت مقدمة آخر دواوينى (المرايا المهشمة) الذي نشرتم بعضا منه، تجد تبريرا موضوعيا الى النزوع لاشعار المناسبات والذات والاسرة .. اولها حالة الرفض لما هو كائن لما ينبغى ان يكون .. حتي اشعارنا الحنينية عن فلسطين في قصائد الستينات ترهلت واهترأت وتساقطت، ويمكن الرجوع الي الارشيف في مجموعتي (قصائد عن فلسطين) لتجد كيف تحولت لاءات الخرخوم الي نداءات القدس ... والانكفاء علي الذات هو وقفة تأمل وليس ردة . فمن خلاله استبطن ما بداخلى واستشرف ما يخبئه لنا المستقبل .. وحديثى عن الاسرة لانني في

الماضي كنت اسير ذاتي ولكنني فى الحاضر كفيل اسرتي ، ومن خلال قصائدي لهم اجد مخرجا فى البوح بما لا يمكن الحديث عنه علانية .. وثمة اشارات صوتية وضوئية .. اما النقلات فهي تقطيع المراحل لان حياتى ليست وتيرة واحدة وانما رحلة خوييلة مليئة بالمحطات التي تؤثر وتتأثر بالبيئة التي اعيش فيها والتحويلات اتعايش معها وهذا قدر المصالحة مع النفس ...

وما يزعجك داخليا وخارجيا يغير ( المرايا المهشمة ) ؟

المرايا المهشمة فى حد ذاتها تعبير عن الواقع المتصدع الذي اذا حاولت ان تجمعة وتجبر كسوره فقد تستعيد إخاره ولكنك لن تستطيع ان تعيد روعة الاصل . وما يزعجنى علي المستوى الداخلي ازمة السودان بين مطرقة الاحتراب وسندان الاضطراب .. نتحدث عن السودان وننسى اننا نتكلم عن قارة بكل ما فيها من الثروات .. يكفى ان يكون سلة غذاء العالم ويتصارع فيه الناس علي لقمة العيش مثل الحرب الدائرة فى الجنوب ..

وكنت اقول كثيرا فى مرات سابقة (وارجو الرجوع لكتبى ودواويني) اننا نتقاتل ونحترب فى الداخل عن شمال وجنوب واخشي ان يأتى اليوم الذى لا نجد فيه السودان نفسه .. وعلي الصعيد الخارجي يزعجني سلوك الغفوة ونهج الغفلة عن ما يدور فى الخارج وما يدور للسودان فى مصطلحات العولمة وحقوق الانسان وحقوق المرأة وقد ذكرت هذا فى المرايا المهشمة ..

د .الزين يدعو ويبشر بـ (عكاظ) بلا جاهلية علي المستوي الشعري فكيف هذا فى ظل

الطغاة والهبوط العام؟

اولا اني ابشر بولادة جديدة للشعر او مستقبل الشعر .. فقد علمنا تاريخ الشعر العربي منذ المنتبئ ان حيث ما يزدهر الشعر يندثر الطغاة فهو السياط التي تلهب ظهور المتسلطين علي رقاب العباد وقد كان وسيظل كذلك - يبدو انه عاش غريبا ومات غريبا فطوبي للغرباء ...

نلتهم شرفا رفيعا بنيلكم لجائزة عالمية- بماذا تفسر سرا احتفاء الخارج بنا وتهميش الداخل

لنا..؟

حقيقة ان ( زمار الحى لا يطرب ) وقد يكون في اكثر من بلد عربي ليس وقفا علي السودان وحده .. واستطيع القول بان هنالك كثيرين فى السودان هم أجدر مني بهذا التكريم والاحتفاء ولكن لم يسمع أحد صوتهم ولم يرفع احد صورهم ليراها العالم الآخر . ولكن هذا لا يجعلنا ندفن رؤوسنا في الرمال ونمارس قدرا من النقد الذاتي لاننا لا نكرم المبدعين ولا نحتفي بالموهوبين اكثر مما كنا نفعل فى حفل التأبين الذي نكتب فيه القصائد .. وهذا قدر الشعر .. وربما يهدى احد المسئولين قطعة ارض لاسرة الفقيد لتقييم عليها منزلا يقف شاهد صدق علي ظلم الانسان لاخيه الانسان .

في احدي قصائدك تتهم الشمال بالعنصرية، قدر الجنوب تخلفا ومجاعة .. فكفي انصياعا

لشمال العنصرى؟

بعد ان ضحك الرجل قال : ( اعرف انك تبحث عن الاثارة وربما وافيتك بها الجزء الآخر من الحوار ) .. ثم ان هذه القصيدة التى تتحدث عنها اسمها ( الشجن الجديد ) وهي تدور فى فلك ما تسميه انت قصائد الذات والاسرة التى ذكرتها .. وهي اشارة موجهة لابنى الذي ينوى الاغتراب لـ ( كندا ) للحصول على تجربة علمية وربما جواز سفر اجنبى يستطيع التجول به بحرية فى انحاء العالم المتقدم فى ظل الحصار الذى نعيش فيه ( كنصف جنوبى متخلف ) من الكرة الارضية ، والذي يبدو اكثر وضوحا في نهج العولمة التي تضع خطوطها فاصلة وحدودا وهمية فى جنوب العالم .. بينما تفتح الابواب على مصراعيها لاهل هذا الجنوب للنزوح شمالا.. وهذه احدي الهواجس التي تسكن عقول هذا الجيل ..

في عجالات الحضور ماذا ياخذ منك الوخن؟

انني لا امتن علي الوخن فهو اعطاني وجودي وهويتي وانتمائي- ويعطيني في عجالات الحضور

مثل هذه الفرصة لاقول ( وخن النجوم انا هنا.. حدق اتذكر من انا. الخ )

د . الزين شكرا لك وسنعود اليك .

شكرا .. وساواصل معكم باذن الله.

.....

## لقاء مع صحيفة ألوان (٢)

يواصل الدكتور الزين عباس عمارة حديثه في هذا الجزء الاخير من الحوار قبيل رحيله الى رحاب الخليج حيث يعمل .. والمطالع لسيرته يدرك جلال ما يقدمه من انجازات للحياة قل ان تجود بها أزمته الناس .. فهو الطبيب والاديب والباحث والمتأمل .. يختلج عالمه بالشعر والنبوءة والماورائيات داخل كون ممتد .. ولد الدكتور الزين عمارة بمدينة عطبرة بالاقليم الشمالي .. تخرج من كلية الطب - جامعة الخرطوم - تلقى دراساته العليا في بريطانيا .. حصل على دبلوم الطب النفسي من جامعة لندن .. نال زمالة كلية الاخياء النفسانيين الملكية بريطانيا - عضو جمعية الاخياء النفسانيين الامريكية .. يشغل حاليا منصب استشاري ومدير مستشفى الطب النفسي الجديد - ابوظبي .. صدرت له العديد من الكتب في مجالات الطب والأدب .. وله مخطوطات تحت الطبع .. امتاز بالمفردة الشعرية الصادقة والمعبرة ببساطة عن خلجات القلب .. يعد مثالا للانسان المناضل العفيف الساعي بين مناكب الارض الخير .. وكل هذا يبقى جزءا يسيرا من سيرة ((كتاب)) حافل بالكفاح والعطاء :

"مسكون بالوخن رغم أنني اعيش في ظلال وارفة ...

موت القرنطية احيا قضية .. واتمنى لافقة بهذا المعنى"

شاركتم في نظام مايو بالأشعار .. ثم غادرت الثورة وثوارها .. وتلاحظ هدوء أو (( اختباء ))

ثورتم في ما يخص الوخن - القصيدة ... و... ماذا تبقى من تلك الأيام؟



كنت اعتقد ان هذا السؤال قد تجاوزه الزمن بعد ان قالوا سبحان من يحي العظام وهي رميم  
واذكروا محاسن موتاكم ولكن بعد ان (جاءت) من جديد بنفوذها ورموزها (وإذا المؤمنوذة سئلت (٩)  
بأي ذنب قتلت) فبأي حق يظل هذا السؤال معلقا كحبل المشنقة على رقاب الكثيرين ، ومنهم من  
قضي نحبه ومنهم من مازال ينتظر وما بدلوا تبديلا ...

لقد سمعت لقاء اذاعيا مع اللواء م. مهندس بابكر على التوم المحافظ السابق للعاصمة في  
عهد مايو .. وقد قرأ قائمة بأسماء الوزراء الذين شاركوا في نظام مايو .. وليته واصل القراءة حتى  
اليوم لنري الامتداد التاريخي للفكر (الانقلابي) في مسيرة الديموقراطيات ... نعم... لقد شاركت  
في كل الأنظمة بالأشعار منذ الأستقلال وحتى بعد مايو... وإذا كان مفهوم الخسارة يدخل في  
حسابات الربح والخسارة فانني شاركت في نظام الانقاذ حين كتبت مرة بعد صمت خوويل في  
صحيفة تحسب للنظام ان لم تكن ناخقة باسمه وانا اعلم علم اليقين بمفومات الحسابات  
السياسية بعد فترة لاحقة سوف احاسب على هذه المشاركة. وأحب ان أورد قناعة خاصة ان تاريخ  
السودان السياسي مر بمراحل من الازمات والانعراجات ما كان بوسع المؤرخ الشهير (( ارنولد توينبي  
)) ان يتنبأ بها، وما يحدث الآن يؤكد تلك الحقيقة .

**وقناعة ثانية:** أننى بعد نصف قرن من التجربة السياسية في السودان أقول يجب أن يقتنع  
الجميع أن مسألة الحكم في السودان (( مشكلة مؤسساتية : أزمة نظام سياسي متكامل يحترم  
الحرية : يوفر السلام .. يصون العدالة الاجتماعية وفي ظل هذه الضوابط ووجود هذه المعايير لا يهم  
من يحكم السودان ولعلك ترقب ان أزمة الحكم السوداني منذ الاستقلال هو مسلسل واحد -  
حكم مدنى - انقلاب عسكرى - حكم مدنى - انقلاب عسكرى .. والبقية تأتي .. وكل  
نظام يرفع شعارات التجديد والتحرير واول ما يقوم به (( يأتى بنفس النظام )) بل نفس الأفراد -

وأكثر ما يقوم به مصادرة الحريات تحت شتى المسميات والمحاذير أعود الى مايو التي ظننت واهما أنها سوف تحرر الانسان السودانى من شرور الحزبية وتوفر مناخ الحرية - كما ظنت وهما الأنقاذ نفس الظن - وبعض الظن اثم - انها سوف تتخلص من بقية الاحزاب وتحت هذا الشعار مارست نفس شعارات مايو ان لم يكن الانقلاب من فكر "مايو" وتخطيط من شاركوا فيه أنك تقول ان الثورة غادرت وبعض أهم كوادرها يرفع أعمدة الانقاذ - والتي أستفادت من التجربة المايوية فى مصادرة الحريات وخلق الاجهزة التي تطارد شعارات الحرية والسلام والعدالة الاجتماعية مما أورث الحقد والضغينة - واشعل ضرام الاحتراب بصورة أدت الى تدويل مشكلته داخلية لها أخراف خارجية كان يمكن حصرها بالحوار لا بالبندقية - مما جعل القضية تخرج من الاجار الداخلى من وليام دينج- جوزيف لاقو- جوزيف قرنق الى مجلس الكنائس والاتحاد الاروبى : أن نظام مايو ولد ويحمل فى ثناياه بذور الأنقسام عندما صار الصراع على السلطة يظفي على الفكر المؤسساتي وتقلصت الثورة فى يد فرد .... والشعوب تصنع الصنم وهذا ما حدث وما يحدث وسوف يتكرر اذا لم يستوعب الناسون دروس تجربة الحكم فى السودان .. أنا أكتب عن شعارات مايو ومخاض الثورات الوليدة منذ الاستقلال والاحياء يذكرون اشعارى فى عهد ((عبود )) الذى يبكى الناس عليه منذ تفجير أكتوبر كما بكى البعض على مايو عند انتصار الانتفاضة .. وبكوا على الأنتفاضة بعد الانقاذ .. وسوف يبكون على الانقاذ إذا ظنوا أن أنقلابا عسكريا جديدا سوف يغير واقع السودان أن المتغيرات السياسية فى العالم تقول غير ذلك .. والمتغيرات الديمقراطية فى السودان تقول أيضا غير ذلك فالجيل الحاضر لم ينعلم بالديمقراطية كما لم يسعد بها الشعب السودانى خويلا .. لكن الفارق ان هذا الجيل ولد فى ظل الاحكام العسكرية وغياب الديمقراطية وعرف العنف والقمع والعنف المضاد فلن يتنازل عن الحكم مثلما فعل ( عبود ) حقنا للدماء لانه سلم الحكم

بتكليف من حراس الديمقراطية فنأدى رفافة فى السلاح للحضور الى الخرطوم .. لقد انتهى هذا  
الماضى بمراحله السياسية ...

ثم ماذا ..... ؟

أتمنى أن يكون فى غيابى عن الساحة العذر كل العذر فى الافراط او التفريط فى الصراحة ،  
والافراط فى السباحة ربما ضد التيار ... وقد ظن البعض انى كنت غائبا ولكننى غيبت نفسى  
عندما ادركت ان قول الحقيقة لا يرضى الجميع ولغة الحوار سقطت من القاموس السياسي .. اما  
الاجابة على الجزء الاخير ، فان مراجعة دواوينى جميعها بعد مايو وكتاباتى كلها أثناء وبعد مايو  
تحمل اجابات واضحة كانت غائبة لاننى كنت خارج الوجود وما زلت خارجة ، الا انها موجودة فى  
دار الوثائق القومية السودانية بأرقام ايداع موثقة .

مما ترى وتسمع وتشاهد ... نريد تلخيصا للراهن السياسي ... ولا ننسى ان لك قصيدة بعنوان  
( حوار حول المصالحة الوجودية ) ؟

قد يكون من الظلم لنفسي والتجني على غيرى ان احاول تشخيص الراهن السياسي فى  
السودان وانا فى الخارج لأن فى ذلك مجافاة لروح العلم والدقة الموضوعية والانطباعية .. ولكن إذا  
لم يكن من الموت بدء فمن العار ان تموت جباناً ...

أقول .. اننى اتابع ما يدور فى السودان ومسكون بهاجس الخوف على مستقبل السودان رغم  
اننى اعيش فى ظلال وارفة بالخارج .. وقصيدة ( حوار حول المصالحة الوجودية ) التى تحدثت عنها لا  
ابرى نفسي من تهمة الانزلاق بالسودان فى مخاخر الحرب والثورات والانقلابات التى أضعفت هذا  
الجسد المنهوك ، وقد كتبتها فى وقت كان الحديث فيه عن الحوار وعن المصالحة ، وعن قضية  
الوجود اشبه بشعارات الزندقة .. واننى على قناعة تسندها تجربة سودانية اصيلة ومعاصرة لكل

مراحل الحكم بعد الاستقلال - ان واقع اليوم هو ما جاء في (( قصة القصيدة )) وفي المقدمة ، ولا بديل للحوار ولا بديل للمصالحة ليس المصالحة الذاتية أو الشخصية فقط ، وانما الوجودية من أجل عيون البلاد .. ولا نريد أسقاط النظام لاننا لا نحب رموزه لنأتى بأفضل منهم ، ولكن لنغير النظام المؤسسي بحيث يصبح الفرد سواء ممثل خائفة او شيخ قبيلة او ممثل مغمور أو لاعب كرة مجرد اداء خيعة لتغيير الإرادة الوجودية وبالضرورة لن تكون معايير اختياره تمثيل الحزب او ارضاء السلطة وانما اهداف تغيير واقع الانسان السوداني .. والحق يقال وانا ازور السودان سنويا في العقد الاخير لاحظ بعض انفراج في الفكر السياسي ، وتغييرا في الخريطة السياسية ومحاولات جادة من اجل المصالحة الوجودية .. ولن يكون الوفاق مطية ، وان كانت تلاحقنا دائما عقدة الاسقاط في نقض العقود والنكوص بالوعد وعدم الوفاء بالعهد ، فلن نخرج من هذا الدهليز المظلم الا بالمصالحة والحوار الحق للوصول للاجماع الوجودي .. ومن يظن انه يستطيع البقاء في السلطة او الاستمرار في المعارضة بغير حوار فإنه يراهن على أن يظل السودان في (غرفة الانعاش) حتى يلفظ انفاسه ويقبل بعضهم على بعض يتلاومون .. وارجو من القارئ ان يراجع اشعارى منذ عام ٥٥- ٢٠٠٠ م وانا مسئول عن كل كلمة وحرف كتبته .

وأين كتبكم وكتاباتكم ... ؟

مؤلفاتي في دار الوثائق ارجو من القارئ الاخلاص عليها ليحاسبني قبل يوم الحساب وليس هذا اعلان بالمجان عن هذه الكتب فهي ليست موجودة في السودان ... وانا على استعداد لشراء أى مخطوط منها بأي ثمن لمن يملك اي نسخة منها خارج الدار .

د . الزين يدرك حجم وخطورة انتشار اوكار الدجالين الذين يوهمون البعض بالعلاج من أمراض تدرج تحت اختصاصكم .. من ناحية ثانية - ما هو تقييمكم عن ما يقوم به (( الفكى )) عندنا فى مسائل العلاج .. ومدى ايمانكم بحكاية (( الجن )) الذى يؤذى الانسان فيعجز خبكم الحديث عن علاجه وامانا كثير من الحالات ؟

قال تعالى : (( قال عفريت من الجن انا آتيك به من قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين )) .. سورة النمل الآية ((٣٩)). وقوله تعالى : (( وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون )) صدق الله العظيم . ولكن ما يحدث الآن هو انتكاس واضح لضعف ايمان قلة من الناس او جهل فئة اخري او فرط ترف فئة ثالثة : (( واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفوها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا )) صدق الله العظيم ..

ان ولع الانسان بالغيبيات وما وراء الطبيعة (( الميتافيزيقيا )) يجذب بعض المولعين بعلم النفس او الغارقين بحب النفس او الجاهلين له ان يروجوا لدور الجن فى المرض النفسى ويباعدوا بينه وبين دور العلم .. وعندما تختلط الأمور بهذه الصورة - يختلط الحابل بالنابل ويدخل الحلبنة المغامرون بكل شئ .. ويعملون تحت شتى الواجهات .. وعندما يدخل عنصر المادة فى اي شئ يفسده ويشوه المعاني النبيلة فيه .. وانا لست منزعجا لهذه الظاهرة - فلا يصح الا الصحيح خيال الزمان ام قصر .. الزيد يذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس .. وهذا الامر مرتبط بالوعي ، والعلم نور .. وكلما تقدم العلم ادرك الناس خبيعة هذه الفئة .. وتبقى الفئة الضالة سادرة في غيها بفعل عوامل اخري ..

وقد يكون من المفيد تاريخيا ان اذكر لك فى معرض الحديث عن الشيخ او الفكي ، ودوره فى العلاج النفسى ، عن تجربة شخصية كطبيب نفسى عندما كنت أعمل فى قسم الطب النفسى بمستشفى مدنى فى عام ١٩٦٧م .. وقد انشأت هذا القسم بالتعاون مع وزارة الصحة والشيخ (( المكاشفى )) رجل الشكينية .. الرجل الورع التقى .. وكنت ازوره فى داره الخاصة ويزورنى فى القسم ونقوم بتوزيع الادوار ، كل فى مجال اختصاصه .. وقد كانت تجربة ناجحة اعتز بها وهي الآن من احدث النظريات Community Liaison Psychiatry .. وشاء الله ان اوثق لها فى كتاب (( اضواء على النفس البشرية )) بالتفصيل ، وأمل تمكين القارئ من الاخلاص عليه .. وزملائي فى المهنة يعرفون هذه التجربة .. ولكننى ادرك جيدا ان هذا يقتضى حملة توعية شعبية فى مجال الصحة النفسية توضح الغث والجيد والصالح والطالح .. اما ما تقصده اذا صدق فهو تجارة باثرة وعمل ضار بمفهوم الصحة النفسية وعلى الدولة ان تضع على عاتق المسؤولين حماية المجتمع من هؤلاء الذين اصبحوا اشبه بطاعون العصر .. وهم يرتزقون من احزان الغلابة ...

#### ظاهرة المغنين الشباب ؟

ظاهرة صحيحة تمثل تواصل اجيال وحمل رسالة فيها الغث والشمين .. فى زمان غير الزمان الماضى تحتاج الى تهذيب الازواق وتقويم الاخفاق بالاحتكاك والممارسة لا الصراع والمشاكسة .. احمد لهم الاتكاء على الحقيبة لنقل القيم الجميلة التى تبقى على النشاز وترتفع بجودة الاداء فى التراث والاصالة الغنائية .

#### الساحة الادبية اليوم ؟

رغم اننى بعيد عن الساحة لاكثر من ثلاثة عقود .. اتابع من وقت لآخر ولكنى كلما حضرت للسودان .. وقرأت ما يكتب وازددت قناعة بأن الشعب السودانى قارئ جيد ولديه القدرة

ليكون كاتباً أكثر جودة لو أتاحت له فرصة الكتابة وأكثر إنتاجاً لو وجد دور النشر والطباعة.

محمد وردي؟

لولا إيماني بأن رحم الأم السودانية قادر على العطاء في كل الأزمنة لقلت إن تجربة وردي لن تتكرر بتفاصيلها .. فهو الفريد في عصره .. في الغناء .. في الفكر السياسي .. في النهج الاجتماعي وفي القدرة على مواجهة الشدائد وهذا دليل أصالته .

عثمان حسين؟

أكثر من أخ (( ورب أخ لك لم تلده أمك )) عرفته منذ خفولتي قبل أن أراه عندما غنى (( اللقاء الأول )) (( والفراش الحائر )) والتقيت به في الخرجوم عام ١٩٦٠م عندما جئت جامعة الخرطوم ولم تنقطع صلتني حتى صباح اليوم .. فهو أسطورة الطرب .. وقيثارة التطريب .

عمر الجزلي؟

صديق أذاعي وإعلامي عاشق حتى النخاع لمهنته الأولى ووظيفته (( الإعلام )) أتمنى لو أتاحت له الفرصة ليتفرغ لبرنامج (( أسماء في حياتنا )) وهو موسوعة توثيقية تاريخية نادرة يحتاج إلى شركة ترعى البرنامج وإمكانات تمنحه موارد مالية تساعد علي إثراء البرنامج وتوسيع دائرة الحوار والقدرة على السفر والترحال وتكوين الإرشيف التوثيقي ..

## الصحافة السودانية اليوم؟

يؤسفني ويحزنني كثيرا انني لم اتابعها عن كثب فلا تصلني الا الما والتغيرات الكثيرة في الشكل والمضمون لا تساعد في التقويم ولكن الكثرة لا تعني بالضرورة زيادة مساحة الحرية وقد تكون على حساب الجودة والله أعلم .

## الفضائية السودانية؟

خفزة اعلامية غيرت صورة السودان في الخارج .. لم تربط المهاجر بوطنه فقط ولم تربط السودان بالخارج فقط وانما ربطت المغترب ذاته بالمهجر حيث صححت كثيرا من المفاهيم الخاطئة حول هوية السودان وجغرافيا السودان .. وموارده .. اصبحت اضافة جديدة مشرقة لو كفت عن نشر الغسيل في خارج اسوار البيت .. واكتفت بالبرامج التي تقدم السودان للخارج ولا تشوه الصورة الجميلة في اذهان الذين يعرفون السودانيين هناك .. وما كل ما يعرف يقال ..

## أناشيد السلطة اليوم؟

أنا اعرف فقط أناشيد الوطن .. لان أناشيد السلطة تذهب مع السلطة أما أناشيد الوطن تبقى مع الوطن والبقاء للأصلح .

زمان .....؟

زمان كان رجل الدين ورجل السياسة ويقال الحلة ومطرب الحي ولاعب الكرة يجتمعون على وجبة خعام ويفترقون على حسن الختام .



شخصية...؟

الاعلامى الفذ .. الرقم المتميز (( على شمو )) البروفسيور العالم والصديق الناعم.. فقد كان  
نجما ساخعا في الخارج وشمسا مشرقة في الداخل ومثالا حيا لتواصل الاجيال .

مدينة.....؟

جوبا .. علمتني ان الحرب والسلام في يد السودانين .

قضية.....؟

موت (( القرنتية )) احيا قضية حديقة الحيوانات التي شهدها الآلاف في صراع البقاء في الشارع  
.. نأمل ان تكون واحة لقاء داخل سور جديد يحمل لافتة بهذا المعنى؟؟

أخيرا....؟

الى كل من يحمل رسالة او يعمل على احياء فكرة – عليه مجادلة الناس بالحكمة والموعظة  
الحسنة .. وهذه ارقى درجات الحوار .. ان القوة لا تصنع الحق ولكن الحق يصنع القوة .. قوة  
الفكرة وقوة الاقناع .. وقوة البقاء .

.....

## بطاقة معايدة الى مغترب

نظمت هذه القصيدة في مايو ١٩٨١م وألقيت في المركز الثقافي الاجتماعى السودانى فى أمسية شعرية مع الشاعر الكبير الصديق الطيب محمد سعيد العباسى و نشرت فى صحيفة (الاتحاد) بابوظبى وخبعت فى ديوان (أشباح المدينة) فى المجموعة الشعرية الكاملة -المجلد

الثانى ص ٧٩

من بعد ما ذر الزمان رمادي  
عهد المحبة فى ربوع بلادي  
أمضيت ليلى فى رحاب سهادي  
ومطوع الأوزان دون عناد  
متفردا عن زمرة الرواد  
قد سلم الرايات للأحفاد  
تبكى الفراق حواضر وىوادي  
فى العيش تحت العبه والأصفاد  
كالروح قد خرجت من الأجساد  
وتساوت الالاف بالأحاد  
ظلم البحار وقسوة الصياد  
قتلت ربيع العمر فوق مهاد  
وعزأونا فى قوة الأوتاد  
ترجى لتشبع شهوة الجلاد  
شأن الجماعة من هوى الأفراد

مالي أراك تثير نار فؤادي  
وتعيد لي ذكر المودة والتوى  
وخني اذا ذكر الجليس شجونه  
يا (( عقيب )) النفحات فى أشعاره  
ابن القريض ... ولدت فى احضانه  
صوت القبيلة بن أكزم شاعر  
قد ضاق بالأيام فى نزواتها  
شأن الرجال تفاوتت أقدارهم  
ما كان مثلك أن يفارق داره  
لو لا تملكه الأسى حين اشتكروا  
فى ذمة التاريخ ما يلقاه من  
شيخوخة مدت إليك ظلالها  
تأتى الزياح على خيامك صرا  
ما أضيع الإنسان ... أضحى فدية  
وصحائف التاريخ ملء سطوره

جئت الخليج ولا أقول مجاملاً  
اللة يعلم لم يكن في خاخري  
وسألت نفسي هل سعيت لغريتي  
أم أن أصل الحزن صوت ربابتي  
وتشابه الأيام بعض تصوري  
كان الخيار الحزين أصابعي  
قد حفت بالبيت الحرام مهرولاً  
ووجدت في القرآن خير وسيلة  
ما ضاع من عمري وهبت سنيته  
أفديك يا عيد التحرر والفتا  
عطرت مشرقة الجبين بنفحة  
ورفعت رايات خويت بنودها  
من دون ذكرك قد حرقت قصائدي  
يا (( خبيب )) الأخلاق بين صحابه  
ستعود للوحن العزيز منارة  
ستعود كالطير المهاجر متعباً

مايو ١٩٨١ (صحيفة الاتحاد)

سنواته كانت أعز حصادي  
حين اغتربت وقد حزمت عتادي  
أم أن قدرتي كان بالمرصاد ؟  
ومرارة الكلمات خعم مدادي ؟  
حين ارتديت لهن ثوب حداد ؟  
والآن أفلت من يدي وقيادي  
في كل عام رائحاً أو غادي  
للبدء من حيث انتهى أجدادي  
من أجل أرضي لحظة الميلاد  
يا أجمل الأيام والأعياد  
مخضوبت ومضيت في إنشادي  
أمداً خويلاً في حقيبة زادي  
من أجل بعثك قد شحذت زنادي  
ومطوع الأوزان دون عناد  
وقادة من ذهنك الوقاد  
من غزية موقوتة الميعاد

(١) عيد التحرير .. إشارة الى عيد الاستقلال والذي لم تحتفل به الدولة كاحتفالها بأعياد مايو من ذلك العام .

\* في لحظة تداع حر . هزنتي قصيدة الشاعر السوداني المبدع الطيب محمد سعيد العباسي في العدد الماضي بعنوان : "خواجر  
مغترب" فانسابت هذه الرسالة عفو الخاجر ... بطاقة معايدة .

\* نشرت هذه القصيدة في ديوان (أشباح المدينة) - المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الأول ص ٧٩

## خالد \*

الى حفيدي الغالى ( خالد ) ... عسى أن يغرس جذورة الجديدة في تراب وخنه القديم

دع قلب كل متيم يختار  
عمار بن ياسر شعلته متقدة  
بوركت يابن الوليد مقاتلا  
اسمان في صفة الوليد شهادة  
نعم الطفولة في نضارة وجهه  
وفم كزنبقة البنفسج مشرق  
زغرودة الفرح المشع حفاوة  
هذا الوليد أتى يفيض حلاوة  
حلو المقامخ ... لوحة منقوشة  
يحكي سماعة خلقة وخباعه  
أخشى عليه دفء فرحة لحظة  
قد أشعل النيران ملء حياتها  
وأضاء الآف الشموع لجدة

فأنا خيارى بعدهم (عمان)  
ومضيئة يا " خالد" المختار  
ومجاهدا شهدت له الأنصار  
يكفيه فخرا منهما يختار  
عينان تسبح فيهما الأنوار  
تختبئ خلف شعاعه الأسرار  
ل لناظرين ... فشقت الأنظار  
ونعومة منها البنات تغار  
ويحيط زخرفة الاخار ... اخار  
لو أحسن الأبوان ... والأقدار  
في قلب أم غمرها الابهار  
أخشى عليها تصطليها النار  
فانشق في قلب الظلام نهار

وأعادها عشرين سنة شابة  
تتقاسمان الليل في وردية  
تستمتعان كلاهما بسعادة  
قد جاء في الأحفاد آخر قادم  
أتى (خلال) المجد أعلى قامته  
في ذهنه الوقاد جذوة شعلته  
غطى قواميس اللغات فصاحة  
أخشى عليه فرط دفة محبة  
أعطته كل حياتها أهزوجة  
يا خالد القسمات فيك وسامة  
هل فيك من ( آيات ) رقة خبعتها  
( آيات ) تنضح خضرة وعدوية  
أهوى صدى الهمسات في كلماتها  
شيء من العشق النبيل ونغمة  
همس من الأعماق بين شفاهها

من أجل بنتها كثرت الأدوار  
قل المنام وزادت الاعذار  
يجتمع فيها الحب والايثار  
بنتان بعدهما أتى المغوار  
وأشد وقعاً صوته الهدار  
في عقله تتصارع الأفكار  
في كل موضوع لديه حوار  
في قلب أم جرفها التيار  
حفظ النشيد فشدتها المزمار  
ولديك من ألق السكون وقار  
أم فيك من ( الاء ) استبصار  
وأنوثة تحلو بها الأشعار  
وقصائدي في وصفها تحتار  
يرتعث في ايقاعها القيثار  
بوح النسيم تسوقه الأزهار

هل فيك من ( الأء ) سر نبوغها  
تحكي لك الأشياء في عفوية  
وتفوق في التعبير حاجز عمرها  
أهلا بمقدم " خالد " متأمركا  
أوصيك : تتخلى بكل فضيلة  
قدر الأصيل يظل يحمل بصمة  
لما يجلجل صوتها الثرثار  
ينطلق من نبراتها الاصرار  
وتذوب في تفكيرها الاعمار  
في كفه الجواز ... والتذكار  
مهما يطول ويصعب المشوار  
من وخنه مهما يخوته ديار

.....

\* نظمت هذه القصيدة عند ميلاد حفيدي خالد لابنتي الدكتورة أن الزين عمارة التي كانت تعيش مع زوجها الدكتور ياسر أحمد إبراهيم بمدينة نيو أورلينز بمقاطعة لويزيانا في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد سافر كل أفراد الأسرة لحضور هذه المناسبة وبقيت في أبوظبي ووصلني الخبر وهم يتبارون في اختيار الاسم. وكان خيارى اسم عمار ولكن الغالبية إتفقت على اسم خالد حفظه الله.

# مايا

الى حفيدتى ( مايا ناظم الزين) والتي اضافت شمعة مضيئة فى ثريا غرفتي

آه لو شاهدت "مايا"

إنها فى الحسن آية..

عندما زفت لنا البشرى وباقات التحايا

عندما حملت إلى أخواتها أعلى الهدايا

عندما كشفت خمار الوجه عن كنز الخبايا

عندما رسمت ملامحها على وجه المرايا

وجه (آيات) التى رحلت .. وقد تركت بقايا

من حلاوة خدنها ... المكتنز .. فى كل الزوايا

شامة زرقاء فى الخد المعطر...

دغدغت كل الصبايا

آه لو شاهدت "مايا"

آه من وهج الطفولة فيه تغتسل الخطايا

آه من ألق البراءة منه تنطلق الحكايا  
صوتها المنغوم ... دندنه ... وموسيقى شجايا  
نشوة تنساب فى روعي وتعتصر الأسايا  
كلما صرخت ... تفجر حينا لهبا ... وفرحتنا شظايا  
رفرفت روحان : واحدة هنا ...  
وهناك أخرى في حشاشات الحنايا  
آه من عشق الحفيدة ...  
فرحة البيت الذي غمرته الآف المزايا  
ولهفة " الجد " الذي يعتصر كرم الشعر يسقيه ... عطايا  
ما الذي أشقاه غير البعد عن وخن تمزقه البلايا  
ما الذي أضناه غير تعاقب الأسفار في كل المطايا  
هكذا نحيا ... ونبقى أسرة  
تختزن في أحشائها أحلى السجايا  
أسرتي ... ما أجمل الموال لو غنت به الدنيا ورددت البرايا  
هوايتى في الأصل ...  
عشق شقاوة الأخفال ترسم لي خطايا



ومهنى صنع المحبة ... كيف تتلاقى مع صدق النوايا  
وغايتى نسج المودة من حبال الصبر من دون الشكايا  
آه لو شاهدت (مايا)  
جاءت الحسناء تحمل فى شروق الفجر عشرات الوصايا  
كل قنديل يضيء شموع بيتى سوف تحمله يدايا  
شعلة وهاجة حتى النهاية ...

.....

لغات ولدت حفيدتى (مايا) فى ٢٢/١٠/٢٠٠٢ فى مدينة ( تورونتو ) فى كندا وعادت لاحتفل بها فى أبوظبى

## فرحة الامارات

بطاقة حب ... الى مقام صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة - حفظه  
الله - بمناسبة الحفل الذي تقيمه جمعية الامارات الطبية ابتهاجاً بنعمة الله عليه بالصحة  
والعافية...

شعب دعا رب العُلا فأجابا	يا زايد الخيرات خبنت وخبابا
فتقبل المولى الدعاء ثوابا	شعب توسل بالأكف ضراعتا
شز ابتلاء علة ومصابا	عافاك من سقم أصابك فانجلى
قد لبس من حب الشعوب ثيابا	فانعم بطول العمر أعظم قائد
فتحت بك التاريخ والأبوابا	واهنأ بخير زعامت شعبيّة
وهواك فجر أنحترا وعبابا	يا زايد الخيرات شعبك عاشق
من فيض نورك قد أضأت شعابا	أرض الامارات الحبيبة دزة
جمعت شعوبا إخوة أخابا	أرض المروءة والضيافة والتدى
فأضاء فيها العلم والآدابا	والعلم أوقد في دجاها شعلة
وأقل عمرا في الزمان حسابا	أخلى المدائن في الخريطة حلة

تستكتب التاريخ في صفحاته  
غمرتك روح الشعب فيض محبة  
وشمخت في خول البلاد وعرضها  
وصعدت بالأحلام أعلى قمة  
وتوهج الحلم الكبير منارة  
ترعاك عين الله أول قائد  
واحتضن ألف قبيلة في صدره  
ومشى يشق خريقه مستوثقا  
جمع الشتات على صعيد واحد  
عف اللسان إذا أخللت محنة  
أسدى لهم قول الحكيم نصيحة  
بالكلمة الحسنى يجادل أمة  
فانعم بطول العمر أعظم قائد

فامتلاً أمجاداً وفاض كتاباً  
غنت بمجدك أنجماً وسحاباً  
شيئت فيها مآذناً وقباباً  
من بعد ما كانت صدى وسراباً  
كالضوء يخترق الضباب شهاباً  
في عصره قد وخذ الأعراباً  
متوشحاً فضل العطاء إهاباً  
من شعبه مستمسكاً ومنهاياً  
متجاوزاً به فرقة وسباباً  
واستحكمت في العالمين خراباً  
رقت حواشيها هدى وصواباً  
شهدت بحكمته رضا وعتاباً  
قد لبس من حب الشعوب ثياباً

.....

## وداع الأحيّة

ألقيت هذه القصيدة في حفل الوداع الذي أقامته لى أسرة مستشفى الطب النفسى الجديد بابوظبى فى قاعة  
الاجتماعات الكبرى فى ١٣ أكتوبر ٢٠٠٣ والتى :

شاركتنى فى البناء...

وكرمتنى بالعطاء...

وغمرتنى بالوفاء....

حتى صرنا أسرة واحدة... فى السراء والضراء...

يا خيرة الأخوان والأخوات

وعصارة الألحان فى نغماتي

ولكم سعدت برؤية البسمات

منظومة كالعقد دون شتات

لا تعرف الأذعان فى الأزمت

فتوهجت فى أهلك الظلمات

فى خاخري وتموج فى مراتي

ولهيبه يشتعل فى جنباتي

من حب أبنائي وعشقى بناتي

دعنى أودعكم رفاق حياتي

يا أجمل الأوتار فى قيشارتي

كفوا مدامعكم .. فقد أشقى بها

وصنعت مجدي من عطاء جماعة

هذا العطاء أحال ذهنى قوة

هذا الوفاء أضاء قلبى شمعة

أحيا مع الذكرى ... تظل وجوهكم

وأعارك الدنيا وخلفي خبكم

وكان زوحي جذوة متقدمة

فإذا رحلت فإن أشواقى هنا  
هيهات أن أنسى زمانا عشته  
هيهات أن أنسى مكانا ضمتى  
عايشت في مبناه دفن أخوة  
لولا مودتكم على خول المدى  
وبلا محبتكم سابقى عاجزا  
دعنى أذكر من تعامى أو عمى  
وأقول يرتجف السؤال على فمي  
لو قيل إن الموت عاقبة الفتى  
مستصعبا روح النبوة قدوة  
لو جئت تسألنى : بنفسك حاجة ؟  
والحيز في قلبي بقايا ثروتي  
وصعدت في درج المعالي قمة  
واليوم اكتب صفحة في سيرتي  
وأرى بخيرى ووضحا خططته

وتركت خلفي ريشتي ودواتي  
عصرا من التاريخ في ميقاتي  
وأظننى في أجمل اللحظات  
وأبوة حفلت بخير صلوات  
عشرون عاما من حصاد حياتي  
ويدونكم ما كانت انجازاتي  
عن رؤية الابداع في سنواتي  
من كان يتكرقوتى وثباتي ؟  
ما همنى يوما سهيل مماتي  
مسترخضا في البذل ثمن حياتي  
يكفينى أبنائي كنطوق نجاتي  
هل ينضب التعبير في الكلمات؟  
وكاننى سافرت في غيماتي  
وأخبر التاريخ منوق ذاتي  
وحسبت في مشواره خطواتي

هذا زمانى ... فأتنى بزواتى  
علمية ... عصرية - "الوحدات"  
يتناقش العلماء فى الندوات  
أخرى تضاهيها على الساحات  
وأرسم على جدرانها لوحاتى  
فى كل زاوية ترى لمساتى  
بالحب يتخلى بأخلى صفات  
صفة النفاق ولعنة النزوات  
قدم ولا عانى من العثرات  
والعفو من حُبى وبعض صفاتى  
ويطوف حولى بالرحيق سقاتى  
يترجلون كفارس الحلبات  
متطلعين إلى الرعىل الاتى  
أن يستجيب الله لى دعواتى  
ينزداد أضغافا بكل صلاة

وأقول للتاريخ: مهلك لحظة  
شيدت فى قلب الخليج منارة  
ومدينة للطب فى أرجائها  
فى حوزة علمية ليست لها  
فانحت على كل المداخل "حكمتى"  
وأكتب على وجه الجدار وصيتتى  
دعنى أضمنكم بصدر عامر  
ما شابه حقد ولا علقت به  
ما نكص فى عهد ولا زلت له  
وعفوت عن ظلم المسيء سماعة  
قد أن لى أن أستجم بدوختى  
قدر الرجال إذا تقدم عمرهم  
ويلوحن مؤذعين جيادهم  
وهنا أودعكم ... ألوح سائلا  
ويثيبكم عنى ثوابا عاجلا

وأقول للتاريخ: صَبْرِكَ ساعة وأسمع إلى الكلمات في أبياتي

.....

## ثقافة السلام

قد يصعب على المرء أن يستوعب الحديث عن ثقافة السلام فى زمان تدق خبول الحرب فى الجهات الأربع من عالم اليوم .. وقد يتعذر على القارئ أن يستدرك العودة على البدء .. العودة الى ماذا؟ والبدء من أين؟

أقول إن تخلى الانسان .. الفرد والدولة عن ثقافة السلام فى الماضى تحت ظروف الحرب الباردة عندما استيقن فى غفلة ان وجود البرودة فى صقيع الحياة كان يخفى نوايا القطط التى تمشى على سطح الصفيح الساخن .. بحثاً عن مدخلات الحرب.

إن هذه الغفلة كانت مغلفة بالشعارات التى فقدت تأثيرها من فرط الاجترار .. وضلت مسيرها فى خريق الإنحدار الى القاع .. والقاع البعيد . لقد صدق الصديق العاقل والأديب الراحل الكاتب المفكر عمر حاج موسى وزير الثقافة والإرشاد آنذاك وهو يكتب لي مقدمة ديوانى ( مع رياح العودة ) فى عام ١٩٧٠م وفيه دعوة للسلم والحرية والاشتراكية. قال لي: (أسالك يا زين، السلم الحار؟ أم السلم البارد؟! الحرية الفردية أم الحرية الأومية؟ .. اشتراكية السلام .. أم اشتراكية الإسلام؟ فقلت له : كل هذه الأشياء مجتمعة .. وبضدها تتباين الأضداد؟ قال لي (أخشى بعد سنوات أن تصبح هذه الشعارات بضاعة كاسدة .. أو جثثاً محنطة فى متحف التاريخ لأن أكثر الذين يرددون هذه الشعارات لا يعرفون ماذا يرددون، فقلت له: ليت قومي يعلمون.

وتمر السنوات .. ويصدق القول حين تتحول الحرب الباردة الى عاصفة ثلجية باردة تعصف بالمعسكر الاشتراكي .. وتلقى به فى غياهب الجب .. وينهض المارد الرأسمالى ليشعل الحرب الإلكترونية .. كلعبة الفيديو .. ويشتعل العالم من أركانه الأربعة فى هذا الوقت .. وأكثر من



أى وقت مضى .. ينبغى أن ننشر ثقافة السلام وأن نؤسس لها فى موضوعية من القاعدة وليست القمة فقط لأن انقلاب الهرم التقليدى فى تركيبة المجتمع هو الذى شل حركته فى الانطلاق الى فضاءات رحبة.

إن التوقيع على اتفاقية السلام يعنى عقد شراكة .. وما لم نؤسس لهذه الشراكة على كل المستويات .. وفى كل مناشط الحياة اليومية .. سوف نغرد خارج السرب .. أو هكذا يعيش دعاة السلام .. الصوت الذى يصرخ فى واد غير ذى ذرع .. ولا حياة لمن تنادى.

إن العقد شريعة المتعاقدين .. والتعاقد لا يكون بين القمة فى المصير ولكن يكون بين الشعوب فى التحرير .. تحرير النفوس من ارث الضغائن الموروثة عن القتال وتحرير الوجدان من الحقد المترسب خوال صراع الاجيال التى اکتوت بنار الحرب وسددت فاتورة التمرد .. ثم العصيان ثم القتال المتقطع ثم الحرب الأهلية الطاحنة .. ولسان حالة يقول : هذا ما جناه ابى علي وما جنيته على أحد.

إن عملية غسل الدماغ التى تعرضت لها كل الأجيال بين عدو قادح وصديق مادح بين مغرض يستلذ من اشعال الفتنة ومفرط يغالى فى تأجيج الصراع .. ومتوتر يعيش حالة فصام بين العقل والقلب .. الفعل والقول .. الإرادة والواقع هذا الخليط النشاز أن له ان ينتظم فى الايقاع الاوركستراالى لمسيرة السلام .. ان السلام ينغى ان يكون فطيرة الخبز .. وشربة الماء .. ونفحة الهواء التى تمتلئ به البطون الجوعى .. والقلوب الظمأى .. والصدور المختنقه بدخان البارود الصادر من المجنزرات .. والطائرات النفاثة .. ومدافع المورتير.

وما عاد هناك عذر لمن يتزرع بالزمن أو يسترزق بالمحن .. أو يسوق للفتن الكامنة فى شتات  
الماضى الملىء بالقنابل الموقوتة التى زرعت مع سبق الاصرار والترصد لتتفجر فى كل مرحلة يخرج  
فيها الوخن من عثراته المتعاقبة.

وما زالت أمامنا فرصة لا تلوح فى الأفق فقط .. لننظر اليها ولكنها فى الكف وبين الأصابع  
.. فلنعرض عليها بالنواجز ولا أقول أنها الفرصة الأخيرة التى وقع عليها الشركاء من الخارج فى  
وثيقة العقد ولكن أقول أنها فرصة العمر .. والجبان يموت ألف مرة والشجاع يموت مرة واحدة ..  
ولأننا أبرمنا سلام الشجعان رغم كل ما قيل وما يقال .. فليس للسلام ثمن .. لأن السلام الحقيقى  
لا يعرف غالبا أو مغلوبا وإنما يحدد نقاط الالتقاء وخطوط التقاطع ويرسم خريطة الطريق ..  
خريق الحق .. والعدالة .. وهى قيم انسانية لا يضار منها إلا الأشرار فيها .. ولا خيار لمن لا يختار.

وفى البدء يجب ان نملك الاتفاقية للشعب ونملك الحقيقة للاعلام .. الأول ليدافع عنها  
والثانى ليبشر بها. فاذا اخترنا السلام .. فلنستعد لدفع ثمن السلام.. وأول الخطوات ان ننشر ثقافة  
السلام.. فى مجتمع لا مجال فيه للمزايدة.. والمكايده.. من أجل المستقبل الذى يروونه بعيدا ونراه  
قريبا.. بإذن الله.

.....

## كرنفال في موسم الحزن

حتى لا أنقطع عن الوصل ولا أنبت عن الأصل آثرت بعد عودتى من الخرطوم فى مساء الجمعة  
الماضى والخرطوم تتأهب وتعد زينتها لإستقبال فجر الإستقلال رجعت بعد مشاركتى فى "مهرجان  
تأبين فقيد الأمة والعروبة والأسلام والانسانية جمعاء الراحل المقيم سمو الشيخ زايد بن سلطان آل  
نهيان"، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة فى قاعة الصداقة فى الخرطوم .

وقد كانت لفته انسانية كريمة .. ولمحة دبلوماسية واعدة ونقطة تذكارية خالدة .. أن  
يؤكد الشعب السودانى وفاءه .. فى السراء والضراء .. وعطاءه .. للأخيار والأوفياء .. ويقول بالصوت  
المسموع مع المتنبى :

إذا أنت اكرمت الكريم ملكته      وان أنت اكرمت اللئيم      تمردا

وهذه بعض سجاياه .. وأقل عطاياه .. وهى شهادته على العصر.

عدت الى أبوظبى بعد يومين حافلين باللقاءات على كل المستويات وسعدت أن اكتشفت  
أننى ما غبت عن البال ولا رحلت عن الذاكرة .. وأن الاجيال الجديدة التى تغنى أغانى الحقيقة ..  
فى إخبارها الجديد .. تتذكر الوجوه القديمة بمنظارها المتجدد وكان مصدر سعادتى فى الأصل أن  
يفصلنى "فلق الصباح" بين أبوظبى والخرطوم .. وكرنفالات الفرح تدق أبواب السودان .. فرحة  
العام الجديد .. وفرحة الإستقلال .. وفرحة السلام .. وفرحة مهرجان الخرطوم عاصمة الثقافة العربية  
.. هذه الباقية من الأفراح .. والحزمة من الأهازيج والبارانوما الثقافية والسياسية والاجتماعية .. قوس  
قزح يتألق فى سماء الخرطوم .. فأنتنى أن لا أراه إلا من خلال الفضائيات .. ورجعت... وما أحلى

الرجوع إليه .. وما أروع الحديث إليه .. الحديث عن السلام. (إدخلوها بسلام آمنين) .. السلام فى الشكل والمضمون .. الحديث عن الثقافة. (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الثقافة فى الحداثة والأصالة.

يقولون فى البدء كانت الكلمة .. ومن الأصل تنبع الثقافة .. ودع ألف زهرة تتفتح والبقاء للأصلح .. وأن توقد شمعة خير من أن تلعن الظلام .. لقد كان السودان ضلعاً كبيراً فى مثلث الدبلوماسية العالمية .. العربية والاسلامية والأفريقية .. وما زال حبل السر الذى يربط مشيئة الفكر الاسلامى عبر اللسان العربى .. والجذور الأفريقية.. فاختيار الخرطوم .. رمزاً للسودان .. ودلالة التعريف بجغرافية المنطقة وحدود القطر .. وليس هوية الشعب أو أصول الثقافة فقط وكان يمكن أن تكون أى مدينة أخرى تحمل المضمون السياسى الذى امتلأ به ماعون الشارين من هذا النبع الثرى ..

ودع كل الثقافات .. تتجمع .. وتحدث بألف لهجة .. ومليون لسان هى المساحة الجغرافية لذلك القطر القارة .. من خلال ذلك الاختلاف فى التنوع وهذا التميز فى الألسنة. دع العالم يحدد هوية المنطقة .. عربية أم افريقية أم الاثنيين معا .. وما أجمل الخيارات .. إن السودان حزن كل الثقافات .. ومنبع كثير من الحضارات ولا يضيره أن يكون الإكتشاف فى الخرطوم أو خارجها .. والإعلان عن الأولى أو الأخيرة من الثقافات فى النهاية لابد للرأى .. والسمع .. والمتلقى ان يخرج من حواراته الداخلية وجولاته الميدانية بالإنطباع المقنع .. عن هوية البلد المضيف .. وليست القضية هي تأكيد هوية .. أو امتحان نوايا .. والا فهناك عواصم عربية فقط .. وأخرى أفريقية فقط وهناك اسلامية فقط .. خياراتها محسومة .. وهوياتها معلومة .. ولكننا نسيح وحدنا فى هذا الإرث الفكرى الفريد .

ولكن دع الخرخوم تحتضن كل الناس .. خوال هذا العام ليقولوا فى النهاية كلمة الختام .. ونحن لا نبحث عن هوية .. ولكننا نفخر بتعدد الأعراق .. والثقافات .. فليكن فى هذا اللقاء .. الفريد استصحابا لروح الاستقلال من عبودية المستعمر .. وربما ديماجوجية التفكير فى التعاخي وحب التعايش السلمي بين كل الثقافات والأعراق .. والأديان .

والمجد للوخن الذى يفتح ذراعية لإستقبال العائدين من كل بقاع العالم يبحثون عن شئ جديد .. كنز دفين مخبوء فى أعماق هذه الأرض الطيبة .

.....

## بطاقة شكر سلطان

نظمت هذه القصيدة فى أبوظبى فى أكتوبر ١٩٧٦ عندما تبرع صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة بقطعة الأرض التى اقيم عليها المركزالثقافى الأجماعى السودانى الحالى و قام بالأفتتاح سمو الشيخ حمدان بن محمد آل نهيان رئيس مجلس الوزراء بالأمارات و معالى السيد الرشيد الطاهر رئيس مجلس الوزراء السودانى ... و قد خبعت فى ( ديوان نقوش على البحر ) المجموعة الشعرية الكاملة المجلد الثانى ص ٤٩٤

بوركت يا عدل الحكام ميزانا	وأكرم الخلق معروفا وأحسانا
وأصدق الناس في قول وفي فعل	فاضت مآثره عدا وحسانا
الفضل أصبح بين يديك مسبحة	حياتها عبقت خييا وريحانا
جادت سحابتك الزرقاء وأنهمرت	فوق البطاح وفي الوديان فيضانا
فالجود دونك تعريف بصاحبه	والجود عندك بذل النفس قربانا
والمال عندك لا تغني خزائنه	إلا إذ جعل الأنسان انسانا
أنفقت عمرك بذلا لا حدود له	ماذا تركت لغيرك أينما كانا
أسموك ( زايد ) لما جئت ملتحفا	ثوب الطهارة كى تزداد برهانا
شمسا تضى ظلام الجهل مشرثة	زادت حياتهم نورا وعمرانا
فازداد شعبك ايمانا بقائده	والتف حولك كوكبه وفرسانا
قد ذاع صيتك فى الدنيا بأجمعها	وانشقت الارض أفئدة وآذانا

والجدب أصبح أشجارا وبستانا  
معنى الحياة .. وكان الأمس نسيانا  
هرعوا اليك : كفى بؤسا وحرمانا  
مثل السماء زرافات ووحदानا  
ما زال موقعها لها ونيرانا  
عبر الحدود خطوط النفط شريانا  
وجمعت شمل شتات القوم جيرانا  
وعاد قرير العين فرحانا  
مدح الرجال لهم زورا وبهتانا  
حتى تفيض شغاف القلب اشجانا  
نخفي به خمعا أو نبتغي شانا  
دفعنا لنسجد للتكريم عرفانا  
لو جاء بعدك ما كانت ولا كانا  
أسرى جميلك خول العمر احسانا  
يا جامع الشمل بين الناس ايماننا

من ذا يصدق أن الأرض قد زرعت  
والناس من نعم الدنيا قد إكتشفوا  
يتضرعون الى المولى .. وفى ثقة  
يتسابقون اليك وأنت الغيث تمطرهم  
أشعلت من حرب البترول معركة  
ومددت كفك تعطي دونما عددا  
ورفعت من سقطوا وسندت من صمدوا  
ما جاء شعب ولم تحسن ضيافته إلا  
يا أكرم الناس ليست من خبيعتنا  
ولا نصفق إلا من جوانحنا  
ولا ندق خبول النصر فى فرح  
لكن مرؤة أهل الفضل تدفعنا  
يا حاتم العرب المشهور "سيرته"  
خوقت عنق بني السودان قاخبة  
لما منحتهم دارا لتجمعهم

جعلوا من الركن تذكارا وميدانا  
ويظل أسمك إشعاعا وعنوانا  
رغم التباين أشكالا وألوانا  
لموعده وسبقت عصرك أجيالا وأزمانا  
في ساحة الدار وانطلقت سجايانا  
تبنى وترفع صرح المجد بنيانا  
حمل كل هموم الناس جزلانا  
واستبدل المال عند الله غفرانا  
أما زمانك فات الدهر أزمانا  
مهما نظمت من الأشعار أوزانا  
إبن الخليج سعى لأخيه نشوانا  
شوق اليه .. واترك خلفي سودانا  
وما رفعنا له سورا وأركاننا  
مليون ميل تقاسمناها أوخانا  
بيضاء تحمل إكليلا وتيجانا

الدار دارك والآهلون بها  
ستظل قبلتهم فى كل أمسية  
آلفت كل شعوب الأرض فى بلد  
وقطعت شوخك سباقا  
إننا محيوك ما خابت مجالسنا  
إننا محيوك ما بقيت سواعدنا  
فنحن بعض ضلوع الصدر فى رجل قد  
قد ضم كل شتات الناس فى بلد  
هذا الزمان زمان لا شبيه له  
وما لي ثناء لا أراك مثيله  
اليوم أصبح السودان توأمه  
وغدا أعود الى السودان يدفعني  
لولاك ما بزغت كالشمس قامته  
وما سعينا له خمعا وفي وخني  
هذي يدي لسمو الشيخ أرفعها



من أخوة توجوك أبا يرعى مودتهم ويصون غربتهم أهلا وأخوانا

أبوظبى كانون الأول ١٩٧٦

.....

إهداء بطاقة شكر لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة (راجع المقدمة) نشرت هذه القصيدة فى ديوان (نقوش على

البحر) المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الأول - ص ٤٩٤

## أحزان أمة

فى رثاء الراحل المقيم فقيد الوجود والعروبة والأسلام والأنسانية جمعاء المغفور له بأذن الله سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والذى كان أمة كاملة فى رجل واحد تغمده الله بوسع رحمته واسكنه فسيح جناته... وأنا لله وأنا الية راجعون

أنعى رحيلك عن أهلى وجيرانى  
ما كنت أحسبنى أخيا الى زمن.  
لكن مشيئة رب الخلق تجعلنى  
اتحسس الجرح فى قلبى وفى كبدى  
ما العيد فى وخن غاب الحبيب به  
وكيف تشرق شمس العيد فى بلد  
وكيف يقبل عيد دون رؤيته  
يستقبل الناس يوقظ فى ضمائرهم  
ابناء شعب يعانى حزن أمته  
ويقاسم العالم المنكوب محنته  
رمز العروبة يا بطل المواقف يا  
نبكى فراقك فى وخن صنعت له  
نرثى غيابك فى وقت نعيش به

يا زايد الخير قبلت كل انسان  
أنعى رحيلك للقاصى وللدانى  
أستقبل العيد فى آهات حرمان  
وأغالب الدمع فى بحر وشطان  
رجل القبيلة "زايد بن سلطان"  
باك تظله غيمات أحزان  
متبسم الوجه يحضن شعبه الحانى  
حب التطلع فى شوق وتحنان  
هزات زلزلة .. وهدير بركان  
وقع المصيبة فى أهلى وسودانى  
رجل المروة فى بر واحسان  
مجدا فسطر سيرة خير أوخان  
زمن الشدائد فى ذل وخغيان

يَبْكِيكَ شَعْبُكَ فِي صَبْرٍ وَإِيمَانٍ  
مِمَّا يَهْدِيهَا فِي كُلِّ مِيدَانٍ  
فِي كُلِّ مُؤْتَمَرٍ يَأْتِي بِعَنْوَانٍ  
وَتَرَدُّدِ الْقَوْلِ مِنْ أَنْ إِلَى أَنْ  
كُلِّ الْمُلُوكِ زَعِيمَا نُورِ قُرْآنٍ  
مِنْ تَحْتِ مَطْرَقَةٍ أَوْ فَوْقِ سِنْدَانٍ  
فِي سَفَرِ حَبْكِ نَاصِحَةٍ بِأَلْوَانٍ  
يَتَطَّلَعُونَ إِلَى أَسْمٍ وَعَنْوَانٍ  
يَسْتَبَدِّلُونَ لُظَى نَارِ بِنِيرَانٍ  
مِنْ فَيْضِ رُوحِكَ مَقْرُونَا بِعِرْفَانٍ  
كُلِّ الشُّعُوبِ بِبَلَاءِ عَارٍ وَخِذْلَانٍ  
فَتُظَلِّلُ مَشْرِقَةَ فِي كُلِّ دِيْوَانٍ  
فِي أَسْرِ مَغْتَصِبٍ وَغُرُورِ شَيْطَانٍ!  
ضَلَّ الطَّرِيقَ وَخَفَّفَ كُلَّ مِيزَانٍ!  
لَمْ الشَّتَاتِ بِبَلَاءِ غَضَبٍ وَخَسْرَانٍ!

الفقدُ أعظمُ من أقدارِ أمتنا  
شيخُ العروبةِ تلتفُّ الشعوبُ به  
فوقِ المحافلِ تتجلى مكانتهُ  
خيرُ الكلامِ شعوبُ الأرضِ تحفظه  
فلكِ القلوبِ وكم تسعى لصحبته  
واليومِ بعدك ينفردُ الهوانُ بنا  
تبكى العروبةُ أياماً مخلدةً  
والمسلمونَ خيارى فى منابرهم  
والقابضونَ على جمرِ الأذى غضباً  
والصامدونَ على الجبهاتِ فى ثقةٍ  
يَا زَايِدَ الْخَيْرِ يَا رَجُلَ تَدِينٍ لَهُ  
وَكَأَنَّ رُوحَكَ سَاكِنَةً دَوَاخِلَهُمْ  
مَنْ ذَا سَوَاكُ يُؤَلِّفُ بَيْنَ مَنْهَزِمٍ  
مَنْ ذَا سَوَاكُ يَخَاجِبُ عَقْلَ مَنْقَلَبٍ  
مَنْ ذَا سَوَاكُ يَنَاشِدُ فِي مَصَالِحَةٍ

يا صاحب المبدأ الأعلى وهل حملت  
استغفر الله عن رد القضاء له  
يا زايد الخير عفوا زاد من وجعي  
تلك المبادئ الا روح فرسان  
فالخطب أكبر من سؤال وغفران  
وجع الفجيعة فى قلبى ووجدانى

.....

## السلام و الصحة النفسية

وصلتني قبل بضعة اشهر دعوة كريمة من جمعية الأخباء النفسانيين السودانية للمشاركة في المؤتمر العلمى الاول المنعقد فى الخرطوم فى الفترة ٤-٦ شهر مارس ٢٠٠٥ تحت شعار (السلام و الصحة النفسية) وقد حدد يوم الحادى و الثلاثين من ديسمبر ٢٠٠٤ آخر موعد لإستلام موضوعات المشاركين فى هذا المؤتمر وكان المؤتمر كان على موعد مع التاريخ فى المكان و الزمان ... فالخرطوم كانت على موعد مع مهرجان عاصمة الثقافة العربية و السودان كان على موعد مع ميلاد السلام والحادى و الثلاثين من ديسمبر كان ليلة آخر المخاض المتعسر فى ولادة السلام والفجر كان بداية العام الجديد وصباح الاحتفال بالاستقلال المجيد ورب صدفة خير من ميعاد ولكن يستحيل ان تجتمع أكثر من صدفة فى ميعاد واحد ولكن للملاقة أوقات ولا يصح الا الصحيح.

حدث كل هذا فى ليلة واحدة ولكل أجل كتاب... ولكنه كان نهاية حتمية ونتاجا خبيعيًا لسنوات حبلى بالمعاناة على كل الاصعدة السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية فلا بد لليل ان ينجلى و لا بد للقيد ان ينكسر... الليل الذى صنعناه من غمضة عيوننا عن رؤية نور الحقيقة و القيد الذى وضعناه على ايدينا من وهم الصراع.

و عودا على بدء ..... بعثت برسالة شخصية الى الدكتور عبد الرحمن عبد الله أستاذ الطب النفسى بجامعة الخرطوم و رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر أشكره على الدعوة الكريمة مؤكدا رغبتى فى المشاركة و اعدا أياه بارسال المساهمة فى وقت لاحق و لا يفوتنى ان أهنئهم على الفكرة وأثنى على استشرافهم للمستقبل برؤية علمية متميزة ونظرة سيكلوجية عميقة

ترى البعد الثالث للواقع النفسى للبلاد بعد توقيع اتفاقية السلام وضرورة ان يتغلغل الطبيب النفسى وكل العاملين فى حقل الصحة النفسية فى أعماق النفس البشرية فى كل الأوساط الاجتماعية يبشرون بالسلام ويدعون اليه ويحررون الناس من حالات التوجس ونوبات القلق ومشاعر الريبة التى كانت تظلل سماء البلاد وتحجب الرؤية العلمية لأفاق المستقبل البعيد وديناميكية أبعاد الصراعات الحقيقية و المفتعلة..المتجذرة فى اعماق الارض اوالمزروعة تحت مظلة المحميات النباتية المستوردة من الجوار او من وراء البحار... أليس كل هذا من صنع الآخرين وغفلة المتشددين فى التعامل مع القضية ؟

و عودا على بدء ... و فى ظل متابعتى لمسار المناقشات و منعطفات التفاوض فى مراحل المختلفة و مظلاته المتعددة وخطواته المترددة ويدي على قلبى فى كل شوط وبعد كل جولة وعلى غير موعد اشرق الصبح على ميلاد بروتوكولات اتفاق نيفاشا فى كينيا فى عام ٢٠٠٣ . وحتى لا تموت فى قلبى فرحة الإتفاق وقبل ان يجرفنى تيار الشك الذى يندفع من أقلام المتربصين بادرت الى تسجيل الحدث فى ذات اللحظة و كتبت قصيدة (بشائر أمة) فى يناير ٢٠٠٤ ونشرتها فى صحيفة (ألوان) وفى الموقع اللاكترونى السودانى الشهير (سودانيز أون لاين) فى نفس الوقت وقدمت لها بالقول: قصيدة... من أجل السلام تذف البشرى في عيد الاستقلال المجيد وعيد الأضحى المبارك الى كل أبناء و بنات الشعب السودانى والذى اکتوى بنار الحرب الأهلية نصف قرن ..وكفى...وأنقل بضع ابيات منها:

واقول: يا ارض السلام سلاما  
حلما يراوح صحوة و مناما  
او لوحة تستصرخ الرساما

أهدى الى (الخرجوم) منى سلاما  
و أغنى للسلم الذى عشنا له  
دعنى اسطر للسلام قصيدة

دعنى أسميها(بشائر أمة) تهوى السلام بداية وختاما

و فى النص شرح للحلم ودعوة للإتفاق و يشاء الله ان ياتى يناير ٢٠٠٥ و قد تحقق الحلم وصدقت النبوة وتم الاتفاق و اصبحت هذا قدر الخيريين من ابناء هذا الوطن المثقل بجراحات الماضى ان يتفياً ظلال دوحه السلام الوارفة ليضمده جراحه النازفة خوال نصف قرن من الزمان.

و لعل الهاجس الذى ظل يؤرقنى و يدفعنى الى الإشفاق من خطر الإنشقاق فى بدء الإتفاق نكهة الردود المتحفظة وارتفاع النبض المتوجس فى شرايين بعض الأقالام فى موقع ( سودانيز اون لاين ) و هو يعبر عن شريحة هامة داخل و خارج الوطن يؤرقها هم السلام وحتى لا يكبر هذا الهم و يصبح كابوساً رأيت لزاماً علينا ان ننشر ثقافة السلام وان نعيد للسودان المجد الضائع فى أتون الحرب الأهلية، المجد الذى عاصرناه. والزمن الذى عشناه حين كان السودان الرقم الذى لا يمكن القفز عليه فى المعادلات السياسية للقارة الافريقية و نذكر على سبيل المثال لا الحصر ( لآآت الخريخوم ) و التى شكلت السياسة الدولية لفترة خويطة.

وقد سبق ان كتبت فى ديوان (مرايا مهشمة) ٢٠٠٠/٨/٩ فى قصيدة (حوار حول المصالحة الونخنية) جاء فى بعض من ابياتها:

نفاخر بالسودان فى كل منبر	يمثل جمعا و لو كان مفردا
وقد كان فى الستين اقوى دولة	فى قلب افريقيا زعيما و قائدا
تسانده مصر الصديقة وحدة	اذا قال قولاردد العالم الصدى

له قوة التأثير فى كل محفل  
وكان قوى النبض فى قلب قارة  
بقوة شعب قد خوى اخمعه  
ينام على جمر الخلاف مفارقا  
خلاف على كل الامور ضاللة

وفى كل محاولة اذا احتل مقعدا  
يحركها قولاً و فعلاً ومشهدا  
على حب وخن بات وعدا و موعدا  
ويصحو على جمر الوفاق مرددا  
ولكن فى شان البلاد على هدى

و الحق أقول لكم: ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله الى سواء السبيل فى الممكن و  
المستحيل . و عودا على بدء ..ارسلت موضوع ورقتى العلمية للمشاركة فى مؤتمر (السلام و  
الصحة النفسية) فى مارس القادم بعنوان (الشعر و ثقافة السلام).

ولنا عودة باذن الله

.....



## العاصمة الثقافية... مرة أخرى

إن الرحلة القصيرة من قرية "الديببة" الهادئة فى أخراف الخرجوم الى مدينة (القاهرة) الصاخبة فى قلب العالم العربى والتي قام بها الفنان الراحل المقيم سيد خليفة وهو يدعو دعاء السفر فى البر و البحر..ما زالت تحلق بالسودان على جناح الطائر الميمون فى كل أجواء الدول العربية و الإفريقية و تمتد الرحلة الأسطورية عبر القنوات الفضائية الجديدة لتغطى كل أنحاء العالم أو القرية الكونية الواحدة.

وبنظرة متأنية لدلالة هذه الخطوة الجريئة التى توهمت جذوة نارها المتوقدة فى وجدان ذلك الفتى الطموح كانت شعلة أولمبية خرج بها من أسوار مدرسة القرية ليخترق بها الحدود الجغرافية التى عادة ما يرسم خرائطها ساسة المدينة و تحرس حدودها جيوش الحكومات و لكنه اخترق تلك الحدود دون أن ينتهك حرمتها بل أضاف إليها بعدا آخر يؤكد ضرورة وجودها و حتمية احترامها كإشارات ضوئية تنظم حركة السير و المرور بين الدول لا كحواجز نفسية تعمل على عزل الشعوب المتجاورة... وهذا ما حدث...

إن رحلة الديببة-القاهرة كانت إحدى النقاط المضيئة فى تاريخ السودان المعاصر وليس أدل على بعض ذلك مما حدث فى بداية العام فى الحفل السنوى الساهر الذى أقامته إداره (مستشفى النور) فى أبوظبى لأسرة المنشأة فى (فندق شيراتون ابوظبى) وقد حضرت مع أسرته وربما كانت الأسرة السودانية الوحيدة فى عالم الأمسية التى تموج بثتى الجنسيات المتعددة من شتى أنحاء العالم تعيش فى سلام و وئام فى هذا النسيج المختلف الأعراق و الثقافات و تنعم براحة البال و سعة الحال و متعة التجوال فى الحل و الترحال رغم أشجان الإغتراب.

فى تلك الأمسية الساهرة خلب مقدم الحفل من المطرب السورى والذى كان يطوف بالحاضرين بأغنياته كل أنحاء الوجود العربى و الأوربى حتى ساعة متأخرة من الليل أن يقدم أغنية سودانية ترحيبا بالأسرة السودانية فتوقف الإيقاع الصاخب ليعتذر المطرب بادب شديد انه يعرف فقط اسم غنية (المامبو السودانى) وأجزم أنه كان صادقا فيما يقول وكنت حزينا للغياب المؤلم للفن السودانى و الذى يعترف به المسئولون فى شتى المناسبات و فى عصر الفضائيات العربية التى دخلت كل البيوت العربية بلا استئذان وربما لا يعرف الكثيرون من الحاضرين أين السودان ناهيك عن الخرطوم عاصمة الثقافة العربية!!! وهل هنالك رسالة ثقافية أقوى من الفن؟؟ و الغريب أن الجالية السودانية الآن تتزاحم فى حارات (سوريا) وتزرع شوارع (دمشق) جيئة و ذهابا و الجالية السورية عاشت فى السودان منذ عقود و اسهمت بقدر مشهود فى المجال الإقتصادى.

وقد وجدت نفسى مشغولا بخوال بقية السهرة فى الحديث مع جارى أحد كبار الإداريين فى المستشفى حول وضع الجالية السورية فى السودان وخفرة الإستثمار التى تشهدها العاصمة (الثقافية مرة أخرى) وعن النادى السورى الذى يحتل مساحة واسعة فى قلب الخرطوم و يشغل مكانة خاصة فى قلبى حيث تم الإحتفال بأفراح أبنائى الكبار (الدكتور نادر) و(المهندس ناظم) فى قاعات النادى و هو يحمل بشائر فرح داخل أسرتى و يقينى أن ذلك الصديق ظل لفترة غير قصيرة يتأمل انفعالات وجهى و أنا أقص عليه أجمل القصص وكأننى أقدم شهادتى دفاعا عن الخرطوم أو اخراء للجالية السورية شان (المجاملات النمطية فى اللقاءات العربية) ودعوته لزيارة السودان و سألتنى إن كنت قد زرت الشام و فوجئ عندما حدثته عن رحلتى الى قطاع غزة فى فلسطين و بيروت و دمشق عام ١٩٦٢ مع جمعية الصداقة العربية بجامعة الخرطوم مع مجموعة من

الأصدقاء بدعوة من قسم الوفود و المؤتمرات التابع لوزارة الخارجية المصرية فى عهد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ورحلتى الثانية فى عام ١٩٨٦.

وذكرياتى مع أستاذى الكبير الراحل المقيم الكاتب الأستاذ حسن نجيلة و الذى التقيت به فى سوريا و معى زوجتى، فسألته عن أسباب زيارته فقال: " لزيارة المسجد الأموى و خباعة كتابى: "ذكرياتى فى البادية". و فى الطريق قطعنا نهر(بردى) و كان هذا بعد نكسة حزيران فقال لى: " سبحان الله حتى بردى أصابه البرود و تقلص الى هذا الحجم انه أصغر من مدخل (خور أبو عنجة) فى أم درمان". و كانت بالنسبة له مفاجأة حزينة لا يخفف من وختاتها إلا هذه الشوارع المكتظة بالجنود المدججين بالسلاح يجوبون المدينة و يبعثون روح المفاومة و ينفخون فى بقايا الرماد. و بعد أن فرغنا من زيارة المسجد الأموى قال لى: " هل هذا (نهر بردى) سليل نهر دجلة و الفرات و الذى قال فيه أمير الشعراء أحمد شوقى :

سلام من صبا بردى أرق      ودمع لا يكفكف يا دمشق  
ومعذرة اليراعة والقوافى      جلال الرزء عن وصف يدق  
وللحرية الحمراء باب      بكل يد مضرجة يدق

فقلت له: "ألا تعتقد أن هذا لسان الحال الذى يريد ان يقوله لنا نهر( بردى)؟..."

عود على بدء ... حدث هذا و نحن فى الخرخوم نحتفل ببداية العام الجديد و عيد الإستقلال و عيد الأضحى و عيد السلام و عيد الخرخوم عاصمة الثقافة العربية و أنا أتجاوز مع أبناء الجالية السورية الوخن العربى أو الجندى الأخير المتبقى من خلائع الكتيبة المقاتلة و الذى ما زالت يده على

الزناد وظهره على أكياس الرمال فى أرض المعركة و لكننى عبرت لهم عن حزنى لماذا لا يعرفون  
عنا بضع أسطر فى صفحات القاموس العربى الذى نحفظه عن ظهر قلب.. و الى متى؟! مجرد عتاب  
لكل الأحباب.

قد يقولون المؤامرة من الخارج أو المغامرة من الداخل ولكنهم يدركون هذا التقصير و  
يتساءلون عن كيفية و آية التصحيح ونقول أن الميل يبدأ بخطوة فلتكن هذه الدعوة للخروج  
كالغيث أوله قطر فينهمر. فنحن لا يحق لنا ألا أن نعتز بعروبتنا و نتمسك بإفريقيتنا ونستظل  
بهويتنا الإسلامية وهذا المزيج المتجانس يعطينا أكسير الحياة وحقوق النجاة فى هذا الخضم  
المتلاخيم فى هذا العالم المصادم والذى لا مجال فيه للحياة لكيانات الضعف والتفرقة.

إن إفريقيتنا هى بوابة الدخول للعالم العربى إذا أراد النفاذ إلى قلب إفريقيا ومن البوابة  
الرئيسية و بالمقابل تطمئن إفريقيا إلى أننا جسر العبور الآمن إلى العالم العربى والحدود التنى لا  
يمكن القفز فوقها للوصول الى الشرق الأوسط إلا من خطورة محاولات التسلل من الأبواب الخلفية  
المليئة بالمحاذير... وهذا ما كنا نخشاه فى الماضى حين كان يقال لنا أن الشر يأتى من الجنوب  
فقط وانشغلنا بإخفاء الحريق الذى اشتعل من الداخل و قد اكتشفنا أن الشر قد يأتى من الشمال  
أيضا دون أن نكلف أنفسنا مشقة البحث فى إمكانية حدوث هذا التغيير ولن يغير الله ما يقوم  
حتى يغيروا ما بانفسهم...

والآن نحن أمام فرصة ذهبية قد لا تتجدد تاتى دون ميعاد.. ولكن على وعد اللقاء الواعد  
لمستقبل يؤهلنا أن نكون قبلة العرب مثلما كانوا قبلة لنا فى الماضى و ما لا يدرك جله لا يترك  
كله و حتى نتعلم من أخطائنا و نصحح أخطاء الآخرين و نرمم الجسور المتصدعة حتى يمكنهم  
الوصول إلينا و التعرف علينا والحوار معنا و الإعلام عنا مستوثقين من عروبتنا مستبشرين

بإفريقيتنا مستمسكين بالعروة الوثقى فى هويتنا الإسلامية فى الأصول والتراث والجذور وأن نؤكد أن ليس فىنا ما يعيبنا فنخفيه أو يسئ إلينا فنذدريه.

لقد سبقت لنا المشاركات فى المهرجانات والمؤتمرات وقد كسبنا جوائز عالمية و اقليمية فى الاغانى و الافلام التوثيقية و المسرحيات ما زلنا نعتز بها,, وحتى نضع كل هذه الانجازات فى الاختار المناسب كان لا بد من دعوة الاخرين ليشاهدوا على الطبيعة و على امتداد مساحة زمنية كافية تسمح بالاخذ و العطاء وتؤكد حقيقة ان الثقافة لا تعترف بالحدود الجغرافية و لكنها تحترم خصوصية الفئات التى تكون هذه الثقافة وتدعو الى عالمية برنارد شو و شكسبير فى أن تكون علامات تميز و ليس عوامل تجزئة.

عود على بدء... نتذكر أول ما فتحنا عيوننا فى الجغرافيا على خريطة الإمبراخورية البريطانية العظمى أو المملكة المتحدة عرفنا (لندن) عاصمة الضباب و كنا نتصور أن الضباب بضاعة انجليزية، وأن لندن هى المدينة الأوربية الوحيدة او الطريق الوحيد الذى يودى الى (روما) الغرب وأن كل المبعوثين السودانين يسكنون فى حى واحد فى قلب لندن النابض بالحياة و لا توجد أدنبرة و جلاسجو و كاردف أو حتى مدن كبرى فى أخراف لندن العظمى.

وأول ما فتحنا آذاننا سمعنا (هنا لندن) صوت الإذاعة البريطانية أول مدرسة تخرج منها جيل الإعلاميين الذين غطوا فضاءات العالم الرحبة وكونوا الإعلام المعاصر فى كل أنحاء المعمورة و كانت هنالك أدنبرة عاصمة اسكتلندا و التى أنجبت أقوى المحاربين الذين رفعوا علم الإمبراخورية فى كل بقاع العالم و كانت هنالك كاردف عاصمة ويلز و التى أفرزت أبرز العلماء و الأدباء وأخيرا هنالك بلفاست عاصمة ايرلندا الشمالية و التى تخوض حربا اهلية غابت معها شمس الامبراخورية العجوز و التى أصبحت تتوكأ على عكازة الجنيه الأسترليني و تمشى على عجالات

اللغة الإنجليزية التي أصبحت الإرث الوحيد من مجد الإمبراطورية الضائع... وما زالت حتى اليوم تردد (هنا لندن) صوت الإذاعة البريطانية... حتى إشعار آخر.

وأريكا التي تتحكم اليوم في مصير العالم هي وليدة مخاض مائتي سنة بلا تاريخ ولا هوية وقد قال عنها الرئيس الأمريكي الراحل جون كنيدي: ( نحن أمة مهاجرين).. ولكنها استطاعت أن تصنع من هذا الخليط من الأعراق والثقافات والديانات نسيجاً متجانساً من خلال التقنية الحديثة وسن التشريعات التي تحكم علاقات هذا النسيج وتحفظ كينونته الخاصة في الأعمار العام حتى خلقت منه ثقافة عالمية تصدرها لكل أنحاء العالم بدأ بأسفل القائمة من ثقافة الجينز والهمبرجر إلى أكبر النظريات في مصطلحات (العولمة) واتفاقية (الجات) وحقوق الإنسان... والحبل على الجرار.

عود اعلى بدء... لقد قال لي ذات مرة الأخ السياسي المعروف الدكتور على الحاج وهو زميل الدراسة في كلية الطب بجامعة الخرطوم وقبل أن يحترف العمل السياسي و يصبح وزيراً للحكم الإتحادي وكان في زيارة إلى أبوظبي و بدعوة شخصية من القنصل السوداني لتناول وجبة الغداء على شرف الصديق القديم في منزل سعادة قنصل السفارة آنذاك.. وكنا نتحدث عن تجربة تقسيم الولايات في السودان فقال لي: "أنا أفكر يا زين أن الخرطوم قد شاخت وتكرشت و ترهلت و لم تعد تصلح عاصمة قومية للسودان وربما يكون من الأفضل نقل العاصمة إلى مدينة (الدنج) حيث المناخ الجميل والطبيعة الجبلية الخلابة و مميزات أخرى" وعندما لاحظت دهشتي و قبل أن أرد سارع بالمقارنة بين نقل العاصمة الأمريكية من نيويورك إلى واشنطن لأسباب مشابهة وقبل أن نستترسل في الحديث دعانا سعادة القنصل إلى مأدبة الغداء.

واستاذننا معالى الوزير فى الإنطلاق مع أسرته الى مدينة (دبى) قبل المغيب وافترقنا على أمل اللقاء الذى لم يتجدد حتى الآن.

وعود على بدء... هل يضيرنا اليوم أن تكون مدينة (الدنجلج) عاصمة الثقافة العربية؟... قطعاً لا.. فهى إحدى مدن السودان.. القارة التى تتطلع إلى الإنفتاح.

ولنا عودة باذن الله

.....

## قصيدة للسلام لظان

قصيدة ..... من أجل السلام ترف البشرية في عيد الاستقلال المجيد وعيد الاضحى المبارك الى كل أبناء وبنات الشعب  
السودانى والذى اکتوى بنار الحرب الاهلية نصف قرن .. وكفى

أهدى الى الخرخوم منى سلاما  
وأغنى للسلم الذى عشنا له  
وأخط فى صفحاته أنشودة  
لتشيع فى جو السلام محبة  
خمسون من عمر البلاد قد انقضت  
نفترش جمر الحرب تحت ضلوعنا  
فاذا الشمال يغوص فى أحزانه  
واذا البلاد تناثرت أخرافها  
واذا البيوت تعيش فى ظلماتها  
وتصحّر الزرع الخصيب وأجدبت

وأقول يا أرض السلام سلاما  
خلما يراوح صحوة ومناما  
وأصوغ من كلماته أنغاما  
فيطيب لى هذا المكان مقاما  
أحلامنا تتوسط الاحلاما  
ويظلل الموت السماء غماما  
واذا الجنوب يصرع الالاما  
عبر الحدود ملاجئ وخياما  
الآلاف بين أرامل ويتامى  
كل الحقول وانبتت الغاما



ماذا جنى السودان ؟ أى جريمة  
قد عشت أحزان الشمال . مرارة  
فلم الخصام ؟ الى متى يمضى بنا  
ولمن تراق دماؤنا فى غفلة  
بلواك يا وخنى بقايا فتنة  
قد انفق السودان نصف حياته  
فوقفت اساله وقلبنى فى يدى  
فأجابنى صوت القتيل مناديا  
فصمت والاشواق ترهف مسمعى  
وخطاب (نيفاشا) يهز مشاعرى  
وأظنه خلفى فارجع خطوة  
وأكاد أمسكه فيفلت من يدى  
فاجنح الى السلم الجميل اذا قضوا  
واسمع الى لغة الحوار عقيدة  
لنفيق من وهم الهزيمة مرة

لصقت به حمل الهموم جساما  
وشهدت مأساة الجنوب . زكاما  
هذا الشقاق الى متى ؟ والاما؟  
تتصيد الزعماء . والحكاما  
لما تميظ عن الوجوه لثاما  
حربا ونسج من الوعى أوهاما  
ماذا أقول ؟ ومن يطيق كلاما  
رحماك يا وخن رمى فترامى  
وكأننى أستشعر الإلهاما  
ويبث دفاء حديثه . أنساما  
وأراه يجرى .. فرحة . وهياما  
ليسجل التاريخ . والأرقاما  
ومضوا على متواله أقداما  
تدعوك أن تستصحب . الإسلاما  
فالسلم لا يعنى لنا استسلاما

لوقيل لى : ماذا كسبت صراحة؟  
فإذا خسرنا كل شئ بعده  
فإذا اتحدنا فلنعش فى وحدة  
عشقوا التراب تقاسموا خيراته  
عهد الشريك شريعة المتعاقدين  
فالحرب فى أصل الحساب خسارة  
والحرب فى هذا الزمان جريمة  
من كل صوب حفنة مأجورة  
والسلم بالاكراه بذرة فتنة  
دعنى أسطر للسلام قصيدة  
دعنى أسميها "بشائر أمة"  
ساقول يكفى أن نعيش سلاما  
فلقد خطنا فى الطريق كراما  
وإذا افترقنا فلنكن أقواما  
صفة الشريك مع الشريك دواما  
على التراضى تماما  
تنتقص من أجر الخلال حراما  
عصرية تستجلب الإجراما  
ذئب يطارد فى الدجى أغناما  
تلد الماسى فرقة وخصاما  
أو لوحة تستصرخ الرساما  
تهوى السلام بداية وختاما

نظمت فى أبوظبى يناير ٢٠٠٤م

.....

لغات ألفت فى (مؤتمر السلام و الصحة النفسية ) الذى نظمته جمعية الأخباء النفسانيين السودانية فى الخرطوم فى مارس ٢٠٠٥ م و نشرت فى الصحف المحلية... واستهلالية الصفحة الرئيسية فى الموقع الألكترونى

## ذاكرة الأجيال

إن تاريخ الأمة فى بعض صوره المتحركة يتمثل فى الإستدعاء الحي للسيرة الذاتية من أرشيف ذاكرة الأجيال المعاصرة.. ويقدر الإهتمام بهذا التاريخ وصدق التسجيل لأحداث السيرة و دقة تنظيم الأرشيف تتجلى قوة الذاكرة و تبقى حقائق التاريخ نابضة فى وجدان الأمة. و فسيولوجيا هذه الذاكرة البشرية هي الأصل فى صناعة الكمبيوتر الذى أصبح ذاكرة العصر اليوم. وقد أخلقوا عليه فى البداية "العقل الالكتروني"، وعندما فطنوا الى عجزه فى مجارة قدرة و نعمة العقل الذى هو من صنع الخالق تواضعوا على تعريفه بالحاسب الآلى، "بدليل ان كفاءته رهينة بدقة فن التخزين فيه أو برمجته و التى تحتاج الى التدريب و عبء التشغيل.

ولذلك نجد فى حالات القلق النفسى عند الكبار أو الصغار أن الشكوى من ضعف الذاكرة هو فى الأصل نتاج خطأ البرمجة و سوء التخزين نتيجة ضعف التركيز و تشتت الإنتباه وبالتالي عدم ترابط مراحل التسجيل. فالإختزان ثم الإسترجاع إما فى هيئة تعرف أو شكل استدعاء و لذلك نرى أن ضعف الذاكرة فى الكبار "القلق أو الخرف" أما الصغار فان "القلق" يعود إلى تشويش فى الذاكرة قصيرة المدى و التى ترصد الأحداث القريبة و المتعلقة بالنشاط اليومى فى الحياة إلى حد كبير.

أما الذاكرة خويلة المدى فهي آخر المطاف فى اضطراب الذاكرة فى الكبار بوجه خاص و الصغار بوجه عام ولذلك يبدأ صراع الكبار مع مشكلة الذاكرة قصيرة المدى فى بداية الشيخوخة و ربما يكون هذا جزءاً من تضيق دائرة اهتماماتهم وقلته مجاراتهم للجديد حفاظاً على المساحة المتبقية من الكمبيوتر و لكنه ليس زهداً فى الجديد و لا استنكاراً له و لكن قوة

الإستيعاب و سرعة الاختزال و سعة التخزين قد تصبح على حساب الذاكرة خويلة المدى و التى يجيدون استرجاعها و الإستمتاع بها و بتفاصيلها التى تكون فى متناول اليد.

و بما أن الصغار لم يعايشوا تلك الفترة البعيدة و التى يجد الكبار لذة خاصة فى الحديث عنها تكون أقرب الى الأساخير من مخيلة الصغار مما يجعلهم خطأ يصنفون الكبار خارج دائرة الواقع و هذه من أكبر الحواجز النفسية القائمة فى سيكولوجية ما يسمى- وهما - بصراع الأجيال... إن الفجوة التى تقع بين اهتمامات الكبار و تطلعات الصغار كما و صفتها هى نتيجة خبيعية لقاعدة "فرض النضج والانتكاس" فى علم نفس النمو و قد كتبت عنها و "فسيولوجيا الذاكرة" فى كتاب: "مدخل الى الطب النفسى"، الطبعة الاولى- دار الثقافة بيروت ١٩٨٦ص ١٥٣ اختصارا للإخالة فى هذا الموضوع... واستصحابا لهذا النهج فإن عملية النمو الذهنى الطبيعية تقتضى أن نتلمس الطريق السليم فى التأصيل لهذه المفاهيم و التى إن وجدت خريقها الى الوجدان يصعب كبجها من اللسان.

فليست هناك قواعد علمية ثابتة لوجود صراع فكرى بدليل أن فئة الصغار و التى تستمتع بذاكرة جيدة و رصيد ثقافى و نضج فكرى (الوعى المبكر) و القلة من الكبار التى تتمتع بذاكرة متوقدة و تمتلك نعمة "روح المعاصرة" يتجاوبون فى أغلب المواقف و يتفاعلون فى كثير من المواقف فى صورة "الحوار و الفكى" و هم يمثلون صمام الأمان فى هذه المعارك الحقيقية و المفتعلة .. حول صراع الأجيال و يتساءلون عن السر العظيم الذى هم فيه مختلفون.

عود على بدء... فإذا صح ان التاريخ هو مخزون السيرة الذاتية فى ذاكرة الاجيال فانه رسالة و لابد لكى تصل هذه الرسالة ان يجاهد حاملها و يسلمها كالشعلة الأولمبية من الجيل السابق الى الجيل اللاحق ولن يتم كل هذا الأمن خلال التزام الأول بالأمانة فى حمل الرسالة و الزام الثانى

بالصدق فى قراءة محتواها و نشر مضمونها و بعث الحركة فيه بما يساير روح عصره و يؤثر فى أبناء جيله.

واننى على ثقة من أن الكثيرين من العاملين فى مجال الصحة النفسية والتربويين الذين يعيشون تجربة التواصل بين الأجيال يعلمون أن المحور الأساسى فى ترسيخ هذا السلوك الإنسانى المتحضر لا يتم فى فراغ و لن يكتمل الأمن خلال التركيز على قاعدة "ألا ننتقل عن الوصل و لا ننبت عن الاصل" و يدركون دور الذاكرة فى تنشيط الوعى بضرورة مقاومة هذا المفهوم الخاخى والذى يؤسس لخلق حالة نفسية غير سوية تورث الأجيال روح الشقاق بديلا للوفاق و تسعى للمقطيعة و خطر الوقيعة بين جذور الشجرة الضاربة فى أعماق الأرض و فروعها الممتدة فى السماء.. والشجرة دائما تسقط عندما تموت الجذور و لذلك تقع السئولية على عاتق الذين يعنون برعاية و حماية الجذور من شتى الأمراض و ما أكثرها خاصة عندما تكبر الشجرة.

تذكرت كل هذا... و مازلت أسترجع الباقي فى مخيلتى... و أنا أستعيد حصاد السنين من خلال الفضائية السودانية التى تشدنا الى البعد الثالث للوخن .. لأننا نطل عليه من الخارج كالذى يشاهد المباراة من الشرفة المطلة على الإستاد و يسترجع مع أحداث المباراة مثيلاتها فى الماضى و يمر به شريط الذكريات فأحداث الماضى تثير فىنا الشجن القديم و مرآيا الحاضر نرى فيها وجه المعاصرة التى يجب أن نتفاعل معها و ننفعل بها حتى نوثر فيها و نتأثر بها و نوكد ضرورة تواصل الأجيال .

و فى إحدى الأمسيات شاهدت فى برنامج (نصف القمر) سهرة ممتعة مع الصديق الكبير الإعلامى المشهور البروفسير على شمو و هو من النماذج الفريدة التى تحمل أبعادا انسانية متعددة يصعب الإحاطة بها فى بضعة جمل فى هذا المقام و لعل أبرز ما يطرح هذا النموذج الحوار الذى دار

بينه و جيل الشباب فى الأستوديو والذى كان يقرأ فى سطور حياته بعض الصفحات من السيرة الذاتية لتاريخ الإعلام السودانى كله وكان هذا نموذجا حيا لتواصل الأجيال و كان تجربة عملية لكيفية الإنتقال التلقائى للمعرفة من جيل الى آخر فى صدق و عفوية من خلال وسائط إعلامية تم توظيفها بمهاره فى حمل الشعلة من جيل الى اخر.و كانت فرصة ذهبية لنقل معلومات فيها من المصادقية والشفافية أضعاف ما فى بطون كتب التاريخ والتي تتحدث عن دخول التلفزيون الى السودان فى عام ١٩٦٢.

وما كان يمكن أن تقنع كل العالم بهذه الحقيقة التاريخية إلا من خلال الحوار مع الذين صنعوا التجربة وعاشوا وعلى الهواء مباشرة.

و فى أمسية اخرى شاهدت حلقة فى الفضائية السودانية حول "العاصمة الثقافية" شاركت فيها الأستاذة أمال عباس الأدبية والكاتبة الصحفية فى مجلة ( صوت المرأة ) فى الستينات، وقد كانت إحدى دعامات العمل الوخنى فى الحقل النسائى فى فترة حبلى بصناعة أمجاد المرأة السودانية حين كانت الأستاذة فاجمه أحمد ابراهيم رئيسة تحرير المجلة أول نائبة برلمانية تدخل قبة البرلمان عن صناديق الإقتراع قبل أربعين عاما خلت و كانت الأستاذة أمال الذراع الأيمن الذى تتوكأ عليه رئيسة التحرير فى زيارتها المتعددة إلى مراكز الإستجواب فى زمان كان فيه دخول المرأة للسجن فى فقه التحريم حيث كان دخوا السجن وقفا على الرجال و لا أعرف ان كان قد أصبح الآن من حقوق المرأة الجديدة التى تتباكى عليها المنتديات من أجل المساواة مع الرجل و قد كتبت عن هذا فى مجلة ( صوت المرأة ) فى عام ١٩٦٣.

أقول ان هذه الصفوة الباقية من النساء و الرجال هم بعض نماذج الصور المتحركة لتاريخ الأمة. فلا ندعهم يذهبون دون أن نستقطبهم ونستكتبهم و نوثق لهم فى كل الوسائط التقنية

لأن أجمل ما فى التاريخ ما كتبه الثقة وأصدق ما فيه ما حكاه الرواة و هم أحياء عند ربهم  
يرزقون ... يدلون بشهادتهم على العصر القديم للجيل الجديد .. بالصوت و الصورة والحركة  
والسكون وعلى الهواء مباشرة و لسان حالنا يقول:

السيف أصدق أنباء من الكتب      فى حده الحد بين الجد و اللعب

و علينا ألا نظلم أنفسنا حين ندير ظهورنا إليهم و هم بين ظهرأيننا ثم نتباكى عليهم  
عندما يرحلون عنا وهم يدعون علينا و لسان حالهم يقول:

و ظلم ذوى القربى أشد مضاضة      على النفس من وقع الحسام المهن

و سوف يدمى قلوبنا تأنيب الضمير عندما نرى التاريخ لعبة فى يد الساسة يمارسونها مع  
صناع القرار و هواة العمل فى مراكز الدراسات الإستراتيجية مجهولة الهوية و المنبثة فى جميع  
أنحاء عالم اليوم لأن الشاهد الوحيد و الرائد الذى لا يكذب أهله قد رحل عن الحياة و ترك الحقيقة  
فى يد كتاب التاريخ بعيدة عن ذاكرة الأجيال.

ولنا عودة .. بإذن الله

.....

## ونفس وما سواها

يقول الشاعر ابو الطيب المتنبي:

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس اهون

إن من حق النفس على الإنسان صون كرامتها ورعاية حرمتها حتى لا تسهل على الآخرين و  
لا تهون عليه حيث يؤكد هذا المعنى قائلاً:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

والثابت والمعروف في الأمثال العامية "الضرب على الميت حرام"، ولكن متى تموت نفس الإنسان وهو حي يرزق يمشى بين الناس و يتجول في الأسواق والمعنى مجازى حيث يكون الموت معنويًا و ربما من صنع الإنسان ذاته. إن الوسطية في الحياة هي قدر العقل. فالإفراط في الحساسية و التفريط في التبلد نقيضان ولكنهما يقودان الى نتيجة واحدة، هي فقدان الإعتدال بالنفس لأن ما من عاقل يعتد بنفس أفرخت في حساسيتها ففقدت قدرة التوازن مع الذات والآخرين أو فرخت في مشاعرها و أصابها التبلد و التحجر وأصبحت غير قادرة على التجاوب في السراء و الضراء. وفقدت الحس الإجتماعى الذى يميز الإنسان عن الحيوان.. و لكن إلى أي مدى نستطيع أن ندفع هذه النفس في هذا أو ذاك الإتجاه؟



فى المقابل وفى نفس السىاق يقول شاعر النيل حافظ ابراهيم:

اذا كنت فى كل الامور معاتباً      صديقك لن تلقى الذى لا تعاتبه

اذا انت لم تشرب دواما على الأذى      ظمئت وأى الناس تصفو مشاريه

وهنا نجد الفارق واضحا بين فضيلة الأخذ والعطاء...فى الرغبة فى امتصاص ثورة الغضب والقدرة على كبت مشاعر الحرمان و قوة الصبر على الأذى وهذه من بعض صفات النبوة .. كالإيمان بالقدر خير و شره.

أسوق هذه المقدمة لعلنى أمسك بالمفتاح السحري للحديث عن موضوع الإعتداد بالنفس والذى قد يصبح فى بعض المواقف أشبه بالسير فى الرمال المتحركة يجرف الفرد الى مثاليات فى الحياة لا تجد لها موجئ قدم فى أرض الواقع .. ربما يكون فى جذور تنشئتنا الإجتماعية أثر التركيز غير المتوازن على الإعتداد بالنفس دون التوقف عند مواصفاتها إن كانت النفس الأمانة بالسوء أو النفس اللوامة أو النفس مطمئنة والتي يندر تسليط الضوء عليها وفضيلة الحض عليها إلا من باب الموعدة الدينية والتي كثيرا ما تنأى بها من خقوس الممارسة اليومية الى مكانة العبادة السماوية وتتسع الفجوة بين التجربة المتمثلة والواقع المعاش وهذه بعض عيوب التربية المبكرة.

لذلك أصبح لدينا صورة خوبائية مثالية عن مفهوم الإعتداد بالنفس يرقى الى مستوى القداسة ويصعب التعامل معه فى أرض الواقع مما يدفعنا كثيرا الى الوقوع فى التهلكة. وقد يتجاوز الإعتداد بالنفس حدود الذات الى الأسره ثم القبيله ثم الأمة ثم الوجود.

فالدفاع عن الذات بصورة مطلقة دون النظر فى مرآة الآخرين يقود إلى غشاوة الأبصار وقد يدفعنا إلى إسقاط عيوبنا عليهم وإخلاء خرفنا من المسؤولية و تحميلهم وزر أخطائنا. فنكون فى أغلب الأحيان غير متصالحين مع أنفسنا لأنها لا تعجبنا بدون ذلك البريق و فى كثير من الأحيان غير متوافقين مع الآخرين ظنا منا بانهم ينكرون علينا هذه الصفة او يسلبوننا هذه النعمة و تبقى رغبة الدفاع عن النفس متصلة فى ذواتنا فى كل ما يتعلق بها أو يحوم حولها فى كل زمان ومكان. فى الأصل والصورة و فى الواقع والخيال.

و عندما يصبح هذا النمط السلوكى نهجا ثابتا متجزرا فى داخلنا متكررا فى تعاملنا، يصبح حالة نفسية غير سوية تجعلنا نرى الأمور من منظور واحد .. منظور المستهدف فى فكره أو عقيدته أو وخبنيته أو قوميته أو كل هذه الصفات مجتمعة ومن هنا ينشأ الصراع تؤججه الرياح الداخلية التى تهب فى كل المواسم وما أكثرها.

عود على بدء... يقولون ان معظم النار من مستصغر الشرر فلذلك نجد أن أكبر صراعاتنا ناجمة عن أبسط قناعاتنا الموروثة والمكتسبة والمتعلقة بنظرتنا الى ذواتنا خارج نطاق الآخرين كالخيار الأول والفكر الأمثل والنموذج الأفضل و بعدى والطوفان... وهذا ما يدفعنا الى رغبة المصادمة و ينأى بنا عن روح المصالحة فى كثير من الأوقات و ضد كثير من الجبهات. و هذا سر الإنقسامات الصريحة والمستترة و الظاهرة و المبطنة و التى قد تحدث داخل الأسره أو داخل الحزب أو داخل الوخن وقد تخرج بنا الى الخارج فى لحظة الشك القاتل فى الخطر المائل بأننا مستهدفون وما أكثر هذه اللحظات مع الأسف الشديد وقد خضنا حروبا شرسة فى كل هذه الجبهات ولم نكسب كثيرا منها.

إن واقع العمل المهني خلال أربعة عقود قد فتح عيونى على ان هذه الحساسية المفرجة التى تتميز بها "كشعب رضع من حليبها خوال الاجيال ومشى فى دروبها الاف الأميال" جعلتنا فى كثير من الأحيان نتصيد عداوة الآخرين من حولنا دون أن ندرك غبيعة الدوافع التى تحركنا فى هذا أو ذاك الإتجاه. فهى صفة مكتسبة فى سلوكنا يعززها هذا الشعور الداخلى بأن الطرف الآخر يحاول أن يفرض علينا الأمر الواقع أو يسلبنا إرادتنا فى اتخاذ القرار.. فتصبح هذه القناعات غايات فى حد ذاتها نتشبت بها ونصارع خواجهين الهواء ونقاتل من أجلها حتى لو تبين لنا فى وقت لاحق زيف قناعتنا أو خطأ مفهومنا فقد تتمكن منا العزة بالاثم فنرى التراجع خنوعا فى الرأي أو استسلاما فى معركة أو ضعفا بعد قوة أمام الطرف الآخر الذى يريد لنا الإنكسار وعلى استعداد لدفع الثمن الغالى انتصارا لهذا الموقف غير العقلانى والشواهد عديدة. وقد علمتنى التجارب بالخارج فى العديد من الدول التى عملت فيها.. الأوربية.. والعربية.. والخليجية أخيرا ان الراى العام المحلى كثيرا ما يصل الى هذه المحصلة النهائية فى تعامله معنا.

و أنا أحد هؤلاء.. اننا "جادون" كثيرا واننا "غير مرنين" فى بعض الأحيان واننا "صيذا وايد" فى أغلب الأحيان وربما بالسودانى الدارج "نمشى فى العجين ما نخلطه" وما أقساها من مهمة وما أشقانا بهذا الانطباع ، والاقربون منا يعلقون فى المزاح العابر أو اللقاء العاثر اننا "لا نتذوق النكتة" وفى ظنى- و بعض الظن اثم- أنه أشبه بالمدح المقصود به الدم وهو من وسائل حيل النفس الدفاعية والتى تحاول إيجاد نوع من التوازن فى داخلنا يحافظ على كينونتنا ويسمى "التسامي" أى إيجاد التنفيس عن شحنة عاغفية غير مقبولة نفسيا بأخرى مبررة إجتماعيا و لا تثير الرفض أو الإشمئزاز وإن كان على مضض شريطة ألا تصبح نمطا ثابتا فى السلوك والا تجاوزت الآليات السوية الى الحالة المرضية.

هذا ما كان على الصعيد الخارجي و من انطباعات غير مدروسة أو مقننة و لكن ما بالك بالأوصاف المتداولة داخليا عن قبيلة كذا "الحنبلية" و كذا "الثارية" و كذا "السحرية" وأخيرا كذا "الشرانية" و تطول القائمة و في سوق المعاملات التجارية اليوم يؤكدون ان تكسب عميلا فإنك تكسب بالمقابل خمسة آخرين و لكن ان تخسر عميلا فإنك تخسر في المقابل عشرين عميلا آخر إلى جانب الإستنزاف البدني في حالات التوتر و الشد العضلي و العذاب النفسي في الصراعات الذهنية و بعملية حسابية بسيطة في مجال العلاقات الخاصة تستطيع أن تقدر رصيدك في بورصة المعاملات الإنسانية على هذا القياس ... و لا يمكن أن يكون كل هؤلاء على خطأ و نحن على صواب. فماذا نحن فاعلون؟ و لن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

و عندما يسألنا أحد عن الحكمة في هذا الموقف نبرره بضرورة الدفاع عن الكرامة و عزة النفس رغم قول الشاعر الصوفي:

كرامة المرء عند الله تقواه لا المال يرفعه قدرا و لا الجاه

و يبقى الجدل حول حق الكرامة و كأنه أعلى من الدفاع عن الكرامة ذاتها و حقن الدم المهدر فيها ... هذا الموقف عندما يتجاوز حدود العقل يصبح عبئا على النفس ينبغي التخلص منه لأنه يعرض الحياة للخطر و لا يجوز أن نلقى بأيدينا إلى التهلكة و بوقفة قصيرة متأنية أمام الأحداث القريبة و البعيدة خلال الماضي القريب و محاولة قراءة التاريخ المعاصر و بحساب الربح و الخسارة نجد أننا قد خسرنا كثيرا على المستوى الشخصي و الأسرى و الوجودي و القومي عندما أخذتنا العزة بالاثم و جرفنا تيارها العاتي بعيدا عن أرض الواقع و في حساب الزمن الذي أهدرناه في خوض معارك و همية على كل هذه المستويات استنزفت قوانا و اضعفتنا كثيرا في وقت كنا

أحوج ما نكون فيه الى القوة فرادى و مجتمعين. وقد كان دفاعا عن قضايا لا يمكن أن تحل بدون الحوار وفى غياب النيات الحسنه ... ولذلك كنا نسميها فى أحسن الحالات "سوء تفاهم" وفى أصعب الظروف "سوء نية" وشتان ما بين الموقفين .. وتتعدد الأسباب والموت واحد.

والصحيح ... لا إفراط ولا تفريط وخير الأمور الوسط...

وقال تعالى: (ونفس وما سواها، فآلهمها فجورها وتقواها) صدق الله العظيم.

.....

## الرجوع الى الحق

يقولون من أدب الكلام ان تختلف و لا تخالف.. فالأول يعنى المشاركة الايجابية براى قد لا ينفع ولكنه قطعاً لن يضر و الثانى يصف السلوك السلبى و الذى ينطوى على قدر من الاثارة او المكايده او تعكير الصفو فى محاولة فرض الراى الآخر.

و كثيرون يعتزون بانهم قد لقنوا درساً او شعبوا حرثاً فى أرض الآخرين عندما يتفاخرون كيف انتهى الاجتماع أو انفض الاجتماع بعد ضربتهم القاضية... وهذه هى المصيبة الكبرى، ولعل من باب القول المكرور ان نردد قول الشاعر:

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا      واذا افترقن تكسرت أحادا

أقول المكرور من فرط ملاحظتنا اليومية و معاناتنا الجماعية لكثيرين كسروا رماحهم و رماح الآخرين فى أزمنة متعاقبة و أمكنة متباعدة و لم يحصدوا شيئاً و ما زالوا يمارسون رياضة كسر الرماح و الناس فى غفلة من أمرهم يصفقون فى شتى اللقاءات و كل الإتجاهات حتى تخطى بعضهم كل الثوابت و المتغيرات و لا حول و لا قوة الا بالله... و قبل الخوض فى التفصيل أبدأ بتصنيف نفسى، و النفس امارة بالسوء، مستصحبا أغنية الصديق العملاق الأستاذ محمد وردى فى كلمات الشاعر الراحل صلاح احمد ابراهيم: (غريب...يكابد غربته) فى ( الطير المهاجر)، الذى لم يبدأ موسم العودة الى الوطن بعد. و ما زلت أكتب من الخارج الى الداخل فلا يقعدنى الإنتماء الى خائفة حزبية أو سياسية و لا يحركنى الغرض مع فئة ضد جهة أو أخرى غير انتسابى الأخلاقى الى مهنتى و التزامى الأزلى الى وحنى الكبير لا العشيرة و لا القبيلة و لا الإقليم وان ظلت

الماعون الذى يحتضن الجذور ومنذ الخروج العظيم فى عام ١٩٧٠.... و رغم كل الإغراءات وشتى المغريات حافظت على صبغة "الميلانيين" التى تحت خبقة الجلد الذى قاوم كل التغيرات المناخية عدة عقود.

عود على بدء... فإننى لا احاول ان أبرئ نفسى مما يدنس نفسى او أترفع عن هواجس الخطأ البشرى او أتعالي على الطيف الفكرى أو النسيج الثقافى والسياسى الذى ينظم كل الساحة و أنا أتجول غليقا خارج البلاد فقد سبق و أن قلت وكتبت فى مقدمة ديوان ( نقوش على البحر) عام ١٩٨٢ مستدركا فى الحديث : "أرجو أن يكون فى بعدى عن الساحة العذر كل العذر فى الافراط او التفريط فى الصراحة". و مازلت اكرر هذا الرجاء فلقد دفعت ضريبة الاغتراب عزوفا عن الحراك السياسى وقد كنت جزءا منه و وقوفا عند عتبة النقد الذاتى و قد كنت احد دعائه بعد ما صار الداخل مفقود و الخارج مولود رغم قناعتى الداخلية بان من لا يشارك فى مسيرة الهجير لا يحق له الصعود فى منصة الوعظ و التبشير إلا من باب حق المواخنة وتركية الوجدان الجماعى لأن حلم المغترب العودة الى أحضان الوطن و دفع حركته المشاركة و التعبير لأن أهل مكة أدرى بشعابها.

عود على بدء ... لا يعنى هذا اننى لا أحمل وجهة نظرفى كل هذه الأمور أعتز بها و أدافع عنها بعد أن إكتسبت نضجا و وعيا فى الخارج، و لكنها لم تتلاقح مع رياح الخماسين التى عصفت بالداخل و لذلك تفتقر الى معاشة التجربة و صدق المعاصرة و هى مقومات أساسية لتطوير القدرات و تنمية الذات و صقل المهارات الفردية و الجماعية. إن الأفراد و الجماعات الثقافية والسياسية التى تعيش فى الخارج تعاني من فقدان هذه التجربة المشبعة باللحاق الفكرى الداخلى و الذى يكسبها مناعة الوقوع فريسة الاحباط النفسى و الذى كثيرا ما يشل قدرة القادم من الخارج على الإستمتاع بعافية التأقلم مع الداخل.

وقد يكون من مظاهر هذه العافية ان أذكر أن اختياري الكتابة فى صحيفة (ألوان) فى هذا السياق قد تم بصورة توضح نموذجا من الأمثلة التى ذكرتها فى تحديد خبيعة الإشكال القائم بين شكل الإختيار و حرية القرار وأن معطيات عدة تتدخل فى تشكيل هذا السلوك .. فلماذا عدت الى الكتابة فى هذا الوقت بالذت ولصحيفة (ألوان) بالذات و انا ما زلت بالخارج أستطيع أن أوكد أنه لا أنا و لا صحيفة (ألوان) كان لنا اتفاق مسبق وربما كنت فى خارج دائرة تفكيرهم وكانوا فى آخر قائمة أولوياتى، ولكن فى وجود مناخ نفسى معافى وهامش آمن من الحرية تستطيع أن تسلك كل الطرق الآمنة فى الوصول الى المدينة الفاضلة و هذا ما حدث...

لقد بدأ النقاش العفوي مع صحفى عضو فى أسرة التحرير الأستاذ عثمان شبونه والذى يسكن فى منطقة مجاورة لى فى أركويت و يزورنى فى زيارتى الخاخفة ويحرص على ملاقاتى وأسعد به كثيرا ويكتب عنى أكثر وأكبرت فيه هذا الحس المهنى المتنامى بعد كل زيارة و قررت ان أرد له الجميل، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فوعدته أن أكتب له و كانت بالنسبة لى نافذة أخل منها على الوخن وأشتم منها رائحة الدعاش تسوقه قطرات المطر و رأيت فى هذه النافذة أحد دروب العودة و التى لا تكلفني وعشاء السفر ومعاناة الإنتظار فى صالات المغتربين.

وأروع من كل هذا أنها أقصر الدروب للوصول الى قلب القارئ السودانى و الذى أشقى كثيرا واكتب كثيرا و انفق كثيرا لأخضع أخيرا و أسأل أجيرا ليوصله رسالتى المؤجلة. يحدث هذا وأنا أعلم سلفا أن من يجلس على قمة الهرم الصحفى هو رئيس التحرير الأستاذ حسين خوجلى و الذى أعرفه جيدا و لاقيته عدة مرات و شاركته بعض الحلقات التلفزيونية و لكن فى أوقات لم تتوفر فيها الظروف الموضوعية للكتابة و لا الحالة النفسية للحديث. و فى هذه المرة الأخيرة و قبل البدء فى الكتابة وحتى ندخل البيوت من أبوابها خلبت من الأستاذ شبونة أن يوصلنى بالأستاذ



حسين خوجلى وكان على علم بما يدور فما كان منه إلا أن استبشر خيرا ورحب كثيرا وبلا قيد أو شرط بل خلب منى بأسلوب حضارى ان أرسل مقالتي بالبريد الإلكتروني مباشرة إلى ماكينة الطباعة حتى لا تتعرض للتشويه فى التصحيح أو الرقابة فى التصليح.

عود على بدء....و فى نطاق الحديث عن الخلاف و الإختلاف و فضيلة الرجوع الى الحق فى أدب الكلام فإن الأصل الجامع و المانع هو الحوار وهذا يقتضى ضرورة الإجتماع للوصول الى الحد الأدنى من الإتفاق فى كل شئ..فالإجتماع لايعنى الإجماع .. و الإجماع لا ينبغى أن يلغى الراى الآخر و لكن لا بد من نقطة بداية.. و البداية لا بد أن تكون حول هدف و الهدف لا بد أن تكون له قواسم مشتركة و فى حل الصراعات النفسية و فن الإستشارات الأسرية وبعيدا عن متاهات الدبلوماسية السياسية يقولون إن فن الإقناع يكمن فى تكثيف الرؤي من زاوية واحدة حول الإتفاق و يقال: "إذا أردنا أن نعدل او نظلم فلنتفق .. فإذا لم نتفق فى العدل فلنتفق فى الظلم". ربما لأننا لن نتقاتل داخل النفق المظلم حتى رؤية الضوء والضوء لا يظهر إلا الحقيقة ,, ولطالما ان نقاط الإتفاق أكثر من نقاط الإختلاف فلا بد من الوصول الى حل أبعد من الظلم و أقرب الى العدل . فالعدالة المطلقة ليست من صنع البشر. فلا بد من قياس سقف خموحاتنا مع واقع أخروحاتنا والتي هى من صنع البشر الخطائين و خير الخطائين التوابون و الرجوع الى الحق فضيلة.

عود على بدء... فليس كل من لم يشارك فى التوقيع أو يحضر مراسم الإحتفال يعتبر قد فاته شرف المشاركة فى صنع السلام فاللحظة الحاضرة كانت لها سابقة تذخر بإسهامات عقول مدبرة ولها لاحقة فى انتظار قلوب مطهرة تغسل ما تبقى من ادران و ما علق بها من أحزان و ليست هذه نهاية المطاف فلا يزال هناك الكثير المثير للخطر و العاقل من يتهىأ لصنع الأحداث الجسام و المواقف المصيرية التى تحتاج الى عقول نيرة و قلوب خيرة تحمل فى حدقات عيونها هموم

هذا الوجود وما أكثر هؤلاء! وإلا كان من حق كل أهل المليون ميل مربع المطالبة بنفس الحقوق. فليس هنالك فرد لم يتضرر من الحرب بصورة أو بأخرى ولكن يستحيل على كل هؤلاء ركوب نفس القطار فى وقت واحد، فلينتظر كل فى محطته وصول القطار فى الوقت المناسب، فلا بد للقطار من الوصول وهو قادم لاريب فيه. فإذا كان لا يضيرنا أن نقول للمخطئ أخطاء.. فينبغى أن نقول للمحسن أحسنت.. وهذه شيم الكرام.

وأخيرا .. أليس الرجوع الى الحق فضيلة؟!!

.....

## حوار حول المصالحة الوخنية

نظمت هذه القصيدة أبريل ٢٠٠٠ م فى قمة أزمة الوفاق السودانى حول ضرورة الأجماع على حسم الصراع فى الحرب الأهلية ونشرت فى ديوان (مرآيا مهشمة) -المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الثانى ص ٤٥١

وتصفح عما فات - نبلا ومقصدا  
ليلتئم الشمل - القديم - مجددا  
تطوق وخبى فى الجنوب - مهددا  
وينزف فى أرض الجنوب - تمردا  
فلن ندع - الباقي يضيع بنا سدى  
تحذرنا مما يدور على المدى  
تناديننا إلى الإجماع شعبا - واحدا  
نقيم له دارا - وديرا - ومسجدا  
لحكمة - مبعوث الرسائل مرشدا  
ينادى للم الشمل والسلم رائدا  
ومازال فى دعواته متجردا  
كبرى يصوغ - شعارها متفردا  
ربطت مصيرها بالقطيعة - سزمددا  
سبق الدعاة لنا - لكي نتوحدا  
يوأجه خطر الموت - ينتظر الفدا  
قد أن أن نصغي إلى رجع الصدى

أمد يدا - فهل - تمد - لي يدا  
وتوصل - حبل الود حيث قطعته  
وما حيلتي والأمر أصبح محنتا -  
يكابد فى أرض الشمال قطيعة -  
ويتنفق نصف العمر خريا - مريرة  
وترفض فى صلف نصيحة - أخوة  
نصم الأذن - عن كل - دعوة  
لنكتب تاريخا - جديدا - مشرفا -  
نعائش - أديان السماوات خجاعة  
وهذا ( زاييد الخير) قد هب داعيا  
فقد ظل فى كل المواقف ناصحا  
حمل المصالحة - الكبيرة صيحة -  
قد وقف أول قائد فى أمتنا  
مازال - يحلم أن يسود - وفاقنا  
يدعو الى وقف القتال - بوخينا  
ينساب - فى الأسماع صوت نداءه

نصغى لصوت العقل في كلماته  
نصعد بالسودان في كل متبر  
قد كان في الستين أقوى دولة  
تساندة مصير الشقيقة وحدة  
له قوة التأثير في كل محفل  
وكان قوى النبض في قلب قارة  
بقوة شعب قد حوى أجماعه  
ينام على جمر الخلاف مفارقا  
خلاف على كل الأمور ضاللة  
كفى وخني قتالا حصارا وعزلة  
فأنتم أنتم من رضيتم بذله  
ونحن جميعا قد تلتخ كفنا  
نقتسم دائرة المعارك شهوة  
وكل فريق مستظل براية  
فذاق هوانا يستبيح دماءه  
فمالك يا وخني ابتليت بعلت  
مرآة وجهك في الجدار تهمشت  
فمتى تعود قصيدة وخنيتها  
ونعيد للسودان نهضة أمة  
ونسعد بالحلم المصيري فرحة  
وتسقط الرايات من كل بيرق

تدعو لرأب الصدع حول المنتدى  
يمثل جمعا ولو كان مفردا  
في قلب أفريقيا زعيما وقائدا  
إذا قال قولاً ردد العالم الصدى  
وفى كل محاولة إذا احتل مقعدا  
يحركها قولاً وفعلاً ... ومشهدا  
على حب وحن بات وعدا وموعدا  
ويصحو على صوت الوفاق مرددا  
ولكن في شأن البلاد على هدى  
من الحزب والويلات عاش مشردا  
وقد كان في قلب القبيلة سيدا  
بدماء من سقطوا ومن استشهدا  
في الغزب ثم الشرق شرا مؤكدا  
ينملي عليه شروخه متشددا  
ضحية خائفة تكن له العدا  
وكفى ابتلاء أن تساق إلى الردى  
بقى الإخاز معلقا مستنجدا  
يشدو بها صوت الزمان مغردا  
تبارك مولودا وتعلن مولدا  
ونعفو عن الماضي لنستشرف الغدا  
لتبقى راية السودان : زمرا مؤحدا

أبريل ٢٠٠٠ م

.....  
لغة نشرت هذه القصيدة في ديوان (مرايا مهشمة) في المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الثاني ص ٤

## الطريق والقافلة

نظمت هذه القصيدة في أبريل ١٩٦٨ ونشرت في جريدة الأيام السودانية وخبعت في ديوان (الضياء والحريق) ونعيد

نشرها هنا بعد أربعة عقود للذكرى... والذكرى تنفع المؤمنين!

واشرق في غلالته النضار  
تفتح بالندى فيه اخضرار  
كعين الليث يعصرها الشرار  
قياصرة ، أباطرة كبار  
قوى لا يشق له غبار  
فحيث تدور قبضته ندار  
وما زلنا يغازلنا اليسار  
لصوت العقل يوما تستشار  
فنجميها ويحميها الوقار  
من الاحقاد او سلم الاجار  
على الافكار فانهد الجدار  
فطاش الفكر واحتد الشجار  
رحابا منه ينطلق الاسار  
فلا قيد يشل ولا انكسار  
من الآمال .. شوق وانتظار  
وعودا كالسراب لها انتشار  
ممزقة يهددها الدمار  
يؤجج ناره حقد وثار  
فكان الحل مغزاه احتقار  
مغيث أو يؤبئها جوار

بلادي منذ ان بزغ النهار  
نزلنا للسفوح بكل درب  
خريق نضالنا وعر رهيب  
تصيّدنا قراصنة عوات  
تصدى في مسيرتنا عقاب  
واحكم قبضة عشواء فينا  
واعجب كيف اتجهوا يمينا  
فلا الجمعية الخرساء اصغت  
ولا ملكت زمام الامر فينا  
ولا سلمت ضمائر حاكميننا  
اقامت في مجال الفكر سدا  
واخلقت العنان لكل حزب  
فلا حرية التعبير اضحت  
وتصطرع المبادئ في سجال  
صبرنا الدهر يحدونا بريق  
فكانت غاية الانجاز فيها  
يكيد لبعضها بعض فاضحت  
فخلت حين ادركها خلاف  
غضبنا ايما والله حقا  
تباكيننا ولم يقدم اليها

ولم يكتب لها فيه انتصار  
فلن يجديه جاه واغترار  
لها في كل عاصفة أوار  
حصاد نضالنا ذل وعار  
مسيرتنا .. فاين لنا القرار ؟؟  
الجماعة حين يرتفع الستار  
الى ماض له فينا اسار  
بروح الثأر يلهبه السعار  
ثوت فيها المزارع والقفار  
وليس لنا.. وان شئنا خيار ؟  
من الاحزاب تغضب او تثار  
تفوز على مقاعدها الحجار  
فلن يثري خصوبتها عقار  
يرفرف فوق رايته الفخار  
له في كل ناصية شعار  
يطيب السعي فيها والمزار  
يضي خطى مسيرتنا منار  
تضيّق بقصة الافك الديار  
ونحبو مثلما يحبو الصغار  
الى الآفاق تغريها الثمار  
لها لون وشعر مستعار  
افاقت بعدما فات القطار  
فلم يشبب على الطوق الكبار

فخاضت حربها نابا وظفرا  
اذا ما الشعب اعرض عن بغي  
واحقاد الشعوب اذا تضرّت  
أضعنا بضع سنوات عجاف  
وعدنا من بداية ما بدأنا  
رضينا ام آيينا سوف تأتي  
وتملأ مسرح الاحداث شوقا  
وسوف نعيد كرتنا تباعا  
فان مطرت غيوم الفقر أرضا  
وماذا يفعل الشرفاء منا  
يعود الشعب للتصويت خوفا  
فلو لاقت هوى في ناخبها  
بلادي هذها عقم الليالي  
سوى بعث جديد من بنها  
سوى جيل بطولي فدائي  
يجدد من شباب الارض حتى  
يضمد جرح عزتنا فنمضي  
كفى عبثا وتضليلا وافكا  
سوانا يعبر الازمان قفزا  
وقافلة الحياة تطير شوقا  
واحذر يا بلادي من رجال  
قضت وخرا ولما استفاقت  
وان كبرت مداركنا كثيرا

الخرجوم- أبريل ١٩٦٨

.....

\* الجمعية التأسيسية الأولى بعد ثورة أكتوبر .

\* نشرت هذه القصيدة فى ديوان (الضياء والحريق) المجموعة الشعرية الكاملة- المجلد الأول- ص ١٣٦ فى الموقع الالكترونى

## البحث عن الجذور

التقيت فى مطلع الثمانينات فى القرن الماضى فى فندق هيلتون ابوظبى على وجبة غداء مع الكاتب الامريكى الافريقى الاصل (أليكس هيلى) مؤلف الكتاب الشهير (الجذور). وقد جاء بدعوة من جامعة الامارات العربية المتحدة لتقديم محاضرة عن الصراع العربى الاسرائيلى وكنت مشرفا على زيارة ميدانية لطالبات قسم علم النفس لمستشفى الطب النفسى بابوظبى.

لقد حدثنى باهتماماته فى البحث فى جذور الصراعات الانسانية و حوار الحضارات وقد المح لى فى ادب جم عن ضيق صدورنا فى النقاش المتانى و الانصات الجيد و الاستماع المتحضر للراى الاخر و احترام وجهة النظر المغايرة و شعرت انه يتحدث عن تجربة شخصية. قال لى: اننى جئت ابحث فى الجذور...لا عن الجذور و الفارق بين (عن) و(فى) هو الفارق النوعى و الموضوعى بين (الوجود) و (العدم).. فالبحث عن المشكلة يعنى فرضية عدم وجودها اصلا اما البحث فى المشكلة يعنى الرجوع الى اصولها و علينا ان نحدد منهجنا فى البحث لاننا كثيرا ما نضيع فى متاهات (عن) و (فى) بدل آليات كيف و لماذا و الشيطان يكمن دائما فى التفاصيل. و استطرده يقول: اننى من اصل افريقى زنجى عانيت من الاضطهاد العنصرى فى امريكا وفتحت لنفسى درب الحوار مع الانسان و الشيطان على السواء و اينما جدا... كتابة و شفاهة ..جيئة و ذهابا حتى وصلت الى محطة مضيئة فى قلب هذا النفق المظلم ووجدت ان أسوأ ظلمة توجد فى عقول صناع القرار والذين يرفضون كثيرا لغة الحوار لذلك اردت ان احمل هذه الشعلة و آتى بها الى هنا، هذا الجزء العزيز من



اهل قضيتى...قضية التمسك بالحرية والانتماء للجذور و اعرف سلفا ان هناك مشكلة تبحث عن حل عادل.

و اعرف ان اول مقومات البحث هي الحرية...حرية الارادة وحرية الحركة و حرية الكلمة و القدرة على التغيير وكل هذا يكمن فى الرغبة فى الحوار و ما لم نمتلك هذه الادوات فسوف يقع الصدام لا محالة بين الباحثين و المفكرين و القادة ثم الشعوب التى يئست من الانتظار و اتمنى الا يحدث هذا .... هنا خلبت منه بعض الطالبات التوقيع على أوتوغراف و ودعناه عائدين الى مدينة (العين). تذكرت هذا و انا اتحدث عن العام الجديد و عيد الاستقلال ومهرجان الخرخوم عاصمة الثقافة العربية و اتفاقية السلام ووجدت ان الاصل فى الحوار ينبغى ان يدور حول البحث (فى الجذور..فلنا ثقافة نعتز بها ..عربية وافريقية واسلامية و مزيج انسانى اخر ينبغى البحث فيه وربما لدينا اشكاليات فى بروتوكولات الاتفاقية قابلة للبحث و التطوير و مطروحة للملاخذ و العطاء و لن يتم كل هذا الا من خلال قنوات الحوار.. و الحوار يقتضى وجود اجواء صحية ومناخات نفسية معافاة من مشاعر الحقد وروح الثارات القديمة.

عود على بدء ..تذكرت هذا عندما تحدثت عن المجد الضائع للسودان فى الحلقة السابقة ولعل اكثر الزملاء من الاخباء النفسانيين السودانيين فى هذا الجيل قد لا يذكرون ربما يكون اول مؤتمر للطب النفسى العربى الافريقى قد عقد فى الخرطوم فى عام ١٩٦٥. و قد ترأس الاجتماع العالم الجليل الراحل البروفسير التجانى الماحى يساعده استاذ الجيل البروفسير خه بعشر امد الله فى عمره و متعه بالعافية و قد حضره من الشقيقة مصر البروفسير الراحل عمر شاهين استاذ الطب النفسى بالقصر العينى يرافقه تلميذه آنذاك و استاذ الجيل الحاضر البروفسير احمد عكاشه استاذ الطب النفسى بجامعة عين شمس و الرئيس الحالى للاتحاد العالمى للاخباء النفسانيين

كما حضره من الافارقة البروفسير (لامبو) استاذ الطب النفسى بجامعة (آبادان) فى نيجريا وقد وثقت لهذا الحدث فى كتابى (رحلتى مع الطب النفسى) والذى صدر اخيرا حتى لا نضيع فى البحث عن الجذور.

وقطعا لم يصدقنى الاخوة الاخفاء النفسانيون العرب وانا احدهم فى مؤتمر الدار البيضاء فى المملكة المغربية عام ١٩٩٤. عن زيارة سيدة الغناء العربى أم كلثوم الى الخرطوم فى عام ١٩٦٦ م و هى تغنى للمجهود الحربى على خشبة المسرح القومى و البعثة الفنية العربية بقيادة الفرقة الماسية والبعثة الاثيوبية والصومالية عندما كانت الطيور الاريتريه المهاجرة تغرد فى دوحه الخرطوم الظليلة التى تضم كل الوان الطيف من القرن الافريقى حتى اعماق افريقيا عند ما توجهت هذه الزيارات مطربة افريقيا الاولى آنذاك (مريم ماكبا) وهى تغنى للسلام و(نلسون مانديلا) والذى خرج من غياهب سجون جنوب افريقيا ليعيد صياغة تاريخ القارة باكملها.

و قطعا لم يصدقنى كثير من الاخوة العرب خوال سنوات الاغتراب فى الخليج و انا اردت الحديث عن زيارة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بعد النكسة و(لآت) الخرطوم التى اصبحت (لا شئ).. وكل يغنى على ليلاه ... ولم يحفل كثير منهم برواية الحديث عن عناق السحاب والذى تم على يدى رائد الدبلوماسية السودانية الراحل و زير الخارجية محمد احمد محبوب بين جلالة العاهل السعودى الملك فيصل بن عبد العزيز وفخامة الزعيم جمال عبد الناصر بعد قطيعة ادمت قلوب كل العرب و استعصت على اهل العقد و الحل ..... و تعجب اكثرهم عن الحديث عن مؤتمر القمة بالخرطوم بعد اعلان ميثاق (باندونج) لدول عدم الانحياز والذى ضم (سوكارنو) من اندونيسيا و (سيكتورى) من غينيا و(كوامى نكروما) من جمهورية (غانا).. أليست هذه النواة

الحقيقية للوحدة العربية الافريقية الاسلامية منصهرة فى بوتقة و احدة وهدف واحد من اجل الحرية والسلام والعدالة.

ظلت هذه الاساخير التى احكيها والروايات الخرافية التى اكررها حبيسة داخل قلب مثقل بالام الوحشة والاغتراب مسكونا بالظنون حتى جاء الفرج و على غير ميعاد مع المغتربين و جزى الله الفضائية السودانية كل خير عندما حركت من صدرى صخرة (سيزيف) ليوم ان اخلت من التلفاز برامج (من زمان.. و من الامس .. و من الماضى.. و من حيث لا نحتسب) ليعرض علينا الصديق الصدوق و الاعلامى المرموق البروفسير على شمو لقاء (أم كلثوم) و يتوالى تفسير الاحلام فى عرض زيارة عبد الناصر و أم كلثوم والمصالحة التاريخية بين الزعيمين الكبارين و التى كانت نقطة تحول فى اعادة رسم خريطة الوطن العربى فى الشرق الاوسط.

هذا غيض من فيض و بعض ملامح المجد الضائع من ارشيف ذاكرة الجيل المعاصر و هى بعض الجذور الضاربة فى اعماق الارض و النابضة فى و جدان التاريخ. يصدق فيها قول الشاعر العربى (الفرزدق) مخاخبها خصمه (جرير) و استبدل مفرداته ليقول:

ها هى جذورى فجئنى بمثلها اذا جمعتنا يا (جرير) المحافل

ولنا عودة باذن الله

.....

## ملف القضية سلطان

نظمت هذه القصيدة فى لندن فى يونيو ١٩٧٧ بعد حرب حزيران و نشرت فى ديوان ( نقوش على البحر) المجموعة الشعرية الكاملة -المجلد الأول ص ٤٥٥ موقع المكتبة الالكترونى

(( القضية ... القضية ... القضية ))

تعب المذيع ... والتلفاز ... والجمهور ملّ المسرحية

أصبحت اصواتنا أعلى دويًا من رصاص البندقية

والقرارات التي امتلأت بها كل ملفات القضية

أصبحت برشام أوجاع البلاد الداخلية

كل حكم كاد يسقط .... أسند ظهره فوق القضية

كل من جاء الى السلطة قهراً قال : من اجل القضية

كل من شيد سجنا... زج فيه الابرياء... يقول من أجل القضية

كل من قتل بريئاً قال : ( قد خان القضية)

أصبح القتل يمثل كل صور النرجسية

والرصاص موجه لصدور اصحاب القضية

يسالونك ما القضية ؟

لست ادري ... غير أنني  
عندما كنت صغيراً... قيل أن جنودنا يتحاربون مع اليهود  
لم أكن اعرف وعد (( بلفور )) ولا أى وعود  
لم نكن نعرف حرمان اليتامى أو هراوات الجنود  
لم أكن أعلم قصة التقسيم بعد الحرب او معنى الحدود  
كنت خفلاً ... كل هم الطفل أن يأتى أبوه بالهدايا كل عيد  
بعضنا قد كان يقضي معظم العام وحيد  
قد تعود أن نناديه : تعال .. ابن الشهيد  
عندما صرت صبياً  
في بلادي العربية  
وقرأت سيرة الابطال من ألف ... الى ياء الحروف الابجدية  
والفتوحات العظيمة ... والحروب الجاهلية  
صرت اعرف ما القضية  
قصة الشعب المشرذ في فلسطين الضحية  
صرت أو من أننا منذ البداية ... قد تطول بناء البقية  
وأنظرنا ربع قرن بل واكثر

والقضية مثل أعمى ... في خطاه يتعثر  
كل عام يصبح الدرب خطيرا ... والذي فى الدرب أخطر  
وبلاد لم تكن تعرف ما التحرير ... بدأت تتحرر  
كل خريطة فى الأرض ... موقعها تغير  
والقضية كل يوم فى حساب النصر تخسر  
أصبحت لغزا سياسيا ... ورمزا لا يفسر  
يسالونك ما القضية  
انها صوت الاذاعات التي تعوي صباحا ومساء  
والدواوين التي ملأت مكاتينا .. باسم الشعراء  
والبيانات التي تصدر فى كل لقاء  
والموثيق التي تحظى بعطف الرؤساء  
والحدود التي خططها كل الخبراء  
والرسومات التي ظلت معلقة شواهد فوق كل الواجهات  
والبنادق .. والمدافع عند.. شرم الشيخ والعقبة... في كل الجهات  
وبقايا بعض أحلام قدامى الجنرالات  
يسبحون مع الخيال

أحدهم كان(عريفًا) ثم أصبح فجأة فى رتبة مارشال

يحلم أن نبني له فى الساحة ... يوماً ... تمثال

كان قائد رفعة تمتد فى حجم المحيط

فاصبحت كوم رمال

وازداد عدد اللاجئين.... تسربوا كالنمل من قلب التلال

ضاقت بهم كل الخيام.... فشيّدوا أخرى على قمم الجبال

راح عشرات الضحايا من ملوك ورجال

وأنتهى الجيل الذي بدأ النضال ومات فى نار النضال

ترك الرسالة فى يد الجيل الذي ما عاش يوماً فى اراضية القديمة

رأى منازل أهله مرسومة فى الخرط فى صور أليمه

ورأى الحجارة ... والسقوف وبعض آثار الجريمة

ولم يرث غير القضية والأرادة والعزيمة

جاء يحمل شارة النصر تغطي كل واجهة الهزيمة

سقط القناع عن الوجوه وظهر عشاق الوليمة

جاء جيل ... جيل بعث يحمل الموت هدية

ليس بين عتاده قلم وأوراق وفلسفة الوصية

نبذ كل القادة المتسولين لدى المحافل باسم اصحاب القضية  
خرد كل متاجر بالأرض ... كل مزود يعلو المنصة للتحية  
لم ينم يوما على كيس من الرمل  
ولم تقبض اصابعه زناد البندقية  
يسألونك ما القضية ؟  
قل اذا انتهت القضية  
سوف يبقي كل شئ في بلاد العرب ثابت  
والضفادع قد تكف عن النقيق ويصبح المذيع صامت  
والبيانات التي تخترق خيل الاذن سوف يكون صداها خافت  
قل اذا انتهت القضية  
سوف نبقي بلا هوية  
قل لهم قد ضاعت الارض  
وضاعت في الملفات القديمة كل اوراق القضية  
لن يعيد الأرض ... غير المدفع الداوي وصوت البندقية



لندن / حزيران ١٩٧٧م

.....

إطاه ديوان ( نقوش على البحر ) \_ المجموعة الشعرية الكاملة المجلد الاول - ص ٤٥٥

## لا يأس... مع السلام

ليست هذه دعوة للسلام فقط .. ولكنها صرخة من أجل الحياة ذاتها.. و دفاعا عن الأمل  
بمعناه الكبير فى كل شئ .. (لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة).

وقد قال الشاعر أبو الطيب التنبئ :

إذا كانت النفوس كبارا      تعبت فى مرادها الأجسام

لقد تعبنا كثيرا و حاربنا خويلا من أجل عيون السلام خوال نصف قرن من الزمان و ذهبت  
اجيال و تعاقبت أخرى ونحن ما زلنا نتقطع انفسنا فى هذا الماراثون الطويل و دائما و قبل بضعة  
امتار من خط النهاية فى السباق او لحظات من الجولة الحاسمة فى المفاوضات يرمى أحدهم حجر  
عثرة فى مضمار السباق ليتساقط المتسابقون او تتعطل المسيرة ... لحاجة فى نفس يعقوب و ما  
أكثر حاجات يعقوب فى نفوس هؤلاء.. فى الداخل و الخارج.

و يتساوى أكثرهم فى الغرض او المرض ..بداية بدور القوى الخارجية التى لها مصالح  
اقتصادية و سياسية و توسعية مرورا بالفئة الداخلية ذات الاهداف الجهوية او المنفعة القبلية و  
العشائرية..نهاية بنوايا الفرد صاحب الاجندة الخفية فى الحصول على قطعة سكنية او ارض  
زراعية او صفقة تجارية او دون ذلك بكثير و لكنها فى نظره أكبر من هموم الوجود الذى أدمن  
القتال و تعاخى الصراعات و لان للوجود ربا يحميه فقد ظل و اقفا حتى اللحظة و لان للفئة خمعا  
تخفيه فما زالت عازفة عن الحوار.. ثم ماذا بعد ؟؟

أقول من خبرتى المهنية و تجربتى العملية فى فهم عناصر سيكلوجية الاشاعة و ديناميكية دوافع الياس و كيفية التسرب الى نفوس الناس من فرط الشك و الوسواس خاصة فى القضايا المصيرية فانه فى غياب المعلومة الصحيحة و التنوير الملتزم و التجرد فى الطرح و الاخذ بالاسباب المشبعة بالوضوح و الشفافية فان الياس يتسرب الى النفوس كما يتسرب النبع الثرثار من شقوق الجدار و يندفع بقوة تنسف اقوى المتاريس و اعنى السدود لان ( الارض الواخئة تشرب ماء غيرها ) ولقد عشنا هذه التجارب فى الماضى و لكننا قليلا ما نتعظ و كثيرا ما تأخذنا العزة بالاثم.

دعونا نسترجع من ارشيف الذاكرة ( اتفاقية اديس ابابا) كيف تمت ؟ و ماذا حققت ؟ و لماذا انهارت؟ و ماذا خلفت ؟ ( مجرد فلاش باك) للذكرى و الذكرى تنفع المؤمنين. و دعونى استدعى من ذاكرتى قبل اكثر من عام خلال مفاوضات ( ماشاكوس) فى كينيا عندما انسحب الوفد السودانى من المفاوضات لان الطرف الاخر اخل با تفاق وقف اخلاق النار و استولى على مدينة ( توريت ) عام ٢٠٠٣ و كانت خطوة كافية لوقف المسيرة المتعسرة منذ البداية و عودة الوفد الى الخرطوم لكى نبدأ من الصفر عندما قدر لها العودة ... و تذكرت بالم شديد كيف ان مدينة ( توريت) تحديدا و اصلا يحفظ لها التاريخ انها اول شرارة اندلعت منها نار الفتنة بعد الاستقلال مباشرة.. ليس ذلك فقط و انما اذكر اننى عندما انتقلت الى العمل فى الاستوائية عام ١٩٦٨ لم يكن من الممكن الوصول الى مدينة ( بور) و هى الدائرة الانتخابية لأكبر دعاة السلام من القادة الجنوبيين و هو نائب رئيس الجمهورية السابق السيد ( أبيل الير) و تحت قيادة اللواء الراحل الشريف الحبيب قائد القيادة الجنوبية فى مدينة( جوبا) بينما كانت( توريت ) بالكامل تحت سيطرة

( المتمردين) و الذين لم يجرؤا بعد على تسمية انفسهم ( حركة تحرير) تحضر المؤتمرات و تعقد المفاوضات تحت مظلة هيئات دولية بينما عادت ( توريث) فى هذه الحقبة و خوال فترة المفاوضات باكملها تحت السيطرة الكاملة للقوات الحكومية. و فى أدبيات الحرب التى تقرر مبدأ الكر و الفر ما ذا يضير الحكومة ان تسقط راية و ترتفع اخرى حتى يتثبت الواقع و يستقر الامن و يوقع الاتفاق؟

فى هذه الفترة زار الامارات العربية المتحدة وفد رسمى يشرح مسيرة مفاوضات السلام و بروتوكولات ( ماشاكوس) وقد قدمت السفارة السودانية مشكورة كالعادة الدعوة لاعضاء الجالية لحضور اللقاء فى المستشارية الاقتصادية فى ابوظبى و بعد الحديث الطويل حول قضايا السلام و عن شؤون و شجون المغتربين تطرق الحديث الى حقيقة النزاع القائم فى ( دارفور) وقلت لمعالى الوزير (اننى أعتبر نفسي من عواجيز الفرخ فى هذا العرس السودانى و لكننى أحد قدامى شواهد العصر لقضية الجنوب و ارى ان الفارق بين كل هذه القضايا ( جغرافية) المنطقة و لكن الاجندة السياسية و احدة و قد يجانبنا الصواب اذا نظرنا اليها بغير ذلك و سوف نعيد البصر كرتين و ثلاث و اكثر اذا فاتنا ان القاسم المشترك الاعظم بين كل هؤلاء واحد... فهناك ضرورة فى ان ننظر الى ما يجرى انه حلقة من النزاع القائم فى الجنوب و لكنه مجرد ترتيب أولويات فى مسار المفاوضات... فقال لى فى نظرة مستفسرة و لهجة مستنكرة. (هل تعتقد ان كل من يرفع السلاح فى وجه الحكومة تطأخى له راسها و تستجيب لمطالبه؟؟ حتى نجد السودان و قد تمزق الى أجزاء؟؟ اننا ينبغى ان نحفظ هيبة الحكومة).

فقلت له فى هدوء شديد : اننى أرى ضرورة التعامل مع هؤلاء على انهم اصحاب رؤية قد نختلف او نتفق معهم قبل ان يصبحوا اصحاب قضية يذهبون بها الى الخارج و لن ينفعنا وقتئذ ان

نقول انهم متمردون أ و قطاع خرق لان هناك (عرايون) فى الداخل و الخارج يسدون لهم النصح و يقدمون لهم العون و يرسمون لهم الخطط و يفتحون لهم المعسكرات و يصعدون بهم المنابر و قد يرمون بهم الى التهلكة من اجل ان ينفذوا من خلالهم الى الداخل و لاشك انهم فاعلون....كأجراء او عملاء او شركاء او خبراء يتقاضون اتعابهم بالعملة الصعبة و نحن الذين نسدد فاتورة السلاح و نفقات السفر و الاقامة فى الفنادق الفاخرة و نصيحى ان تستمعوا الى ما يقوله ابناء دارفور و البجاو ...!! فهذه قنابل موقوتة تنتظر الوقت المناسب للانفجار و لكن حسب توقيت اولئك المنتفعين من الخراب و الدمار و اردت ان اؤكد ان الواقع السياسى فى السودان و الوضع الدولى الراهن يقتضى ان نتعامل مع ملف السلام....صفقة واحدة...يربطها قاسم مشترك مختبئ فى تفاصيل البروتوكولات لان المخطط المرسوم و المتفق عليه يضم كل هذه الاجزاء فى كل واحد و يضع كل هذه القضايا فى سلة واحدة يبيعها بالاقساط المريحة للمفاوض المتعجل حتى يحصل على اكبر قدر ممكن من الربح فى تسويق سلعة السلام و ما لم ندرك هذه الحقيقة سوف نضيع فى وهم سلام التجزئة.. و نجد ان الثمن المدفوع لكل جزء منفصلا اعلى بكثير من الثمن الاجمالى الذى ندفعه لكل هذه القضايا مجتمعة بخطاب اعتماد واحد و بتوقيع أخير و نافذ المفعول.

عود على بدء .. يقينى ان المسئول لم يستمتع بلقائى و لم يستمع لندائى و الذى ربما ظن به كل الظنون و قد أخذنى احد الظرفاء المدعوين جانبا قائلا: يا اخى انت مدعو الى حفل عشاء ام ليلة سياسية؟ قلت له : ان دعوة العشاء كانت وسيلة للقاء و ليس بديلا للنصح و اختلاف الاراء و الدين النصيحة و الساكت عن الحق شيطان أخرس!!

و عاد المسئول الى الخرطوم و لم تنقض بضعة اسابيع حتى انفجر الوضع الامنى فى ( دارفور ) و تسارعت وتيرة الاحداث بصورة لم تخطر ببال اكثر المتشائمين .. و شاهدنا كيف تخرج المشكلة القبلية القديمة المتجددة من داخل قطر ظل حتى وقت قريب يشكو العزلة فى المحيط الاقليمى و الدولى فى أكبر قضاياها المصيرية الموروثة من الاستعمار منذ عقود ليجد نفسه فجأة و دون استئذان يحتل الصدارة فى أجندة مجلس الامن العالمى و الذى وصلت درجة اهتمامه مرحلة افقدته الوقار و احترام الاخيار فى المقر الرئيسى و قرر للمرة الثانية فى تاريخه الملى بالاخفاقات الخروج الى افريقيا- و التى تئن تحت وجة قضايا انسانية فوق التصور- ليناقد مشكلة صعب علينا ان نستوعب حجمها فى ابوظبى و نحن أهل الدار و اصحاب القرار.. و لله فى خلقه شئون!! و بعد ان كان فى حالة بيات شتوى و موات دماغى فى غرفة العناية المركزة منذ عقود تم استدعاء فريق المتخصصين فى صنع المعجزات و كتابة الوصفات فى كل الازمات من بقايا المتأمرين القدامى و المحافظين الجدد !!

عود على بدء.. و حتى لا نجد انفسنا نتعثر فى هذا المشوار الطويل الذى استمر لعدة قرون و نحن دائما ما نتوقف عند محطات مظلمة ليس لها عنوان و اضح يدل على ملامح الطريق او هكذا يراد لنا ان نمشى فى هذا الدهليز المظلم من المفاوضات فى عدة اتجاهات دون بوصلة واحدة تحدد لنا القبلة التى نصلى عليها. ان هذه القنابل الموقوتة التى تنفجر دون انذار و هذه الانذارات المتناقضة التى تتساقط علينا من كل الوسطاء و الاوصياء و هذه العقوبات الجائرة والنذر المتطايرة هى بالونات اختبار ستظل الهاجس المستمر لزرع الياس فى نفق المفاوضات المشحون بالسهام الطائشة و الشرر المتطاير من مخابئ الاستهداف.

و علينا امام هذا الواقع المؤلم و المتقلب و المظلم احيانا الا نستسلم للياس او نسلم رقابنا لسكاكين المفآجات و ما اكثرها لنقع فريسة الوهم فى مصداقية القرارات و التى تصدر من هنا و هناك كلما و صلنا الى مرحلة قرار او لحظة انتصار او حرية خيار من الخيارات الصعبة المترددة و المتعددة و التى ينبغى ان تنزل الى الارض حتى تؤكد قوة الايمان و صدق النوايا و صلابة الارادة باننا قادرون على حل قضايانا ليس بمعزل عن مساعدة الاخرين و ليس قفزا فوق الاعراف و القوانين الاقليمية و الدولية و لكن دون شروط تسلبنا حرية اتخاذ القرار.. و لا ياس مع السلام و لا سلام مع الياس.

ولنا عودة ..باذن الله

.....

## قصة كفاح

شدتني في احدى الامسيات سهرة تلفزيونية بعنوان (بكرة أحلى) في قناة النيل الازرق والتي اضفت ألقا جديدا على فضاء السودان الذي يتوهج بالابداع .. و يتلألأ بالنجوم التي تضيئ كل اركان العالم ان استطاعت ان تفلت من عباءة الظلام التي تلف سماء الاعلام . كما أمل ان ينظر اليها أولوا الأمر على أنها رسالة محبة و نقطة مضيئة في سجل انجازاتهم و عند أضعف الأيمان صدقة جارية تصب في ميزان حسناتهم خيرا و بركة من دعاء المغتربين و سؤال المهاجرين في كل بقاع العالم.

أقول هذا و انا أتابع ايضا الفضائية السودانية والتي تذخر بالأماكن البشرية البراقة و الكفاءات الاعلامية الخلاقة عن دراية ذاتية و تجربة شخصية عشتها في بدء الاذاعة و افتتاح التلفزيون و لكنها اشراقات مثقلة بقيود الحاجة و مكبلت بشح الامكانيات المادية و التي لو احسن ترشيدها في المال العام لقفزت الى الصدارة بعد مطار الخرطوم..عنق الزجاجة المليئة بالدم و كفى قولاً :

كالذي ألقوه في اليم . مكتوفا      و قيل له إياك .إياك أن تبتل بالماء

عود على بدء..لقد تابعت بارتياح شديد سهرة (بكره أحلى ) ذات العنوان الجذاب المبتكر المتفائل المتناغم و المطل على البعد الثالث من واقعنا المتطلع الى الانفلات من عتمة الانغلاق الى رحابة الانفتاح.. لقد كان لهذا العنوان المشحون بالمعاني النبيلة و المتفرد في خرج أهم القيم



الاجتماعية وقع خاص و هو يحاول فى سيناريو تليفزيونى حى ان ينفذ عنها غبار الزمان الساقط من سقف الانهيار ليرى الناس ملامح التحفة الاثرية التى تحكى عن (قصة كفاح).

أتذكر أننى قد شاهدت قبل سنوات سهرة مماثلة قدمها الصحفى الاستاذ الراحل حسن مختار خبيب الله ثراه مع الكاتب البارع و العصامى اللامع و السياسى اللاذع الاستاذ الراحل المقيم محمد احمد السلمابى و قد كان يحكى قصة كفاحه و البحث عن الذات و كانت تجربة فريدة و جديدة ان يتحدث رجل فى قامته شموخه و شدة وضوحه عن سيرته الذاتية من (جرسون) فى مقهى ناصيه و كيف تسلق سلم المجد و صعد الى اعلى الجبل يحمل صخرة ( سيزيف) حتى وصل قمة الهرم الاجتماعى و خلف ذكرى عطرة تقول : (الذكرى للانسان عمر ثان)...خاصة لو كانت فى صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له...و قد اصبحت (مكتبة السلمابى) من مفاخر التراث السودانى.. فالكبار هم الذين يصنعون التاريخ و هو صاحب المقولة الشهيرة فى عهد الديمقراخية الاولى عندما قال فى مقابلة صحفية ( ان مشكلة السودان انه تحكمه عشرة جرادل جير) فى اشارة ساخرة من الشعارات المعادية من المعارضة و التى تملأ جدران البيوت عند كل صباح و تشوه - فى نظره - جمال العاصمة ولكنها ترسم سياسة الحكومات و كانت هذه نظرية السلمابى و هو المحسوب على الطبقة الكادحة فى مطلع حياته و يؤكد فى سيرته حقيقة ان ( ليس الرجل من يقول كان أبى و لكن الرجل من يقول :أنا) ...ذلكم كان الرجل العصامى الموسوعى المتحدث المتأنق المعتز بقصة كفاحه.

أقول هذا و اذكر فى ذات السياق مقولة الزعيم السوفيتى السلبق ( نيكيتا خروتشوف) و قد بدأ من عامل منجم فى روسيا الى أعلى سدة الحكم فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق قال - و هو فى خريقه الى الامم المتحدة فى عهد الرئيس الامريكى السابق جون كنيدي ليلقى كلمته امام الجمعية العامة حول أزمة الصواريخ السوفيتية فى كوبا - قال: ( اننى أخلع قبعتى و أنحنى

اجلالاً للرجال الذين يصنعون التاريخ و أخلع حذائى و انهال ضربيا على رؤوس الرجال الذين تصنعهم الاحداث) و مازلنا نتساءل حتى اليوم من الذى صنع التاريخ و من الذى صنعتة الاحداث.. و للتاريخ كلمته.

عود على بدء... تابعت فى السهرة قصة كفاح (الاستاذ تاور) و الذى جاء من جبال النوبة الى الخرطوم ليواصل دراسته فى التاسعة من عمره لان اسرته لم تكن تمتلك مبلغ (اربعة جنيهات) هى مصاريف الدراسة و شاهدت كيف كتب فى ملحمة نضالية رائعة حروف مشواره من عامل فى قسم صناعة الخزف فى المعهد الفنى سابقا ثم تدرج فى العمل مع الطلاب و الاساتذة داخل أروقة المعهد و الدراسة الاضافية بعد ساعات العمل منقطعا عن كل ملذات الحياة حتى تدرج فى سلم الترقى ليصبح الرئيس و الاستاذ الاول فى الجامعة ليقول مع المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم و تاتى على قدر الكرام المكارم

و كان مشهدا رائعا و قد تزوج و انجب أسرة التفت حوله تستمع اليه فى فخر و هو يحكى فى تواضع جم وكلمات واثقة و نظرات ثابتة كيف تحدى الفاقة و الفقر و العجز شان الرجال الذين يصنعون انفسهم بدمائهم و اعصابهم لا بانتمائهم و انسابهم.

و فى الحلقة الثانية شاهدت قصة كفاح (المعلم كمال) الذى هاجر من مدينة الحديد و النار المدينة العمالية(عطبرة) و ربما متسطحا على ظهر احدى عربات السكة الحديد فى القطار الميمم وجهه شطر الخرطوم بحثا عن الكنز المفقود لا يحمل معه غير عزيمة فطرية و ارادة حديدية فى اكتشاف المجهول و سرد قصته و قرأ سيرته صفحات مشرقة بنور الكفاح فى رحلة خويلدة اكتشف فيها موهبته و التى ربما كانت احد العوامل الخفيه فى هذه الخطوة الذكية التى قذفت

به من لجة الموج المتلاخيم الى شاطئ الامان فجمع بين فن السمكرة و فن الايقاع ..ايقاع المطرقة والسندان وابداع العود و الكمان و بين شقاء الاولى و صفاء الثانية اخطط له ( سكتة سفر) الى محطة البناء و التعمير تحت وهج الهجير و دخل من البوابة الثانية الى عالم الشهرة عبر التلفاز و الاثير بلقب ( كمال بنزق). و كان يتحدث بتلقائية أشبه بجلسات الترويح النفسى التى يفرغ فيها الانسان الشحنة العاغفية المكبوتة و يتنفس الصعداء و أخرى كلحظات استرخاء يسترجع فيها شريط الذكريات شديدة الايحاء او يستمع الى قطعة موسيقى او سمفونية رائعة يقوم بعزفها افراد اسرته و الذين التفوا حوله كفرقة اوركسترا يجيدون العزف على وتر الاعتزاز بكلماته الجياشة و يتبادلون عبارات التكريم و يتبارون فى تقديم فروض الولاء و الطاعة وكأنهم يرددون( المال و البنون زينة الحياة الدنيا).

و يحق له ان يتساءل: كم من ( العظماء) من الابناء الذين شغلوا الدنيا وخطفوا الاضواء يذكرون بفخر سيرة آبائهم البسطاء الذين عاشوا فقراء و رحلوا غرباء و خويى للغرباء؟ و كم من (العظماء) من الاباء الذين صنعوا امجاد أمة و تاريخ شعب يتحسرون على ابنائهم الذين ملأوا الدنيا ضوضاء بلا بذل و لا عطاء و عاشوا كالاموات الاحياء؟

عود على بدء..لقد حملت الرسالة فى مضمون السهرة قيمة اجتماعية على قدر كبير من الاهمية فى مجال الاعلام التربوى و نقطة مضيئة فى اسلوب التنشئة الاجتماعية للاجيال المعاصرة التى تتعطش الى ضرورة ترسيخ مفهوم العمل عبادة حين يستمع الاب فى لحظة صفاء نفسى و لقاء أسرى على الهواء مباشرة شهادة ابنائه على قيمة عطائه و جودة ادائه.. و كما قال الفنان عثمان اليمنى فى حفل تكريم الفنان الكبير الاستاذ عثمان حسين ( لقد تعودنا ان نقول للمحتفى به.. يوم شكرك ما يجى.. و لكننا الليلة نريد عثمان يسمع شكره بأضانه دى ) ...و شد على أذنه اليمنى.

و استمرت السهرة و الابناء يستمعون الى سيرة ابيهم و تاريخ حياتهم من كاتب السيرة و  
صانع المسيرة وكانهم يستصحبون فى رحلتهم الحديث الشريف (لأن ياخذ أحدكم حبله و  
يحتطب خير له من ان يسأل الناس أعطوه او منعوه) صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم.  
و لا اعلم ماذا كان سيقول هؤلاء لو جاءوا الى الخرجوم يسألون الناس لا ان ياكلوا من عمل  
يدهم و قد أجزل الله لهم فى العطاء حين وهبهم قوة الارادة و حب العمل ليعمروا الارض التى  
استخلفهم فيها يشد من عضدهم قول الشاعر ابى القاسم الشابى:

أبارك فى الناس أهل الطموح	ومن يستلذ ركوب الخطر
و من لا يعانق شوق الحياة	تبخر فى جوها و اندثر
و من يتهيب صعود الجبال	يعش أبد الدهر بين الحفر

و الحق أقول لكم: اللهم اجعل دائما (بكره أحلى)

ولنا عودة .. باذن الله

.....

## محطات مضيئة

على هامش المؤتمر القومى الاول (للسلام و الصحة النفسية)، و الذى عقدته جمعية أخصائى الطب النفسى السودانية فى الخرطوم فى الفترة ما بين ٦٤ مارس الماضى، حملنى قطار الرحلة الى محطات مضيئة اختصرت ثلاثة عقود من سنوات الاغتراب فى ثلاثة أيام بعد ما تم الافتتاح فى الفندق الكبير والذى ضم اجتماع الطب النفسى الافريقى الاول فى عام ١٩٦٥ وكانت قدماى آنذاك فى اول عتبات السلم الوظيفى.

و التقيت فى هذه المرة بمجموعة الاخباء النفسانيين السودانيين المغتربين بالخارج و الداخل فى المناخىق الريفية، اذ قطعوا نفس المسافة بالطائرة أو الناقله داخل الوجود القارة يشدهم الشوق الى اللقاء التاريخى مع الاخوة القدامى. و لفت نظرى الحضور المشهود و الفعال و المؤثر و المؤثر الى نقله نوعية فى ثقافة المجتمع ونقطة انعطافية فى حضارة الامه و هى كثافة العنصر النسائى فى المؤتمر ليس فقط فى نسبة الحضور او قدر المشاركة أو درجة الفعالية، و انما فى قوة الإستحواذ على حركة المناشط العلمية و الاجتماعيه خاصة فى تصور فرص ترك البلاد فى وقت لم تكن فيه متدربة واحدة فى خريطة الطب النفسى فى البلاد عندما يلقى متخصصات فى اعلى عتبات السلم الوظيفى مهنيا و اكبر درجات التخصص الطبى علميا وفى شتى مجالات الصحة النفسية خاصة فى مجالات علم النفس المتعددة.

عود على بدء .... فهى تحولات جوهرية و ضرورة حضارية لا بد ان نستبشر بها و نؤخر لها حتى لا تفلت من عقالها فتصبح النعمة نعمة أشبه بالطوفان فى حياة الانسان ولكنها كانت من

اكثرت المحطات المضيئة التي تستحق الاهتمام و التوقف عندها فى مسيرة الرحلة الاسطورية فى رحاب المؤتمر العامر بالاضاءات.

وقد تمت فعاليات المؤتمر فى قاعة مركز الشهيد الزبير، وكانت الاستضافة فى مستوى الوفود الزائرة كرما و حفاوة. و قد شعر الاخوة القادمون من الخارج "المهجر" - لوصح التعبير، أنهم أهل الضيافة المستضافون فى بيت رجل واحد وناقشوا فى هذه اللقاءات الجانبية أضعاف ما ورد فى مداولات المؤتمر علما بان بعض هذه القضايا كانت من الفئة التى يصدق فيها القول (ما كل ما يعرف يقال) ولكنه قيل بأمانة وتجرد يبعث على الفخر والاعتزاز.

وفى المساء تمت دعوتنا الى حفل عشاء فى نادى الضباط بضاحية "برى" و قد كان مضيفنا اللواء أركان حرب عبد الباقي البشرى و قد أفاض على المدعوين من كرم الضيافة وروح الترحاب ما جعل كل منا يردد سرا فى دخيلته:

عزیز أنت یا وحنى برغم قساوة المحن

ويضيف بعضنا علنا:

بلادى و ان جارت على عزيزة و أهلى وان ضنوا على كرا

فنزلنا أهلا و حللنا سهلا و قرأنا شعرا و تلونا نثرا و قصصنا اجمل القصص و بعد تناول العشاء الذى ذخر بما لذ و خاب فى ديار الاحباب أخذونا الى الجانب الاخر من النادى لمشاهدة احدى فعاليات (الخرطوم عاصمة الثقافة العربية)، و كانت مجموعة من الأغنيات السودانية مع فرقة الشقيقة (جيبوتى)، و كان هذا المزيج اشارة معبرة عن مضمون الزيارة فى الزمان و المكان. و فى

اليوم الاخير كانت دعوة عشاء فى (النادى القبطى) بالخرطوم و الذى استقبلنا خارج الاسوار ليؤكد فرحته بلقاء الزوار و استكمل هذه الفرحة بالفرقة القومية و التى قدمت لوحة فنية غنائية لكل ألوان الطيف الثقافى القومى فى جهات السودان الاربعة. و كانت لفتة بارعة تنم عن وعى عميق بالتحويلات الجوهرية التى تجرى على واقع المجتمع السودانى فى جو مفعم بالتفاؤل، منفتح لاستقبال التغيير الحضارى و السلمى و الذى يستوعب كل معطيات الالفية الثالثة بروح الفاعل و المتفاعل لا الغافل او المتغافل.

و قد كان مسك الختام حضور مندوب أمانة جهاز المغتربين والذى جاء لإنجاز معاملات المشاركين من الخارج بأسلوب حضارى منقطع النظير عكس جانبا مشرقا من شفافية القائمين على شأن هذا الجهاز مما هم مخيرون فيه، و قد كانت امانى أكثر الناس تفاؤلا ان تلاحقهم المطالبات داخل القاعة بدل الذهاب الى صالات الجهاز المتعددة و ذلك فى أقصى حالات الافراط فى التفاؤل و لم يذهب بهم الحلم درجة استلام تاشيرة الخروج داخل اروقة المؤتمر ولكن قدر الله و ما شاء فعل. و من المؤسف لدى - و ليس بالضرورة لدى آخرين -، أن كان معظم القادمين من المهجر يحملون جوازات سفر أجنبية دفعتهم اليها ظروف خاردة يستظلون بها من هجير المطاردة فى بوابات المطار تعفيهم من بعض الملاحقات و لكنها لا تسقط عنهم ضريبة الوخن و التى لا يتبرأون منها و لوفى دفع رسوم التسجيل للمؤتمر بالدولار الامريكى.

عود على بدء ....و حتى لا يتسع الخرق على الراقق فى حساسية هذا الموضوع لابد من ان أذكر أننى مسكون بهاجس انتشار الطاعون الحديث الذى بدأ يجتاح كل شرائح المجتمع فى البحث عن الجواز الاجنبى للخروج من عنق الزجاجاة الملى بالدم، حتى داخل أسرتى، و كأننا قد يئسنا من مستقبل الإصلاح فى تركيبته هذا الوخن و هذا ما يبعث على الاسى و يحز فى النفس و للحديث صلة فى وقت لاحق ان شاء الله.

استلمت جوازي و غادرت مباشرة الى أبوظبى لأسافر فى اليوم التالى الى لندن لحضور مؤتمر علمي آخر فى ١٤.١٠ مارس. و تشاء الصدفة ان يحضر المؤتمر بعض الاخوة السودانيين المغتربين و كان عددهم اكبر من الذين شاركوا فى مؤتمر الخرجوم و بعضهم لم يحضر الى السودان منذ سنوات خويلدة ولم يصدقوا القليل من الكثير الذى نقلناه لهم عن المحطات المضيئة فى رحلة الخرجوم و اكثرهم يحمل الجوازات الاجنبية خاصة فئة الشباب منهم وكانهم يقولون:

لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها      ولكن أخلاق الرجال تضيق

و فى نهاية المؤتمر سافرت الى مدينة (ابسويتش) خارج لندن لزيارة ابني الدكتور نادر و اسرته. والتقيت بالزملاء الدكتور محمد حسن القدال و الدكتور محمد عثمان سراج و الدكتور كمال حسن و آخرين وكلهم يعملون اخصائيين فى الطب النفسى فى نفس المدينة و نفس المستشفى عدا التخصصات، الاخرى و قس على ذلك التعداد حصيلة الداخل مفقود و الخارج مولود ... فالى متى؟؟

أمل ان يكون الى أجل مسمى يتحققون فيه من صدق الروايات التى تترد عما يدور فى الساحة السودانية من حوارات هادفة و منتديات متشعبة بالرغبة فى التغيير الى الأفضل فى كل شئ و أول البدايات الصورة التى تم بها هذا المؤتمر فى الخرجوم.. و الغيث أوله قطر فينهمر. ولن يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم.

و أخيرا عدت الى مدينة أبوظبى لأكتب انطباعاتى عن بعض المحطات المضيئة الكثيرة فى قطار الرحلة القصيرة و الفريدة فى نوعها بكل المقاييس التى تواضعنا عليها خلال سنوات الإغتراب و أعتذر عن التقصير فى اعطاء كل ذى حق حقه فى هذه العجالة.



ومن سار على الدرب وصل وكيف تكونون يولى عليكم...

ولنا عودة باذن الله

.....

## خواجر غريب في لندن

نظمت هذه القصيدة في سبتمبر ١٩٧٠ في لندن ونشرت في معظم الصحف السودانية آنذاك عند ما سافرت في بعثة دراسية تخصصية في الطب النفسي الى جامعة لندن و عانيت الأمرين في الحصول على سكن مع خفلى آنذاك ( نادر وناظم ) وكدت أقطع دراستي عائدا لولا بعض العزاء في أبيات القصيدة.. وقد خبعت في ديوان ( قصائد من بريطانيا ) المجموعة الشعرية الكاملة المجلد الثاني ص ٢٢٠ في مكتبة الموقع

وارحل الى السودان قلبا آمنا  
أكتب عليها بئس ذكرا هنا  
ستظل أبد الدهر جرحا كما  
العود أحمد .. فليكن مستحسنا  
يا ليتني فارقتها . مستيقنا  
اخوان صدق بالقناعة والغنا  
ولينثي ان كان يقصد لندنا  
بلدا كريما آمنا .. ومطمئنا  
فالفقد أعظم حين تسكن لندنا  
وترى جهادك في جليده أرعنا  
لا يدخل الحجرات ضوء أو سنا  
ملأ الوجود نضارة لن تقتنى  
ويعيدني وجها صغيرا فاتنا  
أجواؤه عبقا فطار وندنا  
وبقيت أسأل من أكون؟ ومن أنا؟  
وبقيت في الطرقات كهلا ظاعنا  
لا راحلا عنهم ولا مستوخنا  
وقضيت أحلى أمسياتي لاعنا

ودع همومك إذ تودع لندنا  
واترك على أرض المطار بطاقة  
ان تذكرونا اذكروا أحزاننا  
كم مزة راودت نفسي قائلا :  
ويعود يثنيني الرفاق فأنثني  
وقصدت دار الأهل حيث أحبتي  
فليعلم الجيل الجديد كفاحنا  
ويبارك السودان في ساحاته  
ان لم تحسن فقد في جدرانها  
وتعيش أيام الشتاء عصبية  
في شقة مجهولة .. مهجورة  
قد كنت بالسودان عطرا فائحا  
أهفو الى دفء الحياة يضمني  
هتك الوشاح فصفقت وترنخت  
واليوم ضاعت في الزحام بطاقتي  
أكل الضياع نضارتي وبشاشتي  
أستقبل الساعات نصف مخدر  
أنفقت أجمل ذكرياتي شاكيا

وفقدت نفسي بين قوم همهم  
يتسابقون اليوم منذ شروقه  
سحقت مشاعرهم ضروب حضارة  
وتحولوا تمثال صخر صامت  
أنفقت أيامي هنا متنقلا  
أشكو سواد اللون بعض جريمتي  
يكفيك بؤسا أن تكون مهاجرا  
أم الكباثر ان تقول لصاحب الـ ..  
ستظل أبدا ضائعا ومشتردا  
فالقطة أجدر بالزعاية والرضا  
والطفل أكبر سببنا وجريمة  
فاحذر عيون الساكنين ولذ به  
إني لأعجب من حضارة أمم  
كلا .. ولم تزع الجوار لطاعن  
لا .. لن أخط هنا رجال مسافر  
لله دزك يا بلادي فاسلمي  
أتأمل النيل العظيم قصيدة  
لن أذهب الليل الطويل لينجلي  
تمشي الحياة بنا كان خطوخها  
والناس في عيش الكفاف تخالهم  
يستقبلون الضيف في خلواتهم  
ما أروع السودان دار أحبتي  
عشق التراب فشا من ذراته  
ما بارح السودان عين خياله  
ونزيفنا ما كف عن جريانه  
قد جئت كالطفل الصغير وداعته

قوت الحياة فما أذل وأذعنا  
حتى غروب الشمس حزبا خاخنا  
صارت جنونا مزمننا متمكنا  
هيهات يتطرق أو يحزك ساكنا  
أشكو ضياع النازحين المحزنا  
أشكو جفاف الشعر أجعدا داكنا  
يكفيك سخطا أن تكون ملونا  
بيت المؤجر (( إن أخفالي هنا ))  
وتضيع قطعنا لن تلاقى مسكنا  
والكلب أولى بالأمومة والهنا  
ان كان .. حينا في حماك وكائنا  
ان كان اخفاء الجريمة ممكنا  
لم تبين من أجل الطقولة مسكنا  
في السن هداة الزمان فانحنى  
حتى أبارح ذات يوم لندنا  
ما أجمل (( الخرخوم )) عند المنحنى  
تنساب في ضوء النجوم ملاحنا  
أو أرقب الصبح الجديد مؤذنا  
مقرؤة في الكف رزقا أمنا  
في نزعته الصوفي قلبا أمنا  
ويقدمون المستحيل الممكننا  
فمتى أعود إلى الديار مواجنا  
فرحا بها .. متهللا .. متيمنا  
منذ بارح السودان يوما محزنا  
وضياعنا تزداد حدته ضنى  
وأعود كالشبح الهزيل مكفنا

كالفارس المنكسور سيفه عائدًا  
سأظن أبكي غزيتي وكآبتي  
مُستوثقا من نصره ومراهنا  
أبدا وألعن كل يوم لندنا

سبتمبر ١٩٧٠م

لطاه نشرت هذه القصيدة في ديوان (قصائد من بريطانيا) في المجموعة الشعرية الكاملة المجلد الأول ص ٢١٩ الموقع

## المصيدة

فى البدء استمىح القارئ عذرا فى الأستشهاد بأراء سابقه كتبتها فى هذا السياق وفى هذه الصحيفة وفى بداية هذه السلسلة من المقالات المتفرقة حتى لا أقفز من المقدمات الى النتائج أو اتجاوز البرزخ التاريخي فى رحلتى مع الأحداث فى هذه المشاهد المكثفة فى روية واسعة لاكبر قضايا الوخن .. الحرية .. والوحدة والمصير كتبت فى عام ٢٠٠٠ وقبل انطلاق ماراثون ماشاكوس أقول ( أننا يجب ان نتجاوز خلافاتنا بارادتنا .. وقناعتنا ان الحرب حول الشمال والجنوب والغرب والشرق قد ينتهى بنا الى ان نفقد السودان كله .. والفقد ليس بالضرورة ماديا .. وجغرافيا .. وانما معنويا .. سياسيا .. وفى مقالة بعد اتفاقيات ماشاكوس سردت واقعة زيارة المسئول الكبير الذى زارنا فى مدينة أبوظبى فى المستشارية الاقتصادية وحدثنا عن اتفاقية السلام .. وتعرض فى ايجاز الى مشكلة دارفور .. وخلصت منه ان تتبنى الحكومة موقفاً موحداً تجاه مناحق النزاع المختلفة فى سلة واحدة .. قبل ان تدول .. وتخرج من السيطرة .. وحذرت من مواقف اليوم ويسؤنى ان تصدق نبؤتى فى هذا الشأن . وكتبت قبل بضعة أسابيع بعد الاحتفال باتفاقية السلام عن ثقافة السلام واكدت عن ضرورة الحيطة والحذر ونحن نسير فى ( الدهليز المظلم وتتطاير حولنا القرارات والسهام الطائشة حتى تتعثر المفاوضات وتتعلل المسيرة ...

وحتى نتخطى البرزخ التاريخى فى الصراع بين القطبين السابقين عندما نتذكر مظاهرات عمال رابطة تضامن ( فى بولندا .. بقيادة النقابى البولندى ( ( ليس فاليسيا فى وارسو .. والتي كانت بداية انهيار جدار برلين .. وكان مخططا مدروسا بعناية فائقة ودقة منقطعة النظير كانت على أكبر المتطرفين والمفكرين فى حقوق الإنسان .. عندما خالب القطب الآخر باحترام

الديمقراطية بالضغط على الحكومة لينتصر الزعيم النقابى البولندى وتسقط الحكومة ويسقط الجدار ليستلم حائزته رئيسا للدولة الجديدة . ويتعلل الاتحادى السوفيتى .. وينقرط عقد خلف دارسو .. لتسقط حكوماته واحدة بعد الأخرى كحبات اللؤلؤ فى عقد حلف الناتو وتضحك الاقدار هكذا تضيع القرارات المصيرية فى الكواليس الخلفية وينتقل الناس لقمة جبل الجليد العائم تحت أمواج البحر العميق حتى تصدم السفينة ويفرق الجميع وحتى لا يقع التنين الصينى .. المصيدة عندما جمع الطلاب يطالبون بالحرية فى الميدان الاحمر فى بكين واقامت امريكا الدنيا ولم تقعدھا مطالبة الاستجابة لمطالبهم بالاصلاح ولم يفت على الزعيم الصينى العجوز ان يذكرهم بأن لا للعبة قديمة ) وان الرهان على تغيير النظام تحت مظلة حقوق الإنسان لن تنطلى على ديناصورات الحكم الشمولى وذكروا للأب بوش حادثة انزال الجيش الى شوارع (لوس انجلس) مدينة ( الملائكة ) عندما خرج السود فى مظاهرات مناهضة للعنصرية وضرب ( رودنى كنج ) الزنجى الأسود حتى سقط تحت هراوات بعض البيض من أفراد الشرطة .

ومن غرائب الصدف ان كنت فى ذلك اليوم فى خريقى الى سان فراسيسكو فى ولاية كاليفورنيا قادماً من لندن حيث حضرت محاضرة للشيخ الدكتور الترابى فى (قاعة فى الكلية الملكية للأدب والفنون ) فى لندن تنبأ فيها بانتهاء امريكا من الداخل تحت جحافل المستضعفين .. وانتهت العاصفة السياسية شأنها شأن الكوارث الطبيعية والعواصف التى تعيشها كاليفورنيا كل عام .. واجتازت الصين محنة الاختبار وخرجت من المصيدة التى وقع فيها الكبار والصغار . خاصة فى العالم الثالث والذى لا يقرأ ولا يتعلم من التاريخ .

وكان أكبر هؤلاء الرئيس العراقي والذي ظل فى الحكم حتى ايامة الأخيرة وهو يلفظ انفاصة الاخيرة فى الحكم فى داخل المصيدة ليعلن للعالم أجمع فى التلفاز انه لا يملك أسلحة دمار شامل بعد ان بلغ السيل الزبى وبلغت الروح الحلقوم .. ومازال يعارض ( التفتيش ) ويضع له الشروط ) .. والفك المفترس يحكم قبضته على أخراف البلاد بعد أن تجاوزته الاحداث وأصبح الغزو واقعا لا محالة .

لقد قال الشاعر المتنبى:

ومن نكد الدنيا على المرء ان يرى عدوا له ما من صداقته بد

فإذا جاز هذا الرأى على خريطة العالم .. فى جغرافيا العولمة الحديثة فنحن لسنا خارج الكرة الأرضية ومنذ ان دخل بوش الى افغانستان واعلن ميلاد النظام العالمى الجديد .. والحبل على الجرار .. كل الذين راهنوا على السياحة ضد التيار اما غرقوا فى بحار الدماء .. أو حملوا سيوفهم مع على وقلوبهم مع معاوية .. وضرب زلزال النظام العالمى الجديد على المنطقة ... ولما كانت القرارات تطبخ فى مراكز الدراسات الدولية المتخصصة فى شؤون كل منطقة كانت الخطط تخرج فى خبق من ذهب فى المائدة المستديرة فى مجلس الأمن الذى أصبح أكبر أدوات الأرهاب .. ولما عرف ان الشعوب تضع الصنم .. فى العالم الثالث وان الحكومات تسلب ارادة الشعوب .. يمم وجهه شطر بغداد .. وبدأ مسلسل القرارات أحادية الجانب .. وأنطلقت المعايير المذدوجة تحت مظلة الشرعية الدولية المغضوب عليها .. والمنقوصة المصدقية .. والموبوءة بالطاعون .

عود على بدء .. لقد قال الرئيس الامريكى فى الأسابيع الأخيرة ان العراق سيكون نموذجا من ايران الى بيروت .. ولم يذكر سوريا وحتى لا يفسد خطى الانسحاب الجارى على قدم وساق .. ويتأهب الطهارة فى برلمان العالم الحديد ( الكونجرس الامريكى ) لاحياء قرار معاقبة أو محاسبة

سوريا والتي تعاملت مع هذه المصيدة بقدر من سعة الأفق وفن الدبلوماسية شل حركة القرار فى كل الاتجاهات .. ولم يذكر السودان .. لان القرار الاخير كان يدور فى كواليس مراكز البحوث الاستراتيجية .. وفرز النقائض فى محكمة لاهى .. والامم المتحدة .. ومجلس الأمن .. والاتحاد الاروبى .. كيف تتجمع كل هذه الاضداد فى بقعة نائية فى خريطة منسية فى قلب افريقيا تسمى (دارفور) ولكنه حدث .. ولاننا فى زمن العجائب .. فيجب ان نفتح عيوننا فى الظلام .. قبل الضوء .. ونرهب أذاننا فى صمت .. قبل الضوضاء حتى نستطيع الحركة فى كل الاتجاهات .

لقد كان جميلاً ان يتحرك الراى العام السودانى .. وعهدى بالسودانيين جمعهم أنهم لا يحتاجون الى محرض ساعة الحارة .. فى الدفاع عن الوجود .. خاصة ضد الغريب .. ولو كان من الجار الصديق او العدو البعيد .. وقد تكون تنشئتنا على مقولة ( أنا وأخوى على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب ) قد أتت ثمارها فى كل الازمات .. ولكن يجب ان نمارس قدراً اكبر فى ضبط النفس فى المستوى القيادى بعقلانية مفرخة فى كبح جماح الانحدار خلف حملة الاستفزاز والتشهير التى تضعف قوة العقل مثقال ذرة فى كفة الترجيح كافية لانفلات ميزان الأمور .. على أعلى المستويات .

لا أحد عاقل فى الدنيا يرفض مبدأ محاكمة المتهم .. والذى هو برئ حتى تثبت أدانته ولا أحد يقبل الدفاع عن مرتكبى جريمة مهما كان لون وخمعة وحجم الجريمة و هذه مبادئ حتى وأن كانت قولته حق يراد بها باخل ولكن الشيطان فى التفاصيل .. أنها مصيدة القرار رقم ١٥٩٣ .. قد دفعنا فيها جميعا وحتى لا ندفع الثمن مقدما والشروط قاسية تطال الجميع علينا ان نبطل مفعول هذه العبوة المتفجرة بقبول المبادئ فى البداية عملاً بقناعة ( من غير الطبيعى أن تكون خبيعى فى ظروف غير خبيعية ) وندور معهم فى فلك ا وأروقة المؤتمرات .. وسنجد ان هذا القرار يحمل فى



خزياته عناصر وفاته .. لانه بنى عن باخل وما بنى على باخل أساسه الزوال .. بالحكمة والموعظة  
الحسنة لا بالانفعال .

وأخيرا .. ليت قدرتنا على الاجتماع والاجماع حول قضايا الوطن ازاء التهديدات الخارجية  
تقابلها قدرة مماثلة فى الأتحاد والتوحد حول مصير الوطن إزاء الانقسامات الداخلية التى ظلت  
تعصف بمستقبله منذ فجر الاستقلال .

ولنا عودة باذن الله .

.....

## مرثية الامم المتحدة

نظمت هذه القصيدة فى أكتوبر ١٩٦٨ ونشرت فى جريدة (الصحافة السودانية) بعد فشل الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى إجازة مشروع الدول غير المنحازة و الذى قدمته لحل مشكلة الشرق الأوسط و اعادت المشروع الى مجلس الأمن للمرة الثانية فسادت موجة من خيبة الأمل كل الدول العربية والشعوب المحبة للسلام. وقد نشرت القصيدة فى ديوان ( الضياء و الحريق ) فى المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الأول - ص ١٢٦ م فى مكتبة الموقع.

ويح القضية من عبث الاجاويد  
وقت الشدائد عند البيض والسود  
بعد التواخؤ فى حملات تجميد  
كانت نهاية امجاد وتخليد  
ملء المسامع فى عنف وتنديد  
صعب المراس باصرار وتشديد  
عن نصره الحق .. من ضغط وتهديد  
غير التراجع عن حر التقاليد  
يتطلعون الى سند وتأييد  
كشف العصابة من عبد ومعبود  
أضحى يعيش على الصداقات والجود  
ضاع الجهاد واخفق كل مجهود  
بتحالف الحكم بالاقطاع مسنود  
قدر الضمير حقير النفس عرييد  
دفع الكسيح فهل يأتى بتجديد  
نفس التواخؤ فى صك المواعيد

يا ثورة الحقد فى اعماقنا زيدي  
فى مجلس الامن أضحى غير مؤتمن  
فقد المهابة وانكشفت حقيقته  
واستنفذ الصبر فى أعقاب مهزلة  
ما زلت احمد للسوفيت موقفهم  
حملوا القضايا فى ايمان مقتدر  
فى هيئة الامم الخرساء عاجزة  
مغلولة اليد لا تقوى على عمل  
صماء .. بكماء تنطق حين سادتها  
يتطلعون الى الدولار فى نهم  
ماذا نؤمل فى اشلاء مجتمع  
ماذا نؤمل ؟ ماذا نرتجي عـبثا  
من ضالع فى ركاب الغرب مرتبط  
او خائن لقضايا الشعب مرتزق  
عدنا الى (المجلس) المشلول ندفعه  
نفس المؤامرة السوداء محكمة

يا قادة العرب الاحرار قد وضحت  
الغرب اصبح منقادا لساداته  
الاجماعه دييجول التي خاضت  
فطنت الى خطة الاعداء فاختصرت  
لا تركن الى الاعداء انهـموا  
واذا تعذر ضخ النفط في بلد  
ان القضية قد برزت معالمها  
حرب الابداء اجيال مصممة  
ضموا الصفوف اذا اتحدت مشاعركم  
صفوا القواعد في الاقطار قاخبة  
فالجيش أصبح رايات موحدة  
والشعب أصبح ملتفا بوحدته  
واستنفروا الشعب كي يحمي مواقعه  
واستمطروا جهات الامن غريبة  
حتى نظهرها من كل مرتجف  
واستلهموا الحرب اسلوبا ومعركة  
حرب المقاخعة الشهواء في بلد  
واستخدموا النفط يا عمال واتحدوا

رؤيا النضال لمن يسعى لتأكيد  
مرتزقة البيض أم مرتزقة السود  
(حرب السويس) بماضى غير محمود  
خول المسير بدرج غير مسدود  
يتكابدون على البترول كالدود  
حفروا الجماجم فيها الف اخدود  
حرب المصير بلا قيد وتحديد  
للانسحاب تقاوم كل تشريد  
وتلاحم الشعب فى سند وتأييد  
نحو التحرر من ظلم وتقييد  
نحو المسيرة في دمج وتوحيد  
فى كل منعطف وحدات تجنيد  
عند اللقاء.. دفاعا غير مردود  
جبارة الصنع تصعق كل نمرد  
مستتر في صفوف الشعب رعديد  
للالتمام نضالا غير محدود  
صلب الارادة صلب النفس والعود  
فالنفط في يدكم برميل بارود

.....

## رجع الصدى

دمعة حزينة على الجذوة التي لن تنطفئ في قبر الشهيد (محمد الدرة) الصدى القادم من أعماق الدهليز الفلسطيني...

آه .. من رجع الصدى

أواه من صوت الهزيمة حين تجتاح المدى

أواه من وجع الجريح إذا أرتمى متنهدا

أواه من ألم حسبته قد تبدد فأبتدا

وانداح في بحر القصيدة ثائرا متمردا

وجع الصبايا في فلسطين التي عشقت جراحها سرمدا

أخوات "مايا" يوم ولدت فجر تشرين الذي بدأ النضال مجددا

أخوان "خالد" جاء يكتب للنهاية موعدا

أخوان كل صغيرة نزفت على سيف الحواجز ممطرا أو مرعدا

أخوات كل مجاهد قد عبر من خط التماس عشية فاستشهدا

صوت الرياح تهز جذع الشجرة المغرور سيفا مغمدا

في عمق خاصرة العدا

بوابية المتسللين كتيبة تمضي إلى ساح الفدا

رفعت بيارق خضبتها بالدماء .. وبالدموع .. وبالندى

فافتح ذراعك يا ردى

واحضن صفوف القادمين إليك .. قد لبوا النداء

فتطهروا .. وتطيبوا .. وتعانقوا .. وتعاهدوا

أن يغسلوا عار الهزيمة ركعاً أو سجداً

من كل شبر في الخريطة يفتدى

أواه .. يا رجع الصدى

هذا زمان الصمت ينطبق بالحجارة صارماً ومهندماً

بالناسف الملتف حول الخصر يشعل ناره متوقداً

بعبوة رسمت على جسد الشهيد شهادة وشواهداً

تختصر خارخمة الطريق الى المقابر مرقداً

لتقول للدنيا ... كفى ..

للعالم المحبوس في كل الزوايا .. خائفاً .. متردداً

أو صامتاً مستبعداً

رهن القوى الكبرى .. وهيمنة الصراع على حوار المنتدى

زمن السباق .. عقيدة في الإستباق على الحروب بلا هدى

هذا زمانك يا ردى  
فاحمل رفات مقاتل يأتي إليك مجاهدا  
قد خرج من قلب الخيام إلى مواجهة الرصاص .. مكبرا .. ومزغردا  
يستنهض الموتى كعاصفة تولول حين أرغى ... وأزبدا  
يقتحم السنة الحرائق ..  
يعتلي ظهر المجنزرة التي قصفت دخانا أسودا  
يجتاح كل سواتر التقطيع كي يستشرف المجهول يبصر خلف غيمته غدا  
مستبشرا يصطف خلف نعوش إخوته يعاهدهم يعيد المشهدا  
ينطلق خلف جنازة المستشهدين مودعا .. متوعدا  
شтан ما بين الذي عشق الحياة  
وبين من عشق الشهادة مقصدا  
سيان عنده من تخلف أو تحالف .. أو تناصف صفقة  
أومد للموت يدا  
ظن الوعود مطية للوعد .. تنجز موعدا  
قد نبش أوراق القضية فوق خاولة السلام بدون وعي أو هدى  
هذا زمانك يا رياح الموت فانطلقى على خول المدى

من كان خرا في خطاه اليوم صار مقيدا  
من كان يحترف الحديث وكان صوتا مرعدا  
قد غرق في صمت القبور يعوزه رجع الصدى أو خائرا عشق الغناء مغردا أو منشدا  
أواه من رجع الصدى ..  
سيعود من بعد النهاية سوّدا  
سيعود قطعاً سيّدا  
لا خائفا .. مترددا  
لا خائعا .. مستعبدا  
فالمجد للمستضعفين عبادة وتهجدا  
أواه .. يا رجع الصدى ..  
أواه .. من رجع الصدى ..

.....

## الإبداع .. أيام زمان

إن لم تكذبني الذاكرة فقد صدر قرارفى يونيو ١٩٦٦ م من وزارة الإعلام بدمج لجنتي "نصوص الأغاني" و "لجنة الألحان" في لجنة واحدة تسمى لجنة النصوص والألحان بالإذاعة والتلفزيون .. كانت لجنة النصوص تضم الأساتذة الكبار ابراهيم العبادى وعمر البنا ومحمد المهدي المجذوب وحسن نجيلة وشخصى وتضم لجنة الألحان الموسيقار اسماعيل عبد المعين وأحمد مرجان وبرعى محمد دفع الله والعاقب محمد حسن وآخرين.

وكان هذا القرار عقب ضجة صحيفية كبرى أثارها قرار لجنة النصوص بوقف بث أغنية الفنان الراحل صالح الضى "يا جميل يا حلو" والتي أذيعت دون موافقة لجنة النصوص .. والتي تحفظت على بعض كلمات الأغنية وخلبت تغييرها. وفى جلسة استثنائية مع المطرب دافع بأن هذه الأغنية استمع إليها الجمهور ولاقت رواجاً منقطع النظير وكتب عنها النقاد فى الصحافة فكيف ترفض ..؟؟ وتجدد الإشارة إلى أنه فى ذلك الزمان كان يحظر على أى فنان ان يقدم من مايكرفون الإذاعة أو التلفزيون أو حفل عام أى نص غنائى لم تتم إجازته من لجنة النصوص .. كنص شعرى .. ومن لجنة الألحان .. كأداء فني وأن لا يتقدم أى فنان بألحان أو أغنيات من أعماله أو الآخرين قبل اجازته كصوت من لجنة "الأصوات الجديدة". ولعل هذا ما جعل كثير من المبدعين تنضج ثمارهم وتجنى قطافهم فى المحميات الفنية خارج دور البث الإعلامى قبل أن يصعدوا الى المايكرفون بترخيص رسمى وعليك أن تقيس كم عدد الأصوات التى تغنى اليوم وتغرد خارج السرب.



عود على بدء .. بعد تكوين اللجنة الجديدة بكامل عضويتها والتي كانت تستمع الى العمل الفنى فى نهاية حالة اكتماله وفى صورته النهائية ووجدت فى بعض الفنانين من يرفض الوقوف أمام اللجنة للحكم على "الحن" .. ويعتبره تقليلا من شأنه .. وعلق الأستاذ حسن نجيلة: "نحتاج إلى يافظه أمام الباب يكتب عليها إرضاء الناس غاية لا تدرك" .. وعليك أن تقيس كم عدد الذين يقدمون أغانيهم على الهواء مباشرة بعبارة "الجديد من المفاجآت" .. وكان الوصول إلى مايكرفون الإذاعة حلما يراود أخيلة المبدعين .. فى شتى صنوف الفنون رغم شح العدد .. كما .. وكيفا آنذاك ..

أذكر أن صديقي وقريبي الفنان المتميز (على النحو) .. بعد حضوره من شندى كان "فنان العائلة" .. ويشهد له الجميع بقوة الصوت وحلاوة الأداء وعضوبة التطريب وكنت عضوا فى اللجنة وتربطني علاقات شخصية متميزة بالموسيقار الراحل برعى محمد دفع الله أقول رغم هذا لم يكن مشواره الفنى سهلا فى اجتياز اختبار الأصوات الجديدة .. وظل فترة يغني خارج دائرة الضوء حتى دخل الإذاعة من اوسع أبوابها .. وتشاهد الآن كيف أصبح أحد ملوك الطرب على امتداد خريطة الفن السوداني.

واذكر أن الفنان المبدع والنغم الفريد الطيب عبدالله كان قد جاء من شندى مع فرقة الشمالية حيث كان يعمل معلّم فى المعهد .. وأذهل الجمهور بالعاصمة وتركهم فى حالة اندهاش واعجاب .. وظل له موقعه وفى مرة خلّبت من الأستاذ الصحفى شريف خميل أن أكتب فى جريدة "الثورة" فى الصفحة الفنية وكتبت مقالا خويلا عن الطيب عبدالله وناشدت وزير الإعلام الراحل خلّعت فريد أن يستدعيه ويوفر له فرصة الالتحاق بالإذاعة .. ولم يكن تربطني بالفنان الطيب عبدالله معرفة شخصية الا من خلال حلاوة صوته وروعة أدائه ورقة خيجه وصفاء حنجرته

الذهبية حتى إذا ما جاء إلى الخرخوم كأن من أقرب الناس إلى النفس صديقا .. ومطربا .. وفردا من الأسرة الكبيرة فى السراء .. والضراء .. وقد كان أكبر من خمموح الفن قريبا ونائيا حتى كتابة هذه السطور .. ولعل من أقسى كوامن (الشجن القديم) فى نفسى خروج الطيب عبد الله من السودان ووجوده بالخارج حتى اليوم

أذكر أننى كنت أتحدث مرة مع الأديب الراحل المقيم عمر حاج موسى .. وقد كان موسوعة فى الآداب والفنون وكان قائد سلاح الإشارة ويصدر (مجلة الإشارة) مع نخبة من أقلام متميزة ومنتقاة من العسكريين الأدباء والشعراء .. وكنت أشاركهم الكتابه فيها .. تكلمنا عن الشاعر الحلنقى .. وقد كان يرسل قصائده الى مجلة "هنا أم درمان" التى يرأس هيئة تحريرها الفنان المبدع الراحل المقيم محمد الحويج .. وكلفني مرة بالإشراف على الصفحة الفنية فى الستينات. وكتبت ردا على قصيدة للشاعر الحلنقى أقول: لو قدر للحلنقى أن يدخل الخرخوم فسوف يغزوا الوسط الفنى .. ويحتل الإذاعة والتلفزيون دون إراقة قطرة دم .. من قاموس الفكر الإنقلابى الذى كان يسيطر على الشباب .. حيث كانت كل الانقلابات تدخل من بوابة الإذاعة والتلفزيون قبل إذاعة البيان رقم واحد. وقد دخل الحلنقى الخرخوم وسيطر على القلب النابض فى جسد الحركة الفنية وضخ الدم فى عروق كثير من الفنانين بعفوية .. ومصداقية .. وحنية ما زالت تتدفق مثل قطرات الندى على زهرات الصباح .. ومازال مثمرا كشجرة العطاء.

عود على بدء...فى إحدى أمسيات العمر .. ونحن نحتفل بقران ابنى الأكبر ( الدكتور نادر) فى فندق هيلتون الخرخوم .. كان نجم الحفل الأول كالعادة .. صديق العمر .. المطرب الأسطورة عثمان حسين .. وهو الفأل الحسن الذى لا تكتمل فرحة إلا به .. ولا تفتتح جلسة إلا بوجوده .. يشاركه أحد فنانى الشباب .. تواصل أجيال .. وكان الثانى يغنى أغنية "يا زهرة

الروض الظليل" وأغانى أخرى .. من الحقيقية .. ذلك المعين الذى لا ينضب .. والمدرسة التى لا يمل منهاجها كل المتدربين فى الساحة الفنية .. والمتعطشين إلى ترويض الحاسة الفنية للجماهير .. وفوجئت به فى صخب الإيقاع الشديد يناجى محبوبته "أنا فى الثريا .. وأنت فى الثرى" .. ومثلما ضاعت جغرافيا المكان بين الأرض والسماء تاه الفنان فى أرجوحة الزمن الموسيقى .. وعندما انتهت الوصلة الغنائية جلست الى جانبه مشجعا .. ومهنئا .. ومجددا الترحيب به قلت له: "من كان منكم فى الأرض ومن كان منكم فى السماء" .. فقال: "يا عمى الجمهور ما جايب خبر ونحن نخفى خلف هذه الآلات الموسيقية" .. فقلت فى نفسى: "حليل أيام زمان " ورحم الله أعضاء لجنة النصوص وأنزل عليهم شباب رحمة فى قبورهم المظلمة فى تلك الليلة المقمرة.

عود على بدء ... أرجو ألا يخطر على بال القارئ أننى أزرع اليأس فى نفوس الشباب. أو أتندر عليهم أو أمارس الرثاء الذاتى فى قلب المآثم .. ولكنه جزء من التاريخ .. والتاريخ المعاصر .. ورسالة الأحياء من الجيل الماضى التواصل مع الجيل الحاضر .. لا أحد يملك أن يقف فى وجه تيار الجديد والا اكتسح ودمر بنيانه الفكرى ولكننا نأخذ من دروس الماضى عبرة لاثراء منهاج الحاضر .. نعرف أن الحرص على الإبداع .. لا يكون الا بتوفير شروط الإبداع .. ولهذه معطيات لابد أن نسعى لنؤصلها من خلال النموذج والقدوة ولهذا ظلت الحقيقة ينبوعا ثرا تنهل منه كل الأجيال ولم يجف .. لماذا ظل الجيل المعاصر .. مصدر إلهام .. وشعلة ظلام للسائرين فى ليالى الحاضر المخنوق بلهات المنافسة .. والمتوجع من سرعة ايقاع العصر .. ولا مجال للبحث والتنقيب .. أو الإجابة والتجويد أو الصبر على المكاره .. حتى تتضح ثمرة الإبداع .. ولذلك يذهب الزيد هباء ويبقى ما ينفع الناس.

وعندما نقول أيام زمان ليس خصما على الآن .. لا فى الزمان ولا فى المكان ولكن خوفا من  
النسيان .. ومن نسى ماضيه تاه والذكرى تنفع المؤمنين قال تعالى: " وذكر إنما أنت مذكر  
لست عليهم بمسيطر". صدق الله العظيم.

ولنا عودة بإذن الله...

.....

## محطة اركويت

منذ أكثر من نصف قرن من الزمان كانت جدتى خبيب الله تراها وعطر ماثواها تأخذنا الى مدينة (سنگات) فى شرق السودان فى رحلات سنوية لزيارة (الشريفة السيدة مريم الميرغنية) وكنا نسعد بذلك وكانت تشقى خوال العام للتحضير لهذه الزيارة والتي تعتبرها نوعا من العيادة فى رحلة الايمان وهى ( ختمية المذهب ) لوصح التعبير حتى النخاع وكنا نقضى بضعة أسابيع فى حضرة الشريفة يأخذنا فيها احد سائقى شاحنات الدائرة فى رحلة الى المناخق المجاورة مثل جبال أركويت لجلب ( المساويك ) للسواك للصلاه ومشاهدة ميناء سواكن القديم المهجور والذي شاهدنا عماراته المتهدمه تأوى القطط التي تهرب من شر البشر الى قاع البحر ويقول عنها (شياخين) نقلت عدواها الى قطط بورتسودان التي شاع عنها الحديث للانسان وكما حفرت هذه المواقف فى ذاكرتى ... وكبرت وبدأت محاولاتي الشعرية كتبت قصيدة ( حولية ) فى ديوان ( الضياء والحريق ) - وظلت سواكن واركويت من ذكريات الطفولة البريئة التي اجترها فى بداية الكهولة الجريئة الحبلى بالتجارب .

وعندما كبرت وتزوجت منحتنى ادارة السكة حديد تذاكر الدرجة الاولى بعض ميزات (الاسكيل) الوظيفى لذلك الجيل بالاصالة أو الانابة لقضاء شهر العسل فى مصيف اركويت وقد بدأت الدعاية لقضاء شهر العسل بشروط مغرية وكانت بداية فترة السياحة المحلية حيث كانت ادارة المرخبات تقوم بالحجز وصرف التذاكر وكانت (صالونات النوم) اكثر رفاهية من خائرات اليوم وكانت وسائل التجهيز والضيافة والاستقبال أكثر شفافية من وكالات السياحة اليوم .. وقضينا شهرا عسلا مع صفوة من كبار المسئولين فى تشجيع السائحين ..وبدأ موسم السياحة

وتكررت الزيارات الموسمية وكان آخرها ملاقة الرئيس السابق جعفر محمد نميرى بصحبة الرئيس بوكاسارئيس افريقيا الوسطى بترتيب الصديق السكرتير الخاص - الرائد آنذاك منير حمد سراج بدون توقيت سابق وقد عاصرت احداث هامة فى تلك الزيارة كتبت عنها ( رحلتى مع الطب النفسى). مع لقطة تذكارية للقاء

وعندما كنت فى بريطانيا وتركت خلبى فى توزيع اراضى الدرجة الأولى .. والتى أصحت فيما بعد اراضى المغتربين .. وسمت الرياض حاليا عرفت من أخى وصديقى اللواء م هاشم عثمان عبد الرحمن ان اسمى ظهر فى قائمة المستحقين فى السبعينات .. وكانت فترة دامية فى تاريخ السودان المعاصر وكل شئ معلق بين الارض والسماء .. واقدار الناس فى يد عفريت .. وقلت لنفسى( ازهد فيما عند الناس يحبك الناس واسال ما عند الله يعطيك الله ..) وكان لابد من الحضور .. فى زمن كان الذهاب فيه الى لندن أشبه بالصعود الى القمر .. والداخل مفقود والخارج مولود .

وعندما عدت من أبوظبى ..لابحث عن الكنز الضائع عرفت ان قطعة الأرض ابتلعتها الرمال المتحركة فى فساد صحراء النظام الحاكم ..والتقيت بالأخ الصديق مجذوب خلحة من رفقاء الدرب .. وزملاء الدراسة فى حنتوب وجامعة الخرطوم .. ومن أعمدة التنظير لعبقريات الدكتور جعفر محمد بخيت مفكر الحكم المحلى فأخذنى الى صديق الطرفين الراحل المقيم على الطيب العرش (ود أبوفروع) مدير مكتب الرائد ابو القاسم محمد ابراهيم محافظ مديرية الخرطوم .. صاحب القرار .. وكاتم الأسرار .. الذى لا يعصى له أمر .. ورغم أننى لصيق الصلة بأسرة الهاشماب كتابا وشعراء .. ومطربين .. الا ان ابو القاسم فى ذلك الوقت كان مدفعا رشاشا .. وجهازا خواشا .. ورمزا بطاشا فى مكتبة وبعد تناول وجبة الغداء ومقاومة الوسطاء .. خلبت من صديقى ان يكفينى ذل السؤال

وقهر الرجال .. بأن أشتري قطعة أرض فى اى مكان فى الخرطوم الواسعة بالعملة الصعبة وكانت الاسترليني قبل ان تحل به لعنة الفراغنة .

وذهبنا الى مكتب اراضى المغتربين .. وتعرفنا فى الخريطة على نفاذ حصة الرياض...الا ما تبقى على الشريط الحدودى .. بين أركويت القديمة وكنت فى ذلك الوقت انزل ضيفا فى فندق صحارى رغم تخمة الخرطوم بالأهل والمعارف لان زوار الليل والتفتيش كانت تطرق الأبواب تسأل عن الذهاب والإياب والدخول والخروج للدولة وأثرت ان أوفر على أحبتي هلع الليل وفرع النهار .

اشترت قطعة الارض رغم اعتراض الاصدقاء الذين غلبوا الصبر على الابتلاء ولكن حتى الأخ الصديق المقاول حمزة ابو العلا .. تململ فى قبول التعاقد للبناء فى هذا الموقع المهجور بلا ماء ولا كهرباء واشترط وجود ماء وغرفة حارس لتوقيع العقد .. فذهبت الى الإدارة المركزية حيث أصدقائى علاء الدين حمزة .. وحمزة سعيد والسنى الضوى .. ووجدنا خريطة المياة ملقاة فى ركن قصى تشكو الاهمال .. فنقبتنا فيها واكتشفنا انبوب ماء يمر امام القطعة السكنية وليته كان انبوب بتزول .. لدخلنا معركة قسمة السلطة والثروة منذ وقت مبكر .. ولكن يكفى وجد المقاول، الماء والحارس وتم توقيع العقد ..

وبعد ١٩٧٦ بدأنا معركة دخول الكهرباء فقد كان يسكن (فى محطة البلابل) الصديق الكاتب مصطفى أمين مدير وكالة سونا يسكن محطة البلابل وممثل سكان اركويت فطلب منى الذهاب لمقابلة رئيس الجمهورية فى القصر الجمهورى ممثلا عن المغتربين لنطرح مشكلة الكهرباء فالتقينا بالمستشار الصحفى محمد محجوب والذى كنت اعرفه منذ بداية عملى فى (عيادة بعشر) حيث كان يعمل مستشارا فى مصحة كوبر التابعة لوزارة الداخلية .. فوعدنا بان يتكلم الرئيس فى اللقاء الشهرى المرتقب عن حل المشكلة ويبدو ان قضايا تلك

الرحلة كانت أكبر من كهرباء اركويت فعدنا الى بحث البدائل. اكتب البيت (شعبية) وسط سكان اركويت حيث كانوا يستدلون به على مسار انابيب المياه .. ويكتبون فى خلباتهم تحديد مواقع سكانهم خلف أو امام ( بيت الدكتور ) وكان مصطفى أمين يسكن فى مدخل اركويت ويؤكد لى انه لا يوجد ما يعلق على حاجب الطابقين على مدى الأرض اليباب .

عدت شخصيا لاقود معركة دخول الكهرباء وذهبت لاجد فى الادارة المركزية صديق مدينتي .. وزميل دراستى المهندس حسن بشير سراج مديرا للادارة المركزية والقسم التجارى الذى افتتح لبيع الكهرباء وشراء الأعمدة وتجاوز خابور الطلبات وكانت هذه بداية الانفتاح وملاح الانبطاح .. فطلب منى مقابلة العمال الذين تعبوا من الهرولة بين الادارة واركويت يحملون مواقع خلف وامام بيت الدكتور ليساعدوا الدكتور حيا وعلى الطبيعة لا احد ( أشباح المدينة) وكان هذا عنوان ديوانى اللاحق ؟ وعدنى العمال توصيل الكهرباء قبل عودتى الى أبوظبى .. وتشاء الصدف ان يكون يوم التوصيل صباح (المسيرة المليونية) التى جابت الخرجوم احتفاء بالشرعية الاسلامية فجاء العمال وخوقت الاعمدة كل المربع تنتهى بواحد يتيم امام الباب ما زال واقفا يجتر ذكرياته كالمعزة فى ظل القيلولة ويقف شاهد صدق على ظلم الإنسان لأخية الإنسان. وعندما اكتملت مواسم الفرح بوصول الماء والكهرباء رفعت يافطة ( مجمع اركويت الطبى ) أحلام العودة بعد أن دخل ابنى الأكبر كلية الطب جامعة الخرجوم عام ١٩٨٣م وعندما علمت ان المحافظه سوف يأخذ نصف الدخل .. الى جانب خلبات اشبه بالمعجزات قررت العودة الى ابوظبى ..

وبقى البيت فى اركويت كالعش الصغير فى الشجرة الكبير التى تأوى الطيور المهاجرة كل موسم لتتلاقى مع الأهل والأقارب وتقيم أفراحا تبحث لها عن عناوين فى شتى المسميات من أجل أن تفرح .. وظل البيت شاغرا بلا مؤجر لان رابطة قدامى المغتربين فى ابوظبى كانوا يرفعون شعار تقعد سنتين وتبنى بيتين واحد للسكن والتانى للاعاشة .. ونعمل قرشين للمستقبل ..



ونعود وأغلبهم بعد السنتين بنى البيتين فلا سكن فيه ولا عاش منه وحوش القرشين فلا شفعت  
ولا نفعت .. وجاء المستقبل وفات وما زالوا مغتربين ...

وبقيت محطة أركويت ان ابدأ خفولتى سائحا فى جبال اركويت لأختم كهولتى متقاعدا  
فى (محطة اركويت) ولكل أجل كتاب .. ولكل سؤال جواب .. لكل الاصحاب والمتسائلين  
ماذا يعجبك فى اركويت ؟ فبعد ان كان البيت كمنار سنجانيب فى وسط البحر الأحمر .. أصبح  
مجرد تحفة أثرية فى قلب مدينة عصرية شاهقة البنيان .. ارستقراخية السكان فى الزمان  
والمكان .. تحمل اسماء المعمورة والطائف وأجمل مدن الخليج العربى وأهم من هذا رحل اليها أكثر  
الأصدقاء .. واقرب الزملاء من ارقى المستويات .. ولعلمهم يعلمون ماذا يعجبني فى اركويت

ولنا عودة بإذن الله

.....

## خريق العودة

لقد التقيت آخر مرة بالكاتب الروائي السوداني المرموق الصديق الاستاذ الطيب صالح فى شيراتون صنعاء .. عندما كنت أشارك فى فعاليات المؤتمر الرابع لاتحاد الاخباء النفسانيين العرب المنعقد فى الشقيقة اليمن- صنعاء فى ديسمبر ١٩٨٩. وكان يتوج باقة اللقاء بعض الأسماء اللامعة أمثال الأخ الحميم والصديق القديم الشاعر المتفرد والدبلوماسى المتمرد سيد احمد الجردلو .. واستاذى الجليل .. البروفسير علي فضل المدير السابق والعميد الأسبق لكلية الطب بجامعة الخريخوم و الأستاذ بجامعة صنعاء .. والأديب والشاعر المبدع الدكتو ر عبد العزيز المقالح مدير جامعة صنعاء من اليمن الشقيق.

وكانت أنخول جلسة وفاء مع أخوان الصفاء .. مزيجا من الأدب والسياسة .. وهل يعقل ان يلتقى سودانى ويمنى فى أى بقعة من بقاع العالم دون الحديث فى السياسة .. والأدب .. أو هكذا قال لى رئيس المؤتمر من الدولة المضيضة الدكتور عبد المجيد الخوليدي استاذ الطب النفسى بجامعة صنعاء: إن المثقف بلا سياسة مبتور .. والسياسى بلا ثقافة موتور. وعليك ان تختار بين الأثنين. وقد سبقت لنا لقاءات مع الأديب الروائى الطيب صالح فى قطر عندما كان يؤخر للثقافة فى "مجلة الدوحة" مع البروفسير محمد ابراهيم الشوش .. وقبلها فى لندن مع الفنان الأستاذ ابراهيم الصلحى داخل السفارة السودانية فى السبعينات.

وقد شاهدته آخر مرة فى الأسابيع الأخيرة فى برنامج تلفزيونى فى قناة النيل الأزرق التى تحاول جاهدة إعادة التوازن فى ميزان الإعلام السودانى فى شهرتين متباعدتين وحول موضوع

واحد .. يختلف فى مداراته .. ويتعدد فى مساراته و لكنه يصب فى بؤرة اهتمام مقدم البرنامج حول.. متى العودة ؟ .. والطيب صالح .. له صوت مريح .. ونبرة هادئة .. تناسب فى حاسة السمع همسة .. بعد همسة .. غير هادرة ولا نافرة .. ووتيرة ليست متهدجة ولا متشددة تتوالى قطرة فى اثرقطرة. و قد خرج السؤال حول الهجرة من خلال الحديث عن رواية (موسم الهجرة الى الشمال) والمعنى المجازى.. متى تعود الطيور الى الجنوب بعد هجرتها الى الشمال وماذا أعطتك الغربية وماذا أخذت منك ؟ وأخيرا .. متى تعود ..؟

لقد استمعت الى مضمون الحوار فى حلقتين لا تفصل بينهما الا المساحة الزمنية التى تجعلك تتأمل رجع اللقاء الأول من خلال رنين اللقاء الثانى .. وهذا ما جعلنى اتسمر فى مقعدى خوال الحلقة .. وأجتر ذكرياتى معه فى لقاء شيراتون صنعاء .. ومدخلات الشاعر الحردلو .. والبروفسير على فضل والدكتور عبد العزيز المقالح وكلهم عاش تجربة الإغتراب بدوافع شتى .. وقد تبدو مختلفة ان لم تكن متناقضة .. ولم يعد أحد منهم نهائيا الى الوطن بدافع واحد يجمع ما بين السبب و النتيجة و حتى الذى عاد ظل مغتربا فى الداخل .. ولماذا عاد البعض وبقى الآخر؟ ربما الأصل ان نقول ان احدا لم يغادر وخنه روحيا ونفسيا وان تركه ماديا وجسديا لأن قاموس الغربية والإغتراب ملئ بالتعريفات .. وسيكلوجية الإغتراب حافلة بالمعانى والدلالات وقد كتبت حول هذا الموضوع فى كتاب "أضواء على النفس البشرية"، الفصل الأول: قضايا الأغتراب - دار الثقافة بيروت عام ١٩٨٧ ص- ١٥ ، حتى لا يطول حديثي فى هذه العجالة .. وحتى أوثق لما اقله فيها منذ أن غادرت السودان متسائلا كما يقول الشاعر:

أم هل عرفت الدار بعد توهم

هل غادر الشعراء من متردم

فالذين ظلوا على صلة بالداخل ولم يتوهموا الجنة فى الخارج .. فهم الراحلون وهم هنا والعائدون وهم هناك. يقينى أن الروائى الرائع الاستاذ الطيب صالح فى الحلقة الأولى .. كان مسترخيا .. و عفويا .. متهيئا نفسيا للقاء .. غير متوجس من هدف الأسئلة، ولكنه أراد ان يفضل راحة المشاهد النفسية على معاناتة الشخصية حين قال: لعلمك يا بنتى انا ما زلت أحتفظ بالجواز السودانى رغم ما يسببه لى من متاعب فى كل المطارات .. أما العودة " فالقدم ليه رافع " .. وفى تراثنا الاسلامى ومفهومنا الشعبى ان هذه العبارة هى قمة الايمان و أرقى فنون التخاطب عندما لا تريد ان تعطى الاجابة التى ترضيك وقد لا تريح الطرف الآخر .. ولكنه اعتراف ضمنى بانك تملك نصف الاجابة و لكنك توكلت على الله فى الكل.

ولكنه فى الحلقة الثانية كان يبدو متمللا فى جلسته .. مجاملا فى ابتسامته... متوجسا فى اجابته، قال : لماذا تفترضين ان الذى اغترب عن الوخن لاسباب شخصية أو سياسية أو دينية قد انسلخ عن جلده وهجر عشيرته .. أو ترك الوخن وهو مثقل بجراحاته .. مغموس فى ذكرياته .. ليل نهار .. ؟ وليته كرر معى مقولة الامام على بن أبى خالب .كرم الله وجهه عند ما قال: الانجاز فى الغربية وخن وعدمه فى الوخن غريبة. وفى اجابة على سؤال متى تعود، شعر بان السائل ربما أراد ان يكون اكثر دقة من اجابة الحلقة السابقه .. فقال: فى هذه المرحلة من العمر .. قد يبدو قرار العودة نهائيا صعبا وان عدة ظروف تحكم هذا القرار .. ولكننى قد اکتفى بالزيارات المتقطعة والتواصل الروحى والنفسى مع الوخن.

وعندما سألته المذيعة عن مهرجان (الخرخوم عاصمة الثقافة العربية) .. دافع بحرارة شديدة عن الفكرة...و أكد على أهلية الخرخوم لهذا اللقب.. وقد أكون كأحد المشاهدين للحلقة .. وكأحد ابناء السودان الذين يحسبون أنفسهم افرادا فى قبيلة الثقافة .. وكصديق قديم للروائى

المجدد .. دهشت عندما سمعته يقول انه ليس مشاركا مسئولاً فى هذه التظاهرة .. ولكنه سيحضر .. وهو يرى فيها بشارة خير للوخن .. تحمل له فرصة ذهبية ليضع إسمه على خريطة الثقافة الافريقية باللون الذي يعجبه وبالجم الذي يراه .. ويمكنه ملأ الفراغ فيه عن جدارة واستحقاق.

إذا كان الطيب صالح وفى تصفيات هذا الأولمبياد "الهوية السودانية"، مازال يقف خارج سور الأستاذ يبحث عن تذكره اكرامية أو مدفوعة الأجر للدخول .. وليس ضيف شرف .. أو على وجه الدقة ليس لاعبا رئيسيا فى تشكيلة الفريق الذى يخوض مباراة الدور قبل النهائى فى بطولة "الهوية السودانية" التى تجرى الآن على كل الاصعدة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وفى شتى الميادين فى إنتظار نتائج المباريات الأخرى التى تقام فى استادات أخرى على صعيد مباريات.. (السلام .. والسلطة .. والثروة .. والبترول .. والثقافة).

وتتزامن هذه المباريات بحضور تحكيم دولى مباشر وغير مباشر .. فاننا نحتاج الى حشد الطاقات من سفراء النوايا الحسنة بالداخل والخارج ليمثلوا السودان فى هذه المباريات ليكون لنا وقع حسن فى نفوس العالم الخارجى والذى يترقب فى فضول شديد نتيجة هذا الأولمبياد الكبير فى قلب افريقيا النابض بالحياة .. او المرشح لهذا الموقع الجغرافى الفريد و المتميز فى النظام العالمى الجديد.

فإذا كان تقويم الأداء بالقياس وتقويم النتائج بالمقدمات .. فأمل أن تعيد كل الجهات المشرفة على تنظيم هذا الاولمبياد .. حساباتها فى وضع المعايير الدقيقة والعادلة فى تمثيل السودان وتحديد الأهداف على كل صعيد .. وان يكونوا قادرين على استشراق الغد .. وقراءة المستقبل .. واستقراء النتائج من حصيلة الواقع الذى يجرى الآن .. فى موازنة عقلانية لما هو كائن وما ينبغى

ان يكون . حتى تكون العودة نهائية.. وخوعية .. من كل الاعمار.. وفي كل الأقطار..  
للكثيرين الذين يترقبون في انتظار.. لاتخاذ القرار... وإن اختلفت خرق العودة.

ولنا عودة بإذن الله

.....

## كلمات ملتهبة لسلطان في وداع صديقتي بريطانيا

"اعذريني صديقتي إذا افترقنا في أوج  
مجدنا .. وعفواً إذا اختلفنا لحظة الرحيل فأنا مسافر  
إلى حبيبتي..... هناك تنتظرني .."

---

آه... يا بريطانيا  
ذات الفصول الاربعة  
الشمس .. والامطار تهملني ...  
والجليد يفيض من وجه السحاب الاقنعة  
في كل يوم تلتقي الاضداد  
تجتمع النقائض في رباك مروعه  
في لحظة تنتقل من همس الربيع  
إلى هدير الزوبعة  
والجو كاللغز المثير نبوءة  
في قلب ملكوت السماء السابعة  
ما أجمل الصيف النضير على التلال الممرعة  
وسهولك الخضراء ... لوحات منمقة.. وصور رائعتة  
خقوق البنفسج .. حول عنق التل ..  
حاكته أنامل مبدعة  
وتفتحت أزهار نيسان  
المحيطة بالحقول الشاسعة  
لكنه كالحلم .. لا يبقى خويلاً في خطاه المسرعة  
كالظل .. لا تشعر به إلا وفارق موقعه  
وتعود تحملنا الرياح إلى الفصول الاربعة  
عفواً.. إذا فارقت ارضك ناكراً

حسن الجميل .. وذكريات ممتعة  
شكراً فقد ذقت النعيم بذاته  
وشربت من بحر الملذة والدعة  
وعرفت رغد العيش فيك .. وخاب لي ..  
حلو المقام .. مع الرحابة والسعة  
لكن شيئاً في ضميري .. خافقاً  
متوثباً .. ما عدت أدري منبعه  
قد سد لي كل الدروب .. اشارة لي أن أتبعه  
فوجدت أصل الكنز في بلدي  
وقد سرقوه في الماضي وغيروا موضعه  
من حسرة المحروم يمشي في ثياب رثة ومرقعة  
من لهفة العطشان يحرق في الظهيرة مزرعه  
من لوعة المختبئ في الغابات في سود الليالي المفزعة  
من وحشة المغمور .. في تلك البقاع الضائعة  
كل المقابر في بلاد المعوزين تحولت كنزاً لديك وصومعة  
ما أبحرت سفن لأي جزيرة  
إلا وقد هبت رياح المنفعة  
جاء القصاص مؤخراً ..  
لكن سيلقى كل جان مصرعه ..  
وأرى مغيب الشمس عن عرش الجلالة فاجعة  
يترنح التاريخ كالمذهول في جدرانك المتصدعة  
كالثور انهالت عليه رماح صيد مشرعة  
من كل بلد كان يزرع تحت نيرك موجعة  
قد اشعل النيران  
فاندلعت حريقاً شب في كل السهول الواسعة  
لكنه التاريخ .. قد نفض العباءات القديمة خرقة ومرقعة  
مغموسة في خيئة الغفران  
في زيف الطقوس الشائعة  
وأراد يكتب في صحائفه سطوراً ناصعة  
تتحولين إلى متاحف للحروب المفجعة



وستنزفين دم الملايين التي سالت كؤوسا مترعة  
ما كان من خلقي .. ولست خبيعتي  
ذم الصديق .. ولا ثناء الإمعة  
من يندب الحظ البريء .. وينبرى ..  
في خيبة المظلوم .. يذرف أدمعة  
فارقت جنات النعيم مرحبا  
بالنار في وختي .. ونفسي قانعة  
عيش الجحيم هناك بين عشيرتي  
السعد في جناتك المتنوعة  
فلنعترف .. لم تنسجم خطواتنا  
في البدء .. تفصلنا صحارى شاسعة  
أشتاق يهزمني حنين جارف  
للقرية .. الصوفية .. المتواضعة  
لغة الكلام تدير رأسي كلما ..  
حاولت فك رموزها المتوقعة  
وهجرت لغة الضاد صرت كأعجم  
تصغي اليه .. وتشتهى ان تسمعه  
تتكسر الكلمات .. تلوى عنقها  
تذري ضرام دلالتها متمنعة  
يتعثر التعبير .. تفلت كلمة  
وتجيء أخرى لم تكن متوقعة  
وتضيع أفكاري .. كحزمة أنجم  
عبثا أحاول رصدها متجمعة  
وتركت نظم الشعر .. روح مواهي  
قد كان في كفي أداة خبيعة  
جفت روافد نبعه وبحوره  
وتجمدت أمواجه المتدافعة  
وأغازل اللغتين مثل موزع الاشواق  
بين حبيبتين .. هنا معه  
فمتي أعود إلى البلاد .. إلى التي

ملكـت شغاف القلب كـي أـسـترجعه  
غدا الرحيل .. صديقتي .. فإلى اللقاء ..  
وقـد نـشـرت الأـشـرعة  
وعبرت في بحر الشمال .. تستوقني  
ريـح الحـنين .. إلى بلاـدي الوداعه  
وتركت أثاري لـديـك روائـة  
لم تكتمل .. في عرضها متقطعه  
لم تكتمل كل الفصول .. وان تك  
في آخر اللحظات كانت ممتعه  
فحفرت اسمي في نقوشك بارزا  
ليكون خاتمة الفصول الاربعة  
أهديك أغنية الوداع .. قصيدة  
ملتهبة .. وعلى الرياب موقعه  
صوت (الدليب) يشق صمت الليل  
في صخب .. يقض مضاجعه  
تبتل بالشوق الحبيس بداخلي  
في لهفة مشبوبة .. متطلعه  
في نغمة (الطنبور) .. في نبراته  
شجن الغريب .. بكى .. ورقرق أدمعه  
أواه .. من وتر .. ينادى باكيا  
وينقرش (النعام) فيه أصابعه

دكتور الزين عباس عماره  
لندن أغسطس ١٩٧٤ - طابعت هذه القصيدة فى لندن فى خريف  
عودتى الى السودان .. راجع قصيدة ( خواج غريب فى لندن ) ديوان (قصائد من بريطانيا) المجموعة  
الشعرية الكاملة - المجلد الأول - ص

---

## الحزن النبيل

يقولون كثيرا ان من الحزن ما قتل ويقولون أحيانا ومن الحب ما قتل .. وتتعدد الأسباب والموت واحد .. ورغم البون الشاسع الذى يفصل بين صريع الحزن وشهيد الحب لشتى الأسباب إلا أن الأصل فى الحالتين تلك العاخفة الجياشة التى تربط بين ضحية الحزن وشهداء الحب رغم الفارق النوعى والموضوعى فى الشكل والمضمون. ان سيكلوجية الحزن تستوجب سبر الاغوار والمسك بالخيط الرفيع الذى يربط بسيكولوجيا الانفعال فى حالة الحزن ومشاعر الحب .. ان من الانفعال حدوث تخثر سيولة الدم وتجلط الشرايين والسكتات القلبية الدماعية المفاجئة التى تحدث ونعبر عنها بالصدمة ولكن ما بين تلك النهاية التراجيدية والبداية الفسيلوجية لهذه الظاهرة نمر عبر (بانوراما) من الانفعالات النفسجسدية والتى أشد ما تكون عندما يعجز الانسان .. أى انسان .. وخاصة المرهف الحس .. والمتوقد الوجدان .. المفرط الشفافية عن التعبير عن مشاعرة بسبب الكبت أو الحرمان أو الاحباط.

وهكذا عندما يسكت اللسان تتكلم الجوارح فى الحديث فتدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى الرب ( وانا لفراقك لمحزونون يا ابراهيم ) صدق رسول الله... وهذه النقطة الفاصلة بين القدرة على الكبت والرغبة فى التعبير فى وجود العوائق الطبيعية والمفتعلة المانعة لتفجير هذه الطاقات الكامنة تتفجر الشرايين وتثور البراكين .. ويستوى الحزن والحب فى ميزان القدرة على الفتك بالإنسان .. المبدع .. والعبقري.. والفنان .

يقول علماء النفس ان مشاعر الحزن ليست صورة واحدة للتعبير الخارجى عن الوجدان أو العاجفة والتي تتحكم فيها عدة عوامل اجتماعية وثقافية ونفسية نغطيها بالشكل الذى يحاول ان يبدو عليه المتألم والمتحسر او المثابر امام الآخرين .. وقد تتخذ عدة صور وأهمها صورتان السارة أو الحزينة حسب هذه المعطيات وبقدر كمية ونوعية المتناقضات التى تحكم مصدر العاجفة .. فهناك الحزن الضاحك والضحك الحزين وهناك دموع الفرح ودموع الحزن .. وشتان ما بين الإثنين .. ويصعب أن نفرق ما بين الإثنين الا من خلال استبطان بوصلة الوجه الضاحك أو قراءة تقاضيع الوجه الحزين وهذا النوع من المشاعر والاختلاف فى التعبير هو الذى يعطى الحياة نكهة خاصة فلا إفراط ولا تفريط وخير الأمور الوسط ... ولكن كيف ومتى ؟

ان الله قد خلق الليل والنهار والحركة ليضبط حركة الكون وايقاع الحياة بميقات معلوم .. ولو كانت الحياة نهارا دائما .. او ليلا قاتما .. لاختل ميزان الحياة .. وقتلتنا رتابة النهار ومللنا ظلام الليل .. وهكذا مزاج الانسان .. المتقلب فرحا وحزنا .. وخير الأمور الوسط وهذا ما يسعى اليه الأخبء النفسانيون .. والمصلحون الاجتماعيون وكل العاملين فى حقل الصحة النفسية فى محاولاتهم المتلاحقة لتعديل اضطرابات المزاج ..

استوقفتنى هذه الانطباعات العابره وانا استمع الى اغنية المطرب الراحل المقيم مصطفى سيد أحمد ( الحزن النبيل ) .. حزن الأصالة والشفافية والابداع .. الحزن الذى يدغدغ قلبا يتوكأ على آخر نبضاته ليوصل نغمة شجية لأذن مريض يصارع الموت وعندما تتمدد آهاته الطويلة .. فى ( ندمان أنا ) .. ويسكب عصارة قلبه المثقل بجراحات القهر .. ومأسى العصر .. وتتخيل ان انفاسته تتقطع بعد كل مقطع .

وقفز الى ذهنى فى المقابل صوت الفنان المبدع الطيب عبدالله .. وهو يغنى ضمن ماغانى  
وجات الحزن الجارف فى خيالات ضلوعة ( أندب حظى أم آمالى .. ودهرى قصدى مالو ومالى ،، واكاد  
أجزم لولا اننى أعرف شاعر القصيدة لقلت ان الطيب قد نظم القصيدة .. وجمع حروفها من أحشائه  
الممزقة بالحزن .. ولملم كلماتها من نفس نبراته المتهدجة بالألم .. ونظم أبياتها من شرايينه النابحة  
فى الاداء .. خفاقة مشحونة بمشاعر الحزن النبيل ..الذى يبكى فرحا بالآخرين ويتلذذ بمرارة الأهات  
التى تحرق شفاهه .. وهو بعيد .. وبعيد .. ويتحرق شوقا للاعادة حتى يلتصق بوجودان كل  
مستمع .. ويتعانق مع انفاس كل متلقى يجيد فن الاصغاء .. ان قاسما مشتركا أعظم يربط بين  
المطربين فى الأصالة والشفافية والابداع وليست الرؤية فى المعاصرة .. والتوحد فى المهنة .. والصبر  
على المعاناة ولكنها فى الحزن النبيل الذى يتمتعان به .. وينعمان فيه .. وهى نعمة لا تتوفر  
لكل الناس .. فى زمان قل فيه أمثال الشاعر ابوقطاخى حين يقول شن بتقولوا .. الشايل هموم  
الناس وهمو العندو غالبو يشيلوا ) .. ويكفى أن تعيد الاستماع الى هذه الاغنية لترى صدى الحزن  
النبيل .. الشلال المتدفق من وجدان الشاعر الموسق فى حنجرة الفنان محمد وردى .. ولنا عودة ) .

واستمرت رحلتى مع الحزن النبيل الذى يؤرقنى لاستريح فى محطة أسطورة الطرب الفنان  
عثمان حسين .. رائد المدرسة المعاصرة واكبر روافد الحزن النبيل فى الفنان السودانى الأصيل ..  
معزوفة (الشجن) المتجدد فى قاموس فن السلم الخماسى .. أن الشجن الداخلى الذى تدخر به عبقرية  
الفنان عثمان حسين يكفى لإشباع أمة من المتعطشين والمحرومين والمقهورين .. والعاجزين عن  
التعبير فى وقت الكلام ..والصامتين عن الحديث خشية الاستسلام لضعف النفس البشرية فى  
الحزن أو الحب .. رغم الايمان الغريزى بان من الحزن ما قتل .. وحياتهم تتجدد مع تجاوز كل تجربة  
حزينة يلقون بذواتهم فى نيرانها فدية لحبيب أو انتصارا لمبدأ ..

إن تجربة عثمان حسين .. تجربة فريدة وثريّة .. ومتميزة .. ويستحق ان نختم بها قصة الحزن النبيل ولا يمكن ان يكون ختامها الا كتاب منفصل أعد حلقاته الآن . وأسأل الله أن يمد في أيامه حتى يرى الكتاب النور .. ويرى بعينيه ما لم تسمعه أذنيه .. وكما يقول ما أقصر العمر لولا فسحة الأمل ...

دعونا نأمل ... وعلى الله الرجاء .. ولنا عودة .. باذن الله .

.....

## عبقرية فنان

أرجو أن أتمس العذر من القارئ لهذا الاستغراق في الحديث عن ذكريات الماضى .. فقد حددت سلفا فى هذه السلسلة من المقالات تحت عنوان ( عود على بدء ) فرضية الدوران فى المجئ و الرواح بين الماضى و الحاضر بين الداخل و الخارج .. فقدر لها ان تأخذ هذا المسار المتشعب .. المتغلغل فى الماضى بكل مآثره.. المتفاعل مع الحاضر بقدر ما أوتى من قدرة التحليل لظواهره.. والمتطلع الى المستقبل بأمل تغذيته بالخبرة المفترض فيها الثراء و التى تنتقل من جيل الى آخر .

لقد كتبت فى مقدمة ديوان ( نقوش على البحر ) عام ١٩٧٨ (ارجو ان يكون فى بعدى عن الساحة العذر كل العذر فى الإفراط أو التفريط فى الصراحة) وأزيد هنا..أو الامعان فيما يبدو فيه الجهل ببواجن الأمور حيث أننى لم أكن معاصرا لكثير من الأحداث التى اتصدى لها فى الكتابة خلال ثلاثة عقود أنقضت .. حتى بعض صانعى الأحداث ما زالوا أحياء يعيشون فى ذاكرتى وان رحلوا .. وبعض المقيمين الأحياء منهم ما زالوا غائبين عن نظرى وان ظلوا مقيمين فى ذهنى ربما بفعل عامل الزمن .. ولكننى ما زلت أرى أن كل من يستطيع ان يكتب كلمة أو يضع لبنة فى صرح البناء الفكرى الذى يتشكل باستمرار من القديم والجديد .. له أجر المحاولة ان أصاب أو أخطأ .. والله وراء القصد ..

عود على بدء .. أردت ان أتمس دربى فى الحديث عن أسطورة فنية فى الغناء السودانى .. لم تتوفر لها كل عناصر التكوين و انتشكلت بقناعة أن ليس فى الإمكان أبدع مما كان .. ليصنع لوحة فنية فى شكل (الموناليزا) او (العشاء الأخير) ولم تنتقص من قدرها مأسى التجربة ..



فصنعت من نار المعاناة وقودا للابداع فلم تذهب الى زاوية النسيان .. لقد صنع مع الفنان محمد وردى لوحة فنية رائعة لم يكتب لها البقاء لذات الأسباب .. وصنع لنفسه مدرسة فنية فى الشعر الغنائى ما زالت مناهجها موصولة بالجيل الجديد وان لم توثق فى معاهد التدريس .. وترك لقبيلة الشعراء تراثا من المفردات .. والجمل الشعرية ذات السهل الممتنع ما زال يتكرر فى عبارات متجددة فى القاموس المعاصر لغناء المطربين الجدد .

لقد تعرفت على الشاعر الراحل المقيم اسماعيل حسن فى (حى السجانة) .. وكان حى السجانة .. حديقة زهور .. فيها كل الألوان .. وكان ورشة فن تعمل ليل نهار فى صناعة المبدعين من الشعراء .. والملحنين والمطربين .. حتى ان الذين عاشوا خارج ذلك الحى كانوا ينهلون من نبعه الثر .. وعطائنة الفياض .. جيئة وذهابا فى هرولة مستمرة بين منزل اسماعيل حسن فى السجانة ودار الأذاعة والتلفزيون فى ام درمان. التقيت به فى منزله فى السجانة فى عام ١٩٥٩ عندما جئت فى زيارة للخرجوم فى اجازة الصيف من حنتوب الثانوية .. ووجدت نصف أعضاء نقابة الفنانين يمارسون نشاطات اشبه باستديو فى لحظة البروفة .. بعضهم يكتب الشعر .. وآخر يلحن .. واخر يغنى فى هدوء .. وآخر ينظر الى كل هؤلاء فى إعجاب شديد..

وأصبح هذا النمط من الحياة صورة متكررة فى بيوت الفنانين فى السجانة .. عثمان حسين .. فتاح الله جابو .. عبدالله رايح و حسن بابكر حتى لا أتوه فى (حارة زمان) من جديد.. وشاهدت بعينى ميلاد قصيدة كتبها الشاعر اسماعيل حسن فى ورقة صندوق السجائر الفارغ وعرضها على الموسيقار الموهوب عبدالله عربى . وبدأ يلحنها الفنان المبدع محمد وردى وقبل ان تكتمل جاء المساء .. وكان الجميع على موعد للذهاب الى (معرض الثورة) ١٧ نوفمبر فى عهد الفريق عبود فى ميدان عبد المنعم بالخرخوم ثلاثة .. وكانت الاذاعة الخارجية فى ذلك المعرض تقدم الاغنية المفضلة فى برنامج (ما يطلبه المستمعون) مقابل (قرش صاغ) .. ودفعنا اكثر من مرة لنستمع الى

أغنية " يا خير يا خائر " وكل أغنيات المطرب المرفه الأستاذ محمد وردى .. التوأم الصنو والاسم  
المرادف فى الثنائى ( وردى - اسماعيل حسن) حتى حان الفراق.. وجاء زمن المساة ..

فالتقيت مرة بالأستاذ أسماعيل حسن امام مبنى البنك الزراعي السودانى .. ووقفنا خويلا  
نتحدث عن الاغتراب .. وعرفت أن اسماعيل قد أنخرط فى النشاط السياسى فى الاتحاد  
الاشتراكى وما زال يعمل فى البنك الزراعى .. وكان ممزقا بين روحه التواقة للأنتعاق والانفلات  
من قبضة (لزوم ما لا يلزم) حيث كان يعيش غربتة سياسية داخل وخنه .. وأخرى نفسية داخل  
بدنه المغموس فى عشق تراب الشمالية ( ومواويل حد الزين ) ونقابة الفنانين المنقسمة بين المواليين و  
المعارضين للنظام.. ونداء المطربين المتحرقين الى المصالحة حتى لو كانت فى بيوت الأعراس ..  
والشوق الى الاذاعة والتلفزيون خارج زنانة السياسة .. وقيود الوظيفة ..

وعلمت أن ما يربطه بالفنان محمد وردى لم يكن أفضل حالا من الواقع المتردى للعلاقات  
الأنسانية القديمة حتى أصبح أضعف من خيط العنكبوت خاصة وقد أصبح وردى رهين المحبسين  
.. البيت أم السجن .. وما زال يغنى للملايين التى تبعثرت فى كل وادى .. فى بلادى .. واذكر  
للتاريخ عن لقائى بالفنان محمد وردى عام ١٩٨٤ فى الحفل الساهر الخاص فى فندق شيراتون  
أبوظبى كان يقول خلافا مع الجميع الذين يردد ون مقولة ( ما البديل ؟؟) يقول أنتم هنا تنظرون  
فى هذه الفنادق الفاخرة .. والصالونات الساهرة وهناك آخرون يناضلون من أجل ايجاد البديل  
وستشهدون قريبا البديل .. ولم تنقض شهور حتى حدثت انتفاضة ابريل وما زال السؤال حائرا..هل  
كان وردى يعرف الحقيقة أم أنه الحس السياسى .. أم أنها أمنية الحالم .. أم كل هذه المعانى  
مجتمعة ؟ أسئلة مؤجلة حتى لقاء قريب باذن الله .

عود على بدء .. لقد خلق اسماعيل حسن جوا من الألفة فى الوسط الفنى انتقل الى بيوت كل المطربين .. وقد وضع فى أغنية ( عارفنوا حبيبى ) وما أثير حولها من ضجة هل هى لوردى فى الأصل ام عثمان حسين أم ربما اخيرا .. وفى مسار مختلف دخل ابن البادية فى خط مواجهه .. المهم لقد نجح الفنان عثمان حسين فى نيل قصب السبق وقدم الأغنية رغم أن اسماعيل حسن كان يملك من الموهبة الفنية والمقدرة الشعرية ما يجعله قادرا على كتابة عشرات الأغاني المماثلة والمتنوعة والتميزة عليها .. ولكنه اراد لهذا الحريق أن يشتعل .. وهو كثيرا ما كان يعشق الحرائق الفنية التى توججها رياح الصحافة ولا تطفئها الا ماء نقابة الفنانين بقيادة المايسترو الراحل أحمد المصطفى صديق الجميع. والتقيت آخر مرة بالشاعر المتفرد اسماعيل حسن و أنا عائد من أبوظبى فى اجازة قصيرة فى ندوة حول ( المصنفات الفنية ) برئاسة الدكتور اسماعيل الحاج موسى وزير الاعلام فى حكومة مايو .. وعندما قابلنى اسماعيل حسن قال لى : أى ربح أتى بك الى هنا؟ قلت: جئت أشارك ! قال : تشارك أم تعارك..هذه معركة بين الحق و الباطل ومحسومة أصلا!! قلت : لماذا جئت أنت إذن؟ قال: جئنا نردد قول الشاعر الذى يقول :

كالذى القوه فى اليم مكتوفا وقيل له.. اياك.. اياك ان تبتل بالماء

فقال لى : أين هى المصنفات التى نختلف عليها .. ونريد تصنيفها .. فهى تدور فى حلقة واحدة .. لا خعم ولا لون ولا رائحة إما مع أو ضد النظام.. أليست مصنفة أصلا؟! ونحن هنا نبحت عن ابرة فى كومة قش!! لقد كان هادئا فى عمق .. وثائرا فى عقل .. ولاذعا فى صمت .. وغاضبا فى صبر .. وعبقريا فى كل الازمان .. ولكنها عبقرية الفنان

الارحم الله الشاعر المبدع الفريد فى عصره ولنا عودة باذن الله

.....

## من الأرشيف

كان الاستاذ محمد صالح فهمى المدير العام للإذاعة السودانية يجلس على كرسى وثير امام المبنى الرئيسى لاستديوهات الاذاعة ويطل على بوابة ( حوش ) الاذاعة يراقب الداخل والخارج من القطط التى تعشق تسلط الاسوار وتابى الدخول من باب الدار كما كان يحلو له ان يقول .. خرجت من المبنى بصحبة الصديق الراحل محمد المهدي المجذوب بعد نهاية اجتماع لجنة النصوص لنجد مع الاستاذ محمد صالح فهمى الفنان الراحل الكبير ( الكاشف ) يتحدثان فى موضوع احد المطربين من مدنى الجزيرة .. فسلم علينا قائلا اعرفكم وقبل أن يكمل قال له المجذوب .. الكاشف يحتاج الى تعريف يا ابو الأسود؟؟ كناية عن عشقه اللغوى والنحوى المستغرفى حبه للأسماء هزير وغضنفر لابنائه .. فقال اعرفكم بالاستاذ ابراهيم أحمد أبو جبل .. واسقط فى يدنا .. لم نكن نعرف ان هذا الأسم الأصل للمطرب الكبير .. ولكننا كنا نعرف الكاشف .. معرفة صداقة متينة .. وعلاقة حميمة كيف لا وهو الرائد والرافد الأكبر فى عطاء الغناء السودانى .

خرجنا جميعا من الدار .. وفى الطريق سألتنى الكاشف ماذا أنوى أن أفعل .. وكنت خريجا جديدا عام ١٩٦٥م من كلية الطب .. فقلت له سأفتح عيادتى فى شارع المعونة حى المزاد .. بعد بضعة أيام .. فقال لى .. مساهمة منى فى هذه البداية سوف أهديك مكتبة من صنع يدي تقخر بها خول عمرك .. وكنت أعرف (موبليات الكاشف ) ولكننى كنت أظنه صاحب مصنع وليس صاحب صنعة .. وانتظرت حتى ذات ليلة وأنا أنتقل الى (عيادة كلارا) سابقا والآن تشغل مجمعا خببيا فاخرا فى شارع المعونة بالخرطوم بحرى .

جاءنى الفنان الكاشف فى سيارة يحمل مكتبة فاخرة مصنوعة ومغطاة بالفورمايكا الازرق الفاتح وكانت اول خطوة لى فى الدخول دنيا الاثاث والديكور .. وقال لى لقد جئت ابارك

واشارك .. وكان فى ذلك اليوم نهائى كأس العالم لكرة القدم ١٩٦٦م وجلسنا نشاهد مباراة الفريق الانجليزى .. وكنت أسكن فى نفس البيت فى الجزء الخلفى وتطل العيادة على الشارع الرئيسى.

وفى الشوط الثانى بدأ الطرق على ( باب العيادة وكنت أحاول أن لا اتحرك حتى جاءنى جارى صاحب الملحة الناصية بطرف الباب الخلفى قائلاً ) يا دكتور عمك حاج الصافى ) وكرر النداء ففتحت الباب الخلفى .. فقال لى ان الذى فى باب العيادة هو عمك حاج الصافى ومعة اسرته .. وكانت عيادتى هى المستوصف الطبى الوحيد من محطة الجبلى حتى مستشفى الخرجوم بحرى حيث توجد عيادة الدكتور يوسف عثمان حكماشى المستشفى وخرجت لاستقبال الضيف الكبير .. وقال لى .. ان ابنتى قد ( بلعت خرزة ) وحملت الطفلة كما علمونا فى كلية الطب جزاها الله كل خير فى السراء والضراء .. حملت الطفلة بالمقلوب .. راسها للأسفل وقدمائها فى يدي .. وحاولت بكتفى فتح الباب .. الذى كانت تسند ظهره المكتبة الجديدة .. وفى الشد والجذب وبعد فتح الباب سقطت الخرزة من انف الطفلة على أرضية المكتبة دون تدخل منى .. فكانت فرحة مزدوجة .. أنفراج أزمة الزائر .. ونهاية محنة المضيف .. واكتملت فرحة صديق الطرفين الفنان الكاشف .. وبعدها جلسنا لنواصل شوط المباراة الثانى حين فازت انجلترا بكاس العالم .. ولم يخف العم حاج الصافى فرصة وهو الادارى المخضرم والذى عاصر أيام الانجليز .. وحدثنا عن ذكرياته الطويلة وقال لى قد يقولون لك ان عمك الصافى قد اشترى اراضى الصافية المتر بمليم واحد والأن تباع بالجنيهات .. وأنى بهذه المناسبة أعرض عليك قطعة ارض فى الصافية ب ٤٠ جنية سودانى ٨٠٠ متر .. اتقاضاها ( بالنقاخه ) كل يوم من الممرض وانا فى خريقى الى المنزل الصافية .

وقلت له : يا عمى حاج الصافية هذه المنطقة ( السكن العشوائى والكرتون ) فقال لى بعد سنوات .. ستكون من أعلى مناخق الخرطوم بحرى .. وفعلا بعد سنتين.. جئت وسكنت بالايجار جوار استاذى الفاضل المرحوم هاشم ضيف الله بنفس المبلغ كايجار شهرى .. وبعد عقدين .. كانت خمسين ضعف وصدق الرجل عطر الله ثراه وجعل الجنة مثوة ..

وقد صدق عندما قال لى .. الفنان الكاشف .. ده .. لو كان فى بلد غير السودان .. لأصبح اكبر (ميشيل كوتسى) وهى وكالة شركة سيارات الأوبل انذاك ولكن (زمار الحى لا يطرب ) .. وتذكر حديثى هذا .. وتذكرت أحاديثة كلها .. نبؤات صدقت .. واحلام تحققت عندما استمعت الى الفنان جمال فرفور يغنى .. أغانى ابراهيم الكاشف .. وقلت لى لى لا اعرف أحدا عانى من ظلم زمانه ونكران احسانه مثلما عانى الكاشف فى حياته .. والذكرى للانسان عمر ثان . وتذكرت ان أقول للكاشف .. كيف التقينا أول مرة ( فى معدية السوكى ) وهى التى تربط بين السوكى ومدينة سنجة .. عندما كان فى رحلة فنية قادما بالقطار من الخرطوم الى السوكى حين لم يكن هناك قطار الى سنجة .. نركب المعدية لنقطع النيل الأزرق الى سنجة ثم ( اللورى ) الى المدينة عندما كان بصحبة الفنانة الراحلة عائشة الفلاتية والفنان ابوداؤد وكنا فى المرحلة الابتدائية فى سنجة الوسطى ..

وعندما جاءوا الى المعدية قالت عائشة ( الفلاتية ) : ما بركب مع ابوداؤد نقوم نغرق . فقال لها ابوداؤد .. بقطع براى وتعالى بعدنا. فقالت له ( انت انتظرنا هنا نقطع انا وأخوى الكاشف وتلحقنا فى الدور الثانى ) ... عليك الله يا عائشة .. شوفى أنت والكاشف ( حواء وأدم ما يلصقكم سوا .. ان شاء الأخوه تدوم !!!

وعبرت عائشة والكاشف .. وتركتنا مع ابوداؤد حتى الدور الثانى .. ووصلنا مدينة سنجة فى المغرب .. وكنت برفقة الزميل الاخ الدكتور ابراهيم محمد ابراهيم ( دقش ) والذى كان دفعنى فى مدرسة سنجة الوسطى .. ومدينة السوكى .. وذهبنا الى الداخلية ولم ننعم بالحفل الساهر لان من ادبيات التربية فى ذلك الوقت ان الطلاب غير مسموح لهم بالسهر وحضور الحفلات الساهرة ولم نفكر فى التسلل ليلا رغم عدم وجود أسوار ..

وقد أكتفينا بالنوم فى قارعة الطريق تحت ( الناموسية ) لأن الليل الهادى كفىل بتوصيل النغم الشادى الى أذان المتصنتين والمتوحشين خيفة من ( بسطونة ) الاستاذ عبد العزيز حسن مسئول الإشراف الداخلى للسكن .

.....

## قضية التعريب

امتدادا للحديث من الحلقة التلفزيونية فى برنامج ( السكوت جهرا ) والتي تناقش قضايا الشباب .. حول العمل والوظيفة والدرجة الجامعية وما زال الصدى الطيب لما اثير فيها يتردد فى اذنى . موجات تنداح وتوسع وتنش من ذاكرتى عدة موضوعات ذكرت فى نطاق الحديث عن متطلبات العمل وضرورات التعليم ..

وفى نهاية الحلقة سأل مقدم البرنامج الشباب هل كان للتعريب أى اثر سلبى فى مسيرة التعليم .. وهل واجهتكم مشاكل نتيجة ضعف اللغة الانجليزية فى البحث عن عمل أو البحوث العلمية .. واحاول هنا ان استدرك بعض الاجابات التى جاءت عفو الخاطر .. فى وقت أصبحت فيه حرية التعبير تتمتع بقدر من الاحترام لم يسبق له مثيل فى الاعلام ان لم يكن البرنامج ذاته أحد وسائل التعبير عن هذه الحرية الممنوحة بلا قيود .. فقال أحدهم قد كان التعريب كارثة ) وقالت أخرى .. مشاكل لا حدود لها فى العمل والدراسة وقال آخر ودانا فى ستين داهيه ولا اعرف وين يودينا لو لم يتوقف ) وارجو العودة الى التسجيل ..

أنا هنا لا أعارض التعريب كمفهوم .. ولا أهجم أصحاب الفكرة كمصلحين يسعون الى كسب قضية فكرية ودينية .. ولكننى أعود الى التوقيت .. وأسلوب التنفيذ .. وعامل الزمن الذى يستغرق التحول النوعى والموضوعى فى منهج تعليم يحتاج الى وضع بداية ونهاية .. واخضاعها للدراسة والتجربة النموذجية قبل التعميم بصورة مطلقة ويجب ان اقرر فى البدء اننى أحد دعاة التعريب .. وما كتبته باللغة العربية من مؤلفات يقف شاهد صدق على حبى للتعريب .. ليس من باب الفكر العقائدى فى تجميد لغة التوحيد .. لغة القرآن .. ( وانا نزلنا الذكر وانا له



لحافظون ) .. وكتاباتى حول الطب النفسى عبر الحضارات أو الثقافات فى اكثر من كتاب .. واصرارى على النهج العربى فى كتابة هذا الباب كان وما زال عملا انتقائيا حتى فى مجال تخصصى لانه لا يمكن ان يستوعب عامة الناس خفايا الطب النفسى ولا يمكن تصحيح المفاهيم الخائنة والمغلوخة الا من خلال التعريب المتفق عليه والذى لا يضير حوارنا مع الحضارات الأخرى .. وهو أمر مقبول من التأثير على استفادتنا من العلوم النفسية باللغة الانجليزية كوسيلة تعليم .. ويشاركنى هذا الراى الصديق الراحل البروفسير عادل صادق صاحب المؤلفات العربية المشهورة فى الطب النفسى وهذه نوعية جوهريّة أو البروفسير يحيى الرخاوى أستاذ الطب جامعة القاهرة والعلم البارز فى تعريف مصطلحات الطب النفسى والبروفسير محمد فخر الاسلام استاذ الطب النفسى وأحد الرموز العربية فى مجال التعريب ولكنه التعريب الذى لا يمس أدوات توصيل المعلومة ومتابعة البحث العلمى فى المراكز الاجنبية .

أذكر فى بداية الحديث عن السلم التعليمى التقيت بالاستاذ محى الدين صابر .. خبير منظمة اليونسكو وكان وزيرا للتربية والتعليم وصاحب فكرة السلم التعليمى وكان يأتى فى المساء فى جريدة( الزمان ) .. قلت له أخشى يا استاذى ان يسقط معظم الطلاب من السلم التعليمى الجديد .. وينكسرون .. فقال : كل كسر قابل للجبر .. لا ادري كم من الكسور قد تم جبرها بعد السلم التعليمى .. والعون الذاتى فى التعليم .. لا أريد ان ابخس الناس أشياءهم ولا يدفعنى التعميم الاجوف ولا التبسيط المخل فى التعامل مع قضايا مصيرية صارت لها تداعيات .. ولا اريد ان أدعى النبوة بها ولكن من الواضح انها لم تكن خطوة موفقة اذ انعكست سلبا على مسيرة التعليم وكان التفكير فى التعريب امتدادا خبيعا للحالة الاكاديمية التى وصل اليها التعليم ولم تكن قضية التعريب تضيف ضررا اكثر مما لحق به بل قد تجد مسوغا موضوعيا

لتحقيق انجاز يخدم أهداف الدولة وتوجهات النظام الحاكم فى سياق تطبيق الشريعة الاسلامية وسيادة التعليم الدينى والمعاهد الدينية على قدم المساواة مع الجامعات التطبيقية ..

وحتى اؤكد اننى لا أبخس الناس اشيائهم فقد حمدت للزميل فى مرحلة الدراسة والشريك فى تحريك السياسة البروفسير ابراهيم احمد عمر قدرته على اتخاذ قرار سياسى عجز عن اتخاذه ساسة كبار قبله تحدثنا اليهم فى وفد أولياء الطلبة المغتربين ربما تكون لأسباب مقنعة ولكنه كانت مقلقة اذ خلبنا كاولياء امور الطلاب المغتربين تسهيل دخول الطلاب الى جامعة الخرطوم بشتى الوسائل التعليمية والاخلاقية والسياسية ولكن باءت المساعى بالفشل ووقفت السياسة حجر عثرة فى زيادة مقاعد الجامعة لاستقبال هؤلاء الطلاب .. وجاء الأخ البروفسير ابراهيم احمد عمر وضعاف أعداد الجامعات واذا كان السلم التعليمى والمدارس العليا بالعون الذاتى قد أفرغت التعليم من محتواه وزادت خوابير العاجزين عن وجود فرص الدراسة فقد كانت خطوة افتتاح جامعات جديده سد ثغرة فى هيكل النظام التعليمى .

ولكن.. وقاتل الله لكن والتي تفتح عمل الشيطان .. فقد كان التوقيت .. والتكتيك فى التنفيذ بعيدا عن ترشيد الاستراتيجية التى تخدم أهداف التعليم الجامعى .. فجاء بعده الطوفان .. فى الكم والكيف .. الاعداد الخرافية من الطلاب .. والمناهج التعريبية التى أنقطعت من الوصل مع التعليم الاكاديمى الاجنبى مصدر الحداثة .. وانبت عن الأصل منبع الاصاله الذى لم تتوفر فيه المراجع الكافية لمواكبة التطور الحديث فى العلوم التطبيقية وبما أن اللغة الانجليزية كانت وسيلة التخاطب ليست فقط فى قاعة المحاضرات وإنما أصبحت فى لغة المعايينات للحصول على وظيفة فى عالم العولمة اليوم .. فقد صدق الشاب الذى قال لقد ( ودانا التعريب فى ستين داهية ) وقال ( اليوم يا انجليزى يا واسطه ) للحصول على وظيفة . ونحن لا انجليزى لا واسطه .

كما أن سوق العمالة فى الدولة وفرص العمل فى الخارج حتى دول الخليج قد تأثرت سلبا ..  
بينما كانت جامعة الخرطوم هى المصدر الأول والأخير فى تزويد هذه الدولة بالكفاءات العلمية  
فى شتى التخصصات .. وكانت الشهادة السودانية من أرقى المؤهلات العلمية للمنافسة .. وكانت  
الدول المجاورة تتنافس على اجتذاب الصفوة من خريجي الجامعات السودانية .. لم نصل الى مرحلة  
الاكتفاء الذاتى .. ولم نحافظ على مستوى القدرة على التنافس .. وكان الخريج السودانى  
كالعملة الصعبة فى سوق العمل وكان رصيذا من الأصول الثابته فى بورصة التعامل مع  
المنظمات الاقليمية والدولية .

وكان الله فى عون السودان .

.....

## روح الوفاق

تابعت الحلقة التلفزيونية الأخيرة "فى الواجهة" و التى تناولت اتفاقية توصيل مياه نهر عطبرة الى شرق السودان وقد كان أحد المتحدثين ناظر "قبيلة الشكرية" الشيخ الجليل ابوسن .. وآخرين من ابناء المنطقة من النواب والمثقفين والسياسيين.

وقد رجعت بى الذاكرة الى عام ١٩٦٣م عندما سافرنا فى الرحلة السنوية لكلية الطب جامعة الخرطوم الى مديرية النيل الأزرق .. وكانت إحدى محطات الوقوف مدينه (القضارف) المشهود لها بنعمة المال وسعة الحال وقابلنا ناظر الشكرية الكبير أبوسن .. زعيم الأسرة الراعية ولا أتذكر تفاصيل شجرة العائلة الآن .. وكان معنا صديقى وزميلي الدكتور أحمد يوسف أبو سن، الإستشارى بمستشفى الوصل بدبى الآن ... قال لنا الناظر فيما قال آنذاك .. اننا نتحصل على العوائد ومستحقات الدولة من أبناء عشيرتنا بوسائلنا الخاصة ولكن المهم اننى اسافر للخرطوم لأسلم الحكومة بيدي مستحقاتها سلفا فى الموعد المحدد حتى قبل استردادها من القبيلة .. وان القضارف تتداول من العملة الصعبة الجارية فى السوق ما يعادل أحد عشر الف جنية استرالىنى فى العام .. ولكننا نعانى من أزمة الماء.

وعندما فكرت الحكومة مشكورة فى توصيل المياة من نهر عطبرة وتخطت المنطقة الى مشروع حلفا الجديدة المهاجرة من الشمال لبناء السد العالى .. وترتب على ذلك أن تذهب جمالنا فى مسيرتها للشراب .. عليها ان تقطع "الترعة الحكومية" لتذهب الى نهر عطبرة لتروى عطشها، واذا كنا نحن كبشر نفهم هموم الحكومة كسياسة فان جمالنا كحيوان لا يمكن ان يتخطى الماء أمامه ليذهب أميالا أخرى الى نهر عطبرة .. ولحل المشكلة عينت الحكومة حرسا مسلحا

لحماية هذه القنوات .. وما كان من رعاة الإبل إلا ان تسلحوا ليقتتل الطرفان حول الماء ولسان حالهم يقول:

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

هذا ما قاله أبو سن الكبير قبل ٤٢ عام، وترددت أصداؤه فى حديث أبو سن الحفيد فى الحلقة شاكرا تنفيذ مشروع كانت فكرته أصلا موجودة .. وبدأت خطوة صحيحة فى اتجاه خاطئ .. فلماذا تأخرت ومن المسئول فى هذه الحقبة السياسية الطويلة .. حتى تصبح لأبناء الشرق قضية يذهبون بها الى المحافل الدولية؟

وكتبت فى هذه الصحيفة قبل محادثات نيفاشا الأولى قائلا: لقد قال لى صديقى وزميلى فى كلية الطب الدكتور باسيفيكو لاقو من ابناء الجنوب وعندما كنا نعمل فى مناخق الشدة فى ( جوبا ) فى عام ١٩٦٨ وهى محاصرة حتى القصبة الهوائية اخى الزين .. اذا ما حليتو مشكلة الجنوب بطريقتكم الآن .. سوف نحلها بطريقتنا بعد خمسين سنة وحتى بعد وصوله الحكم فى منصب عضو مجلس السيادة فى حكومة الانتفاضة بلغ ابنى الدكتور نادر الطالب فى كلية الطب جامعة الخرطوم آنذاك) ليذكرنى، فالذكرى تنفع المؤمنين. فلماذا لم يستبن ساسة الخرطوم النصح حتى ضحى الغد. .. فأصبح الصبح لنجد الدكتور باسيفيكو فى صفوف الحركة الشعبية المسلحة يطوف المحافل الدولية ونحن فى صفوف المعارضة الهامشية التى ما زالت تسدى النصح للأذان الصماء .. لماذا تأخر الحل؟ .. ومن المسئول خوال هذه الحقبة السياسية حتى أصبح لأبناء الجنوب قضية يذهبون بها للمحافل الدولية؟

وأذكر للتاريخ فى حقبة السبعينات ونحن هنا فى أبوظبى كان يعيش بيننا الأخ السياسى المعروف ابراهيم دريج وزير الدفاع السابق فى حكومة الصادق المهدي .. وذهبت أزوره مع صديق الطرفين الأخ أحمد التجانى صالح الاقتصادى والسياسى الاسلامى البارز فى منزله فى حى "المناصير" بأبوظبى .. وفى الحديث قال لى مازحا: يالزين.. اذا خلع لنا بتروول فى غرب السودان .. سوف نعمل لكم فيزا!!.. ولم يكن هازنا حين عاد الى الخرطوم حاكما لاقليم دارفور ودخل فى مشادة صحفية مع الصحفى الراحل الأستاذ سيد أحمد نقد الله وقال قولته المشهورة: مرحبا بك فى دارفور.. كخبير أجنبى مشلخ ..لماذا تفجرت قضية دارفور الآن ومن المسئول فى تلك الحقبة السياسية الطويلة حتى يذهب أهل دارفور الى مجلس الأمن الآن فى سابقة لم يعرف مثلها التاريخ السياسى الدولى المعاصر فى أفريقيا.

ثم ماذا تبقى من خريطة السودان.. و ماذا تبقى فى الشمال المثخن بالجراح والذى يدور فى خاخونة الاحزاب السياسية والانقلابات العسكرية منذ فجر الاستقلال وما زال يعيش معظم الليل فى الظلام ويعانى أكثر النهار من العطش .. ويفتقر الى ابسط مقومات البنية التحتية التى تلملم أشلاء العاصمة السياسية فى الخرطوم وألعااصمة الوخنية فى أم درمان .. أو العاصمة العمالية فى بحرى.. تلكم العاصمة المتجزئة المهترئة التى تفتقر الى الكبارى والجسور حتى كتابة هذه السطور .. وهى بوابة الديار .. وتحدث عن حلم بناء المطار منذ أربعة عقود.

هذا الشمال .. والذى هو مزيج وخليط وأمشاج من كل أهل السودان .. تربة الأصل و حبل الوصل و قطعاً ليس إرث "الشايقية" الذين يوصفون بالسيطرة على الجيش والبوليس .. ولا "الناقلة" الذين يتهمون بامتلاك التجارة .... ومفاتيح أسرار الاقتصاد .. ولا "الحلفاويون" الذين يحسدون على امتلاك ناصية العلم واحتكار فن الدبلوماسية ولاقبائل أخرى لو أحصيت أهلها و

تابعت نسلها .. ودرست أصلها وابعادها وأجدادها لوجدتها من رحم واحد من كل السودان .. أمة مهاجرة الى قلب العاصمة .. والعاصمة فى الأصل هى اللقاح الطبيعى لتلاقى الأعراق ... فى الشريط الممتد على ضفاف النيل .. وبعضهم جذوره فى الشمال وفروعه فى غرب السودان .. والأخر بطونه فى الشمال وبطانته فى الشرق والأخر رأسماله فى الشمال وتجارته فى الجنوب .. هذا هو الشمال الواقف علي رجل واحدة.. ولماذا الآن؟ لاننا نزعنا جميعا الى الخلاف فى مرحلة الانعطاف فى تاريخنا السياسى المعاصر.

إن سيكلوجية الصحة النفسية فى السياسة الدولية تقول أن أهم عوامل نجاح الدبلوماسية تكمن فى "الوفاق لا الاتفاق" .. لأن الوفاق متأصل فى الروح والاتفاق مشروط بالطموح .. فالذى لا يتوافق مع نفسه يستحيل ان يتوافق مع الآخرين ويستحيل ان يتوافق مع العالم وعليه ان يخرج مع ابليس من الجنة .. جنة عالم اليوم. ولاننا نفتقر الى روح الوفاق، فاننا نحاول ملء هذا الفراغ النفسى بالدخول فى مسلسل الاتفاقيات وأوكازيون المفاوضات الذى يسود الساحة السياسية .. ولانه فى الأصل مشروط بالطموح والطموح من متغيرات الزمن .. لا ثوابت الروح .. فأصبحت هنالك اتفاقية أولى وثانية وجولة مفاوضات أولى وأخيرة وهكذا ندور فى هذا الباب الدوار.

ان روح الوفاق تعنى فى بعض صورها ما قاله أبناء شرق السودان فى لقائهم الأخير .. وأسمعوا وأشهدوا لهذا اللقاء.. وقد كنت شاهد عصر عليه فقد خلبوا من الدولة بلسان أهل السودان (ان تطلق يدهم فى الاتصال باخوتهم المعارضين فى دول الجوار .. لكى يحققوا الوفاق الوخنى)، وأهل مكة أدرى بشعابها وقد راهنوا على نجاح هذه التجربة .. فالشرق لا يحتمل ويلات الحرب .. والسودان مثخن بجراحات الاحتراب. والقابض على الجمر ليس كالقابض على الماء. ولم يعد واردا حكم السودان بالاستيلاء على الأذاعة والتلفزيون والقصر الجمهورى فى العاصمة .. واذاعة

بيان!! حتى لو كان بصوت رجل فى "قامت" عبد الناصر أو "كريزما" نيلسون مانديلا أو "كبرياء"  
مهاتير.

فقد ولى زمن الأنقلابات و أنطفأ بريق البيانات.. حتى لو من باب التمنيات و الله أعلم.

.....



## كل الألوان

قابلت فى "اكسفورد استريت" فى لندن الشهر الماضى أحد الزملاء من السياسيين المحترفين المقيمين فى لندن من ذوى القامات والمتمردين على الزعامات فى القول والفعل .. وكان خبيعى فى مداعباتى له منذ زمن الدراسة أن ينتهى به المطاف فى المنفى قال لى: "اننى أتابع كتاباتك الأخيرة وأحسدك على هذا النشاط المتواصل وكنت اظنك عدت الى السودان عند ما قرأت لك فى الصحف السودانية وفوجئت عندما قلت انك ما زلت بالخليج". قلت له: "هذه ثورة التكنولوجيا". قال لى: "حقيقة ما يدهشنى انك تكتب من خارج السودان وفى صحيفة ( ألوان ) وهى ذات خبايع محسوب على النظام وقلت له: "وأنا محسوب على من؟؟". قال لى ضاحكا: "أظنك محتسب!؟". قلت له: "لقد كنت دائما كذلك منذ شبابى وأنا (معارض)" .. لأننا تعلمنا أن المعارضة هى السير فى الإتجاه المعاكس للحكومة .. وكانت هذه فلسفة كل الأحزاب السياسية الحاكمة.. وتربية الأحزاب المعارضة فى بذل كل غال ورخيص من أجل إسقاط الحكومة والجلوس على كرسى الحكم مما جعل الناس يسمون الحكم "لعبة الكراسي" وقد وجدت نفسي بالضرورة مصنفا فى المعارضة لأن الأصل فى الصراع كان الوصول الى الحكم وكنا بعض أدوات الصراع حيث لا يملك حزب واحد برنامجا وخنيا لتغيير سياسات تخدم قضايا الوجود .. وكانت الحكومات تسقط وتقوم والوجود يزداد فقرا وجوعا ومرضا حتى وصل مرحلة لقبوه "رجل افريقيا المريض".

والسياسيون من أقصى اليمين الى أقصى اليسار يمارسون لعبة الكراسى وهواية التصنيف أما فى أقصى اليمين "رجعى"، وهى تعنى فى النهاية موالى للحكومة أو عميل للخارج أو فى أقصى اليسار "يسارى"، وهى تعنى فى النهاية معارض للحكومة أو "اشتراكى" ولا ثالث لهما إلا قلتة

ضئيلة تأكل على كل الموائد وتقرع على كل الطبول ولا يقيم الناس لها وزنا حتى لو كان بعضها من أصحاب الرأي الناضج الساخر من هذه المعادلة السياسية المبتسرة .. ونشأنا على مقاومة أسلوب الحكومة فى القهر والكبت والسجن والإعدام، وأسلوب المعارضة فى خباثة المناشير والكتابة بالطباشير وصناعة الشعارات وتسيير المظاهرات. وظل السودان كله حكومة وشعبا يدور فى هذه الحلقة المفرغة .. ولذلك نجد أن تصنيف أكثر ساسة الأجيال القديمة كان على خرفي نقيض إما معارض "يسارى" أو مساند "رجعى".

وعلاقة الفرد بالحزب تنتهى بدوره فى نهاية ألية صراع المؤسسة فإذا وصلت المعارضة الى الحكم استأثر الزعماء بكراسى السلطة وتركوا أفراد المعارضة فى الشارع واذا سقطت الحكومة ذهب الزعماء الى السجن وبقى المساندون القدامى يبحثون عن خرق الدخول فى الحكومة الجديدة من باب المعارضة القديمة .. ولو نظرت الى الخريطة السياسية تجد هناك من ظل يتوارث الحكومات الديمقراطية والعسكرية واتفق فى لعبة الكراسى فى الحصول على مقعد فى أى حكومة وبأى لون لأنه فى الأصل لم تكن هنالك قضايا مرتبطة جذريا بمصلحة الوجود المتجردة من كل غرض.

ولذلك تجد على امتداد التاريخ السياسى المعاصر ان الذين جاھروا بمعصيتهم للحكومات من أجل برامج وخنية ظلوا خوال هذا التاريخ خارج تشكيلة المنتخب السياسى .. يعيشون فى هجير المعارضة ونالوا جزاء "سمنار" أما آدمانا للمعتقل أو عطالة فى العمل أو اغترابا فى المنفى .. والقلبة التى احترفت فن التعاخرى مع الأزمات .. وخطب ود الحكومات بقيت ما بين وزير مفوض أو وزير دولة أو وزير بلا أعباء وهذا أفضل الخسران أو أضعف الايمان.

وعندما جاءت لحظة المخاض الحقيقي .. ونهاية ماراثون السباق السلطوى وبقيت مصلحة البلاد تحت المحك وعنق السودان تحت رحمة سيف الجلاذ المسلول لعدة سنوات .. أصبح وجود برنامج وخنى .. هدفا حيويا .. من أجل البقاء على قيد الحياة وليس البقاء على كرسى الحكم فقط.

فالذين خرجوا من عباءة الونحن ليتحالفا مع الشيطان لإسقاط الحكومات من الداخل أو الخارج تارة باسم اللجوء السياسى وتارة باسم التمرد الشعبى وتارة باسم الوحدة الونحنية .. لبسوا خاقية الإخفاء ودخلوا بلا ضوضاء الى ساحة العمل السياسى من باب الحفاظ على وحدة السودان التى تتعرض الى أقصى امتحان .. وهذا هدف نبيل يبرر كل فكر أصيل فى القول والفعل وأصبح الإمتحان الحقيقى لصدق النوايا هو الأصل فى الفكر المعارض .. والمعارض لمصلحة من؟ إذا كانت الفئة الحاكمة تفتح باب الحوار .. وتتيح مبدأ الحرية وتدعو للمشاركة فلا يهم ماذا يكون لونها .. لأننا من فرط دخول الأدمان لحوار الطرشان أصابنا عمى الألوان .. وإذا كانت المعارضة تعمل لذات الهدف فقيم الخلف والاختلاف فى نهاية المطاف ؟

عود على بدء .. إننى منذ أن بدأت الكتابة فى فجر مبكر .. كنت أكتب للسودان .... والمراجع فى هذا فى دار الوثائق الونحنية بارقام إيداع موثقة فى تواريخ مثبتة منذ عقود .. ما كتبه شعرا أو نشر فى الداخل أو الخارج .. وعندما كنت وما زلت فى صف المعارضة الفكرية الراشدة كان من قناعة ذاتية أن الإنقياد الأعمى للتشيكالات السياسية القائمة هو بقايا الجدوة التى أشعلت الحرائق المدمرة من الإنقلابات العسكرية التى تأتى للقضاء على فساد الأحزاب ثم لا تلبث أن تغرق فى أحوال القبيلية والطائفية من الحق الشرعى فى الحكم .. إلى الحق الإلهى فى الولاية .. الى آخر هذه القائمة من الحقوق التى يسندها فقه الضرورة.

واننى اكتب فى صحيفه "الوان" لأننى أعلنت منذ اليوم الأول للكتابة الظروف الموضوعية التى دفعتنى الى الكتابة .. حتى أن صحفيا محاورا بالداخل قال لى: "يكاد المريب أن يقول خذونى .. لماذا تعتذر كالذى يعلن التوبة عن جرم لم يرتكبه؟" .. فقلت له: "إننى أخاف من حكم التاريخ فقد عشت عفيف اليد واللسان داخل السودان .. فلا أريد أن أسلخ جلدى وأنا خارج السودان ولست مكرها فى الحالتين و ليس عندى ما أخفيه و ليس لدى ما أخاف عليه". وبالرجوع الى أول مقالاتى تجدون مرافعتى فى الكتابة فى صحيفه "الوان" .. فإذا كانت "الوان" محسوبة على الحكومة فهى على قلة معرفتى ببواخن الأمور تبدو أكثر من يعانى من مضايقات الحكومة ويكفى أن رئيس تحريرها أصبح كأحد خلاب السكن الداخلى فى سجن الحكومة فى كثير من الأوقات .. وما زال فى تقديرى أن هذه شئون عائلية داخل أسرة وأحدة تجتمع وتختلف حول أجندتها الخاصة .. ولكن يجب ألا نبخس الناس أشياءهم.

أما أجندتى الكبرى فتبقى حرية التعبير وكفى .. ويكفى أن "الوان" قبلت فى أمانة منقطعة النظر نشر مقالاتى الكترونيا بكل معاييرها .. حزاويرها .. ومحاذيرها .. وهى عندى مجرد عمود أسبوعى فى الصحافة السودانية من أقصى اليمين الى أقصى اليسار مفتوحة للجماهير .. و"الوان" أحد ألوان الطيف السياسى الموجود على الساحة .. ومن يقبل شروخى على "الوان" فسوف أبدأ الكتابة له منذ الآن دون الإخلال بميثاق الشرف مع "الوان" إلا اذا رأيت غير ذلك .. وهى حرة فيما تقول وتفعل.

وانى لا انتظر شكرا فى السر أو العلن .. ولا اخلب أجرا داخل أو خارج الوخن .. وهو قسم لو تعلمون عظيم .. والله وراء القصد.

ولنا عودة باذن الله...

## بوابة التاريخ

فى عام ١٩٦٢م أتاحت لى فرصة السفر مع (جمعية الصداقة العربية) بجامعة الخرطوم مع مجموعة متميزة من الزملاء فى الكليات المختلفة بدعوة من قسم الوفود والمؤتمرات بوزارة الخارجية المصرية لزيارة الشقيقة مصر فى برنامج ثقافى لتبادل الزيارات بهدف رفع الوعى العلمى والثقافى بين البلدين .. وربما يكون الهدف الأكبر تنشيط الحس السياسى بالقضايا العربية فى زمان كان يتعاضم فيه زخم الحلم العربى فى تحقيق الوحدة العربية .. وتأصيل القومية العربية وإحياء جذوة القضية المصرية فى الصراع العربى الصهيونى.

وعند وصولنا إلى القاهرة زرنا جريدة (أخبار اليوم) ورئيس تحريرها الاستاذ الكاتب الكبير مصطفى أمين و الذى قدم لنا نبذة قصيرة عن تاريخ القضية العربية قبل أن نطلق فى زيارة ميدانية الى أرض فلسطين فى قطاع غزة بالقطار من القاهرة عبر صحراء سيناء .. ورفح والعريش وخان يونس .. وقابلنا الحاكم المصرى فى قطاع غزة وبعض الأخوة الفلسطينيين الذين كانت تغطى ملصقاتهم جدران المدينة تحمل شتى الشعارات... "الزمن عدوك يا لاجئ" .. وعندما شرحوا لنا العبارة، عبروا لنا عن خوفهم ان ينتهى الجيل المعاصر الذى يعرف الأرض وتضاريس الجغرافيا وخرق الوصول الى الاهداف العسكرية ويأتى زمان يولد فيه جيل جديد لا يعرف خريطة الوصول الى الأرض المحتلة ولم يخطر ببال هؤلاء المناضلين أو فى فكر امثالنا من القاصرين على استيعاب حقائق التاريخ وقراءة المستقبل ولم نتصور أن يأتى زمان يخرج فيه جيل من الأخفالى ليعفى الجيوش من مسئولية الدفاع عن الحق العربى .. ويوفر على الدول ميزانية نفقات الأسلحة الحديثة باستعمال الحجارة فى وجه القوة وخوض معركة أخفالى الحجارة المستمرة خلال بضع سنوات

لتعويض خسارة النكسة وتمحو عار الهزيمة وتؤكد قوة الحق فى مقابل حق القوة .. وترسخ مصداقية مقولته: (ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة)، حتى وإن كانت قوة الإرادة او قوة الحجارة.

يحدث هذا والتاريخ ينظر فى ذهول الى أخفاله الحجارة و هم يقتحمون المجهول فى الإصرار على الدخول من بوابة التاريخ أمام الآخرين الذين يهرولون للوصول الى منافذ الخروج من بوابة التاريخ حتى لو سموه "الخروج العظيم" .. فهو الخروج أو الهروب الى الإمام والذى يتعلم فن الخروج من كل الابواب .. يعرف آلية الدفع والجذب فى بوابة الخروج .. بينما إرادة الدخول هى قوة الدفع فقط وقدرا الاقتحام بدون الهروب أو الاستسلام.

عود على بدء.. ظن الكثيرون أن التمازس خلف هوية القومية العربية قد يضعف الإنتماء أو الدفاع عن الهوية الإسلامية .. فافتعلوا معارك شرسه ضد القومية العربية تحت كل المسميات المضادة للثوابت والمتغيرات المثيرة للجدل والخصومات .. حتى أصبح هدف تصفيه هوية القومية العربية غاية فى حد ذاتها .. وبرزت أخروحات كثيرة تدعو الى مناهضة هذه الفكرة .. والتشهير برموزها حتى اذا تبخرت الفكرة .. وتعثرت الخطى .. وسقطت التماثيل المنكرة والممسوخة كما صوروها. بدأت رياح التغيير تهب على ثوابت الهوية الإسلامية لتنهزها حتى النخاع .. لقد ضاعت الهوية العربية وفقدت شعاراتها ولسان حالها يقول: "لقد أكلت عندما أكل الثور الأبيض"، خاصة ولم يكن هناك بديل للثور الأبيض أو أهداف جامعة مانعة يبشر بها من يريد ان يمثل دور الثور الأبيض.

إن الهوية الإسلامية والتي ظلت الملاذ الأمن للمستضعفين والمستهدفين والقابضين على دينهم كالجمر، ليس فقط فى المفهوم العقائدى وانما ايضا فى القاموس السياسى، أصبحت على مرمى حجر من أعداء القومية العربية الحقيقيين والذين كانوا يخططون لهذا الصراع منذ أمد

خويل .. وكان استهداف العروبة -أو العروة الوثقى المتمثلة فى (لغة القرآن) بداية الزحف الى حدود الهوية الاسلامية.. (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) صدق الله العظيم.. وأخشى أن يكون الذى يجرى على الساحة اليوم على امتداد خريطة العالم الإسلامى .. من المغرب الى المشرق .. مؤشرا لا يحتمل التأويل الى تصفية الهوية وافراغ العقيدة من محتواها فى الشكل والمضمون ومن الداخل .. حتى اذا افرغوها بقى لنا "الهيكل" وعلينا التأمل فى المعنى والمبنى فى هذا الرمز وتلك الدلالة.

لقد تدافع الناس فى كل جبهات الصمود والتصدى- قلاع المقاومة فى الماضى- الى الخروج من بوابة التاريخ وبعد ان كانت الدول و العواصم التى ترفع شعار المقاومة وترفض الإستسلام وتلتف حول القضايا المصيرية كالسوار حول المعصم .. أخذت تتساقط الواحدة بعد الأخرى وخرجت من معركة النضال القومى العربى دون اشعار آخر .. وبقي وهج الصحوة الإسلامية التى تهب عليها رياح التغيير لتطفئ بقايا جذوتها المشتعلة فى ظلام النظام العالمى الجديد.

عود على بدء.. لم يكن واردا فى ذهن اكثر المتشائمين فى عالم السياسة ان يتصور حدوث جفوة بين الوجود العربى .. والافريقى فى القارة السوداء .. بعد ما كان التوحد فى الرؤية و المصير لا يقف عند حد التضامن فى منظمة الوحدة الافريقية أو منظمة عدم الانحياز وانما فى التلاحق العرقى والثقافى بين شمال وجنوب القارة. بل ان اكبر كارثة حلت بالوجود العربى حدثت عندما قاد الضعف السياسى فى مسيرة القومية العربية والصراع الفكرى بين أعداء العروبة والاسلام ان فكرت، ولأول مرة و بصوت مرتفع، بعض الدول الافريقية بشق عصا الطاعة و اعلان اقامة علاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيونى بعد أن كانت ردة فعل غاضبة لمواقف عنصرية مؤسفة وسياسية فجحة تجاه هذه الدول.

وما كان يدور بخلد اكثر الشامتين فى مستقبل التضامن العربى أن تبادر دول عربية وتحذو حذو دول افريقية لا يربطها الدين ولا المصير المشترك مع بقايا الدول العربية والاسلامية و تفعل نفس الشئ.. وليتها تدرك:

رب شئ بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت علي

وهكذا خرجت بعض الدول الافريقية من بوابة التاريخ .. ووصل التراجع مرحلة ان استباح اكثر الزعماء تقديسا للقومية العربية تمزيق هذه الهالة المقدسة واعلان الخروج على القومية العربية والانتماء الى الوجود الافيقى و كأنما دعم الاول يتم على حساب الثانى. و هكذا اختلقت النوايا وكثرت الخطايا .. وخرج العرب من بوابة التاريخ .. عربيا .. وافريقيا حتى إشعار آخر.. وبقى الخيط الرفيع الذى يربطهم بعقيدتهم الاسلامية والتي أصبح التفریط فيها أشبه بالسقوط فى جهنم .. والسقوط ليس له قاع .. و بقيت البوابه الوحيدة التى أصبح الخروج منها أشبه بالخروج من الملة..والعياذ بالله.

و اذا جاز لى أن أستعير ما قاله الصحفى الكاتب البارز و المفكر العربى الكبير الاستاذ محمد حسنين هيكل - أحد الرموز الوخنية النادرة والعقول العربية والاسلامية الباقية على امتداد الوخن العربى -، قال فى لقاء تلفزيونى مع (قناة الجزيرة): ان العالم قد شهد بعد الحرب العالمية الاولى و الثانية الحرب العالمية الثالثة متمثلة فى الحرب الباردة حتى سقوط الاتحاد السوفيتى والحرب العالمية الرابعة و المتمثلة فى الحرب على الارهاب وهى التى تدور رحاها الآن ونحن بعض أدواتها وكل وقودها وفى الختام سأله المذيع: والآن الى أين نحن ذاهبون؟! فقال ساخرا: (فى ستين داهية). واستدل بييتين من الشعر لشاعر النيل حافظ ابراهيم كتبها فى ورقة صغيرة يخأخب بها ربما زوج أمه و الذى كان يعوله وربما ضاق بمعيشته فترك المنزل قائلا:



ثقلت عليك مؤونتي .. و أنا أراها واهيه

هون عليك فاننى .. ذاهب فى داهيه

وربما لا يعنى الاستاذ هيكل ذلك تماما.. ولا أرى ذلك يقينا و لكن الحق يقال.. (مثلما

تكونون يولى عليكم) ...

ولنا عودة بإذن الله...

.....

## موقع الإنترنت .. لماذا ؟

أريد أن أسجل هنا أننى الى جانب ظروف موضوعية تتمثل فى متطلبات الحياة وضرورات العصر وثورة التقنية، فإن عوامل خاصة قد دفعتنى الى التفكير الجدى فى إنشاء موقع شخصى لي فى شبكة الإنترنت بعد دعوة من صديق فى أبو ظبى خلب منى دخول موقع "سودانيز أون لاين" ذلك العالم الخاص والتميز الذى يجمع شتات السودانيين فى قرية كونية مصغرة تحمل سمات السودان من معالم الأركان الأربعة للعالم فى آن واحد.. نفس الزخم السياسي الذى يشبه عنفوان الأعاصير أمواجاً متدافعة متلاخمة وعشرات السفن المبحرة فى شتى الاتجاهات .. وعلى الشيطان التى لا تهدأ فيها الحركة تجد سحنات الوجوه السودانية من الشرق والغرب والشمال والجنوب تتلاقى و تتعانق و تتسامر وكأنها داخل قارب فى رحلة خويلة الى المجهول .. ومن خارج شبكة الانترنت وكأنك تنظر الى هذا العالم من مكان عال ومن زاوية لا يراك منها أحد تتأمل فى خريطة السودان .. فى اخار الزمان والمكان المتباعد المساحات و المتباين الميقات و المتعدد المدن والدول والقارات فى نظرة واحدة تختزل الجغرافيا و التاريخ .. هذا ما أحسست به وأنا أتابع الحوادث التى تجرى وكأنها تنحدر من كل جبال العالم كشلال يصب فى بحر السودان بكل سلالاته العرقية واتجاهاته السياسية وشرائحه الاجتماعية.

واستوقفتنى مشاركة مشاهد يتحدث عن قصيدتى (خواجر غريب فى لندن) التى نشرت لى فى عام ١٩٧٢م فى ديوان (قصائد من بريطانيا) وكنت فى بعثة دراسية للطب النفسى فى جامعة لندن .. وقد قدمنى المشارك بقوله: صاحب القصيدة الشاعر الراحل .. ورد عليه أحد المشاركين بانه حسب علمه فإن الشاعر ما زال حيا يرزق .. وعلق مشارك ثالث ولعله من الإمارات

بقوله القاجع بان الدكتور عماره متعه الله بالعافية حى ويعمل فى ابوظبى فى دولة الامارات..  
وكنت اتابع تلك الرسائل التى تاتى والردود التى تتوالى فى سرعة البرق على الموقع ..منهم من  
ينعى .. ومن يتحسر .. وبعدها من يعبر عن سعادته بعودة الشاعر الى الحياة ونفى النبأ غير  
المؤكد .. وما كان أحدهم يتمنى لى الموت .. ولكن كما يقول المثل السودانى "البعيد عن العين  
بعيد عن القلب" .. وربما الذاكره أيضا .. وبما أننى كنت بعيدا لسنوات خويله فكان من  
الطبيعى ان يتصور البعض ان الصوت الذى خفا .. والوجه الذى اختفى فى الخارج وكان ملء  
السمع والبصر فى الداخل لابد ان يكون قد رحل .. والبقاء لله وحده .. ولكل أجل الكتاب.

قررت أن أشارك لا لاننى وجدت نفسى ميتا داخل الموقع، وهذه سنة الحياة، ولكننى فرحت  
بأن هناك من يذكرنى ويبيكىنى بحسرة "والذكرى للانسان عمر ثان". وسعدت اكثر لاننى  
وجدت فى الموقع نافذة كونية و فرصة ذهبية فى إخلالته على السودان .. وممارسة تجربة متمثلة  
وإن لم تكن معاشه .. وتسجيل حضور بعد غياب عن الساحة لأسباب قاهرة وتنفس الصعداء  
وخلبت من منسق الموقع التسجيل للمشاركة و كان أشبه بعودة الروح وكتبت نبذة صغيرة  
عن حياتى .. ورحلتى حتى اللحظة .. وبعد دقائق انهالت على التهانى والدعاء بالصحة وخول العمر  
.. وبدأت مشوارى مع الموقع المتميز .. المتفرد والذى يعطى نموذجا مصغرا لممارسة أو امكانية  
ممارسة الديمقراطية، والسلبيات التى يمكن أن تنشأ والايجابيات التى يمكن ان تتحقق .. وهو  
نموذج على صغره يعطى فكرة عن الثمن أو الضريبة المتوقعة من أى فرد يفكر فى ممارسة  
الديمقراطية واحترام الرأى الآخر . وتقبل فكرة الرأى المعارض .. وفهم ديناميكية أزمة الحوار ..  
وديماجوجية التفكير.

وبعد عدة مشاركات .. وجدت فرصة للاستجابة لطلبات قراء قدامى وجدوا بعض قصاصات من قصائدى .. و يضع خبوعات من دواوينى القديمة .. يطلبون قصائد منها .. وقد سألتى أحدهم عن قصيدة قديمة .. ومن بعض عيوبى اننى لا أحفظ شعرى فى الذاكرة وعزائى انه موجود فى دواوين قديمة.. لم يتبق منها الا نسخة من كل مجموعة أحتفظ بها فى اخار زجاجى أشبه بالتحفة الاثرية .. معلقة على الجدار.

فطلبت من المشارك أن يرجع الى ديوان ( قصائد من بريطانيا ) فى دار الوثائق الوخنية السودانية بالخرطوم .. ورد على انه لا يستطيع الحصول على الديوان لأنه يعيش فى أمريكا الشمالية فى مقاطعة لويزيانا (أيوا) منذ أكثر من عشرة اعوام وقد لا يعود قريبا الى السودان .. فكيف يمكن الحصول عليها ؟ .. كانت هذه تجربة شخصية من خلال زيارتى للموقع وتمثلت حرارة التجربة فى أكثر من مجال فى الشعر والأدب والطب.

وشاءت الظروف ان أبدأ الكتابة والمشاركة داخل السودان.. مدفوعا بإحساس داخلى فى الرغبة فى شق دروب العودة حتى لو كان عن خريق شبكة الأنترنت أو المشاركة الصحفية .. وقررت الكتابة .. واستكتبنى صديق فى جريدة (الوان) وبدأت اكتب. وكنت دائما أستدرك باننى التمس العذر كل العذر فى الإفراط أو التفريط فى الصراحة نتيجة غيابى عن الساحة وأننى لا أتصيد أحدا أو أرمى حجرا فى مسيح أحد .. ولكنى كالعائد من مكان بعيد لا يعرف بوابة الوصول أو أصول الدخول .. أو كلمة السر فى المكان الجديد.. وكنت كثيرا ما أستشهد بقصيدة كتبتها أو مقالة نشرتها فى الماضى البعيد ويبدو للقارئ الجديد أو الباحث الحذر .. أننى أجتز ذكريات الماضى أو أسرد أحداثا غير موثقة ويصعب الرجوع اليها .. ولا يفيد كثيرا أن أقول أنها موجودة فى أرشيف الصحف القديمة أو مودعة فى دار الوثائق السودانية.

وبدأ واضحا ضرورة وجود موقع خاص فى الإنترنت يلبي كل هذه الإحتياجات و تتوفر فيه كل هذه المخطوختات يمكن الرجوع اليها بدل الإستشهاد بها كمراجع لا تتناسب وروح القارئ المتعجل فى قراءة الصحف اليومية .. ويمكن للباحث المتأنى الرجوع الى الموقع .. لزيادة البحث والتوثيق ومصداقية الطرح للقضايا السياسية أو الأدبية أو الاجتماعية التى أتناولها فى هذه السلسلة من المقالات التى امتدت لأكثر من عام. وأخيرا وجدت امكانية توفير مكتبة حية متنقلة عبر فضاءات العالم تكفينى مؤونة اعادة خبعاة هذه الكتب والمؤلفات القديمة ..و من الناحية العملية و فى هذه المرحلة من العمر استحالة وجود الفراغ الزمنى والصحة الجسدية ومن الناحية المادية فإن عبء تكلفة اعادة خبعاة ونشر كل هذه الكتب قد تتضاءل أمام الأزمة المزمنة والمتفاقمة .. والمتعاطمة يوما بعد يوم فى صعوبة وجود الناشر المؤتمن والقادر على تحمل عبء مسئولية النشر والموزع المتمكن و المثابر على توصيل الكتاب .. ناهيك عن أزمة الحرية فى تحقيق كل هذه الأمنى .. وان بدأ شعاع الأمل يطل من دهاليز الظلام الطويل .. فنأمل ان تتسع دائرة الضوء حتى نتخطى كل هذه الحواجز.

وأخيرا فقد وفر لنا موقع الإنترنت مكتبة متحركة .. تسافر عبر الفضاء عبر القرية الكونية الى الجهات الأربع بأسرع وقت وأقل تكلفة .. أسوة بالمبدعين الكبار أمثال الراحل العالم الدكتور التجانى الماحى والراحل الدبلوماسى جمال محمد أحمد و الراحل العصامى الأستاذ محمد أحمد السلمابى .. والذين عاشوا بالداخل وماتوا بالداخل .. فتركوا مكتبة للقراء يتزودون منها .. ومقبرة للدعاء يذكرون فيها .. ونسأل الله أن يرزقنا حسن الخاتمة .. فلا يكون حصاد الرحلة فى حياتنا مكتبة فى الفضاء .. ومقبرة فى المنفى .. ولا حول ولا قوة الا بالله ..

ولنا عودة باذن الله...

## ماذا حدث..؟؟

من خارج الوجود وبعيدا عن ساحة الحوار ومنعا للضرر والضرار أسأل الله أجرا لاجتهاد في توضيح الهام والصحيح فيما أغفله التصحيح و أحاول البحث فيما حدث عقب رحيل الدكتور جون قرناق.

لقد حدثت الفاجعة وكانت في توقيتها أبعد ما تكون عن خيال كل البشر المؤيدين والمعارضين للفقيد وبسرعة خوت كل تاريخ الحرب الأهلية في بضع ساعات .. حتى أن اذاعة الخبر- وقد تابعتها- أثارت في نفسى أسوء تكهّنات رجل الشارع البسيط ناهيك عن ذلك المتحفز والمشفق والحاقد والناقد والجاهل والمتجاهل لحقائق الصراع .. وبدأت مخاوفي تزداد مع مرور الساعات بين مصدق ومكذب .. وزاد الطين بله ان أذيع نزول الطائرة بسلام وهو ما بدد الخوف وجدد وهم خيط الأمانى الذى يتعلق به كل مفجوع .. إذن حجم الرجل .. وسرعة الحدث .. وصناعة الخبر مع خلفية خريطة الخرجوم السكانية والتي كانت بؤرة توتر من خليط المجاهدين الذين يذهبون قوافل الى الجنوب ولا يعودون وأفواج العائدين الى الشمال ولا يرجعون وبينهم حواجز نفسية وعرقية وتاريخية فى الصراع السياسى الموروث الطويل.

وكان أكثرنا إما غافلا أو زاهدا أو ناكرا لكل محاولة كالتى تجرى الآن لترميم العلاقات .. وبناء الصلات .. واستبدال زاد المجاهد بزاد المحبة و الثقة والألفة .. ومسح الكراهية والحقد وخير الزاد التقوى .. فأصبحت جذور عدم الثقة ضاربه فى أعماق الأرض خاصة فى الخرجوم التى تمثل عنق الزجاجة المليئة بالدم .. أو البركان الذى ينتظر الانفجار .. ولا أحد يتحسب له متى يحدث و إن كان على يقين أنه حادث لا محالة يوما ما بصورة أو باخرى.. قنبلة موقوته تنتظر

الضغط على الريموت كونترول وهذا بعض ما حدث. وقد شاركنا جمعيا شماليين وجنوبيين فى تاجيح هذا الصراع أما بانكار وجوده أو تجاهل حدوده .. أو الاستخفاف بردوده و أخذنا على غرة.. فجاءنا رد الفعل أقوى من الفعل.

ثم كان هناك شبه فراغ دستورى بعد تنصيب الدكتور جون قرنق حيث تم حل الأجهزة التنفيذية فى الشمال والجنوب .. بصورة مستعجلة الطمأنينة أحدثت نوعا من التراخى والتباخؤ فى نفوس المكلفين .. وكان أشبه بالتكليف المشروط .. لا يحيطه الحذر ولا يتجنب الغفلة خشية المساءلة.. ثم كانت هنالك الإجهادات الشخصية والرسمية على كل المستويات فى كيفية بناء الثقة فى اللحظات الأولى بعد التوقيع ومراسم التنصيب.. فكانت الحكومة تعتقد قانعة بان رفع حالة الطوارئ تعنى اللاعودة الى القهر باى صورة - وهذا خبيعى فى الظروف الطبيعية ولكن القدر عاجلها بحالة غير خبيعية وهى منهكة بعد الخروج من ماراثون السلام .. لتدخل فى دوامة قيود جديدة .. فكانت متشحة بعباءة التسامح، فأعطت انطبعا- و لو إلى حين- بأن كل ممنوع مباح للعاقل والجاهل .. ولم يصدق المغرضون على أنه من أدبيات فقه الضرورة .. وقد أحدثت صراعا نفسيا أشد حدة وسط صناع القرار الذين بدأوا يلتقطون أنفاسهم من اللهاث خلف سن القوانين المقيدة للحريات .. ومن حالة الكبت الى عالم الانفتاح .. وفى هذه اللحظة المفصلية تقع الكارثة فيختلط الحلم بالحقيقة .. و يقينى (أن رب ضارة نافعة) فقد انتفت الشبهه عن المسؤولين أو اللوم للقيادة على أن لها ضلعا فى الحادث أو معرفة ولو من خرف خفى به و إلا كانت وضعت نفسها فى قمة التاهب و يقينى لو تصدت الاجهزه الأمنية- وهذا لا يعفيها حتى الآن من التقصير ولو بالحد اليسير- وكانت خرفا فى وقوع ضحايا لانتشر العنف كالنار فى الهشيم متهما الحكومة بواد معالم الجريمة .. ولكنه كان فعلا غير مسئول من موتورين .. متبطلين فى شوارع الخرخوم ينتظرون أى فرصة مواتية.. جمعهم مغرضون متربصون فى أزقة السياسية ..

يتعطشون لمثل هذه السانحة .. ومما يؤسف له إنهم استدرجوا بسطاء يفتقرون الى حسن النوايا .. و  
أبرياء مكلومين من أهل الضحايا، فقاموا بالفعل المضاد والذي ايقظ الحكومة من احلام اليقظة  
.. وأشعل جذوة الشعور بالخطر .. وأخفاً نار الخوف من الاتهام .. وكانت هذه الفترة الزمنية القصيرة  
من أصعب اللحظات التى شهدت أكثر وأخطر الأحداث الدموية.

ولكن الهام والصحيح فيما أغفله التصحيح أن نتحدث عن الانتقال السلمى للسلطة و  
الأسلوب الحضارى لإتخاذ القرار داخل الحركة الشعبية .. وخروج قادتها ولأول مرة فى تاريخ  
السودان المعاصر .. وخوال اقامتهم فى الشمال خلال فترة الحرب الممتدة لعقود بحملات توعوية  
للتواصل والمؤاساة .. وكان ينبغى أن تتم من قبل وعلى نطاق كبير فى بناء جسور الثقة ..  
وتمكين روح السلام .. وكأنه قرار بأثر رجعى خرجت معه شريحة من أبناء الجنوب على مستوى  
عال من الثقافة وقدر كبير من الحس الوطنى .. قاموا بمبادرات اضعاف ما قام بها غيرهم من  
المتضررين.

إن سيكولوجية الإشاعة تتكون من عدة عوامل أهمها وجود شئ من الحقيقة و قدر من  
الغموض و نوع من الدافعية تتجه بالمحتوى سلبا أو إيجابا و قد توفرت كل هذه العناصر على  
خلفية مشحونة مخنوقة بالإحتقان. إن العنف يبدأ من نقطة معينة وقد ينتهى فى نقطة لا يعلم  
مداها إلا الله و لاعلاقة لها بمصدر العنف وسببه وجذوره .. وهذه خطورته فهو كالمرجل الذى يغلى  
وتنصهر فيه المشاعر الخبيثة والحميدة وينبعث منه لهب حارق يذيب عقل الفرد فى غوغائية  
الجماعة مهما أوتى الفرد من الحكمة .. ومن أوتى الحكمة فقد أوتى شئيا كثيرا. وقد كتبت  
حول هذه الرؤية النفسية للعنف بالتفصيل فى كتاب (مدخل الى الطب النفسى)، فصل  
(سيكولوجية العنف والعدوان)، ص: ٣٧٥ ، الطبعة الاولى ١٩٨٦. وقد كان كثرة من ابناء الجنوب



على قدر كبير من الحكمة ونفاذ البصيرة وعمق الرؤية بحيث احتوت الحركة الشعبية كل مشاعر الغضب فى الشمال والجنوب .. وتصرفت بمسئولية تؤكد "أن المصائب تجمعن المصابين".

لقد قال وزير الأشغال المكلف الدكتور جوزيف ملوال فى أول اجتماع للدكتور الراحل جونق قرنق بمجلس الوزراء فى الاجتماع التنويرى محذر من حدوث مأساة الأحد المشؤم فى ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، عندما تأخرت خائفة السيد / كلمنت أمبورو وزير الداخلية فى حكومة أكتوبر عائدا من الجنوب. .. وقد ذكر أعضاء المجلس قائلًا بالحرف الواحد: ان فردا واحدا غير مسئول من الشارع وفى الشارع يمكن ان يخرب كل عملية السلام.. وصدق الرجل .. ولم تمض أيام بعد الاجتماع حتى حدث ما حدث ولم تكن نبؤة ولكنه بعد نظر واستقراء للاحداث و لم تحدث معالجة سياسية مسئولة آنذاك وقد كانت كفتنا مؤونة ما يجرى الآن .. وتتعدد الأسباب والموت واحد .. وقطعا لم يكن أحد يتوقع وفاة جون قرنق آنذاك. ولكن كان كلنا يعلم أن الظروف الموضوعية مواتية لحدوث ما حدث .. وكنت اتفق معه وأرى رؤيته ..و لكن رغم حزنى الفاجع على ما حدث إلا أننى أقول (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) ..و من حذرك كمن بشرك.

لقد كان متوقعا أن يحدث هذا لفك الإحتقان الموروث والمكتسب وإمتصاص نغمة الكراهية الظاهرة والمستترة ونزع فتيل أزمة الثقة .. بفتح بوابة جديدة .. أو فكرة مبتكرة أو مبادرة حميدة تفتح الباب لكيفية التواصل بين الشرائح السياسية .. والمنظمات الطوعية .. والإدارات الأهلية والإتحادات النقابية و الهيئات الشبابية لتشارك فى صنع السلام .. وقد شاركت بقدر كبير عندما امتلكت زمام المبادرة يسندها فهم الحقيقة .. وحسن النوايا .. و ما كنا نحتمل هذا بعد سنوات من الآن ولن يفكر عاقل فى تكراره بعد اليوم. فإذا كانت الدماء التى سالت فى الجنوب مهرا للسلام فإن الدماء التى سالت فى الشمال ضريبة للوحدة..وكفى.

ولكن علينا دائما ألا ننسى الأيادي الخارجية .. تحت مظلة الشرعية الدولية .. والمجتمع الدولي الذي يراقب ويحاسب .. ولا يحسب حسابا لأحد .. فلكل أجندته الخاصة به .. وحتى تكون لنا أجندة وخبئية خالصة خاصة بنا.. فليكن هذا الدرس عظة وعبرة .. فالقانون يعلو على البشر.. والوخن يعلو على الجميع .. وهذا هو الهام والصحيح فيما أغفلة التصحيح.

ولنا عودة بإذن الله

## الانتقال السلمي

لقد كتبت هذه المقالة فى التاريخ المثبت فى صلب الموضوع بعد توقيع إتفاقية السلام وقد كنت فى إجازة قصيرة فى لندن وبعثت بها مع عدة مواضيع الكترونيا الى مكتب التحرير و نشر البعض ومازالت تنتظروحتى لا تبدو وكأنها تغرد خارج السرب أو تسابق الأحداث بأثر رجعى فى السياق الزمنى آثرت أن أكتب هذه المقدمة... تقول: أليس من الغريب والمدهش حقا ان يمر الحدث التاريخى الذى يعيش فيه السودان هذه الأيام.. والميلاد الجديد لأحد اكبر اقطار أفريقيا.. القارة التى تمثل حلم و هاجس عالم اليوم .. القارة التى اعيد اكتشافها من جديد فى "النظام العالمى الجديد" وسط كل هذه الأهمية السياسية والجغرافية والإقتصادية أن يمر هذا التحول "الجيوبوليتيك" فى الإعلام العربى دون الأهمية التى يستحقها فى وقت تنهافت فيه القنوات الفضائية على تحليل نتائج انتخابات بقايا دول الاتحاد السوفيتى المنفرخة من عقد المنظومة الاشتراكية المنقرضة.

هل كان يصدق أحد فى كل هذه الفضائيات أن تنتصر إرادة شعب خاض حربا أهلية مفروضة عليه على مدى نصف قرن ثم إنتصر على مراهنة الإعداء فى التقسيم والإنفصال لا الوحدة حتى ولو كان من خلال فترة إنتقالية.. لأن مصائر الشعوب لا تتم صياغتها بقرار سياسى من قمة الهرم أو مرسوم سيادى من رأس الدولة وإنما بتفاعل القيم التى من أجلها رفع السلاح ثم انصهار هذه القيم فى بوتقة واحدة من الحرية والعدل والمساواة .. وهذا لا يتم بين عشية وضحاها ولا يختصر فى شهور ولكنه عملية ولادة جديدة واستنساخ مشروع وحدوى فريد يستغرق وقتا

من الأخذ والعطاء .. والشد والجذب .. والرفض والقبول .. والإتفاق والإختلاف بأكثر مما حدث فى  
ماراثون المفاوضات خلال سنوات خويلة..

وعلى عكس ما يعتقد المتشائمون فإن دخول الفترة الإنتقالية يعطى فرصة ضرورية  
لبلورة و نضج المفاهيم واعادة صياغة المواقف الخائضة وتصحيح الصورة المغلوخة فى الأذهان أو  
الاحزان المنحوتة فى الوجدان .. وهذا كله يحتاج الى زمن .. ونهاية حرب امتدت نصف قرن .. لا  
يضيرها ان تنضج على نار هادئة خلال نصف عقد من الزمن وهذا منطوق التعامل مع القضايا  
الخلافية فى سيكلوجية العلاج النفسى المعرفى والادراكى الذى يهدف الى تحويل وتبديل  
الأعراض المرضية الى أفكار صحية تعطى الفرد بصيرة نافذة ورؤية اكثر شفافية فى التعامل  
مع ضغوخات الحياة .. و تمنح المواجىن مهارات أساسية فى ترسيخ متطلبات السلام. إذن لابد من  
الإتفاق على صنع السلام .. لا فرض السلام فالأول يتم بقرار والثانى يتحقق بخيار .. الخيار الأفضل  
من بين بضع خيارات تخضع للدراسة والمناقشة والتداول بين الجميع.

إن من أكبر تجارب فشل السلام الذى يفرض من الداخل أو الخارج أن لا يتعامل ولا يتفاعل  
مع القاعدة.. فاتفاقية ١٩٧٠م فرضت السلام من أعلى ولكنه لم يؤسس له فى البنية التحتية .. فجاء  
بقرار قمة وانتهى بقرار قمة .. لم يحظ بإجماع الشعب ولم يخضع لإستفتاء ولم يتم فى ظل  
مباركة إقليمية ودولية .. ورغم الحساسية المشروعة من هذه التداخلات المشبوهة إلا أنه فى عالم  
اليوم أصبحت كالمالح للطعام و أشبه بقناعة لا خيار لمن لا يختار. وليس فقط لأنها قد تساعد فى  
الوصول الى سلام ولكنها تصبح من أكبر مقومات صنع السلام .. والعالم اليوم ملئ بهذه الشواهد  
فى أركانه الأربعة.

والآن هذه الفرصة الأخيرة تأتي بضمانات داخلية ودولية وأهم من هذا تنضح فى مناخ نفسى داخلى وتعيش بين ضلوع الوخن الحبيب حتى تجئ ( نعم ) هنيئة، أم ( لا ) مريحه وهذا يتوقف على قدرتنا على تغيير نمط حياتنا وأسلوب تفكيرنا .. وإعادة صياغة مفاهيمنا الموروثة والمكتسبة بكثير من القناعه والرضا .. لكي يتم الإنتقال السلمى للسلطة.

وما دمننا نتحدث عن اقتسام الثروة وتداول السلطة وتحقيق الاصلاحات فإن كل هذه المفاهيم قد تصبح فارغة من محتواها .. منقوصة فى معانيها إن لم تستوعب كل قطاعات الشعب بكل أعراقه ودياناته وكياناته فى منظومة تضع نصب أعينها أن العالم اليوم يسعى الى تغيير الكيانات الصغيرة وبعثرة القوميات الضعيفة الى جزئيات وفتات يسهل التحكم فيها وتشكيلها فى قوالب يصنع منها دويلة أو مسخ دولة .. أمة أو أمية .. عقيدة أو عقدة .. لأن الكل ليس مجموع الأجزاء كما تقول مدرسة الجشتطالت "فى علم النفس": انك تستطيع أن تصنع من مجموعة المكعبات اشكالا عديده مختلفه المضمين وان كانت من نفس الجزئيات .. وبنفس الفهم، تصنع من جزئيات الجغرافيا مسخ دولة ومن فتات القوميات أمة مشوهة. وحتى لا نقع فى هذه المصيدة مثلما تجاوزنا القرارات الدولية وبالونات إختبارات الشرعية الدولية وحتى نظل نسيج وحدنا فى الاخار الدولى السائد..

وقد ثبت حقيقة أن الكيانات الصغيرة لم تعد قابلة للحياة وأن الجغرافيا لم تعد هى المحك فى قياس السيادة ولكن الفضاءات هى التى تتحكم فى ادارة الصراعات الاقليمية والدولية وربما ياتى وقت قريب لنسأل ما هو فضاؤك؟ .. فى أى فضاء تقع دولتك؟ وليس فى أى قارة ! .. فى القرية الكونية الصغيرة .. فالتكنولوجيا الكبيرة خلقت واقعا جديدا قضى على كثير من النظريات

التقليدية والموروثات الفكرية التي عليها أن تعيد النظر في مناهج تفكيرها وخرق حياتها حتى لا تخرج من هذا السيرك الدوار.

وهذا ما دفعنى للبدء بالحديث عن هضم حق الحدث الهام والصحيح فيما أغفله التصحيح .. حدث السلام السودانى .. النموذج الفريد والجديد .. بكل معايير على القارة السوداء .. والقومية العربية .. والهوية الاسلاميه .. والرؤى العالمية لمستقبل الموارد الطبيعية والأهمية الاقتصادية وفوق كل هذا وذاك الجسور السياسية المعلقة بين الفضاءات الجديدة .. وأحدها الفضاء الإفريقى.

لقد أذهلنى غياب الإعلام وضعف الإعلان عن هذا الحدث الكبير والمولود الجديد .. لقد غطت أخبار لا ترقى الى مستوى الحدث اليومى على اكتشاف كوكب آخر فى قلب افريقيا .. وليس هذا من باب تضخيم الذات أو وهم التمنى ولكنه من نبض الواقع وقراءة الأحداث.

لو كان إعلامنا المحلى يقف على قلب رجل واحد .. وخطط منذ تبشير السلام لخطة إعلامية مؤسسة مدروسة من خبراء فى كل مجالات الحياة العامة .. لأسلوب المخابطة ووسائل الطرح وخرقته الإخراج لبرامج هادفة ممرحلة لصنع بنية تحتية للسلام القادم والذى ينبغى ان ينبع من وجدان الناس لا من فكر القادة فكثرهم يأتى ويذهب ويبقى الناس .. يحملون هم هذا الوجدان وأوجاع هذه الأمة.

إننى ألاحظ مع تقدير كبير للقائمين على أمر الإعلام .. وكأنهم أخذوا على حين غرة وهم يحاولون اللحاق برقاب الأحداث والإجابة على تساؤلات المشاهدين .. ولاحظت وكأنهم ما زالوا منقسمين بين مؤيد يكافح ومعارض ينافح ومتردد يتراوح بين الشك واليقين وآخرين يصدق فيهم قول أبى الطيب المتنبئ:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم...

إننا دائما نلوم الإعلام على التقصير ولكن هل بنود الاتفاقية او نصوص المفوضية أعطت الإهتمام المناسب للخطة الاعلامية فى المرحلة القادمة .. لاننا اذا لم نعط الاعلام المحلى حقه المقدر فيصعب أن يؤثر على الإعلام الإقليمى ويستحيل ان يصل الى الفضاءات العالمية إذا أردنا لمرحلة الإنتقال أن تكون سلمية تؤدى الى وحدة حقيقية فعلينا وضع خطة اعلامية تعطى الأولوية لتجميع هذا الشتات فى كيان سودانى واحد قابل للبقاء وقادر على العطاء وفاقده الشئ لا يعطية.

لقد سئل بوش الأب فى أيام حرب افغانستان فى مؤتمر صحفى فى البيت الأبيض قبل الانتخابات، هل تعتقد انه سيأتى يوم يدخل البيت الابيض رجل أسود ؟ فقال : نعم - ولكن بطريقة سلمية. ربما تجاهل بوش شراسة الحرب الأهلية والصراعات العنصرية التى حدثت فى أمريكا حتى تمت اجازة الدستور الاتحادى ... وقطعا لم تكن أقل فتكا من الحرب السودانية، ولكنه اكد على الانتقال السلمى وسوف يحدث ؟. اذن فى كل تجربة ديمقراطية لابد من تمهيد الأرض لانطلاق محركات خائرة السلام لتحلق فى فضاءات الحرية والتمهيد يأتى فى البداية من خلق أجواء تسامح ومناخ مصالحة لا تطغى عليه نزعة الاحقاد الدفينة أو الحقوق المتوهمه ولا تكون فترة الانتقال تصفية حسابات قديمة أو انتزاع حقوق مستحقة جديدة بصورة تتوهم ان ما حدث يصب فى مصلحة فئة دون أخرى.

ولنا عودة بإذن الله

.....

## ربيكا .. نصيرة السلام

إن من كرم الله على الانسان فى حياته نعمة حسن الخاتمه .. من يكون بينه وبين دخول النار بضعة امتار فيعمل عمل أهل الجنة فيدخل الجنة ومن نعمته عليه عند مماته سوء الخاتمه حين يكون بينه وبين الجنة بضعة أمتار فيفعل فعل اهل النار فيدخل النار .. وشاء الله ان يكتب للفقيد الراحل الدكتور جون قرنق حسن الخاتمه .. وهو من أهل الكتاب فخرج متمردا فى جنح الليل الى الغابة ليقا تل ويحارب ويخرب ويدمر .. ثم يعود خواعية فى وضح النهار الى رئاسة القصر الجمهورى ويشد على يد ساكنيه ويدخل البيوت من أبوابها .. لا بدبابه او مصفحة أوآلية عسكرية ولكن بصفة دبلوماسية تحمل أجمل معانى الإنتقال السلمى للسلطة.

وكان لقاء الثالث "قمة الحرب و السلم" فى بهو القصر الجمهورى أمام الكاميرات لوحة تاريخية تحمل كثيرا من الدلالات وترسل كثيرا من الاشارات الى الداخل والخارج .. بان فى هذه الأمة نبض حياة .. وجذور حضارة .. وجذوة مستقبل تنتظر الريح الآتية لتشعل شمعة السلام فى دها ليز الحرب والظلام. لقد كان الرجل فى مستوى الحدث .. فظل يردد العبارات المؤمنة بالسلام .. ويرسل الإشارات الداعية الى الوحدة ويصدر التعليمات المؤدية الى الإستقرار بصورة بددت شكوك أشد المتشائمين .. وفاق ت نبوءة أكثر الحالمين فى دهليز السياسة .. لقد قال فى بضعة أيام ما لم يقله آخرون فى عدة عقود ... وقد جاهد جهادا حقيقيا ليؤكد أن ليست هذه خدعة وليست صفقة مؤجلة على الأقل بالنسبة له شخصيا وقياديا ولكنه أجل مكتوب ومصير محتوم .. والله فى خلقه شئون.



وكانت أجدته واضحة وخطواته متسقة .. وقراراته تصب في مصلحة الوجود .. وان كانت تتدفق من ثقب مواعين أصحاب الأجدة الخفية .. وهذا ليس قدر الأوفياء ولم يكن مصدر خوف الأتقياء .. ولكنها دعوة حيطة وحذر من الغفلة والانسحاق وراء بريق الأحلام في وقت الأزمات. ولحكمة يعلمها الله وحده .. ولم تتجلى بعد للسائلين .. ولا لجان المحققين رحل جون قرنق .. وقد وضع بذرة السلام وتعهد بسقيها للجميع حتى الذين ما زالوا يحملون السلاح في جبهات أخرى هي أخرى بالحفاظ على السلام منه ان كانت محاربة معه أو مجاهدة ضده .. أو مناضلة من أجل عيون الوجود.

لقد استقبلت الجماهير الدكتور قرنق في حشد يعبر عن استفتاء للوحدة واحتفاءً بالسلام حتى ولو صورت تركية لقرنق .. أو مناصرة لأبناء الجنوب .. فالحدث كان بعنوان "استقبال بطل السلام" .. والذي عاد بعد أكثر من عقدين قضاها في جبهات الحرب .. وعاد تحت مظلة السلام ومن باب الحكمة .. و بوابة الحكومة. وقد كان واضحاً وضوح الشمس ان "كريزما" قرنق كانت أحد الضمانات الكبرى لتحقيق الوحدة وان كان (مانفستو الحركة) ينادى بها ويؤكد عليها ويفاوض بشعاراتها منذ أول جولة من المفاوضات.

ولكن بعيداً عن كل هذه الهوامش في دفتر النكبة .. وملابسات حادث الطائرة المشؤوم .. وحتى لا يزرع في نفوسنا اليأس .. وينزع من قلوبنا الأمل في ان نتصالح مع أنفسنا .. ونتوافق مع الآخرين في الداخل والخارج .. ورحمة من رب العالمين، خرج من رحم هذه الكارثة المظلمة ضوء أمل جديد في صوت شاهد على العصر جاء ينادى ليشهد شاهد من أهل جون قرنق .. من بطن قبيلته ومن داخل أسرته ... ومن بين ضلوعه التي ضم عليها حلم حياته .. حلم العودة الى الوجود الكبير .. صوت زوجته السيدة الفاضلة، ربيكا قرنق... أشبه بالعصا السحرية التي تنظم ايقاع اوركسترا،

الفوضى التي عمت الخرطوم وبعض المدن السودانية و ليس هذا مجال الخوض فيها ولكل مقام مقال فى وقت لاحق باذن الله- لقد كانت فوضى منظمه .. فوضى لأنها تجاوزت المعقول والمقبول فى التعبير عن الحزن أى حزن ومنظمة لأنها تركت آثارا مكتوبة على جباه الضحايا وواجهات المحال المستهدفة ولم تكن عشوائية بالإخلاق و لا عفوية باليقين كردة فعل تلقائية اثر حادث يدمع العين ويحزن القلب .. قلب اكثر الناس جهلا بالنوايا واكثر العقول غفلة فى الخطايا ولكنه كان لا بد ان يحدث .. ولا نقول رب ضارة نافعة ولكن سوف نقول لماذا؟ فى وقت لاحق... ولكن قطعاً أراد الله بهذا البلد خيراً حين وقعت هذه (الردة عن السلام) فى خلط أوراق الحقوق المتوهمة فى عقول الجميع فى وقت مبكر و لكن بعد أن ثبتت أوتاد خيمة السلام فى أرض الواقع فى قلب الساحة الخضراء بشهادة ملايين السودانيين الذين صفقوا جمعياً لرجل واحد ..أحد كوكبة صناع السلام وعاهدوا الله وأنفسهم على حمل رسالته من أجل صيانة أمانة الوخن وكأن هذه الجماهير كانت تصلى صلاة الإستسقاء لهطول الغيث..رحمة السلام .. بردا وسلاما على أرض الوخن .. فخرجت من قمم المساة .. سيدة فاضله .. تؤكد ان وراء كل رجل عظيم امرأة ..أكثر عظمة وأكثر جرأة.

فى القول والفعل وليس بالمفاخرة فى الإرث أو المكابره بالاثم أو الجهر بالمعصية .. خرجت لتقول: .. ان جون قرنق لم يمت فرسالته ما زالت مشعلا مضيئاً أحمله فى يدي .. ورسالة خالدة اتحدث بها لكم ناخقة باسمه .. وشاهدة على جهاده .. ونصيرة لسلامه الذى ضحى من أجله .. لقد كانت (ريبيكا) .. اكبر من الحدث كله .. بل صنعت من ضعف الناس قوة .. ومن فرقتهم وحدة .. ومن شتاتهم لمة .. والتف الناس حولها كالتفاف السوار حول المعصم .. وقد قدر الله لهذا الوخن ان يخرج من لهيب الفتنة ويبطل فتيل المساة عندما غيضى الله له خروج (ريبيكا) .. فخرجت حمامة سلام .. من وسط الركام الهائل من الخراب والدمار.

وخرجت لتتحدث حديثا مؤثرا فى مفرداته .. جديدا فى عباراته .. صادقا فى نبراته .. قويا فى إشاراته .. حديث مكلوم يعرض على بقايا وصية .. ونداء زعيم يناضل من أجل قضية. والوصية هى رسالة قرنق الشخصية فى الحفاظ على السلام .. والقضية هى أمنيته فى وحده الوخن. لقد كانت (رييكا) .. أحلام كل أهل السودان مجتمعين فى قلب امرأة واحدة ولسان صدق واحد .. وما كان لأبناء الجنوب أو الشمال أن يقولوا بغير ذلك فليس هناك من شقى بالمأساة اكثر من (رييكا) .. وليس فى السودان أدرى بخفايا ونبضات قلب قرنق اكثر من (رييكا) .. لم يصبح بعد قولها قول لقائل .. وقطعت جهيزة قول كل خطيب .. فقد لملت جراح أسرتها فى كفن الفقيد .. ودفنت أحقاد الحرب فى تابوت الفقيد .. منذ لحظة وفاته حتى دفن رفاته .. كانت واقفة كالشجرة الوارفة الظليلة فى هجير الزوبعة تقول: لقد مات قرنق .. وترك رسالة حية .. فساعدونا لنقوى على حملها .. بأن تكونوا أقوياء أمام هذه المصيبة... فبقوتكم نكون أقوياء .. ويضعفكم وتفرقكم نكون أضعف امام حزنى وسوف ابدا أبكى خوال عمرى فقدى قرنق .. ولكن عزائى حتى الآن اننى أحمل وصيته وأدافع عن قضيتة الحية التى لن تموت .. فما أعظم هذه المرأة القوية الأبية.... التى دخلت من اكبر بوابات التاريخ فى حياة هذه الأمة السودانية المعاصرة.. وصنعت مجدا لزوجها الراحل .. وقبيلة المحاريين معه .. وجماعة المناصرين له .. وأخيرا وقبل كل شئ انتصرت لقضية الوخن .. هم كل الشعب السودانى فى.. السلام والاستقرار والوحدة.

وهذا النذر اليسير من الوفاء و التقدير لعطاء هذه المرأة البصيرة بالحياة النصيرة للسلام الداعية للوحدة .. و الرمز للمخلصين من أبناء الشمال و الجنوب .. جزاها الله عن كل أهل السودان كل خير و ألهما الصبر و السلوان. إنه نعم المولى ونعم النصير

ولنا عودة باذن الله

.....

## ما أشبه الليلة بالبارحة

سافرت فى اجازة قصيرة الى بريطانيا فى يونيو الماضى لحضور الأتماع السنوى للكلية للأخباء النفسانيين البريطانية فى أدنبرة .. وعدت لقضاء بقية الاجازة مع أبنى الدكتور نادر وأسرتة فى مدينة ابسوتش فى شرق انجلترا ووجدته قد بدأ وظيفة جديدة كاخصائى للطب النفسى فى منطقة تغطى مدينة (بيتربرا) فى مقاطعة (لنكشير) فى تخصص (علاج الادمان) .. وهى نفس المدينة التى كنت أعطى فيها عيادة أسبوعية عندما كنت فى بعثة التخصص فى السبعينات والجديد بالذكر ان مستشفى الامراض النفسية والعصبية القديم فى المنطقة والذى كان ورثة الأخباء السودانين فى ضاحية (روسبى) قد هدم وحلت محلة وحدة تخصص علاج الادمان فى المنطقة الطبية ولم يكن تخصصا قائما بذاته حيث لم يفرض نفسه كاليوم ضمن قائمة الطاعون الحديث فى العصر الذهبى للآزمات النفسية.

والجديد أننى عندما ودعدت بريطانيا فى قصيدة ( كلمات ملتهبة فى وداع صديقتى بريطانيا ) عام ١٩٧٤م التى نشرت فى صحيفة ألوان قبل أسابيع كانت هى نفس المدينة التى استقبلتنى بالاحضان لتقول لى (ورجعت ما أحلى الرجوع إليه .. خير سلف لخير خلف وان شمس الأمبراخورية ما زالت تشرق فى بعض الأوقات رغم كل الآزمات ) ورغم ما قلته فيها فى الماضى وقد عشت فيها وودعتها وكان ابنى خفلا يأتى للتسوق معى فى بقالة الباكستانى وشراء اللحم الحلال ... ها هو قد صار أبا يأتى بأخفالة لزيارة الجالية الباكستانية والهندية التى أصبحت أكبر شريحة من السكان وكانت بضع عشرات فى كل منطقة .. وما زال قلب بريطانيا الكبير يتسع لكل الذين جاءوا من كل حدب وصوب يستلمون استحقاقاتهم من حقبة الاحتلال الطويل

.. ويبحثون عن المقابل الموضوعى والمادى لسنوات القهر وحقبة الاستعمار وزمان الاستكبار. واکبرت فى بريطانيا رحابة الصدر التى تقابل بها جيوش الغزاة من قارات العالم ولكنها تتمتع بذلك القلب الكبير وتقول لى ما أشبه الليلة البارحة .

عود على بدء .. ذهبت مع ابنى وأسرتة الى لندن ذات صباح .. وزرت (هايدبارك) الركن الوحيد المتبقى فى أركان العالم الأربعة وما زال يحتضن حشجة المذبوحين .. وصرخات المقهورين الباحثين عن الحرية حرية التعبير .. من كل الاجناس .. والأديان .. والألوان .. الوان الطيف السياسى والفكرى والعنصرى .. نفس مسيرة تواصل الاجيال تحرسهم الشرخة البريطانية بالصورة التقليدية التى تحيط كالسور بالمعصم .. حول سوق عكاظ .. ورغم أن بعض أهل عكاظ قد انحسر مدهم الثورى .. وزخمهم اللغوى .. وخموحاتهم القومية .. وشطحاتهم الشعبوية الا أن بعض الأصوات ما زالت تقول:

أرى تحت الرماد وميض نار      ويوشك ان يكون له ضرام

ورغم ان الذين يعتلون المنصة وقلوبهم مع (على) وسيوفهم مع (معاوية) .. وعيونهم على الجواز الأجنبى .. يتسترون تارة تحت مظلة حقوق الانسان .. وتارة تحت لافتة حق اللجوى السياسى .. والى مرة خلف الطابور الطويل فى انتظار العودة الى بلادهم المنكوبة ضمن حملة الغزو .. أو راية التحرير .. وهذه آخر الطرق المشروعة فى السلوك غير الشرعى والمتبع فى نظام العولمة لحل الأزمات الداخلية على خريقة الشرعية الدولية ..

وقبل ان اخرج من هذا المولد .. الذى لم يعد له فقيه أو فيه مرشد حيث كانت تتبناه الحكومات الليبرالية التقليدية من أقصى اليمين الى أقصى اليسار بقيت هايدبارك ... منتزها بلا

بوابة دخول .. او لافته خروج تحمل عبارة حرية الرأى للجميع .. رأى الحكومة رأيا واحدا .. صوتا واحدا غالبا لرأى أغلبية الشعب فى عظام الأمور ولله فى خلقه شؤون .

عود على بدء .. أقول والحق يقال .. ليس لاننى درست فى بريطانيا .. وتخصصت فيها .. وليس لان ابنى هاجر الى بريطانيا .. وتخصص فيها .. وضاعف حظه من العلم ولم يكلفنى نفقة مثلما كلفت الحكومة السودانية أعباء النفقات الدراسية وما زالت نفسى مثقلة بهموم تلك الديون التى تهد كاهلى وقد حاولت سداها بالجملة والتقسيط ولم أعرف وسيلة الدفع حتى اليوم .. واكثر من هذا ان رغبتى فى سداد هذه الديون هى التى دفعتنى لان اتجاسر على بريطانيا ... اعتدادا بالوخن الذى ينتظرنى .. ورددت هذا نثرا .. وشعرا .. وسجلته موثقا ومودوعا فى ( دار الوثائق الوخنية) .. واسقطت على بريطانيا هموم وخنى المثقل بجراحات الهزيمة من الداخل منذ مايو وحتى اليوم .. الا ان عزائى ان ما قلته فى بريطانيا اشبه بالدعاء عليها فى ديوان (قصاصد من بريطانيا ) قد كانت رؤية سياسية تحققت فى اكثر جزئياتها بلا شماته .. وزاد عليها هذا السلوك المزدوج فى سلوك حزب العمال الوريث الشرعى لقضايا المستضعفين والذى أصبح اكثر شراسة من حزب المحافظين والذى كان اكبر الأعداء .. فى قلاع المتنكرين لحقوق المحرومين والمستعبدين فى ارجاء الامبراخورية القديمة .. وزاد من حزنى رؤية هذه الهجمة الشرسة من دول الكمنولث على بقايا الأشلاء من الامبراخورية المفترسة بالأنياب والأظافر ..حتى انك تتساءل اين بريطانيا .. فى وجوه البريطانيين ولا تراها ..

لقد التقيت صديقا قديما فى محطة (مترو الانفاق) من زملاء الدراسة الدبلوماسين المخضرمين من الرعيل الأول وسألنى كيف لقيت لندن ... وقلت له .. ما لقيتها !!! وضحك وقال لى أتذكر مقولة الزعيم محمد أحمد المحجوب عندما كان يسكن فى شقة فاخرة بحى (ساوث كنسجتون ) بعد إنقلاب مايو وقلت له : نعم .. وكيف أنسى .. وكان هذا الصديق هو نفس الرجل الذى

دعانى عندما كنا فى لندن فى السبعينات فى زيارة صديق يتعالج فى مستشفى (يو ... سى ..  
اتش) وخلق منى أن اذهب معه لزيارة القطب الكبير فى داره العامره بعد غيبته خويله ...

وعندما دخلنا الدار كان فى الداخل لاستاذ السفير السابق احمد سليمان المحامى والوزير  
الاسبق أحمد زين العابدين المحامى وجماعة من اخوان الصفا من الأدباء والسياسين واهل الفكر  
والصحافة الذين جعلوا من داره منتدى للقاء والحوار فى شتى شئون الحياة ... فبادر الصديق الزعيم  
بالسؤال وين الغيبه يا زعيم !! فقال كنت فى زيارة للسودان فقال له .. كيف لقيت السودان فردد  
على الفور ما لقيته .. وصمت الجميع .. ولم يزد فى كلامه .. وخال الصمت وكانما كان الجميع  
يتأمل معانى الاجابة القصيرة المثيرة .. الدقيقة البليغه .... الجامعة المانعة .. المفزعة الموجهة وما زال  
صدى صوته يرن فى اذنى كلما زرت السودان أو خرجت منه متسائلا كيف لقيت السودان ؟ وفى  
كل مرة يتكرر السؤال وتتنوع الاجابة ..

الا حفظ الله السودان من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن

شر حاسد إذا حسد .

.....



## رب صدفة خير من ميعاد

إنعقد فى القاهرة فى أوائل شهر سبتمبر الماضى الإجتماع الثالث عشر للجمعية العالمية للطب النفسى برئاسة الزميل الصديق البروفسير أحمد عكاشة وهو أحد الوجوه العربية المشرفة فى المنتديات العلمية فى مجال الطب النفسى .. وشاء الله ان يحضر الاجتماع صفوة من الأخباء النفسانيين السودانيين .. وكانت صدفة خيرا من ميعاد للإلتقاء بالزملاء الأخباء السودانيين العاملين بالخارج فى الوطن العربى والدول الأجنبية الأخرى .. وقد كان لقاء حافلا بالمحاضرات العلمية وورش العمل ولا يمكن أن تجد فرصة للمقابلات الشخصية إلا من خلال فترات الراحة فى أروقة "مدينة المؤتمرات" بضاحية مصر الجديدة بالقاهرة ..

ولا أقول إن التاريخ يعيد نفسه فقط ولكن للملاقة أوقات. فقد سبق والتقىنا على هامش مؤتمر الأخباء النفسانيين العرب فى (تونس) قبل بضع سنوات وفى كل مرة نكتشف أن عدد السودانيين من الأخباء النفسانيين العاملين بالداخل أقل من عدد العاملين بالخارج حتى لو أخذنا فى الإعتبار التوزيع الجغرافى للمدن فى الدول العربية والأجنبية قياسا بالسودان عامة وهى حقيقة محزنة ومخجلة ولو كانت (الضرورات تبيح المحظورات) وليس هذا موضع الحديث عنها .. وسبق الإشارة إليها فى أكثر من موضوع .. وتذكرت مقولة الأخ الشاعر الدبلوماسى سيد أحمد الحردلو عندما التقيت به أول مره فى كافتريا جامعة القاهرة فى عام ١٩٦٣م ثم مرة ثانية فى فندق (شيراتون) صنعاء فى اليمن الشقيق عام ١٩٨٩م وقال لى: "يبدو أن الذى قال الداخلى مفقود والخارج مولود كان يقصد السودان .. اذ اننا نلتقى فى الخارج اكثر من لقاءاتنا فى الداخلى!". فقلت له:

"ربما تكون ضريبة الأغرأاب؟". فقال لى: "إن المغأربىن بالءاأل أشء شعورا بمرارة الغربفة من المغأربىن بالءارء ..فأنتم فى نعىم". فقلت له:

### وظلم ذوى القربى أشء مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وافأرقنا.. وىصدق الءءء اء نلأقى مرة أخرى فى أبوظبى وقد سبق وزرت الءرءوم ءلال هءه السنواآ عءة مرات وكان ىوءء فىها أنءاك ولم ىتم لنا لقاء

عوء على بءء .. ءذكرآ أننا فى ءضور المؤأمر الءانى لإآءاء الأءباء النفسانىن العرب فى القاهرة فى عام ١٩٨٣م ءاءآ كوكة مقءرة من الأءباء النفسانىن السوءانىنىن ىآصءرهم الرائل الءكأور ءسبو سلىمان لىءآمع ءمىع الأءباء السوءانىنىن بالءارء وقررنا أن نءآمع فى "مطعم فلعله" أء المطاعم الشعبىة المشهورة فى مءىنة القاهرة .. وكانآ هءه بءاءة لآكوىن نواة لإآءاء الأءباء النفسانىنىن السوءانىنىن بالءاأل والءارء .. ولكن لأننا كنا نعىش فى نعىم الصءوة السىاسىة مع القاهرة فى ذلك الوءآ وفى ءعىم ءىبوبة ءفوة الءاآلىة بالءرءوم ما كان لذلآ الآواصل ان ىتم من الءاأل .. واكآفىنا باللقاءآ الءارءىة لأن بعض الزملاء لم ىآمكنوا من زىارة السوءان ءوال سناوا مآصلة .

وفى هءه المرة والسوءان ىشهد انفراءا فى أزماآه وانفآاآا فى علاقاآه .. ءضرت مءموعة من الأءباء ونظم لنا الأخ الءكأور عبءالله عبءالءمن اسآاآ الطب النفسى بءلىة الطب ءامعة الءرءوم وأسآاآ ءىل البروفسىر ءه بعشر لقاء وءىا .. وءفلا فى الءءىقة الءولىة فى ضاآىة (مءىنة نصر).. والآم شمل الأصءقاء رءالا ونساء وقضىنا وقتا ءىبىا اسآرءعنا فىه أمءاء السوءان فى أرض الكنانة .. مسآبشرىن بما ىءرى الآن فى الأصعدة المآآلفة من إعاءة هىكلآه واسآعاءة هىبآه و إعلاء مكانآه فى القارة الإفرىقىة مرة أخرى بعء عقوء ءىآ اءآضن أول مؤأمر للطب

النفسى عام ١٩٦٦ برئاسة العالم الراحل المقيم البروفسير التجانى الماحى عطر الله ثراه و كان البروفسير أحمد عكاشة الرئيس الحالى للمؤتمر ورئيس الإتحاد العالمى للأخبباء النفسانيين أحد الأخبباء الضيوف و الواعدين فى مجال الطب النفسى بينما كان الدكتور خه بعشر خيرا لمنظمة الصحة العالمية لإقليم شرق البحر الأبيض المتوسط بالإسكندرية وكان البروفسير نورمان سارتوريوس "والذى يحمل اسمه الآن: الجائزة الذهبية لحقوق الانسان فى الطب النفسى .." مديرا للمنظمة فى (جنيفا) وصديقا شخصيا للبروفسير خه بعشر وللحقيقة أقول أننى ما التقيت به فى أى مؤتمر فى أركان العالم الأربعة إلا وسألنى عن الدكتور خه بعشر وما جاء ذكر إنجازات العالم الثالث أو القارة الإفريقية فى مجال الطب النفسى إلا وتحدث بإعجاب شديد عن زيارته التاريخية للخروج فى بداية السبعينات وعن التقدم العلمى فى مجال الطب النفسى الذى يقوده الدكتور خه بعشر فى السودان .

وربما لأن القاهرة عاصمة دولة تكرم أبناءها النابغين وأمة تجل علماءها المتميزين فقد صعد نجم الدكتور عكاشة حتى وصل إلى رئاسة أكبر هرم علمى فى الطب النفسى فى العالم وهو "الإتحاد العالمى للأخبباء النفسانيين" والذى يعقد اجتماعه لأول مرة فى العالم العربى تقديرا لجهوده الثرة وعطائه الفريد و تكريما لأمة كاملة فى شخص رجل واحد.. ووصل البروفسير نورمان سارتوريوس قمة الأولمبياد حين خصصت الجائزة الذهبية بإسمه .. وهو فى الأصل من كرواتيا-أحد اقاليم يوغسلافيا السابقة بعد انفراط العقد- وأشهد له بالتميز والجدارة والإستحقاق .. وأشهد إن كلا الرجلين صديقان شخصيان لى و لا أحسدهما و لا أبخسهما حقهما وقد كتبت عنهما فى كتابى (رحلتى مع الطب النفسى) فى الموقع الإكترونى الشخصى المشار إليه.

ولكن حز فى نفسى كثيرا أن وصل البروفسير خه بعشر وحرمه الفضلى الدكتور والوزيرة السابقة و الأخت سيدة بشار .. ولم يشفع للبروفسير تاريخه الأكاديمى وسيرته العلمية

المعهد و مشاركته السياسية المشهودة .. وتفرده فى السودان .. وهنالك ( بعشر ) واحد فى السودان .. واسمه على كل لسان و لكنه جاء و كأنه فى حالة البحث عن مكان و فى أى عنوان حتى وجدته ثانى أيام المؤتمر .... وكان المفترض أن يستقبل كأحد كبار الزوار فى بروتكول الشخصيات الهامة ويسكن فى أرقى الفنادق .. وتوفر له أفضل وسائل النقل فى المجئ و الذهاب ليس فقط لأن مكانته العلمية والعالمية تتطلب ذلك .. ولكن لأن مرحلته العمرية وحالته الصحية تستوجب رعايته كأحد الأخيار وابن السودان البار الذى دخل التاريخ من أوسع أبوابه فى المحافل الدولية والمنتديات العلمية ويكفى أنه أحد رموز الطب النفسى فى إفريقيا .. و سمعته بالخارج أشد دويًا من رجع صداها بالداخل .. وأنا أحد شهود العصر على ذلك...قطرة من نبع و غيض من فيض.

والله وراء القصد .

.....

## دائرة الفن

شاهدت حلقة تلفزيونية فى قناة النيل الازرق بعنوان ( أغنيات وحكايات ) واستضافت الصديق الشاعر الرقيق السر دوليب والفنان المبدع محمد ميرغنى وكانت حكاية أغنية ( أنا والاشواق ) والتي كتبها الشاعر السر دوليب فى الستينات ولحنها الموسيقار الموهوب حسن بابكر أحد أقطار دائرة الفن فى مجتمع السجانة .. وكان مركز الدائرة الفنان العبقري الاستاذ عثمان حسين .. وقد قال السر دوليب: تلاقينا داخل دائرة عثمان حسين حيث كانت السجانة .. اكبر ملهم للفن السودانى على مستوى العاصمة القومية وتخرج منها أجيال الفنانين والشعراء والعاظفين على سبيل المثال الشاعر الخالد اسماعيل حسن والفنان العبقري عثمان حسين والعاظف المتفرد عبدالله عربى .. على سبيل المثال لا الحصر ..

وكان السر دوليب من ابرز شعراء هذه الدائرة بصحبة الشاعر المتميز حسين بازرعة ولهؤلاء قصص أخرى فى كتاب (قصتى .. مع عثمان حسين ) وقد عاصرت ظروف الأغنية حيث كنت أعرف الشاعر السر دوليب منذ بداية الستينات وحتى لقائنا فى بيروت عندما كان يدرس فى الجامعة الامريكية ببيروت .. فى مطلع الستينات وقد خاف بنا فى شواخى البحر الابيض حول ( صخرة العشاق - الروشا ) .. أو صخرة الانتحار .. ملاذ الهاربين من عذاب العشق الى جحيم النار وعندما عدت من الاجازة الصيفية الى الخرطوم وتخرجنا من كلية الطب جامعة الخرطوم عام ١٩٦٥ تم تخصيص سكن أخباء الامتياز فى مبنى مجلس الوزراء الحالى فى شارع الطابيا وكنا قلة فى ذلك الزمن وكان يسكن فى الطابق الثالث الدكتور فيصل على سعيد صبره استشارى الانف والأذن والحنجرة فى دبی الآن .. وكان يستضيف الاستاذ حسن بابكر والفنان محمد ميرغنى

بصورة منتظمة وكنت أسكن فى الطابق الثانى ونادرا ما نفترق و الأخ فيصل وكنت على معرفة وثيقة بالاستاذ حسن بابكر كأحد العازفين الماهرين فى فرقة الفنان عثمان حسين وتربطنى به علاقة شخصية فى دائرة الفن .. ومركز الدائرة فى السجانة .. ولكنى لم اتشرف بمعرفة الفنان محمد ميرغنى حتى ذلك اليوم الذى دعانى فيه الأخ فيصل صبره لمفاجأة سارة .. لحضور أمسية غنائية مع فنان واعد معهم فى غرفته وكان الفنان محمد ميرغنى يقدم أغنية ( أنا والاشواق ) وهو يتهلل فرحا وحدثنا عن رحلة اجازة صوته من لجنة الالحن .. وكنت فى الجانب الآخر فى لجنة النصوص فى ذلك الوقت حتى تم دمج اللجنتين فى ( النصوص والالحن) حيث تستمع اللجنة للنص مكتملا .. كلمات .. ولحن واداء .. وهى صورة متطورة للموضع الأول فى وجود لجنة الأصوات والألحن ولجنة أخرى للنص الغنائى .. دون شموليه النظرة للأغنية متكاملة...

ومنذ ذلك الوقت والأخ محمد ميرغنى يقدم باقة الثنائى المتكامل مع الفنان حسن بابكر فى ميز الأخبىاء بالخرجوم حتى وصل قمة الهرم فى رحلته الطويلة فى مسيرة الفن مرتبطا بمركز دائرة عثمان حسين اكثر الأحيان أما الأخ الصديق السر دوليب فتكاد صلتنا لا تنقطع فى الأحضان الدافئه والظلال الوراثة فى دائرة الفن التى تجمع اكثرنا فى منزل عثمان حسين مع الموسيقار عبد الله عربى .. العازف الاسطورة الذى صنع كثيرا من الألحن فى زمن (المعلقات .. والسيمفونيات) لكبار الفنانين .. أمثال أغنيات (شجن) .. و(ضنين الوعد) .. و(الطير المهاجر) .. و(على الجمال تغارمنا) .. وبقية العقد النضيد و الذى عدد حياته الفنان محمد ميرغنى خلال تلك الحلقة الفنية .. وكان السر دوليب الشاعر الرقيق .. صاحب القلم الرشيق .. و (الكوبليه) السهل الممتنع فى أنتقاء الكلمات .. وتطريز المفردات .. بحيث يكاد يكون من أول رواد (الأغنية الخفيفة) والتى تعرف (الكسره) كما يسميها الشاعر المبدع صلاح احمد محمد صالح والتي

تميز بها السرد دوليب وقد أشتهر بها .. وانقردها لها .. وتربع على عرشها حتى اليوم .. فليس هناك شاعر ( اخصائى اغنية كسرة) مثل الشاعر السرد دوليب .. ينافس الشاعر الرقيق على شبيكه فى صيدلية الخرخوم بحرى أو ( صالون الفن ) كما يطلق عليه أصحابه من أهل الشعر والأدب.

أما العازف المتميز حسن بابكر فقد كان درة العازفين .. وأذكر هنا قول الفنان العبقري الراحل المقيم عبد العزيز داؤد عندما قال ( الغنا .. سمع وشوف) السمع عندنا .. والشوف عند ناس الكابلى وصلاح مصطفى وحسن بابكر .. والمعنى فى بطن القائل فقد كان حسن بابكر أحد هؤلاء من أكثر شباب السجانة وسامة وكان يطلق عليه لقب (الشاب الأنيق المعطر) تيمنا بوزير الخارجية الأسبق الراحل مبارك زروق صاحب اللقب الأول فى القاموس السياسي.

قد التقيت بالفنان الموسيقار حسن بابكر فى نفس دائرة الفن .. وفى داخل مركز الدائرة فى بداية مارس الماضى .. وفى ليلة مظلمة من انقطاع التيار الكهربائى فى بيت الفنان عثمان حسين .. وخرقت الباب وأجابنى عثمان من الداخل .. وعندما دخلت قلت له : لقد سمعت صوتك ياعثمان ولكننى لا أرى (نور) حسن بابكر كما قال عنه أبو داؤد .. فقال لى حسن ساخرا ..) وهو فضل فيها نورالزين . مع كثرة الظلام وحر الايام دى وانتوفى الخارج ما زلتهم تنعمون ببرودة المكيفات .. ونحن نتقلب فى حر القلايات) وفجأة وصل التيار .. وبدأ الحوار.. واستمتعنا بليلة مضيئة وسبحان الذى أخرجنا من الظلمات الى النور .. وقلت له :

لا يعرف الشوق الا من يكابده .. ولا الصبابة الا من يعانيتها

ولنا عودة باذن الله .

.....

## فضاءات جديدة

تابعت اكثر من مرة البرنامج التلفزيونى (السكوت جهرا) فى فضائية النيل الأزرق. ورغم العنوان المثير الذى يكتنف المضمون إلا أن دلالاته الإجتماعية والنفسية تحتمل أكثر من تفسير وتحمل أكثر من معنى .. من مواجهه للواقع .. ومصارحه مع النفس ... ومصادمة مع الآخر... ومقاومة لأنماط السلوك التقليديه .. وأخيرا توعية فى قالب جديد! ورغم أن كل البدايات كالعادة فى كل شئ جديد .. قد تهز المشاهد ..إما بجراتها أو فى حدتها أو للإفراط فى توصيل مضمون الرسالة (موضوع الحلقة)، أو التفريط فى جرعة الصراحة المطلوبة بين المتحدث والمتلقى (أسلوب التعبير)، إلا أننى أؤكد اعجابى الشديد بكل نهج جديد يربط بين الأجيال ويقوى الإتصال فأثرت الإستمرار فى المشاهدة رغم الحرج من المشاركة خاصة من خارج الاستديو.

لقد كانت الموضوعات عموما جيدة المضمون .. ومطروحة فكريا بكثرة فى الساحة .. ولكن التناول كان لا يخلو من "شطحات" .. ان مجتمع الشباب .. هذه الشريحة الهامة ورأس المال الوحيد للاستثمار فى الاقتصاد الجديد لأى دولة فى المستقبل.. خاصة فى السودان، وفى عصر العولمة والتجارة الحرة تحتاج الى ان يكون لها صوت مسموع وتستحق ان تجد أذنا صاغية .. وان لا يكون هذا مشروعنا بفضل فقه الضرورة وفرض الواقع وانما بالقناعة الراسخة لدى الجيل القديم ان يمد حبل الود ليتواصل مع الجيل الجديد .. ويسلمه الرسالة بالوضوح الذى يتناسب وفهمه فى المرحلة العمرية والفكرية والنفسية .. إن الحرية غريزة انسانية مقدسة يسعى لتحقيقها كل انسان .. ولكنها قد تكون قوة مدمرة اذا لم يحسن استقلالها بالقدر المناسب وفى الوقت المناسب و بالصورة المناسبة. و لنا عودة فى هذا الإخار فى المستقبل باذن الله.



والواقع يقول أن الندوة الأخيرة من خلال الحوار حول .. قيمة العمل لدى الشباب .. وأهمية العمل و اشكالية الربط بين التحصيل الأكاديمي والعمل الوظيفي كانت بضعة محاور تدور حول "عبادة العمل" و تؤكد أن الفكرة بدأت تتضح .. وأن الزخم الأول الذي خرج كالسهم من كنانة الفارس المثلث وأصاب المشاهد المتوجس بالرعب و ارتعاش المفاصل وكالاعصار من أعالي البحار يجرف قوارب البحريين فى بحار السكينة يبحثون عن بر الأمان.. بدأ يهدأ .. وبدأ الزيد يذهب جفاء وبقى فى الأرض ما ينفع الناس.

لقد كان النقاش حول فضيلة العمل كقيمة انسانية للشباب دون منظور العائد المادى والتحصيل الاكاديمى والوضع الاجتماعى والمكانة الشخصية .. نقاشا ثرا أبرز النظرات الواضحة و الرؤى الناضجة للشباب فى هذا المفهوم كما دلت على النضج المبكر لشريحة كبيرة من المجتمع تعى خبيعة المشكلة .. وتلمس خرق الحلول. كما أبرز الفجوة الواسعة بين القابض على الجمر والقابض على الماء .. الذى يتقلب فى لهب العطالة والذى ينعم ببطالة الإستقرار .. وغياب الحوار بين من يعيش التجربة ومن يجيد التمثيل وبين الفئة المترفة التى تنعم ببريق العاصمة القومية .. وترف الفضائيات .. والدعم المتواصل من الأسرة القادرة على العطاء .. والوقت الغارق فى الفراغ الذى يطمس بريق النفس .. وبين الفئة المحرومة والمهمشة فى الأرياف التى لا تشاهد التلفزيون ولا تقرا الصحف وبالكاد تسمع "اذاعة ام درمان" .. لو وجدت الوقت الذى يسمح لها بالجلوس فى مكان هادئ أو غرفة مضيئة مكيفة.

ان كل هذه الفوارق يجب ان تؤخذ بالإعتبار فى خرج قضايا الشباب .. بطريقة علمية و مدروسة ومبرمجة بصورة تمتد من الألف الى الياء وليس العكس .. وتندرج من الأهم الى المهم بعيدا

عن عنصر الدهشة وفلسفة الصدمة التى عادة ما تلجأ إليها بعض الفضائيات بحثا عن التميز فى الطرح أو التفرد فى الاداء لإستقطاب الجمهور.

لقد أعجبنى النقاش وأكبرت فى شبابنا هذا الإدراك الواسع لمعطيات العولمة وضرورات التغيير .. وليت شاركهم بعض أمثالنا من الديناصورات الحية من الجيل السابق .. ليربط الأجزاء المفككة فى حلقة النقاش حيث يحدثهم عن تجربة الدول التى يكون فيها سائق السيارة (الشوفير) يتمتع بأكبر صفات الدبلوماسية ويدخل أعظم الصالونات .. ويتعاجى مع أرقى الطبقات ويجيد أجمل اللغات ،وقد يكون خريج أكبر الجامعات لأن المجتمع كله تجاوز الآن "الابتدائية" وأصبحت الشهادة الجامعية .. بطاقة هوية تخرج بصاحبها من دهليز الأمية لا اكثر ولا أقل ولا تجعل منه بالضرورة مشروع وظيفة.

لعل أحدا يذكرهم بقضية الصراع القديم المتجدد بين دبلوم المعهد الفنى(جامعة السودان)، وبكالوريوس الهندسة الجامعية (جامعة الخرطوم) فى تاريخ التطور الأكاديمى فى السودان .. بين الذى "ينظر" فى الورق تحت سقف المكتب والذى ينفذ فى أرض الواقع تحت شمس الضحى.. كيف كان الحال .. وكيف صار الآن .. ولماذا ؟ قضية تطور كان لابد ان تصل الى نهاية منطقية تعلى فضيلة العمل اليدوى على مزايا التخطيط النظرى ... والمثل الصينى يقول: "لا تطعمنى سمكة ولكن اعطنى سنارة وعلمنى كيف أصطاد".

وأخيرا ينبغى أن نوكد على فضيلة العمل .. وأن نساعد الشباب الذى لا يريد أن يجتر مأساته كالمعزة فى ظل القيلولة من بيت إلى آخر تحت ظل الحيطان بالنهار وتحت أعمدة الكهرباء بالليل يبحث عن الطعام الجيد والسكن المريح ولكن الشباب الذى يبحث عن العمل ..

ويطمع أن نملكه أدوات الانتاج فى المصنع والحقل .. (وليس بالخبز وحده يحيا الانسان) .. وليس  
بالوظيفة فقط تجلب الاحترام .. (والسبأك الشاخر أفضل من الطيب الفاشل) والحبل على الجرار.  
لقد كانت هذه الحلقة خطوة متطورة شكلا ومضمونا فى مسيرة البرنامج ومادة  
تعليمية ذات قيمة أخلاقية أخذنا وعطاء أبرزت الوعى الواضح فى فهم أولويات المجتمع وحساسيات  
خيف المشاهدين .. وجزى الله القائمين عليها كل خير. فقد قال أبو الطيب المتنبئ:  
على قدر أهل العزم تأتي العزائم      وتأتى على قدر الكرام المكارم

ولنا عودة باذن الله

.....

## مشاعر فضائيات

إن أجمل ما فى الحياة القدرة على التعبير عن الذات مهما كانت الوسيلة . وكلما توفرت هذه القدرة على التعبير كلما تطورت الوسيلة فى أداء هذه الرسالة .. ورسالة الانسان ان يعمر الأرض .. وأول أدوات التعمير التواصل فى القول والفعل .. فقد شاهدت الندوة التلفزيونية فى البرنامج المتميز ( نيل يا ليل ) حول حرية التعبير عن المشاعر لدى الجنسين خاصة عند المرأة .. واختلاف وسائل التعبير عنها فى الماضى والحاضر .

وقد استفاد المذيع الناجح (سعد الدين) من تجارب الآخرين حين جمع بين جيلين فى المشاركة ..حتى فى التحقيق الخارجى .. بين الجيل القديم الذى عاش مرارة التجربة والجيل الحديث الذى يتمثل حرارة الواقع المعاش وكان الفارق بين الأثنين جهدا مشتركا ورؤية اضافية فى ردم الفجوة بين الأفكار المطروحة فى الحلقة .. وربط الكل بالجزئيات فى منظومة عقلانية الطرح حتى لا يشطط الصغار ولا يتحجر الكبار .. فكانت سهرة ممتعة .

وأقول ممتعة لان تلاقى الجيلين حول قضية واحده .. فيه انضباط يخدم أهداف البرنامج .. ويجعل كل خرف يقيس كلماته بمعيار الذهب .. فلا يتشدد فى رأى .. ولا يفرط فى الجنوح عن الواقع ..

ان قضية التعبير عند المرأة حول أى موضوع اجتماعى يجب الا تؤخذ بمعزل عن مشكلة الرجل نفسه .. فمتى كان الرجل يملك تلك الحقوق حتى تطلب منه عطاءها للأخريين رجلا كان أم امرأة.. ان نفس الأمنية هى ضالة الرجل قبل ان تكون مطلب المرأة حتى اليوم وان كانت فى

سياق جديد .. اننا لا نستطيع ان ننسلخ من جلد الموروث لانه العنصر الذى يشكل ثوابت حياتنا التى تتعرض لأعاصير الاجتياح وخوفان الاكتساح من كل حذب وصبوب ..

لماذا نحاول دائما فى نقاشنا لحقوق المرأة .. أن نجعل الرجل موضوع الأتهام ؟ أو أن نجعل من القضية صراع بقاء بين نقيضين لا بد أن تنتهى بغالب او مغلوب ؟ وفى الواقع ان الاثنين وجهان لعملة واحدة و ضحية واقع متخلف متصل بثالوث الفقر والجوع والمرض الذى أقعد البلاد كلها من الحركة فى اى اتجاه .. ان السودان القارة التى يتم اكتشافها الآن وفى هجمة مكثفة وحملة منظمة لم يسبق لها مثيل لم تقفز الى ذهن المخطط العالمى الاستراتيجى كالنبت الشيطانى ومن فراغ ولكنها كانت أجندة مؤجلة الى أجل محتوم وفى توقيت لم يتم حسب الخيار الإستراتيجى و إنما دفعت به إرادة داخلية ما زال السودان يدفع استحقاقاتها بصبر و مثابرة والا ما كان البترول تحت الأرض عقودا من الزمن يبحث عن من يفتح له ثقبا فى الأرض ليتفجر رغدا ونعمة .. وما بقيت الغابات الاستوائية التى تغطى عيون الشمس فى صحراء جرداء قاحلة تعانى التصحر والجفاف .. تنتظر من ينقب فى فضاء الأوزون والمناخ المدارى .. ليعيد الحديث عن سلة غذاء العالم .. بعد أن نسى الناس السلة وزهد العالم فى الغذاء .

لقد عشنا منذ الاستقلال فى دورات متتالية من الانقلابات حتى أصابنا الدوار .. وما زلنا نتارج فى خطواتنا نحو ظل الاستقرار .. واختلت كل هذه القيم خلال هذه الابتلاءات التى ما زالت تداعياتها تصب فى كل مشروع جديد ..

ان المشاعر التى نتحدث عنها موجودة فى وجدان البنات والبنين وعبروا عنها بكل الوسائل فى شتى القوالب الغنائية والشعرية ولكن فى إبخار المتفق عليه للرجل والمرأة ولان الحرية ما زالت سلعة غالية الثمن فى كل اشكالها و لكل من يبحث عنها فى الحب أو السياسة أو الاقتصاد ..

والحقوق التي لا تسقط بالتقادم و لا تأتي بالتصادم أكدت ان الاقتصاد عصب السياسة .. وان السياسة تكبل حرية التعبير وفي مقدمة هذه حرية التعبير عن الحب .. الفردي أو الجماعي ..

اننا شاهدنا التلفزيون في الستينات ولكننا عاصرنا السينما منذ ذلك بكثير .. وشاهدنا التعبير عن المشاعر في الافلام السينمائية في بلاد سبقتنا في الحضارة كثيرا ولكن كانت تستعمل الشفرة في الحب .. والخمار في الوجه والقبعة في حجاب الرأس .. ولم يضرها أن تقول انها أمة متقدمة وحضاريه وما زالت جريمة الشرف في الريف المصرى تمثل أكبر التحديات لتقدم المجتمع .. وأبرز المظاهر لتجذر ثقافة الثأر في أعماق الموروثات في التربة الصعيدية ..

أذكر استضافه التلفزيون السودانى للشاعر المبدع محمد بشير عتيق في زمن الانتفاضة عام ١٩٨٥ .. قبل رحيله الأليم في برنامج مماثل حول الفن والابداع .. وكانت معه صفوة من الشباب من الأدباء والشعراء فقال لهم: ( اننى الآن تجاوزت السبعين عاما .. وأشعر اننى اكثر شبابا من كل الجالسين .. وقد دخلت للعلاج في مستشفى العيون بالخرطوم وكانت هنالك خبيبة تشرف على علاجى فكتبت فيها قصيدة .. ( الدكتور ) .. وذاع وتفشى الخبر وسمعت الطبيبة وجاءت تسألنى : ( يا عمى قالوا انت كتبت قصيدة .. هل هى جديدة أم حقيبة ) فقلت لها: ( يا بنتى الشعر هو الشعر والجمال هو الجمال والفرق فقط في الزمن ويا حليل زمن الحقيبة .. زمان ما كنا بنشوف البنت ( فى سور وداخل سور ) ونكتب من الخيال ولكن الآن البنت أنطلقت ونحن انطلقنا وراها ) فقالت لى فى غضب : ( يعنى كيف أنطلقت ياعم؟؟ فقال لها: ( معذرة يا دكتور لا أقصد انطلقت بالمعنى الشائع و لكن اقصد انطلقت من انطلاقة .. زى (انتفاضة!) .. فأنفجر الجميع ضاحكين .... وهكذا كان يرى الواقع أحد أكبر شعراء الاغنية السودانية قديما وحديثا .. كيف ربط المفهوم القديم (انطلاقة) بالواقع المعاش ( انتفاضة ) والقضية واحدة والمعنى فى قلب الشاعر والذى ما زال الشباب يغنى اغانيه .. ولا يخلو برنامج من ذكر اسمه وترديد أغنياته . فلأن

المرأة كانت خلف حجاب .. وما زالت محط الأنظار وليست رهينة حصار ربما تقسو عليها رحمة بها .. بعضه إيجابى يحمل صفة الرعاية لا الوصاية .. وروح المحبة لا المسبة .. وبعضه سلبى يدفعه ضعف الرجل المقهور فى العمل .. المهزوم فى الشارع و المتأزم بالداخل.. يفتقد الى الشعور بالأمان فى الوظيفة أو الأمن فى الطريق .. وفاقد الشئ لا يعطيه ..

ما زال يدور فى أذهان أجيال اليوم جميعا .. صدى دقات ناقوس الخطر .. والخوف على الأرض .. والعرض ..يردد( القابض على الجمر ليس كالقابض على الماء) بينما كان شباب الحى فى الماضى يذهبون الى بيوت الحله .. واحدا واحدا يطرقون البيوت و يدخلونها من أبوابها يستأذنون الأهل لاصطحاب الفتيات الى حفلات العرس .. حتى اذا ما انتهت الحفله فى الهزيع الأخير من الليل عادوا بهن الى بيوتهن عودة آمنة ومودة كامنة من عفة وكبرياء رجالا و نساء ومن منا لا يذكر قول المغنى الذى يقول على لسان بنت تخاخب أحد أبناء الحى فى ختام الحفل :

يوم خلعت القمرة .....

أخيرا عشاننا .. تؤدينا لى اهلنا ....

بسألوك منا ...!!

ما أروع هذه الصورة العاجزية المليئة بالتعبير عن مشاعر انسانية رقيقة .. من شابه تعرف حدود الحرية لها .. ولغيرها .. وتقدر مصدر الخوف عليها .. وعلى أهلها ..لان حريتها مرتبطة بحرية الأسره .. وأمنها ضرورة لأمان الحى .. وأمانة الأمة ..!!

ولكن عندما .. تتفكك الأسرة .. ويتشردم الحى .. يصبح الأمن الجماعى فى خطر ويصبح البحث عن الأمن الشخصى مسئولية ذاتية للغاية رهينة بالأفراد مطية للاجتهاد .. وتصبح المشاعر لغة خاصة خاضعة للتأويل .. فى كل القواميس .. وبكل اللغات فى الزمان و المكان. قال الإمام

على بن أبى خالب كرم الله وجهه: (الناس بزمانهم أشبه منه بأبائهم) وقال (لا تكرهوا أبناءكم على آثاركم فهم مخلوقون لزمان غير زمانكم)

وفى ظل الحفاظ على الثوابت بعقلانية ورعاية المتغيرات فى حكمة وروية يمكن المزج بين الفضيلتين دون صدام بين الجيلين أو حرب بين الجنسين وتصبح المعادلة الصعبة قابلة للحل.. لا مجرد ترف ذهنى أو لغو عاجفى أو مشاعر فضائيات .

.....



## ربوع السودان

يدرك الكثيرون أن السودان يعيش الآن مرحلة تاريخية فاصله في حياته - يجوز تقريبا للمشهد - تصويرها بين نهاية الاستعمار وبداية الإستقلال .. وأن هذه المرحلة هي الخيار الوحيد والأفضل المتاح بعد عدة خيارات أثبتت التجربة عدم قدرتها على حل مشاكله أو استبطان جذور مأساته .. إنها الفترة الإنتقالية من تفصيل الأدوار وخلط الأوراق الذي ورثناه من الحكم الإستعماري والأنظمة الشمولية إلى التأمل والإستبصارالذي نتمناه من إعادة قراءة التاريخ الوخني المعاصر .. إن السودان كان منقسما جغرافيا - ولكن متصلا وجدانيا في جهاته الأربع - "ربوع السودان"، خوال فترة الحقيبتين المظلمتين في تاريخه السياسي.

لقد جاء معظم أبناء السودان من الشمال مهاجرين الى العاصمة وهي ليست في الأصل موخنا في الجذور لأحد و منها انتشروا .. وتفرقوا في الشرق والغرب والجنوب .. وما من أسرة في العاصمة ليست لها جذور في ربوع السودان المختلفة وبالمقابل ليست هنالك أسرة في أصقاع السودان ليست لها جذور في العاصمة فهي البوتقة التي انصهرت و تلاقحت فيها كل الثقافات.. واذا جلست في مناسبة جمعت سودانيين فلا تمضى لحظات إلا وتجد أنهم تعارفوا في الأصل والفصل والمنطقة والقبيلة من أركان السودان الأربعة.

و إذا حدثت نفسى قائلا : ( وفي أنفسكم أفلا تنظرون )، لقد ولدت في مدينة "عطبرة" في المدينة الشمالية وتعلمت الابتدائية في "هيا" مديرية البحر الأحمر والوسطى في "سنجة" مديرية النيل الأزرق .. والثانوية في "حنتوب" منطقة الجزيرة والجامعة في مديرية الخرطوم وعملت في "جوبا" عاصمة المديرية الإستوائية يعني أكثر من نصف السودان عددا و مساحة - .. وهذا نموذج

مصغر للملايين من أبناء السودان .. فى وعن المليون ميل مربع .. ولأن هذه المساحة الجغرافية كانت وما زالت سببا كافيا للإحتماء بالمنطقة والإكتفاء بالتوزيع الجغرافى والإنكفاء على القبيلة والأثنية حتى لا تنقطع من الوصل ولا تنبت من الأصل.

فالعاصمة التى ترهلت من فرط تدفق النازحين تحمل فى أحشائها شتى أنواع بطاقات الشخصية.. المقصود منها تأكيد الجهة التى جاءت منها الأسرة. وأكبر الأسر من الشرق والغرب والشمال والجنوب تسكن العاصمة القومية .. وأكثر المتمردين على حكومة الوسط هدأت ثورتهم عندما وصلوا الخرطوم .. مركز الدائرة من الأركان الأربعة.. وأذكر فى المؤتمر الصحفى للنائب الأول لرئيس الجمهورية رئيس حكومة الجنوب الفريق سلفاكير قال: " لو كنا نريد انفصال الجنوب لما جئنا للخرطوم"... وأنا عشت خول عمرى فى الجنوب والذين كانوا يتكلمون عن الانفصال عادوا قبلى وشاركوا فى الحكومة فى الخرطوم ثم عادوا للجنوب "الغابطة" ثم رجعوا الآن .. أى أن المجال المغناخيسى تتحكم فيه بوصلة الخرطوم لأنها كانت العاصمة .. وليست لأنها فى الشمال .. وهكذا قدر أم درمان - و لست من بنيتها و إن كنت أحد مواخنيها.. وقد غنى أكبر رموز الفن فيها والأول فى برنامج "مايطلبه المستمعون" من كل أنحاء السودان فى إذاعة "هنا أم درمان" الراحل المقيم نقيب الفنانين الأستاذ أحمد المصطفى مرددا:

أنا السودان تمثل فى ربوعى

أنا أم درمان تأمل فى وجودى

إبن الجنوب ضميت ضلوعى

أنا إبن الشمال سكنته قلبى على

عودا على بدء... وتحت مظلة الحديث عن غريزة الإنصهار والتأقلم، فالدكتور جستين ياك .. زميلى فى الدراسة وصديق العمر فى كلية الطب جامعه الخرطوم .. كان وزيرا للصحة فى عاصمة الإقليم الجنوبى فى حكومة نميرى بعد اتفاقية أديس أبابا، وقد قدم لي- بصفة شخصية

- خدمات جليلة فى افتتاح قسم الطب النفسى بمدينة (كوستى) عام ١٩٧٤م عندما خلب منى أن أضيف الإقليم الجنوبى إلى إقليم النيل الأبيض فى لافتة القسم المنزوع من دار حزب الأمة آنذاك.. ثم هاجرت أنا إلى الخليج .. وعاد هو إلى صفوف الحركة الشعبية .. وعاد الآن الى حكومة الجنوب بعد اتفاقية السلام مع الحركة الشعبيه.. (رجاء مراجعة كتاب "رحلتى مع الطب النفسى" قسم الطب النفسى فى مدينة كوستى، ص ٦٥ فى الموقع الإلكتروني الشخصي المشار اليه.

عودا على بدء... إن النظرة المتأنية تؤكد إشكالية الأصل والفرع فى الطرح وليس الفصل والوصل فى الوحدة السياسية أو الجغرافية .. وأكبر تجار الوسط هاجروا من الشمال إلى ربوع السودان ومعظم أثرياء السودان جاءوا من الأرياف الى العاصمة .. وهذه قراءة التاريخ المعاصر..

إن المرحلة الحالية تتطلب قدرا كبيرا من حسن النوايا .. وسعة الأفق ورحابة الصدر والتجرد من الأهواء .. والتفانى فى الأداء على كل الأصعدة الثقافية والإقتصادية والسياسية.. إن حسب إحصائيات البنك الدولى فإن السودان يأتى فى المرتبة الثانية من حيث الموارد الطبيعية بعد أمريكا ويحتاج إلى مائة وخمسين مليون نسمة لتعمير البنية التحتية فى ربوع السودان .. لا القلة التى تتصارع على الأراضى السكنية فى الخطة الإسكانية فى ضواحي الخرطوم حتى أصبحت العاصمة أشبه بأسد السيرك العجوز يتقاعخ الناس إليه إعجابا بأمجاده ورثاء لعجزه فى استيعاب متطلبات العصر.

لقد سمعت فى القناة السودانية مطربا من أبناء الجنوب يغنى فى "مروى" أغاني "محمد كرم الله" بصورة يصعب أن تميزه عن صاحب الأداء .. متجاوزا " أزمة الغربية" وحاجز اللغة واللهجة والتنغيم والتطريب، وهي سمات أساسية مكتسبة ودوافع أولية نابعة من القلب والوجدان وهذا دليل الرغبة فى الإنتماء والقدرة على الإنصهار بين السودانين. وكثيرون يذكرون البرنامج

الإذاعي الأسبوعي المشهور فى حقيبة الفن بإسم "ربوع السودان" والذي كان يقدمه الراحل المقيم الشاعر والأديب المبارك إبراهيم .. وكان يستهل شعاره .. المقدمه .. الفنان الراحل محمد عمر الرباخابي .. ويقول فيما يقول:

أم دريا ربوع سوداننا نحيك وأنت كل آمالنا.

فى غربك عروس الرمال وفى شرقك آية الجمال.

فى جنوبك واسع مجال ويا حلاة رخيبك فى الشمال.

والأغنية خويلدة تستحق الشرح والإفاضة لنبين النظرة الوجدانية فى الأغنية الشعبية ولو كانت الإذاعة السودانية فى أى مدينة غير ( ام درمان ) لقل عنها نفس ما يقال الآن ولكن لا خيار لمن لا يختار .. فقد كان الحكم الإنجليزى يقسم العاصمة القومية .. "المثلثة" الخرطوم الإدارية وبحرى العمالية وأم درمان الوجدانية .. وكان لابد ان تقوم بهذا الدور وتحتضن القيادات الوجدانية الموجودة فى الأصل والوافدة من الأقاليم .. والفرقة القومية السودانية إبان حكم الفريق عبود .. برعاية اللواء خلعت فريد .. أفرزت ابداعات .. فنانى الجزيرة .. والشمال والشرق وحتى خصوصية الجنوب بعد أن كان الدخول اليه "بتاشيرة المناخق المقفولة" .. ظل يشارك برقصة الكمبالا فى المسرح القومى بالإذاعة والتلفزيون .. وما كان يشغلنا هوس الانفصال الذى جاء مؤخرا كالكابوس القاتل فى حلم مخيف بفعل فاعل .. وحتى الذين قادوا الحركة كفصيل متمرد كف عن القتال بحضور "جوزيف لاقو" إلى الخرطوم ومشاركته فى الحكومة وفى الحياة السياسية حتى اليوم.

إننا يجب أن نفتح عيوننا لنرى .. ونرهدف أذاننا لنسمع .. ونغسل قلوبنا لنحب هذا الوخن القارة الذى لا يحتمل التفرقة ولا يحتاج إليها لكي يستثمر إمكانياته ويجند خباياته من أجل مستقبل أفضل. عندما جاء الفريق عبود الى الحكم فى أول انقلاب عسكري، أظن تعداد السكان كان فى عام ١٩٥٨ ثمانية ملايين نسمة وميزانية الدولة ثمانية ملايين جنيه سودانى .. أي ( ثلاث ثمانيات..أو ثلاثه شرائط ) .. رتبة "جاويش فى الجيش السودانى" .. أحد شعارات المعارضة المسودة جدران المنازل فى شارع الحرية. تلك المعارضة التى بدأت تردد "ضيعناك و ضعنا وراك يا عبود".

والآن بعد توقيع اتفاقية السلام .. و دخول لغة المليارات فى ميزانية الدولة وتطوير البنية التحتية .. واكتشاف البترول وكسر العزلة السياسية لابد من العمل بصدق نحو الوحدة الطوعية والفيدرالية الإتحادية ولكن "بنعم" هنيئه .. أو لا مريحه ..!! ولا إكراه فى الدين، ولافضل لعربى علي عجمى إلا بالتقوى وإن أكرمكم عند الله اتقاكم...

ولنا عودة باذن الله...

.....

## عيد بأية حال

يقول المثل الإنجليزي: "الحياة جميلة بلون نظرتك اليها .. قبيحة بقدر نغمتك عليها". وربما تكون الترجمة أكثر قدرة على التعبير عن المعنى الذى يقول أننا بقدر ما نصنع في الحياة ونتعب فيها نستمتع بها وبقدر ما نتشائم منها ونضجربها، تعبس في وجوهنا كما يقول ايليا أبو ماضى:

أيها المشتكى وما بك داء كن جميلا ترى الوجود جميلا

وكثيرون الذين يشتكون من شتى العلل ولا يضعون يدهم على داء .. لأنها حالة وهم في كثير من الاحيان .. حيث يتوهم الفرد المرض ويقع فريسة الظن .. ويدور في حلقة مفرغة من الشكوى والضراعه وتصبح حالة نفسية تؤثر على قدراته المكتسبه والموروثة. وفي الجانب الآخر ننظر الى الآخرين ونتوهم فيهم من يظلمنا، في حين يحاول الكل مساعدتنا ونغالى في محبة من يعادينا ظنا بانه يشقى من أجل عيوننا .. والله عليهم بذات الصدور.

وعين الرضا عن كل عيب كليلته كما أن عين السخط تبدى المساويا...

وعيون الرضا هذه هي التي لاتبصر في وضح النهار .. وعيون السخط هذه هي التي ترى في سواد الليل لأنها تتحرك بالدوافع الغريزية للانسان في الحب والكراهية وفي الجانب الآخر نشكو من قسوة الدهر .. وهو خوع بناننا ونحن القادرون على استخلاص العبر .. ورؤية الاحداث وقراءة الواقع وسبر أغوار الماضي .. ولكن نصر على ان زماننا تغير .. ولا نحاول أن نتغير حتى نجارى هذا الزمان ... و (لن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)، ولكل زمان متطلبات والزمان هو قطار

الحياة الذى لا يتوقف فى انتظار المترددين فى الركوب.. والمتطلبات هى الحياة ذاتها التى لا تنتهى  
عند مغنم.

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا...

وكلما قضينا حاجة تطلعنا الى أخرى .. من الصغير الذى يرضع فى ثدى أمه .. ويبكى من  
أجل المزيد والى المسن الذى وصل عمره الأفتراضى .. وبدأ فى كتابة اجندة جديدة لمستقبل مأمول..  
ولا يتواضع على ما قضى من عمر .. وحقق من آمال .. ولكنه يطمع فى المزيد ويلوم الزمان الذى  
أصبح غير زمانه .. و كأنما يستطيع الزمان الواحد أن يتوقف ويستوعب كل الأجيال .. وكل  
الاحداث فتتوالى الأزمنه وتتغير الأمكنه .. وتتعاقب الاعياد فى حضان زمان واحد.

وما لزماننا عيب سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا

ولو نطق الزمان لنا هجان

ونهجو ذا الزمان بكل قبح

ونحن نستقبل هذا العيد بالتحديد .. وقد عاد يحمل بشريات كثيرة .. سارة بقدر ما ننظر  
اليها .. محزنة بقدر ما نجتر أحزان الماضى فيها .. ولا بد أن نتطلع الى رؤية الشمس الخارجه من  
ظلمة الغيوم التى ظللت السودان عقودا خويلية .. لقد كانت الحرب الأهلية تنخر فى عظامنا ..  
وقد كان الفقر ينهش فى امعائنا .. وكان المرض يفتك بأروحانا زرافات ووحدا .. وهذه ابتلاءات  
تطل فى حياة كل امة ....

ولن تشطب فاتورة الفقر والجوع و المرض من مديونية حياتنا المثقله بالإستحقاقات إلا إذا  
أوفينا السلام حقه فى كل بقاع السودان .. والذين يديرون هذه الحروب الصغيرة هم نفس الذين  
ظلوا يشاركون بالأصالة أو الوكالة فى الحكم منذ فجر الإستقلال .. ويمثلون صفوة القادمين

من أركان السودان الأربعة فى "العاصمة المثلثة" الخرخوم و الخرخوم بحرى و أم درمان .. و"الكرة المثلثة" المريخ، الهلال والمورده .. ولا توجد كرة فى السودان الا وقد خرجت من عباءة هذا الثالوث الكروى .. و"الاحزاب المثلثة" .. الوخنى الاتحادى .. والشعب الديمقراطى .. وحزب الأمة .. ولا يوجد حزب من أشبال الحركة السياسية الا وقد خرج من عباءة هذا الثالوث الحزبى .. ومفاتيح "الابواب المثلثة" .. كبرى أم درمان و الخرخوم بحرى و الاذاعة .. ولا يوجد قائد قرر الاستيلاء على الحكم و قفز على ظهر دبابة فى الصباح الباكر قبل آذان الصبح .. إلا وقد استلم مفاتيح البوابات الثلاث و اذاع بيانا .. وأعلن النظام الجديد واستلام السلطة.

والآن وقد جاء هذا العيد .. وقد أنتهى سيناريو "العباءات الثلاث" .. فالحروب الصغيرة يتم تطويقها فى الجنوب والشرق والغرب والشمال .. و"الثالوث الكروى" وزع أشباله والقابه على كل أقاليم السودان .. و الأحزاب الثلاثة .. قد أفرغت ما فى بطونها .. أحزابا صغيرة .. وجزرا متفرقة فى المحيط السياسى المتلاخيم الأمواج فلم يعد هنالك أحد لا يجد مظلة سياسية يحتمى بها من هجير الحياة .. ويصل بها الى سلطه .. وقد تم اقتسام الثروة والسلطة .. وأصبحت المديرىات التسع .. حكومات فدراليه متعددة .. وأصبح الدخول من بوابة الاذاعة أو استلام الكبارى لا يقود الى سلطه فقد تعددت الكبارى وتعددت الجسور الجوية و اصبحت الدبابات تأتى من الخارج .. وانتشرت ثورة التقنية .. والفضائيات الخاصة .. والإذاعات الصغيرة .. ولم تعد اذاعة ام درمان هى المصدر الوحيد لمعرفة الأنباء .. وهوية قائد الانقلاب الجديد .. وبذلك تخلصت البلاد تماما .. من مرض الانقلابات وهذه كانت أكبر فاتورة يتم تسديدها على حساب حرية و رفاهية الشعب المغلوب على أمره.



وقد جاء العيد .. والشعب ينعم بحرية لا يعكس صفوها إلا بعض الذين لا يحترمون حرية الجميع .. فلا يمكن أن يصبح كل الناس حكاما .. أو يبقى كل الناس مجرد رعايا .. غير شركاء فى صنع القرار .. وجاء العيد ليشهد التعبئة العامة للمشاركة فى السلطة .. ولوقيل: "دعوة حق يراد بها باخل" .. فلم يكن مجرد التفكير فيها أو الحديث عنها أو الجهر بها ممكنا قبل بضعة شهور ولم يعد ممكنا السباحة عكس التيار .. تيار الحرية والديمقراطية والتعددية الحزبية فى كل أنحاء العالم شئنا أم أبينا .. ولا خيار لمن لا يختار.

ان هذه النظرة المتفائلة .. ليست دعوة للإستكانة والرضا بالامر الواقع دون محاولة التحديث الجادة لكل مؤسسات الدولة .. وليست موالاة و لا مطية رغبة و لا وليدة رهبة للوضع القائم إذا لم يحشد قواه .. ويظهر كل نواياه من الإلتفاف على المواقف .. والإنحناء للعواصف حتى يعود الى المكر السيئ بأهله. ان سوء الظن قد دفعنا الى التهلكة اكثر من عقود .. ولا نريد أن نمشى فى هذا الطريق الا بقدر الخطوات التى كتبت علينا فى الماضى .. ووصلنا نهاية الطريق.

مشيناها خطى كتبت علينا                      ومن كتبت عليه خطى مشاها

ولا عذر لمن يسعى الى إثارة النعرات العنصرية .. وينكأ جراح الصراعات الطائفية متنكرا فى عباءة (الشفافية) ودعاوى التهميش .. فالسودان كله ظل مهمشا منذ الإستقلال رغم مساحته الجغرافية وأهميته السياسية وموارده الطبيعية فى أكبر قارة تحتاج الى كل هذه الإمكانيات وتسعى إلينا الآن للسلام والإستقرار قائلة: "من كان منكم بغير خطيئة فليرمها بحجر" .

وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

## أمة شاعرة

فى الإجتماع الأخير للجنة الطبية بمستشفى النور فى أبوظبى والتي تضم فى عضويتها أخباء من مختلف الجنسيات من كل أنحاء العالم العربى تقريبا ونصف الدول الآسيوية كنا نناقش تصميم الموقع الإلكتروني للمستشفى وقد عرضت عليهم الموقع الخاص بى .. وكان فى الصفحة الرئيسية لموقعي مقامع من قصيدة "بشائر أمة" حول اتفاقية السلام فى نيفاشا وقد نشرت فى الصحف السودانية والمحلية من قبل.. وعلق أحد الأخباء زملاء من الهند قائلا: "إننى لا أقرأ العربية.. ولكن هذا يبدو شعرا.. ولا بد أن يكون لأن معظم السودانين يكتبون الشعر كما لاحظت". وعلق أحد الزملاء من العراق قائلا: "لقد كنا نعتقد أن الشعر راية عراقية يحملها المتنبي إلى أن اكتشفنا أن السودانين أمة شاعرة". وقال مدير المستشفى الدكتور قاسم العوم: "لقد لاحظت أن معظم الأخباء السودانين شعراء.. وأكثرهم شعرا الأخباء النفسانيون.. لا أدري لماذا، وقد كان معنا فى الماضى فى هذا المستشفى قبل سنوات الزميل الراحل الدكتور حسبو سليمان وكان الطبيب السودانى الوحيد والشاعر فى المستشفى، والآن يأتى الدكتور الزين ليؤكد أن بعض الأخباء شعراء وكل السودانين شعراء وقال الدكتور عزام اللاذقاني مدير الخدمات الطبية: "ننى لا أعرف سودانيا لا يكتب الشعر أو يغنى أو الإثنين معا".

لقد شعرت بكثير من الفخر والإعتزاز.. وأنا أسمع الآخرين وفى شتى المجالات و من مختلف الأقطار والجنسيات يشهدون بشاعرية السودانين.. ويؤكدون على تاريخهم الحافل بنظم الشعر وفن الغناء و "الشعر ديوان العرب" .. وإن كانوا فى قلب أفريقيا النابض بالحياة والغائب عن بعض الأذهان وإن كان جسر التواصل بين العروبة وأفريقيا أوهكذا ينبغي ان نكون فى مستوى هذا

الأمل الكبير .. ولقد سمعت هذا التعليق وبنفس مستوى هذه القناعة خوال فترة عملي فى منطقة الخليج العربى .. وقد شاركت فى ليالى شعرية فى البحرين والإمارات والسعودية وعمان .. والأردن واليمن والعراق .. وحضرت و شاركت فى أكبر المهرجانات الشعرية "المريد" فى العراق.. مسقط رأس المتنبي .. والبياتى .. والجواهرى .. وبدر شاكر السياب، وصفوة الشعراء العرب فى العصر القديم والحديث .. وعمالقة الشعر العباسى.

وأذكر فى مطلع الستينات عندما زرت بيروت والتقيت بالشاعر الغنائى المبدع الأستاذ السر دوليب .. كان يحمل معه ديوان الشاعر السودانى الكبير الأستاذ الفيتورى .. ديوان "اذكرينى يا افريقيا" .. وقد كتب عنه أحد الكتاب فى مجلة "الأداب البيروتية". وكانت أكبر ينبوع للثقافة العربية فى التاريخ العربى المعاصر .. وكان يحررها ويكتب فيها الدكتور سهيل ادريس .. والناقد الدكتور احسان عباس أستاذ النقد العربى .. فكتبوا عن الشاعر السودانى الذى يقرع خبول تحرير أفريقيا ويغنى للعرب .. وقضية فلسطين .. ويجمع بين الحسنين وسألني أحد النزلاء فى الفندق عندما كنت أتصفح مجلة الآداب البيروتية: "لطفًا بتحكى عربى ؟؟" .. فنظرت إليه مندهشا وقلت: "نعم .. وأقرأ الشعر". وكانت بين يديّ هنالك قصيدة للفيتورى .. وأضفت متحاملًا: "وأكتب الشعر" .. وأعطيته نسخة من ديوانى "الضياء والحريق" المجموعه الأولى، التى جئت استلمها من "دار الثقافة" فى بيروت. عندئذ شعر الصديق بالرحج .. ونظر مرة أخرى الى صندوق العجائب الذى ربما كان يتكلم العربية بفصاحة أكثر منه .. وقال لى: "نحن سعداء بأن بيروت (سويسرا الشرق) أصبحت تستقبل كل الشعراء العرب والأفارقة .. ولكننا نجهل الكثير عنهم .. بينما اللبنانيون فى الشتات غطوا كل أخراف الكرة الأرضية" .. وكان ينزل معنا فى الفندق الأستاذ محمد عامر فوراوى وكيل وزارة الإعلام والعمل فى السودان آنذاك ورجل الأعمال الأستاذ حسين أحمد مكى عبده .. و الذى كان يبحث عن متطلبات لدار الطباعة والادوات

المكتبية .. فقلت له: "إن الرجل الأول مثقف من الدرجة الأولى .. والثانى باحث فى نشر الثقافة العربية فى قلب إفريقيا

وقارنت بين نظرة مواخن عربى من قلب بيروت التى قيل عنها يوما ما.. إن لم تكذبنى الذاكرة.. "بيروت تطبع والقاهرة توزع والسودان يقرأ"، وبين نظرة الطبيب الآسيوى اليوم والذى يعرف أن السودانيين لا يتكلمون اللغة العربية فقط وإنما يكتبون الشعر.. وبين قناعة الجميع بأن السودان أمة شاعرة.

وهذه حقيقه يجب أن نفتخر بها .. ونباهي بها .. ونؤصل لها .. لأن ضياع الهوية الشعرية أحد عوامل تفكك الهوية الثقافية .. واندثار الموروث. وفي أحد ليالى رمضان الكريم دعوت بعض الأخوة العرب من الزملاء الأخفاء بالمستشفى للإفطار فى رمضان .. وكان يعرض فى قناة النيل الأزرق الفضائية .. برنامج "نجوم الغد" .. وهو برنامج واعد .. متجدد .. مبشر بمستقبل عظيم للثقافة الأفروعربية .. ثم تلتها فقرات "ظلال قصيرة" ومنها "الشارع يغنى". فقال لى أحد الزملاء الأخفاء من الاردن: "يا زين، مافي حدا فى السودان ما بيكتب شعر ومافي (زول) ما بيغنى .. خيب ليش ما بتطلعوا فى القنوات الفضائية الأخرى.. وما فيها غير الغناء والشعر والطرب. قلت له: "ربما إلى جانب عوامل أخرى كثيرة .. قد يطول الحديث عنها بعد الإفطار وأنتم تتأهبون للذهاب لصلاة التراويح فإننا عشنا منذ الإستقلال سنوات من الجفاف الفكرى .. والخلاف العقائدى .. والإنقلابات العسكرية وأخيرا الحصار الإقتصادى مما جعلنا ندور فى حلقة مفرغة حول متطلبات الحياة من الجوع والعطش والماء والكبرياء .. وكيف نكتب و نبدع ونحن تحت مطرقة الجوع .. وسندان الظلام .. والآن بعد أن خرجنا من النفق المظلم تجد الشعب يغنى .. والشارع يضى .. وصورة التلفزيون تبعث على الفرحة والأضواء تتلألأ .. فى ليالى رمضان .. لتقول أن السودان أمة شاعرة.

أما لماذا لا "نطلع" فى القنوات الفضائية الأخرى .. فإننى أترك الأجابة لأولي الأمر منا. وفقهم الله  
ومن قال لا أعلم فقد أفتى.

ولنا عودة بإذن الله...

.....

## درع الثقافة

عدت من الخرطوم فى ديسمبر الماضى بعد المشاركة فى مهرجان الخرطوم (عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠٠٥م). وقد كانت مبادرة مقدره ودعوة كريمة من الأمانة العامة للمهرجان الثقافى الكبير .. وما كنت أظن أن الدولة قد حشدت هذا الكم والكيف من الامكانيات .. المادية والبشرية لنجاح هذه الفعاليات التى امتدت على مدى عام كامل .. وفى قياس التجارب الجديده والفريدة .. وفى مناخ الجدل الفكرى والصراع الثقافى بكل أشكاله (وبانوراما) مضامينه المختلفه .. فقد كانت التجربة فى المحصلة النهائيه ناجحه وتستحق التقدير ..

وقد تكون شهادتى مجروحه لاننى كنت ضيفا على أهل الدار وان كانوا أهلى .. ولكن شهادتى تشفع لها تحفظاتى الكثيرة فى المشاركة لاننى فى الخارج ولا أدرى خبيعة المناخ فى الداخل.. ولا تضاريس الأرض التى تتحرك فيها الفعاليات .. ولكن ابرز شواهد العصر أننى لم أعول كثيرا على الدعوة التى وصلتني من سفارة جمهورية السودان بأبوظبى .. تحمل توقيع الأمانة العامة .. والوعد بتذاكر السفر والأقامة على نفقة الدولة .و ماكنت أحسبني أحيا الى زمن أنعم فيه بهذا الترفخواعية بلا من ولاذى وأنا الذى كنت أزور الدولة فى جنح الليل وأغارها فى جنح الظلام ولله فى خلقه شؤون.

ولاننى كنت مترددا فى اتخاذ القرار .. ومنتشككا فى مصداقية الدعوة وبعض الظن اثم .. فقد غادرت الى القاهرة فى فى مهمة خاصة .. ثم سافرت من القاهرة الى الخرطوم فى رحلة خاصة.. وكانت الدعوة قد عقبتنى الى أبوظبى وظنوا اننى تخلفت عن الركب أو أخلفت الوعد .. ولكننى اخطرت الأمانة العامة من القاهرة بحضورى للخرطوم .. و وصلت الخرطوم وذهبت الى منزلى

وبقيت حتى اليوم الثانى .. فاتصلت بى الأمانة العامة .. لتستفسر عن حضورى معذرة بتقاعج خطوط الاتصال وحملونى على الذهاب الى فندق القصر بالخرطوم بحرى حرصا على بروتوكول الضيافة لآكون فى معية الوفود الزائرة والشخصيات العربية المشاركه فى (مهرجان الشعر العربى) .. أو الملتقى الشعرى .. حتى يتحققوا من انسيابية حركة الوفود لحضور الفعاليات المتعددة فى أرجاء العاصمة وخارجها ..

وذهبت الى الفندق .. ووجدت قدرا كبيرا من لطف الضيافة وحسن الاستقبال فاق كل تصورى .. حتى خاقم الفندق ذاته كان مهينا نفسيا للترحاب بالضيوف اكثر مما جرت عليه العادة فى زيارتى المتقطعة له. وكانت كوكبة الشعراء من لبنان وسوريا والأردن وفلسطين والامارات واليمن وليبيا .. وكانت النشائج المختلفة للملتقى الشعرى تتوزع نهارا ومساء بين شتى المناشط والدور الثقافية .

وقد أعجبنى أن كانت هنالك ليلة شعرية فى دار ضباط الشرخة بضاحية (برى) .. وقد كانت لفته لها دلالتها النفسية بالانتقال من حق القوة الى قوة الحق .. من فكر السلطة الى سلطة الفكر .. وكان هناك حوار فى هذا الاتجاه .. قارنت بينه وبين زمان كان الشاعر المبدع أبو أمته حامد .. فى الستينات يحلم بمثل هذا اليوم الذى شهد تكريمه فى سياق الحديث عن سلطان الوعى الثقافى .. الهاجس الذى عاش يورقة مدى عمره المديد باذن الله .. حتى يرى الحلم وقد أصبح حقيقة .. فى وجود (الرباط) الثقافى والفنى والعلمى ينصهر فى بوتقة النظام الأمنى الذى نأمل ان يتحول الى صمام أمان من الخوف والقهر والعدوان ..

وقد عرفت ان للأمانة العامة مطبعة تقوم بطباعة ونشر وتوزيع الكتب .. وبما أننى عاصرت فترة الجفاف الفكرى عندما جئت أجمع كتبى فى دار النشر بجامعة الخرطوم .. فى الثمانينات

أتذكر فى حسرة شديدة كيف كان ثقل الحرج الذى يحس به زميلى وصديقى الدكتور خالد المبارك والذى كان يشرف على الدار .. الخالية الخاوية من الورق.. ذات الماكينات البالية العاجزة عن الدوران ..

ولقد عرضت على الأمانة العامة مساهمة منى فى إحياء هذه المناسبة الثقافية التبرع بطبع كتابى ( الغربة ..نثرا و شعرا ) وتوزيعه على المكتبات مقابل تشريفى فى حضوره فى مهرجان (المنامة ..عاصمة الثقافة العربية فى عام ٢٠٠٦م) ونسخه اكرامية لى .... وقد كنت فى الثمانينات أجمع فى خباثة كتبى بدون مقابل .. ولكنهم خلبوا منى السعر بالدولار آنذاك .. وهو عطاء من لا يملك لمن لا يستحق .. وقد عرضت شخصيا على الأمانة العامة أنشاء مسابقة ( جائزة الابداع الشعرى ) السنوية للشباب وقد تعهدت برعاية هذه الجائزة الشبابيه حتى تظل جذوة الشعر متقدة .. وناره حية لا تنطفى فى وقت يعانى فيه الشعر من أزمة وجود .. وقد تبنت الأمانة العامة الفكرة .. وكتبت عنها فى الصحف .. وأجدد العهد فى الالتزام بها والوفاء لها .. ايماننا منى بضرورة الحفاظ على التراث الشعرى الذى يمثل الرثة الحقيقية للابداع الفنى السودانى منذ التاريخ الباكر ومنذ الطفولة حتى الكهولة ..

وفى ختام الفعاليات ( للملتقى الشعرى ) نظمت الأمانة ( نهائية شعرية ) وهى تسمية حديثة بالنسبة لى مقابل ( ليلة شعرية ) .. على باخرة نيليه سعد به الشعراء العرب.. واخرى سياحيه فى مزارع (ضاحية سوبا) وكانت اخلاللة على النيل .. شريان الحياة .. وقد أذهلت الضيوف مناظر الخضرة الممتدة على شاخى النيل الأزرق .. ودار نقاش غويل حول ثروة السودان وموارده الطبيعية وامكانياته المكتنزة غير المكتشفة والمجهولة حتى لدى أقرب الأقربين من الأخوة



العرب والمسلمين . وفى مزرعة الاستاذ الفاضل ( أبو كشوه) تم تكريم الشعراء المشاركين فى ختام الملتقى الشعرى لمهرجان الخرطوم عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠٠٥م .. وتقلد كل شاعر درع الثقافة ووسام المهرجان .. وكان ختام المسك فى ذلك المكان والزمان ..

وسوف يبقى عام ٢٠٠٥م محفورا فى ذاكرة التاريخ السودانى المعاصر لأنه يسجل حدثا فريدا مر بمرحلة تاريخيه فى حياة السودان فى ظروف داخلية واقليمية ودولية تمثل مفصلا أساسيا فى التحولات الدولية .. ويمثل اهمية خاصة للسودان فى قضية الهوية .. وجغرافية المنطقة .. فى ظل العولمة .. وحوار الحضارات ..

نامل ان يتكرر الحدث وقد حسم السودان هذه القضايا المعلقة فى أجندة الشرعية الدولية وأثبت انه الوعاء القادر على استيعاب هذا التنوع من الثقافات .. وهذا الاختلاف فى المناخات الفكرية والاجتماعية والعرقية .. وأن يكون درع الثقافة الذى توشحنا به أمام الضيوف العرب شهادة عصر على مرحلة التحول التاريخى للسودان من بلد يعيش زمن الاحتراب الى جسر لتواصل الثقافات و الأحباب من شتى الأعراق و الانساب و الى أمة عاشت مرحلة المخاض الطبيعى لولادة القادم الجديد..القارة .. الأقليم ..القطر..المدينة ...الخرطوم (عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠٠٥م) و عاصمة السودان أم الأقاليم المتحدة فى الجنوب و الشمال و الشرق و الغرب بنهاية عام ٢٠٠٥م.. وليس ذلك على الله ببعيد.

والله وراء القصد

.....

## جائزة الابداع الشعري

عند ما دخلت مبنى الأمانة العامة للمهرجان بعد يوم من الأفتتاح الرسمي تذكرت آخر مرة دخلت فيها دائرة الثقافة عندما جئت مع وفد الجالية السودانية بالشارقة من دولة الامارات العربية المتحدة فى عام ١٩٨٠ يحمل دعوة صاحب السموالشيخ سلطان بن محمد القاسمى حاكم الشارقة لدعوة وفد اعلامى ثقافى كبير من الخرجوم للمشاركة فى احتفالات افتتاح النادى السودانى بالشارقة برئاسة وكيل الوزارة الراحل الأستاذ الفاتح التجانى و الاستاذ الأديب يوسف عايدابى - والذى ما زال حاضرا فى أروقة الثقافة الاماراتيه و آخرين .

وقبل أن تنطلق شعلتة المهرجان (الخرجوم عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠٠٥ م) وفى مكتب الأمين العام الأستاذ المهندس عثمان السعيد وبحضور الشاعر كامل عبد الماجد، خلّبت من الأمين العام أن يتبنى رغبتى فى استحداث (جائزة الابداع الشعري) للشباب والبراعم بجائزة مالية سنوية قدرها خمسة الأف دولار .. تقدم لأفضل عمل شعري من إنتاج الصغار المبدعين على ان تتكون هيئة من الأمانة العامة أو ادارة الثقافة والشباب بوضع الشروط اللازمة للمنافسة وتحديد معايير المنافسة... وان اتكفل برصد المبلغ المطلوب للجائزة سنويا أو حسب ما تترئى اللجنة المشرفة على الجائزة.

وقد رحبوا بالفكرة .. وثنوا المبادرة على أساس أنها تصب فى روافد الأبداع التى تغذى تيار الحركة الشعرية الأخذة فى الإنحسار والذى يحتاج الى قوة دفع ليتخطى الحواجز فى الشلالات المتعددة التى يسعى جاهدا ليتخطاها الآن حتى يصل الى وجدان القارئ السودانى. وخلق منى الأمين العام الأعلان عن هذه الجائزة فى أول حفل فى المهرجان الشعري .. وقد كلفت الأخ الشاعر

كامل عبد الماجد أن يقوم نيابة عنى بالمهمة فى الإعلان عن الفكرة والتسويق لها .. والحديث عن دوافعها - دفعا للخرج - حيث كنت أحد المشاركين مع الشعراء الضيوف خوال الليالى والنهاريات الشعرية التى اقيمت فى أيام المهرجان ..

وقد أخطرت الشاعر الرقيق مختار دفع الله والذى كان له فضل التنسيق ورقة الصحبة فى الجولات الشعرية يشاركنا الشاعر الكبير الصديق مبارك حسن خليفة... لقد كانت فكرة الجائزة هاجسا فى داخلى ينمو ويتبلور منذ سنوات ولا يعرف كيفية الخروج ولا خريقة الأخراج أو وسيلة التعبير منذ فترة خويلته .. وبعد خبوع ديوانى (مرايا مهشمه) والذى كتبت فى مقدمته أقول: ( وعند ما تنهض الأمة من جديد فسوف تسير تحت ظلال دوحه الشعر.. وتقوم هناك عكاز أخرى بغير جاهلية وتحت مظلة العولمة الشعرية العربية)، ويمكن الرجوع الى المقال فى الموقع الشخصى فى صفحة المكتبة - المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الثانى ديوان (مرايا مهشمه) ص ٧ حيث يتجلى الدافع الحقيقى الذى ظل ينمو فى مخيلتى وانا خارج الوجود والغربة تحجب عنى الرؤية الدقيقة لما يدور داخل دهايز الشعر .. ولكننى ذات مرة عند زيارتى للسودان ومشاركتى فى إحدى الامسيات فى برنامج (مشوار المساء) سألتى المذيع قائلا : هل سقطت دولة الشعر؟ وصعقت وكأنه ينقل لى نبأ وفاة عزيز لى وهو حقا كذلك - إنه النبض الذى يحمل إكسير الحياة فى دواخلنا فى دفء الكلمة ورقة الإيقاع .. وأنا مسكون بهاجس الشعر حتى النخاع وصعب على ان استوعب السؤال .. أو اتفاعل مع تداعياته بداخلى ولكن رب ضارة نافعة .. فقد ايقظ فى ضميرى فكرة إحياء جذوة الشعر التى كادت أن تنطفئ من فرط الاسفاف ... وروح الاستخفاف التى لحقت بهذا الفن الانسانى الراقى لأسباب عدة يصعب حصرها فى سياق هذا المقال. وكتبت -ردا على هذا السؤال -قصيدة بعنوان (الشعر..والشمس والقمر) نشرت فى ديوان (المرايا المهشمه)

كانت هذه دعوة .. لاحياء جذوة الشعر .. فى منابر الناشئة وقلوب الصغار وليتعهد بالسقيا بذرة الشعر فى وجدان البراعم الجديدة التى بدأت تطل برأسها فى برنامج (نجوم الغد) وساحات أخرى لم تتوفر فيها وسائل الأنتشار .. وقد أكدت على ذلك فى لقاء صحفى لجريدة (اخبار اليوم) مع أحد الصحفيين الشباب الذى التقى بى فى مقر إقامة الوفود فى فندق القصر ببحرى وواعد بأن يتبنى الأعلان عن الفكرة .. ويدعو لها .. وتركت الأمانة فى أيدي أمينة أمل أن توفق فى اخراج المشروع الى النور.

وآمل ان تتبنى الامانة العامة الجائزة وتؤخر لها أو تشرك معها برنامج (نجوم الغد) لأن يبشر بها ويعلن عنها .. المهم أن تصل الفكرة وتتحقق الأمنية وانا أتعهد برعايتها فى الداخل والخارج وأتبنى دعمها وتمويلها بالطريقة التى تراها الجهات ذات الصلة .. ولكننى لا أتدخل فى تفاصيلها لأن أهل مكة أدري بشعابها .. و أهل مكة هنا هى قبيلة الشعراء .. وجماعة الأدباء .. والهيئات المنوط بها نشر الثقافة والأدب وأحد أهم أركانها .. وخرق الوصول اليها .. قافلة الشعراء ولسان حالهم يقول:

هل غادر الشعراء من متردم .. أم هل عرفت الدار بعد توهم؟

وقد غادرت الخرخوم وما زال يرن فى أذنى صدى (جائزة الابداع الشعرى) وآمل ان يتحول الصدى الى رنين يتخطى الأذن الى الدماغ .. وتتحول الفكرة الى حركة .. والقول الى فعل .. و سوف نظل أوفياء للعهد مستمسكين بقوله تعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ) صدق الله العظيم.

وقد أضفت الى رغباتى الشخصية واحلامى الوردية .. رغبتى فى التبرع بريع كتابى (الغربة.. نثر وشعر) الى الأمانة العامة حتى تقوم بطباعته ولى أجر المحاولة .. وشرف المناولة الى

جهات التنفيذ حتى يكون صدور الكتاب فى اواخر مهرجان الخرطوم عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠٠٥ م ويكفينى هذا شرفا لى .. و كنت قد بدأت نشر مقالات الكتاب فى الموقع الألكترونى الشخصى فى صفحة ( اللقاء الأسبوعى ) و الذى يمكن الأخلاص عليه .. ولكننى من أجل التوثيق واحتراف بالمناسبة التى لا تتكرر أردت أن انقل الحدث من مقالاتى فى الموقع الالكترونى الى كتاب مؤلف فى المكتبة الوجدانية بدار الوثائق القومية من أجل عيون التاريخ الذى يجب أن يضم بين سطوره فى كتاب السيرة الذاتية للتراث السودانى كل شاردة وواردة فى نتاج التجربة الأنسانية فى السودان .. و هى كما يقول صديقى الشاعر المبدع صديق مدثر .. ويتغنى بها المطرب المتميز الكابلى مترنما:

بعض أحلامى التى أنسجها .. فى خيالى وانا جيها مليا

أمل ان تتحقق الأمنيه .. والله وراء القصد .

## الشعر والشمس والقمر

### قصة قصيدة :

دفعني على كتابة هذه القصيدة مشاهدتي حلقة تلفزيونية في القناة الفضائية السودانية في برنامج (مشوار المساء) حيث كان الحديث حول: هل سقطت دولة الشعر؟ .. وكان نقاشا ممتعا وحوارا ثريا وثرًا .. فيه عمق وشفافية .. استيطان واستشراق و كانت نهاية خيبعية لتلاقح فكري مستنير ومخاض أدبي مكتمل النضج والولادة وقد سعدت .. أولا .. لأن هناك إحساسا متناميا بأزمة الشعر رغم أهمية وضرورة الشعر ورغم انحسار موجاته الإبداعية كانت هناك ضرورة رؤى للشوايت في قضية المتغيرات في مسرح الحياة الأدبية.

لقد كتبت كثيرا في مقدماتي الشعرية السابقة حول هذه الأزمة بطريقة مباشرة ومنفعلة أو بأخرى غير مباشرة متفاعلة مع الأحداث رغم بعدي الفكري عن الساحة الأدبية وبعدي الجغرافي عن حلقات الشعر ومنتدياته الأدبية .. وقد كتبت كثيرا أن الشعراء ظلوا يتجادلون حول حرية التفعيلية أو النثر وتحول الجدل إلى تراشق وانغلاق على (الحر) أو العمودي .. وكأن الإثنين لا يخرجان من رحم واحد .. وتحول التراشق بالكلمات إلى حرب فكرية بين من جرد الشعر من الوزن والقافية والموسيقى التفعيلية .. وبين من دخل الخندق وتمرس خلف العمود الشعري .. وقلت لهم ذات مرة أخشى أن تقضى حربكم على هوية الشعر و أن تفقدوا الشعر ذاته .. كأداة من أدوات التعبير وهذا ما أتمنى ألا يحدث .. ولعل في إتجاهي المسبق للكتابة بالشعر العمودي في مجموعاتي الأخيرة ليس ردة في مسيرة الشعر .. ولكنه "عودة إلى الجذور" حتى لا ينسى أحفادنا فن الشعر .. ولا يدخلوا به في ملاجئ العجز الفكري والإعاقة الثقافية من فرط التشوهات الخلقية والعاهات الجسدية والأزمات النفسية التي يحاول البعض أن يلحقها بالشعر .. قبل فوات الأوان.

عشقت رياض الشعر تورق أخضرا  
تسوق رياح الشعر يسري نسيمها  
وقطرة بحر الشعر تطفئ الظمأ  
وسحر جمال الشعر ينضج بهجة  
وضوء عيون الشعر في الليل شمعة  
وداخل روح الشر سر إذا قضى  
فلن تنبت الأشجار تمتد غابة  
لأن به نهرا يفيض سعادة  
وفيه خطى الشعراء نبتة حنطة  
وتجتمع كوكبة لها وهج شعلة  
حكاياته .. لون القوافي .. بحوره  
تحب لذات الحب للناس كلهم  
له قصة في كل بيت وحرارة  
يطوف سماوات العطاء سحابة  
فيروي سواه وهو يقتله الظمأ  
وينمو شتاتا من هنالك أو هنا  
وقد يعتريه الموت في أي لحظة  
يظل الشعر في الكون شعرا لأنه  
ويبقى خطاب الشعر أعلى رسالة  
وأجمل تعبير .. وأرقى عبارة  
ولدت وفي شفتي بقايا نغمة  
بميلاد صдах يغني لـوخنه  
يحاول هجر الشعر للطب .. مهنة  
وأجمل ما في الشعر في ظلاله  
تمر ليالي العمر خيفا بلا رؤى  
خبا كل شيء فيه قد تذكرينه

يداعب قطرات الندى مخضوضرا  
تفوح عبيرا في الحقول وعنبرا  
وترقص في الشيطان موجا وأنهرا  
ويسمو بها .. ترقى إلى قمة الذرى  
إذا نظر الأعمى إليها .. بها يرى  
تموت زهور الحب تتقطع العرى  
وتتفتح الأكمام لونا ومظهرا  
تسابق زخم الموج .. تجري كما جرى  
على كل درب ينزل الغيث ممطرا  
فتمتزج الألوان أخاذاة الرؤى  
وتفعيلة هربت من السرب في السرى  
فلا باع شوق العاشقين ولا اشترى  
تحرك في الوجدان شجنا مؤثرا  
فتمطر أرض المبدعين مشاعرا  
ويسقي جذور الزرع والحقل والثرى  
يشع ويندي لا يعي كيف أثمرنا  
وتروي عطاياها العطاش وما ارتوى  
صدى نبض قلب فاض بالحب غامرا  
يسطرها قلم .. حروفا .. وأسطرا  
يفيض بها الديوان .. حبرا .. ودفترا  
خرجت بها من بطن أمي مبشرا  
مهيض جناح خمار من (نهر عطبرا)  
فيلقى بيوت الشعر مأوى ومهجرا  
وأسوأ ما في الطب لو صار مقبرة  
وفيها يطل الشعر وجهها معبرا  
سوى نزعته الإلهام نبعها ومصدرا

أَتَدْرِيْنَ أَنَّ الشَّمْسَ فَجَرَ ضِيَاءِهِ إِذَا أَشْرَقَتْ فَالْشَّعْرَ قَبْلَهَا أَقْمَرَا



## الحلم والحقيقة

استمعت فى نشرة أخبار أمس الى نتائج اجتماعات قمة منظمة (الأوبك) فى مدينة (كراكاس) عاصمة فنزويلا حول قضايا النفط وارتفاع معدلات الإنتاج وارتفاع اسعار برميل البترول الى سبعين دولار .. واستمعت الى قرار (قمة الأوبك) بضم السودان الى عضوية الدول المنتجة للبترول .. وتابعت تسابق الفضائيات فى نشرات الأخبار ليس للأخمينان على صحة النبأ .. ولكن للتجوال فى دول العالم التى قد لا تكون قد سمعت بالسودان من قبل للوقوف على صدى الخبر و وقع الحدث..وبعضها وإن فعلت قديما فمن باب انه قطر صغير فى قلب أفريقيا .. أو حديثا من موقعه كأحد مناخق الحروب الجديدة التى أشتعلت فى كل بقاع العالم من أجل المصالح الاستراتيجية وفى مقدمتها البترول ...

وتذكرت السنوات التى كان التلفزيون السودانى يعيش أضغاث الأسطورة حين ينقل لنا فى لقاءات المكاشفة الشهرية المشهورة صورة (زجاجة البترول) فى محاولة اللقاء أمام الرئيس السابق وهو يبشر بالوعد الطائر الذى هبط بالسودان الى حافة المجاعة .. وصفوف الرغيف الطويلة المتناثرة فى كل الشوارع و الأحياء تنتظر فى حياء لحظة و صولها الى كل متطلبات الحياة .. وتذكرت رسالة أحد زملايى فى أوج زمن المجاعة يداعبنى قائلا: (لقد تم اكتشاف البترول ونحن ننتظر فى شوق عودة الطيور المهاجرة لتعود وتسهم فى المرحلة الجديدة) وقد خال حلم الاكتشاف .. وخالت عودة الطيور .. وخال وقت الانتظار .. ونحن هنا فى الغربية .. نعرف ان ليس بالبترول وحده يحيا الإنسان ولا تحل أزمات الشعوب .. وفى أفريقيا هناك دول كبرى .. تتمتع بثروات هائلة من البترول و موارد هائلة من الثروة المعدنية و تعيش أزمات خاخنة من الغلاء ..

وسيناريوهات دامية من الحروب الأهلية والقبلية وكانما البترول صفيحة جازأو أنبوبة غاز تزيد من اشتعال هذه النيران ..

ونحن نقارن بين نعمة البترول فى الخليج ... ونعمة البترول والثروات المعدنية من الماس والذهب والنحاس فى افريقيا .. ومعاناة الشعوب من ثلوث الفقر والجهل والمرض تعلمنا ان البترول لا يسعد الشعوب ولا يغنى الدول ولكن الانسان هو الثروة الحقيقية للتنمية .. والانسان يحتاج الى متطلبات حياتية أعلى من البترول هى الحرية .. والأمن .. والاستقرار..ليصبح قوة بالحق وليس حقا بالقوة .. يتحول الى أرصدة بنكية لفئات حزبية أو خائفية أو قلة سياسية تحوله الى ايداعات فى البنوك الأجنبية ويشقى الشعب بالبطالة .. والجوع والمرض .. وقرآءة بسيطة وجولة قصيرة فى خريطة العالم تؤكد هذه الحقيقة..

من المفارقات الطريفه أن أحد حكام اليوم .. وأحد رموز قادة بعض الحروب التى تزلزل اركان السودان الاربعة كان يعيش معنا فى المهجر .. ومرة فى بيته العامر .. قال لى .. (والله لوخلع لنا البترول فى منطقتنا سوف نعمل لكم تأشيرة) .. وما زال يعيش حتى اللحظة فى دوامة.. ( لنا ولكم) .. وحتى يخرج منها .. يبقى استخراج البترول خطوة أولى ..مجرد كلمة إستئذان للدخول الى قلوب السودانيين .. و أذكر فى زخم الحديث عن البترول فى النزاع الأخير لثورة مايو أن جاء الى أبوظبى وزير الطاقة و صرح ( أن السودان يسبح فى بحيرة من البترول ) و ما أن عاد الى الخرطوم حتى وجد تصريحاته تسبح ضد التيار حتى غرقت و خرج من الوزارة.. و جاء آخر من التكنوقراط الحزبيين المتمرسين فى عالم السياسة وسئل عن التطورات الأخيرة التى تتحدث عن الآبار التى تم التنقيب فيها و الكميات المتوقعة حتى قال فى سخريته ..( سبحان الله لا تترك السودان بضعة ايام الا و تتكاثر الاقوال وتتبدل الأحوال بصورة يصعب مجاراتها..فليس لى علم بكل هذا وسوف

اتأكد حين أعود ) وكان واضحا أنه لا يريد أن يلدغ من نفس الجحرمرة واحدة وهكذا خرج من عنق الزجاجة المليئة بالبتروول.

واذكر ان دعوة القادة العرب الى الاستثمار فى السودان قبل سنوات .. وتصريحات البنك الدولى بأن السودان سوف يكون سلة غذاء العالم قبل عقود .. لم تذكر ان السودان سوف يكون عضوا فى منظمة (الايوك) فى المستقبل القريب..وهو المسئول عن استشراف المستقبل الاقتصادى و السياسى لكل خريطة العالم ولعقود قادمة

وهكذا قبل ان تتحقق الأمنية الاولى فى الغذاء .. تحقق الحلم الأخير فى البترول .. وما كان لى أن أفهم كيف يصبح السودان سلة غذاء العالم فى غياب البترول .. وهو عصب الاقتصاد الذى يوفر البنية التحتية لصناعة الغذاء والسودان محاصر بالمقايخعات الدولية ومافيا الشرعية الدولية تمسك بخناق حتى الموت .. وحتى وان كان البترول أحد استراتيجياتها المستقبلية وان لم تفصح بها أو تتحدث عنها أو تشير اليها.. لقد ظل السودان موجودا فى خريطة التخطيط الاستراتيجى .. ولكنه غائب عن الوعى السياسى لشعوب المنطقة .. جغرافيا.. واقتصاديا.. وسياسيا ..

وفى بداية الانفتاح على اتفاقيات التجارة (الجات) وسياسات العولمة .. وعصا الاصلاحات الديمقراطية التى تلوح بها الشرعية الدولية بلا جزرة .. جعلت اكتشاف البترول فى منطقة ذات حساسية مفرخة فى جغرافيا المنطقة تقف شاهد عصر على الأهمية الاستراتيجية التى اكتسبها السودان بهذا الاكتشاف الجديد .. وتصدر أوليات الدول المستهدفه من خلال أجندة انسانية كغطاء للمرور الى منابع البترول وحتى لا تصبح هذه النعمة نعمة .. ولا تتحول الثروة الى ثورة .. تاتى على الأخضر واليابس ينبغى ان يركز السودان على عنصر الانسان .. كقيمة حياتية

أخلاقية مطلقة تضع متطلبات الانسان فى أعلى أوليات التخطيط ثم يأتى الاقتصاد عصب السياسة حتى لا تدخل بنا الدهاليز المظلمة والتي يصعب الخروج منها .

ولن يتم هذا الا من خلال وحدة السودان فى أى صورة من الصور داخل إخبار المليون ميل مربع وهى ( كعكة) كافية لأن يجد كل فرد نصيبه منها دون التغول على نصيب الطرف الآخر و يكفى أننا نحتاج الى ملايين البشر لأستخراج كل هذه الثروات و يكفى أن حروب نصف قرن من الزمان لم تصل بنا الى أى هدف و لم تحقق لنا حتى فرصة البداية من حيث تركنا المستعمر. ويشهد عالم اليوم أمثلة حية .. وصورا ناخقة .. بأهمية البترول كوسيلة ناجعة ولكنها ثروة مؤقتة و نابضة وقيمة الانسان كثروة حقيقية ومستدامة فى تحقيق الأنجازات و صنع المعجزات ...

وهذا هو الحق والصحيح فيما أغفله التصحيح .

.....

## جائزة الأبداع الشعري .. مرة أخرى

ذهبت فى اجازتى الصيفية هذا العام لحضور المؤتمر السنوى للجمعية الملكية للأخباء النفسانيين بالمملكة المتحدة فى جلاسجو فى يوليو ٢٠٠٦م ورجعت الى شرق لندن لقضاء بقية الاجازة مع أسرة أبى الدكتور نادر الذى يعمل استشارى للطب النفسى فى بريطانيا .. فقد أقام حفل عشاء عائلي للزملاء والاصدقاء فى قاعة الاحتفالات فى مدينة ابسوتش شرق لندن.... بمناسبة حصوله على الوظيفة فى نفس المنطقة السكنية حيث تجمع عدة عائلات من الأخباء السودانيين المتخصصين فى الطب النفسى وتعتبر أحد القلاع الحصينة للمبعوثين والمهاجرين من الأخباء السودانيين على مدى عقود ..

وقد أسعدنى وأدهشنى الحضور الكبير لشريحة الأخفبال .. فى مراحل عمرية من الطفولة المبكرة الى الطفولة المتأخرة والمراهقة .. جيل كامل فى مراحل متعددة .. وادهشنى مشكلة اللغة العربية .. وقد عرفت ان مجموعة الأخباء الموجودين فى الحى تعاقدوا مع استاذ لغة عربية وتربية اسلامية يعلم أخفبالهم الموجودين فى المنطقه و أمل ان لا يعوق المشروع فى الظروف الراهنة التى يتعرض لها العرب المسلمون فى معظم الدول الغربية .. وان تظللهم راية الديمقراطية التى تنتشر وتنحسر حسب الظروف السياسية لا حسب التقاليد البريطانية العريقة التى علمت الكثيرين مبادئ الديمقراطية حتى الأمس الغريب ..

وحدثنى صديقى لماذا لا تجعل بدل (جائزة الابداع الشعري) (جائزة الابداع اللغوى) لاننى أخشى ان نصل مرحلة من مسيرة الحياة المعاصرة فى السودان مع كثرة المهاجرين الجدد .. اضافة الى هذا الجيل الذى لم ير السودان بعد .. انحسارا ليس فقط فى موهبة الشعر وانما فى وجود اللغة

العربية ذاتها .. الأصل فى فن الشعر .. اذ ان الاجيال القادمة سوف تولد .. وتعيش بعيدة عن اللغة العربية الضرورية للتعايش السلمى ناهيك عن تلكم الأزيمة لكتابة الشعر ..

وأعرف ان صديقى الساخر لم يكن من المتشائمين الى هذا الحد ولكنه مشهور بسعة الأفق وبعد النظر .. فقلت: (له ما لا يدرك جله لا يترك كله) .. فنحن علينا أن نوقد شمعة خيرا من أن نلعن الظلام .. فلنرصد جائزة للشعر حتى لا ينغرض وقد يدفع هذا فى اتجاه البحث عن الطرق المثلى للحفاظ على اللغة الأم ..

وهنا قال لى أبنى الدكتور نادر ..حتى نجعل خموحاتنا متواضعة وعملية ومتناسقة مع رغبة الوالد فى الحفاظ على الشعر .. فلنجعل جائزة الابداع الشعرى للأخياء الشباب .. حيث ان الشائع ان الطب يقتل المواهب والمعروف ان كثيرا من الأخياء تركوا قراءة الشعر يوم دخلوا كلية الطب .. والذين استمروا وهم قلّة لم يتمكنوا من التواصل للارتباخات والالتزامات المهنية وبما ان الوالد يعنى بالطب والشعر .. فقد يكون من المعقول ان ترتبط الجائزة بالشعر كفن .. والأخياء كمهنة .. حتى لا تنحرف الجائزة الى مجالات أخرى وفى النهاية تخدم هذه رعاية البراعم الصغيرة .. ومن بين هؤلاء الاخفال الموجودين سيكون هنالك أخياء ولو خرج منهم شاعر واحد فهو مكسب للجائزة .. وللأخياء ..

وقد رايت أن يبقى راعيا بعدى للجائزة ضمن الامانة العامه للجنة التى تكون لمتابعة تخصيص الجائزة وشروعها وتمويلها حتى ترى النور مشروعا متكاملا .. وان يكون ارثا عائليا تتوالى رعايته حتى يكبر وقد يخرج من رحم الجائزة ما هو اكبر فى العطاء .. والوفاء بقبيلة الشعراء والأخياء وحتى يكون هناك وريث شرعى يتعهد بالتمويل والتزام عائلى ان تبقى الجائزة

حياة تبقى للابداع حتى وان استدعى الأمر انشاء جائزة أخرى للابداع اللغوى .. فى الفكر المتشائم  
واتمنى ان لا يحدث هذا فى جيل المستقبل الذى يعيش الاغتراب روحا وعقلا ..

عود على بدء .. دفعنى الى كتابة هذه الخواجر .. الظروف الجديدة التى خرات عندما وصلت  
الى لندن .. والظروف القديمة التى حدثت عندما نشرت الموضوع الأول (جائزة الابداع الشعرى) ..  
وأنداحت دوائر من التردد والذبذبات الصوتية على ايقاع النبأ حول أهداف الجائزة .. وحتى يكون  
الرد فى مستوى المسؤولية الاخلاقية تجاه هذا العمل الانسانى الكبير رايت أن لا ينبت من الأصل  
ولا ينقطع من الوصل مع اسرتى التى سوف تكون امتدادا خبيعيًا لحياتى الفانية وحتى يكون  
الحديث من موقع الالتزام والالتزام .. وان تزول هواجس النرجسية والنوايا الشخصية غير المحكومة  
بطبيعة هذا التوجه فى نظر الدولة أو المؤسسة التى تتبنى مثل هذه الاعمال فى الداخل خاصة واننى  
اتعامل معها من الخارج وقد تطول أو تقصر فترة الغياب ودفعنى ايضا الى الكتابة فكرة تضيق  
مضمار المنافسة من شريحة الشباب كله الى فئة محددة من الشباب حتى تكون أحد المعايير فى  
المنافسة من الاعداد الكبيرة .. وقد ترمز الى الجو النفسى الذى ينتعش فيه شخص ينتمى الى مهنة  
الطب ومولع بموهبة الشعر .. ويتمنى ان يحقق من هذا العمل .. النموذج الذى كان يطمح فى  
تحقيقه فى الحياة .. خلود الشعر .. فى حياة الأخباء .

## بين الشروق والغروب

فى كتابى الأخير (رحلتى مع الطب النفسى) والذى صدر فى عام ٢٠٠٤م ذكرت أننى بصدد كتابة مذكراتى فى كتاب (بين الشروق والغروب) وقد كتب مقدمة كتاب (الرحلة) الصديق الوفى والاعلامى المتميز البروفسير على محمد شمو استاذ علوم الاتصال بجامعة ام درمان الاسلامية مهيبا بالسودانيين فى كافة تخصصاتهم ان يكتبوا مذكراتهم وهى ضرورة وثائقية هامة وليس تضخيما للذات .. أو اعلانا عن الانجازات ( وليست حديثا عن النفس بل هى تراث للامة تستنبط منه الماضى و التاريخ.. بحيث تكون روايتها و الحديث عنها بعد مرور الأزمان و الحقب جزءا من التاريخ) لتواصل الاجيال وربط التجربة الانسانية فى المقدمة والمؤخرة .. راجع المقدمة ص ١٤ (رحلتى مع الطب النفسى) . وحينها كنت أقول ان كتابى ليس (سيرة ذاتية) ولكنه حديث عن عمل فى مجال الطب النفسى ورحلتى فى خفايا ودهاليز ذلك المجال بكل سلبياتها وإيجابياتها أنتظر رأى الباحثين فيها للقياس و التقويم وأنا على قيد الحياة أشاركهم هموم المهنة و أتطلع للأستفادة من آرائهم فيها.

ولكن السيرة الذاتية .. يجب ان تتسع وتنداح لتشمل كل مناحى الحياة ومراحل العمر من الطفولة وحتى الكهولة.. وبما أن الأخيرة لا يعلم نهايتها غير الله جلت قدرته .. فيبقى باب الاجتهاد مشرعا .. وباب الامانى مفتوحا على دفتيه .. كما يقول الشاعر أبو الطيب المتنبى:

**كلما أنبت الزمان قناة ... ركب المرء فى القناة سنانا**

وكلما تقدم العمر بالانسان .. متمتعا بالصحة والعافية .. أدرك ان الدرب خويل وما زال فى العمر بقية قبل ان يرفع القلم وتجف الصحف ويكتب السطور الأخيره .. فيؤجل مشروع الكتابة



فى السيرة الذاتية منتظرا حسن الخاتمه .. ونهاية الاجندة .. التى لا تنتهى الابكتابة اجندة جديدة .. وهذه لذة الحياة .. ونعمة الخالق .. أن يعطيك من العمر فسحة لتصحيح الخطأ .. وتحديد المسار .. واعادة صياغة السيرة .. وفى التعلق بهذا الخيط الرفيع من الأمل تبقى السيرة مرتبطة باحداث فى المخيله .. وأمانى فى القلب .. وفكرة فى العقل فى انتظار الولادة .. هكذا كان شأن كتاب (بين الشروق والغروب) مازال ينتظر اللمسات الأخيرة فى استديو الاخراج وأمل ان يرى النور قريبا .. ولأن الانسان يتصور ان (بكرة أحلى) وقد ينتظر مشروعا يكون بمثابة الكأس الذهبية فى ماراثون الحياة أو الهدف الذهبى فى المباراة الختامية أو النهاية السعيدة فى مشوار العمر .. وقد يؤخذ على غفلة – وليس هذا من باب التشاؤم ولكن من قوة الايمان فى الخوف من الله وتذكر الموت ..وقد يجد أن ورثته تبناوا المشروع بعد الرحيل المفاجئ وأضافوا بعض التفاصيل الخافية .. ونسأل الله حسن الخاتمة ..

أقول هذا وقد تذكرت فى مطلع السبعينيات دورة تدريبية فى (معهد تافستوك) لعلم النفس التحليلى فى لندن حول (سيكولوجية التقاعد) ..وقد كنت أدرس فى جامعة لندن فى (وحدة الطب النفسى للمسنين) وكانت الدورة حول كيفية التهيئة النفسية للمسنين قبل ان يحالوا للتقاعد اختياريا أو اجباريا .. كيف يتعاملون مع المرحلة الجديدة من العمر .. وكيف يبدأون حياتهم من جديد .. وما هى متطلبات الحياة وهذه المرحلة العمرية وقارنت بين ورشة عمل حول (رعاية المسنين) فى بداية التسعينيات فى أبوظبى نظمها الهلال الأحمر الاماراتى - وهو من أكبر المؤسسات الخيرية الانسانية على نطاق العالم أجمع - مع مستشفى الطب النفسى .. وقارنت بين الرؤية المستقبلية بين (معهد تافستوك) فى لندن آنذاك .. واجتهادات (دورة رعاية المسنين) فى أبوظبى الآن التى تضمنها كتاب (جناح الرحمة) وقد شاركت فى صياغة موضوعاته مع اللجنة الاستشارية ..

لقد وضح الآن أن العالم يشهد نقلة نوعية فى نمو المجتمعات .. حيث تدل احصائيات البنك الدولى ان بحلول عام ٢٠٢٠ م سوف يكون معدل عمر الرجل ٧٠ سنة ومعدل عمر المرأة ٨٠ سنة .. فيما تقل معدلات نمو شريحة وأعمار الأخفال وتعدادها بفعل تنظيم الأسرة .. وحوادث الطريق .. ووباء الايدز والمخدرات .. ثم امراض السمنة و كوارث المجاعات.. فيما يزداد تعداد شريحة المسنين ومعدلات اعمارهم فى العالم أجمع بفضل ارتفاع الوعى وتطور الرعاية الصحية فى وقت يقبل فيه العالم على ثورة تكنولوجيه يتعامل معها بشرائح مجتمعات شائخة تفتقر الى الطاقة الذهنية و تعيش على الكفاف وتعتمد على الدعم الاجتماعى والمعاش الحكومى ..مقابل شريحة خفولة متناقصة متآكلة بنيران الحروب والفقر والمجاعات فى الدولة النامية وبشورور العوامل كلها مجتمعة فى الدول المتقدمة ..يبدو - للأسف - وكأنه (عالم بلا مستقبل) .. فكيف تتم العولمة فى عالم أنقلب فيه الهرم التقليدى فى نمو المجتمعات من انحسار الطفولة وارتفاع الشيخوخة ..

فرأيت ان كتابى (بين الشروق و الغروب ) قد يحمل بشرى للشيوخ .. لا تسر المجتمع .. ونزر شؤم للأخفال لا تسعد العالم .. وقد تربك حسابات المخططين الذين دائما ما يؤخذون على غرة لانهم لا يعتمدون على الدراسات فى تخطيط السياسات ورؤية أخرى - أشبه بالمريض الذى يرى العافية تاجا على رؤوس الأصحاء لا يراه غير المرضى - يقول أنه بعد الشفاء سوف يفعل .. ويفعل .. ويفعل وعندما يسبغ الله عليه نعمة الشفاء .. قد يتنصل من التزاماته المعلنة بدعوى الأنشغال بكتابة أجندة جديدة .. يملئها ذاك الاحساس الخفى المتشبه بنزعة روحية.. أن ليس هنالك أحدا اكثر تمسكا بالحياه من الذى يتقدم به العمر .. ورغم ان هذه النظرة تفاؤلية ومطلوبة بالدرجة الأولى لتخفف من غلواء مجتمعاتنا التى تحدد أقامة المسن .. وتكتب له وصفا سلوكية نمطيه وتحيطه بنظرة اجتماعية تنتهى به الى التقاعس .. والعجز .. والكآبة .. وفقدان الحركة .. والحياة عالتة على الآخرين .. تم يضيق الجميع ذرعا بكل هذه القوالب التى شاركت فى وضعه

فيها ..حين حرمته العمل بحجة الشفقة عليه .. ومنعته من الحركة خوفاً عليه .. وحددت اقامته احتراماً لمكانته .. وحصرت نشاطاته رحمةً به وعزلته بعيداً عن روح مشاركتها تقديساً لشيبته .. وعندما صار يعاني من الاعاقة الجسدية والنفسية ذهبت به الى دور المسنين – الخطوة الصحيحة في الاتجاه الخاطئ .. فهو يحتاج الى دار وليست مصحة .. وليس أفضل من البيت داراً ولا من الأهل جواراً..

عوداً الى الحديث عن الكتاب .. وأجدتى الجديدة والمعلقة .. وقراءتى فى (سيكلوجية التقاعد) ورؤيتى العلمية الى ( رعاية المسنين) فى المجتمعات الحديثة .. فقد أصبحت كتابته المذكرات أحد وسائل الاعلان عن الاعتزال للحياة .. والتوقف عن المشاركة فى الفعل .. والاكتفاء بأضعف الايمان .. (قلوبنا معكم).. وحتى هذه القلوب ما عادت مؤثرة فى قلب المجتمع ورغم ادراكى المسبق لهذه الحقيقة فهى قطعاً ليست السبب فى تأخير المشروع ولكل أجل كتاب.. فقد وجدتني أبداً عملاً جديداً بعد التقاعد رغم أنني أحد الذين أكرمهم الله بأجر الصدقة الجارية وفضل العلم النافع ونعمة الولد الصالح الذى يدعوه ويبر به .. ووجدتني أكتب مقالات جديدة بعد التقاعد .. وثابرت عليها فاذا بها تؤلف كتاباً يخرج للحياة مولوداً جديداً يسعى بين الناس يحمل اسم (الغربة ..نثراً وشعراً) ويدخل فى صفحات السيرة الذاتية (بين الشروق والغروب) وحتى ذلك الموعد رحم الله ابن أبى داؤود الذى كان يأكل من عمل يده ومازلت أتذكر الحديث الشريف: (لأن يأخذ أحدكم حبله ويحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً والعاقبة للمتقين..

.....

## الشعر.. فن وصنعة

سألنى أحد القراء عندما أخلفت بعض أبيات من قصيدة (بطاقة معايدة الى مغترب) تجوب فضاء الصفحة الرئيسية للموقع الالكتروني الشخصى و نشرت نصها كاملا فى صفحة (اللقاء الاسبوعى) فى نفس الموقع سألنى قائلا: اذا اتحت لك الفرصة مرة أخرى هل ستعيد كتابة هذه القصيدة ؟.. وقلت على الفور : نعم و فى الشكل والمضمون لأن الشكل يحتاج الى تحديث فى البحر والقافية و ربما فى الكلمات والحروف. والمضمون تجاوزه الزمن فأصبح اكثر مرارة وأشد إثارة فى مواقع .. واكثر انفراجا وأقل أزمة فى مواقع أخرى .

وهكذا ينطبق الحال على كل قصائدى .. فلو أتحت لى الفرصة فسوف أعيد كتابة كل قصائدى .. وإعادة خباعة كل دواوينى .. ليس أسفا على ما جاء فيها من أفكار أو مبادئ بل على العكس فاننى أعتز كثيرا بهذه الافكار و المبادئ.. واتمنى لو تأمل القارئ قراءة قصائدى القديمة فهى شهادتى على العصر حتى اليوم .. وقد قلت فى مقدمة المجموعة الشعرية الكاملة -المجلد الأول ص٩: (إننى أريد أن أعترف بأن ما أريد أن أكتبه لم أكتبه بعد .. و القصيدة التى أرصف حروفها.. وأنقش أبياتها و أجمعها من عيون القادمين من مشوار مجهول و أبحث عنها فى حقائب المسافرين الى محطات أسطورية..هذه القصيدة الأخيرة ما زلت ألتقط قطرات بحرها من دمعة خفل يصرخ فى غرفة الولادة.. و دموع عجوز سقطت أسنانه من مرارة الحديث و لا أحد يسمع لأن الناس تجاوزوا عجز اللغة و أزمة التعبير..بلغة جديدة..لغة العصر .. الاشارة... وحتى كتابة القصيدة الجديدة ...شاهدوا مأساة العصر فى شاشة القصائد القديمة!!) فقد كانت هذه بعض شهادة على العصر ورؤية الاحداث من منظور شخصى الى رؤية مستقبلية أثبتت أنها لا تفتقر

الى قوة الاستشراق ولا بعد النظر .. ولكن الشكل يحتاج الى تغيير. وقد قلت هذا فى اكثر من موقع وتحديدًا فى مقدمة ديوان (أشباح المدينة): "إن من عيوبى أنى لا احفظ شعرى.. وأكبر من هذا أنى لا أتعهد قصائدى بالتصحيح والتنقيح و ما بين كتابة القصيدة ونشرها مسافة زمنية فقط لاستخراج شهادة الميلاد قناعة منى بأن هذه العمليات القيصريّة تختصر خريق المولود الى المقبرة" راجع المجموعة الشعرية الكاملة -المجلد الثانى ص ١٦ ..

أتذكر أنى عندما بدأت كتابة الشعر فى مدرسة (سنجة الوسطى) برعاية الاديب الراحل الاستاذ احمد على النويرى عطر الله ثراه و جعل الجنة مثواه..... كان يطلب منى مجازاة قصائد المتنبي وأولها ..

ليالى بعد الظاعنين شكول      خوال وليل العاشقين خويل

يبين لى البدر الذى لا أريده      ويخفين بدرا ما اليه سبيل

يحرمه لمع الأسنة فوقه      فليس لظمان اليه وصول

جئت اليوم الثانى بقصيدة باسم .. (امواج النيل ) وقال لى : ( لو كتب أبو الطيب المتنبي قصيدته بهذه السرعة ل ماتت فى مهدها و ما وصلت الينا الآن .. ولو وصلت ما بقيت حية تنبض بالروح .. فهذه القصيدة (فطيره) دعها وقتا فى ذاكرتك لتنضج و لا تتعجل نشرها فى صحيفة الحائط و فعلت و جاءت قصيدتى تماما على غير ما أتصور وقد علمنى كثيرا .. ورعانى اكثر .. و زرع فى قلبى حب الشعر .. شكلا ومضمونا .

وعندما دخلت (مدرسة حنتوب الثانويّة) .. كنت اتنافس والشاعر الصديق الدكتور عبد الواحد عبد الله فى الليالى الشعرية وشعر المناسبات وهو شاعر المعسكر الإسلامى ورئيس داخلية

( أبو لكليك) و كنت شاعر المعسكر الديمقراخي و رئيس داخلية ( أبو عنجته) ولكل أنصاره ومؤيدوه و من صفوة أنصارى وأبناء داخليتى الشاعر الراحل المطبوع الدكتور محمد عبد الحى و الذى كان أول من يتلقى قصائدى بعد كل مناسبة و هو فى السنة الأولى حتى سطع نجمه فى كل سماوات الشعر و الأدب و أصبح مدرسة يشار اليها بالبنان فى كل ارجاء السودان و بعض من عطاء ( رحم حنتوب الولود) و ماكنت أحسب أن المنية سوف تختطفه و هو فى قمة العطاء ..الارحمه الله و أحسن ذكراه. وكان الشاعر عبد الواحد عبد الله مقلا .. حاذقا .. صانعا .. و كنت مستنفرا .. متعجلا .. عفويا .. و كنت أقول ان القصيدة التى تتناولها الأيدى بالتنقيح والتصحيح لا تحمل الا توقيع الشاعر .. وتفتقر الى دفء مشاعره وخصوصية أحاسيسه ولكن صديقى الأديب الدكتور خالد المبارك اخال الله عمره و قد كان رئيس اتحاد الطلاب .. وقطب الجبهه الديمقراخية الكبير .. والكاتب والمسرحى والناقد الفذ كان يقول لى: ( يا الزين .. الشعر فن و صنعة .. وأنت موهوب بالفطرة لا ينقصك الفن ولكنك مسكون بالعجلة لا تترىث فى الصنعة .. فالشعر فن و صنعة .. يحتاج الى استعمال أدوات النقش و أنامل التزييق .. وفرشاة التلوين .. والمطرقة والسندان .. كأي صناعة .. ولا ينقص من قيمة الشاعر ان يستعين بالحاذقين للصنعة .. (فالصالونات الادبية) التى نالت الشهرة قد قدمت اروع الشعراء والكتاب لانها كانت تزودهم بفن الصنعة حتى تجمع بين الفن والصنعة فى وقت واحد .. ؟

وعدته بأن أفعل ذلك .. ولان الطبع يغلب التطبع استمر الحال فى كتابة الشعر .. دون صنعة، و فى ابحار الموهبة الفنية المتاحة الا قليلا و فيما ندر. حتى قال عنى الشاعر الصديق النور عثمان أبكر من صفوة شعراء حنتوب مداعبا ( إن شعر الزين الطبعة الأولى هى الأخيرة.. فلا تدع الفرصة تفوتك و بادر بحجز نسختك!!)

و فى إحدى الأمسيات الشعرية فى حنتوب فى عام ١٩٥٦ م وتحت عنوان ( مأساة توريت) قدم الشاعر الفذ الأستاذ الهادى آدم رئيس الجمعية الأدبية رائعتة الشهيرة:

توريت ياوكر الخديعة و الخسيصة والدم يا قطة أكلت بنيتها وهى ظمأى للدم

شاركت فى الحفل بقصيدة..ورغم اعجاب الأستاذ الهادى بى و تقريظه لى فقد خلب منى بعض الملاحظات على أن أعرضها اليه فى اليوم التالى وعندما رجعت الى أبيات القصيدة بقصد التعديل والتبديل وجدت اننى قد أعدت صياغة القصيدة جملة وتفصيلا ..فقال لى : ( ما اروعك عندما تنأى عن الأرتجال فقد مضى زمن الجاهلية) وهكذا أيقنت أننى قد ظلمت نفسى عندما تعجلت فى كتابة قصيدتى مرتجلة دون تروى وصنعة ..

و عندما دخلت جامعة الخرجوم و جدت نفسى وجها لوجه أمام الحقيقة المرة أمام الخيار الصعب بين الشعر كموهبة و الطب كصنعة و لا خيار لمن لا يختار و الحقيقة الكبرى أن الأدب فن و صنعة و الطب فن و صنعة و أن تجمع بين الاثنين لا بد أن تكون واحدة على حساب الأولى و لو بقدر يسير و قد حاولت أن أختبر هذا فى كتابى ( مقالات مختارة بين الطب و الأدب) .. أن اكتب عن الأدب فى قالب خبى وأن أتناول الطب بأسلوب أدبى و أترك للقارئ الحكم على التجربة و يستحيل أن أتفوق فى الحالتين خاصة و أن الأدب مركب هواية و الطب فرس رهان فى مسيرة حياتى و أنا سعيد بهذا المصير. وان كنت لا يعترضنى الأسف أو الأسى لهذا .. فالقارئ الجيد لا يفوته قيمة النص .. ولا يبهره خلاء وروعة الشكل - رغم أهميته القصوى فى العمل الأدبى - ولكنه يهتم كثيرا بالمحتوى .. وانا غير نادم على المحتوى فى كل قصائدى من الالف الى الياء فى رحلة نصف قرن من الزمان و تأسرنى روح الفكرة و خريقة الطرح .. واعتذر عما تغير بفعل الضرورة الزمنية فلا نملك امر هذا التغيير وهذه سنة الحياة .. ولكننى كنت أملك قدرة صياغة

التعبير فى اشكال اكثر جاذبية وأروع تقنية ولكننى!! وخوفا من ان يضيع التراث حتى فى الحد الأدنى من القبول سارعت فى نشره فى مكتبة الكترونية فى موقع شخصى حتى يكون بمثابة مكتبة فضائية أمل أن تجعلنى اكثر قربا من الاصدقاء القدامى والقراء الجدد .. متمنيا من الذين عرفونى بالداخل ان يقارنوا بين الأصل والصورة ومن الذين وجدونى فى الخارج ان يعيدوا رحلة البحث عنى فى الداخل .. حتى تكتمل صورة الأعتراب. وهذا نص إهدائى للجميع فى مقدمة كتابى الجديد ( الغربة...نثرا وشعرا) والذى أمل أن يجد الرضا والقبول.

.....



## بيروت .. لن تموت

نظمت هذه القصيدة فى يونيو ١٩٨٢م ونشرت فى صحيفه (الاتحاد الاماراتية) فى أبوظبى  
وخبعت فى ديوان (أشباح المدينه) فى المجموعه الشعريه الكامله المجلد الأول (ص ٢٣) بعد حرب  
الاجتياح الاسرائيلى فى عام ١٩٨٢م... ونعيد نشرها هنا عودا على بدء دخول لبنان الحرب المفتوحه  
مرة أخرى اليوم .. وما أشبه الليله بالبارحه .. وبيروت لن تموت .

-----

بيروت سيدة البحر

(١)

لملم خطامك يا قدز

وادخل على نفس الممز

"بيروت" نهضت من رقادها تحت شباك القمز

نفضت عباءة حزنها المنسوج من ورق الشجر

حفرت خنادق عشقها للموت لا تنوي السنفر

وقفت على أقدام عملاق يحارب في الحفر

لا يزهب القصف المدوي من ترعرع بين احضان الخطر

رضع الحليب مع الدخان .. مع الشظايا والشترز

يأتون في التصف الأخير .. يحطمون الباب..

يقتطفون عُرف النوم

ينقتطفون أزهار البطولتة في الصغز.

(٢)

وبيروت مقبرة الغزاة من التتار

بالأمس أيقظني هدير المدفع المتصوب في "الجبل" الأغز

لا تتطفي يا شمس "أيلول" الجديد

ومن "حزيران" القديم تعود أشتات الذكر

في كل عام محنة كبرى تضاف الى المواعظ والعبر

تتشابه الأشياء في أسمائها

رغم اختلاف الأصل في شتى الصنوز

بيروت .. هل عدنا بشر

نوع من الاسفنج يمتص الدماء .. وفي المعارك يغتصز

شجر الصنوبر عاش الآف السنين على الجفاف بلا أثر

شعب تهدج صوته

من فرط ذل الانحناء تقوس الظهر انكسر

(٣)

بيروت سيّدة الحديث إذ تحلت للسّمز

"بيروت" مصيدة العدو إذا أحاط بها العجز

"بيروت" ترسم باللهيب على غلاف زماننا : أرض العروبة في خطر

أرض العروبة في خطر

"بيروت" تكتب بالشواظ على جلود بناتنا أقسى عبارات الحذر

"بيروت" تحفر في عقول شبابنا : "كف الأذى .. غض البصر

"بيروت" تحتضن ألف مقاتل .. تلدين ألف مجاهد

وخصوبة الزحم الجريح تساقطت أخلى ثمز

ولدت صبايا يزجّمون مجنّزات الموت - رجما بالحجز

يترقبون الحرب تزحف من هنا

يستقبلون الموت يأتي من هناك

ومن هنا وهناك نلتقط الاذاعة والخبر

(٤)

هذا زمان الصمت في وقت الكلام ينم عن بعد التظن

هذا زمان العزف نفس الأغنيات .. يعيدها نفس الوتر

هذا زمان الانتظار لمولد البطل الجديد المنتظر

زمن التمازض بعد خزم حقائب المتطوعين الى القتال .. إلى السفن

زمن العبور على الخرائط والصنور

زمن القتال على الموائد .. والتقاش المختصر

زمن التخلي والتصدي والصمود المبتكر

شعبي تمزق وانشطز

من كان يحلم بالسلام .. هوى به من متعذر

قطع الطريق على المجاهد حين حارب وانتصر

في اوج فرح الانتصار رمى سلاحه واندحز

ما مات مقتولا ولكن شرب سماً .. فانتحز

(٥)

"بيروت" .. سيدة البحر

"بيروت" زرع لن يموت بلا مطر

يتمو على الأرض اليباب

يمتص لهب القاذفات إذا تصاعد واستعز

كالمد .. سنبله إذا شربت دم الثوار تزهو بالكبر

---

يونيو ١٩٨٢ (صحيفة الأتحاد)

## إن للملاقات أوقات

أمل أن يكون هذا العام بداية عودة الروح فى أرشيف الذكريات وان يعيد ما كنا نظن انه ضاع ومات وهو يستهل أيامه الأولى معى مذكرا ومبشرا ويميض عن وجهه لثاما ظل يحجب رؤيته ضاحكا مستبشرا على مدى عدة عقود..

فالعودة تتمثل فى لقاء الأحبة من الزملاء و الصفوة من الأصدقاء الذين كنت كلما تذكرتهم ظننت أننا لن نلتقى بعد هذا الفراق الطويل..

بدأ الغيث ينهمرفى بداية العام فجأة و بلا غيوم بلقاء الصديق الدكتور/الفاضل نايل زميلى فى الدراسة فى حنتوب الثانوية وقاضى المديرية فى كوستى والمستشار القانونى لصندوق النقد العربى بالكويت فى زيارة خاخفة لابنه الدكتور عمر فى مستشفى النور بابوظبى حيث اعمل الآن. وكنا نعمل سويا فى مدينة كوستى عام ١٩٧٤ م.

ولم افق من دغدغة عيونى من أضغاث الحلم اللاذوردى حتى أدخل على بعد بضعة أسابيع فى ذات المكتب صاحب الوجه الصبوح الصديق البروفسير المعتمد بالله أحمد الأمين فى زيارة لابنته الطيبية فى ابوظبى وهو من أصدقاء أيام الطفولة فى الحضانة الدفين فى (حى السجانة) ..عش (الوكر المهجور) وحديقة ( الفراش الحائر) لقيثارة الطرب صديق الكل الفنان عثمان حسين ثم رصيفى فى مدرسة حنتوب الثانوية حيث كنا ثالثا لرئاسة داخلية (أبوعنجة) عام ١٩٥٩ م يشاركنا الصديق الدكتور أحمد يوسف ابوسن والذى يعمل حاليا فى دولة الامارات ويكسر حاجز العزلة القديمة المتجددة بالجوال والتجوال..وقد افترقت من المعتمد بالله بعد جامعة الخرطوم

وبقيت أتابع أخباره مستشارا لهيئة الصحة العالمية فى السعودية و أخيرا أستاذًا فى جامعة الأحفاد بام درمان..

وأنا أسترجع حلاوة ذلك الزمن الجميل (كحلم عابر يخاف بذهنى) كما يقول صديقنا الكنار المغرد فى دوحة الفن الاصيل الشاعر حسين بازرعة فى رائعته (لا تسلىنى) ... و صلتنى دعوة لحضور حفل تكريم الجمعية الطبية الملكية البريطانية فى لندن .

وصلت لندن لتزدوج الأفراح فى مهرجان عائلى فريد التقيت فيه بالكاتب والاديب الدكتور خالد المبارك الصديق الحميم منذ الصبا الباكر فى عام ١٩٥٥ فى حنتوب الثانوية مع سعادة القنصل بسفارة السودان فى لندن الأستاذ أحمد عمر تبول ..و كنت قد فارقت الدكتور خالد بعد التخرج من جامعة الخرطوم لنتلقى على عجالة عندما كان مديرا لدار النشر والطباعة بجامعة الخرطوم فى عام ١٩٨٣ ثم أفترقنا حتى ذلك الصباح الجميل فى قاعة الكلية الملكية فى التاسع من مارس الماضى و كانت سعادتى بلقائه لا تقل عن فرحتى بوقع المناسبة فى نفسى وأنا اردد له قول الشاعر:

وقد يجمع الله الشيتتين بعد ما .... يظنان كل الظن الا تلاقيا

وعدت الى ابوظبى وأنا أقول لنفسى كعادة السودانيين عند ما تتوالى عليهم مواسم الفرح : (اللهم اجعله خير) و قد اصبح الصديق البروفسير معتمد أحمد الأمين واسطة العقد و أحد أهم روابط الوصل وحبل المشيمة الذى يربطنا ببطن الوخن الأم ..فانصل بى يهنئنى وينقل لى حديث الذكريات فى لقاء أبناء حنتوب فى حفل تجمع عائلى بالخرطوم و بلغنى أشواقهم وذكر لى ضمن باقة الحفل الدكتور ابراهيم دقش..وقلت لا بد ان الله يريد بى خيرا كنت انتظره خويلا فى الشتات و لا شك انه يريد ان يكمل نعمته على فيما تبقى من السنوات و قد استجاب لصالح

الدعوات فى جمع الشمل فى خريف العمر و لو على موجات لاسلكية او خيوط شبكة عنكبوتية لم تولد اوربما كانت لا توجد عندما فارقت هولاء ولسان حالى يقول :

يامن يعز علينا أن نفارقكم...وجداننا كل شئ بعدكم عدم

فارسل لى الدكتور معتمد رسالة هاتفية قصيرة تحمل رقم هاتف الدكتور دقش للاتصال به...و كررت لابنائى من حولى سؤالى الملح دائما..مستفسرا و مستنكرا : الا يستحق صانع هذا الجهاز (الموبايل )جائزة نوبل؟؟..فأنا ساتحدث من غرفتى هذه لصديق فارقته منذ نصف قرن وهو الآن ينتظرنى فى مكان ما فى قلب الخرخوم..وتحدثت وكان الرد من دقش وهو لا يصدق صوتى ولا يستبين نبراتى و تمنيت لو حملت جهازا بالصوت و الصورة..و لله فى خلقه شئوون..فقد درسنا الابتدائية فى مدينة (السوكى) و الوسطى فى مدينة (سنجة) عام ١٩٥٢ م ونحن القادمون من أصقاع الشمال..وكنا (كالطيور الراحلة لا نحمل خريطة ولا معانا جواز سفر). كما يقول المطرب الراحل مصطفى سيد أحمد.

وكنا و كأن كل منا يريد أن يروى كل قصة حياته ليختصر فى بضع ثوان تاريخ نصف قرن من الزمان..يكفى لتغيير خارخمة العالم..والسودان!!؟

ولكننى فى بضع ثوان حصلت على كل خرائط الطرق المؤدية الى كل المدن التى أريد الوصول اليها فى حياته و لافتات الشوارع التى تقودنى الى أقصى بيوت الآخرين..

و سوف احمل هذه العناوين و أخوف ( بجوالى ) على كل المسافات البعيدة وأقطع الصحارى الشاسعة و المساحات الخرافية حتى لا أبقى منقطعاً من الوصل و لا منبتاً عن الأصل..



والحق أقول لكم : لقد أحييتنى الغربية أنسانا وقتلتنى فنانا..

ولذلك استبشرت خيرا بعودة الروح..

قال تعالى: (ويسألونك عن الروحِ قل الروح من أمرِ ربِّي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) صدق الله

العظيم..(الاسراء: ٨٥)

.....

## بريد الشوق

عدت من القاهرة لاجد فى انتظارى رسالة الاخ الدكتور دقش تحمل فصاصات (هوامش بقلم الرصاص ) التى تكرم فيها باضاء شمعة فى دهاليز الغربية التى مشيناها نحواعية و كراهية و نشر صورة تذكارية لمرحلة تاريخية خالدة فى حياتى فى حنتوب الثانوية مقرونة باخرى للقطعة اثرية فى مسيرة المليون خطوة التى مشيناها و قد كتبت علينا و لاندري اين تتوقف المسيرة...

سعدت بالرسالة وتذكرت برنامج ( ما يطلبه المستمعون ) من اذاعة امدرمان حين كان أشبه بساعى البريد أو مرسال الشوق بين أخراف السودان فى خوفان الاغانى بين الحبيب و الحبيبه و بين الام و الولد المسافر من سنين و قطعاً لم يكن مغترباً خارج البلاد فى ذلك الوقت ولكنه مجاهداً فى ابعد الظن فى احد مدن اخراف السودان..جنوباً او شرقاً او غرباً يعمر الارض التى استخلفه الله فيها و ما زال اهلها يشكون ظلم ( التهميش ) فى وقت يعيش فيه السودان كله خارج دائرة الضوء و قطعاً خارج هامش الحياة بالمعنى الذى يتباكى عليه اليوم من صنعوا ذلك الواقع الاليم بالامس و لله فى خلقه شئون.

وربما يذكر قارئى موضوعى السابق ( ان للملاقة اوقات ) ما تؤكد حقيقته ما حدث لى حين وعدت الصديق دقش و مجموعة من اخوان الصفا بزيارة الخرطوم فى خريفى من القاهرة و بعضهم وعدنى باحتفاليه يوبيليه و اخذت اهئ زينتى و اعد مفتخر الثياب كما يقول الراحل سيد خليفه..و صلت القاهرة للتقديم لابنتى خبيبة الاسنان للحصول على الماجستير فى خب الاسنان . وبدا ماراثون الهرولة ما بين الجامعة و السفارة السودانية و السفارة الاماراتيه ووزارة الخارجية المصرية لتوثيق الشهادات لتقديمها الى مجلس القبول للمعادلة وكانت القاهرة تعيش عطلات افراح و اتراح زادت المشوار خولا ..

بقيت فى الشقة و تركت ابنتى تواصل السعى بين الوزارات مع بعض الاقارب من زملائها فى الجامعة..و جاءتنى تحدثنى عن مرارة المعاناة وكيف ان احد المسئولات فى السفارة السودانية قالت لها ( اننى شاهدت والدك فى التلفزيون السودانى بالامس ) و استغربت مادامت تعرف والدى لماذا لا تكفينى كل هذه المعاناة؟!..و كانت ابنتى ذاتها لا تعلم شيئاً عن الحلقة و التى سجلت فى ابوظبى مع الفضائية السودانية فى برنامج (مراسى الشوق) و اذيعت ونحن فى القاهرة ولم نتابع البرنامج لظروف موضوعية..ولكن أسعدنى اننى ما زلت فى البال و لم ارحل عن الذاكرة رغم هذا الزمن الطويل و شعرت بحلاوة الانتماء الى الوطن و لو عن خريق الوسائط الاعلاميه

و قلت لابنتى كان ينبغى ان تشكرى هذه السيدة التى عرفتك من معرفتى خلال برنامج شاهدتنى فيه صوتا و صوره فقط !ادعيني أحدثك عما حدث لى لحما ودما!! وقبل ميلادك! وفى عام ١٩٨٣ عندما تقدمت شخصيا للالتحاق بالتدريس فى جامعة الخرطوم خلب منى شئون التوظيف شهادة الثانوية العامه(كمبردج آنذاك ) وقد كنا عشرين خالبا فى كلية الطب فى كل السودان يعرفون تفاصيل شهادات بعضهم البعض و صار اكثرهم اما استاذنا فى الجامعة او عضوا فى مجلس الوزراء

وعندما ذهبت بصحبة الصديق البروفسير الهادى محمد الشيخ الى وزارة التربية و التعليم قال لى الموظف: متى تخرجت ؟ قلت له عام ١٩٥٩ قال لى : لو كنا نحفظ بهذا الكم الهائل من الوثائق كل هذه السنوات لحولنا الوزارة الى مستودعات..و اردف قائلا : با دكتور انت جاى تدرس ام تدرس ؟ ضحك الدكتور الهادى وقال: دعك من هذا ورجعت بلا عودة..أقول لى نفسى مع المتنى:

وان يكن الفعل الذى ساء واحدا...فأفعاله اللائى سررن ألوف

قلت لابنتى اذا خلبوا منى شهادتى الثانوية للالتحاق بجامعة تخرجت منها داخل الوجود فليس غريبا ان يطلبوا منك اثبات هويتك و انت مغتربة و تدرسين خارج الوجود وقد كتبت عن هذه الواقعة فى كتابى (رحلتى مع الطب النفسى -ص ٩٤..الموقع الشخصى الالكترونى)

وبعد ان فرغنا من انجاز المتطلبات كان قد نفذ رصيد اجازتى و نفذ وقود قدرتى على دخول ماراثون آخر فى الوجود و عدت تاركا ابنتى فى القاهرة لتواصل ماتبقى من المشوار و بعثت رسالة الكترونية قصيرة من هناك اعتذر فيها لكل اولئك و هؤلاء لان الحلقة التلفزيونية التى سجلت فى ابوظبى و اذيعت وانا فى القاهرة اعطت انطباعا باننى كنت هناك مؤكدا ان العبد فى التفكير و الرب فى التدبير و ما تشاءون الا ان يشاء الله و قضت مشيئته الا اصل الوجود رغم العدة و العتاد..واعدهم بزيارة قريبة باذن الله

وجدت رسالة الصديق دقش تنتظرنى وفاء بوعد قطعه بينى و الصحيفة و كلف نفسه معاناة اقدرها له و لا اريد ان اكررها معه و لكننى فى ذات الوقت فى غياب التفاعل بين الكاتب و القارئ احس كالمطرب الذى يغنى فى مسرح بلا جمهور و لكننى أعلم ان سيكلوجية الصوت و الصدى هى الوجود الحقيقى لجذوة الابداع. فالصوت المنبعث من جمهور المستمعين هو الذى يرفع سقف النجاح و يخفض عتبة الفشل..و الفريق الذى يلعب وسط جماهيرية يكون اكثر جراءة و اقوى دافعية من الذى يلعب خارج ساحته و يفقد حرارة النبض الذى يدفع فى شرايينه حركة الدماء..وقس على ذلك كل الوان الابداع الفنى.

واذا جاز لى هنا ان اذكر الاخ الدكتور الباقر عبد الله رئيس التحرير بزيارته الكريمة لى فى ابوظبى فى التسعينيات من القرن الماضى عندما كان مقيما فى لندن و خصنى مع الاخ الصحفى المغترب خضر عطا المنان بزيارة فى منزلنا بشارع النصر فى ابوظبى فقد اهدانى نسخة من

صحيفة الخرخوم ووعده بالكتابه واهدته نسخة من كتابى ( أضواء على النفس البشرية ) وو  
عدنى بالتعليق ولم يسعدنى الحظ للكتابة و لم يمكنه الوقت من التعليق وقد تكون الفرصة  
مواتية للتواصل من جديد فى ظروف استثنائية تتواتر فيها منابر الحوار ويتنامى تلاقح الافكار..  
و يقينى انه قادر على وجود الصيغة الملائمة فى عصر الوسائط الاعلامية المتعددة تعفى  
الاخ دقش من معاناة حمل الجسور المعلقة (صخرة سيزيف) على اكتافه المثقلة بحديد المسئولية  
كما يقول صديقنا الراحل الشاعر صلاح احمد ابراهيم .. وسوف اكون اول من يكتب فى ( بريد  
الشوق ) .

.....

## من مآثر بعشر

لا اعلم ان كان سوء الحظ او حسن الطالع ان يتزامن شهر يوليو والحزين مع احداث جلل فى حياتى..حزنا و مسره ..ضارة و نافعه؟ وان يتعاقب فيه رحيل صديق العمر عثمان حسين و وفاة استاذ الجيل البروفسير خه بعشر.. وان أحضر الماتمين فى وقت واحد.

تعرفت على البروفسير خه بعشر فى حزيران عام ١٩٦٥ م بعد تخرجى من خب جامعة الخرطوم لاجد نفسى بعد عودتى من اجازة العطلة الصيفية مسجلا فى قائمة اخباء الامتياز فى ( عيادة بعشر) ولم يكن هنالك قسم و لا عنبر ولا هويه او مرجعيه ..تكفى كلمته (بعشر) فكان ..وظل و يبقى سفر المرجعيه للطب النفسى داخل و خارج السودان.

وبعدها هطلت سحابات الرحمة باذن ربى و كرمنى استاذى الجليل وضمنى اليه بكل اشكال المغريات المهنيه ورغم اننى كنت ارغب فى تخصص الباخنية بوعد من ( أبوالطب) البروفسير الراحل داؤود مصطفى الا ان الدكتور بعشر اختارنى بحكم عضويته فى لجنة توزيع اخباء الامتياز وقد كتبت عن هذه الملابس فى كتابى (رحلتى مع الطب النفسى)

وانخرخت فى أوركسترا هواة الطب النفسى بقيادة البروفسير خه بعشر لاجد نفسى اقدم معه برنامجا تلفزيونيا بعنوان ( أضواء على النفس البشريه) وكان هذا فى حد ذاته اكبر اغراء و بريقا كافيا لخطف الابصار و حجب الاضواء عن اى رغبة اخرى تعتمل فى صدر اى خبيب صغير يظهر فى شاشة التلفاز القديم الجديد فى ذلك الوقت..وقد جمعت هذه الحلقات واصدرتها فى كتاب بعنوان ( أضواء على النفس البشريه) و متوفر فى المكتبة اللاكترونيه .

وقد كان البروفسير بعشر متفرغا للطب النفسى..عاشقا له ..عالما فيه..مؤمنا به..مدافعا عنه..لم يفتح عيادة خاصة به خوال حياته وهو الاكبر و الاشهر و الاقدر على كل ذلك ولكنه أثر الانقطاع لتطوير خدمات الطب النفسى و النماذج البدائية البسيطة التى بدأ بها اصبحت الان نظريات علميه و برامج تقع فى سلم الاولويات فى التخطيط لخدمات الصحة النفسيه.

واكتفى الدكتور بعشر بالكفاح فى ( عيادة بحرى) رغم المعاناة المادية و المعنوية فى محاربة وصمة المرض النفسى فى زمان كان يكفى ان تختلف مع شخص آخر فتقول له ( خذوه الى عيادة بعشر).

لذلك كان يريد لبرنامج التلفزيون ان لا يتوقف و يستمر لانه من خلاله فى اعتقاده قدم خدمات جليلة ليرتفع صوت الطب النفسى داخل اروقة الجامعة و مكاتب صناع القرار... و ما كان يريدنى ان انتقل خارج العاصمة و يتوقف البرنامج لان الهواة المحترفين لهذا الضرب من التخصص كانوا قلة تعد على اصابع اليد الواحدة.. ولكنى سافرت الى مدينة ( ود مدنى ) لافتتاح قسم الطب النفسى المختلف عليه ولكن ذلك لم يعنى من دفع ضريبة (مناخق الشدة) فسافرت الى مدينة (جوبا) عاصمة المديرية الاستوائية آنذاك وكانت برميل بارود مشتعل يتفجر صباح مساء و كان العاملون فيها محاصرين فى قطر دائرة لا يتعدى بضع كيلومترات وبعدها سافرت الى لندن فى بعثة دراسية للتخصص فى الطب النفسى وكان الدكتور بعشر وزيرا للصحة فى حكومة مايو بعد ان لعب دورا قياديا مشهودا فى جبهة الهيئات فى ثورة اكتوبر..

عدت من البعثة لاسافر الى مدينة ( كوستى ) لافتتاح قسم الطب النفسى لاقليم النيل الابيض و الاقليم الجنوبى بدعم من صديق الدراسة الراحل الدكتور جستن ياك أروب من ابناء الجنوب والذى اصبح وزيرا للصحة للاقليم الجنوبى بعد (اتفاقية أديس ابابا) وعندئذ كان

الدكتور بعشر قد انتخب مستشارا اقليميا للصحة النفسية لاقليم شرق البحر الابيض المتوسط ( الأورو) خلفا للزميل الاكبر الدكتور التجانى الماحى والذي عاد الى جامعة الخرطوم.

وبعدها سافرت الى الخليج .. وعندما تم عقد امتحان البورد العربى للطب النفسى فى مدينة ابوظبى والذي كنت اتشرف بادارته كان الدكتور بعشر اول الحاضرين من هيئة الاساتذة الممتحنين لانه لا تكتمل صورة فى هذا الحجم الا وفى اخراها صورة بعشر.. ولانى ما ذهبت الى أى مؤتمر عالمى الا وسالنى احد الاخباء الاجانب ان كنت اعرف الدكتور بعشر فان قلت نعم اعطانى قيمه و ان قلت لا تركنى غنيمه وهكذا كانت صورة و سمعة البروفسير خه داخل و خارج السودان.

و فى المرة الاخيرة التقيت بالدكتور عبد الرزاق الفكى كبير اخصائى الطب النفسى بوزارة الصحة و كنت ممثلا لدولة الامارات العربية فى الاجتماع الاقليمى لهيئة الصحة العالمية فى الاسكندرية فاخذته لاعرفه بالدكتور احمد محيط المستشار الاقليمى الحالى للمنظمة فشاهد فى مكتبه صورة البروفسير التجانى الماحى و البروفسير خه بعشر اوائل المستشارين الاقليميين للمنظمة فخرج منشرحا و نادى الاخوة المندوبين العرب وقال مداعبا : هذا هو السودان فى الخمسينيات فاين كنتم انتم ؟ فرد عليه احدهم مشاغبا : وأين أنتم الان؟؟

لقد كان البروفسير خه بعشر ملهما فى الماضى ..ومعلما فى الحاضر .. ومرجعا للمستقبل..وهذه بعض مآثر بعشر..غيض من فيض و قطرة من بحر..

الا رحم الله البروفسير خه بعشر و امطر على قبره شأبيب الرحمة و أسند رأسه على وسادة الغفران.



## عشتم... أهل بلدى

عطر الله ذكرى الشاعر الراحل اسماعيل حسن الشاعر المتفرد قامته وقيمة فى ميزان الشعر و صياغة القوافى و فارس السهل الممتنع و الذى امتطى صهوة جواد الأغنية السودانية و خاربها فى (عصر الثنائيات) الى سماوات لم يحلق فيها أحد. فترك اسمه منحوتا فى ذاكرة كل أهل بلدى.

عدت الى أبوظبى بعد اجازة خوييلة فى السودان حملت فى ثناياها قدرا من الحزن زلزلنى من الداخل على كل الأصدقاء. فهى أول اجازة غير مخططة تدخل قاموس حياتى المبرمجة وفى شهر حزيران الذى لم يحدث ان حضرت فيه الى السودان منذ ان خرجت قبل ميلاد صغرى بناتى و التى تخرجت من كلية الصيدلة هذ العام . وفى توقيت فقدت فيه اكبر منارات فى مسيرة حياتى العلمية و العملية..ألاولى كان رحيل البروفسير خه بعشر والذى ادخلنى عالم الطب النفسى و علمنى عبادة العمل و حب المرضى والثانية رحيل أخى الأكبر و صديق عمري عثمان حسين والذى علمنى حب الحياة و فضيلة الوفاء فى غير من و لا أذى و عزة النفس فى غير ذم و لا تجريح و عظمتة الكبرياء فى غير صلف و لا غرور..

وتجاوزت الزلزلة الوقت الذى حددته للبقاء حتى ظن الكثيرون اننى لن أعود وهذه اكبر هموم المغترب ان يتجاوز السقف الزمنى المسموح به فى العقد و أشبه بالقفز فى الظلام و السقوط فى غياب شروط الوظيفة و التزامات العمل حتى وان كان فى قبضة جهاز المغتربين يبتهل الى الله ان ان يهيئ له مقابلة ( تاج الدين ) و أشهد الله اننى له من المدينين ولسان حالى يقول:

وظلم ذوى الفربى أشد مضاضة...على النفس من وقع الحسام المهند

عدت لاجد أسئلة كثيرة تطوف فى اذهان من شاهدونى على شاشة التلفزيون و أيقنوا اننى قد خباب لى المقام و جئت اعلن ضربة البداية فى مباراة العودة الى الوجود و ربما فاتهم قراءة هذا الاعلان منذ أمد بعيد فى اكثر من قصيدة و اكثر من ديوان و ما تشاءون الا ان يشاء الله.. و ظن آخرون اننى أهين زينتى و أعد مفتخر الثياب بعد ان كتبت مقالة ( ما احلى الرجوع اليه ) فى مرة سابقة. وحتى الذين تقدموا لى بالعزاء فى خريقى الى المطار تعجبوا لما خالت الاجازة الطارئة لبضعة أيام الى عدة أسابيع

و الواقع اننى و لأول مرة و منذ عدة عقود وانا اتردد بصورة منتظمة على الوجود و فى خضم هذا الجو المخنوق برائحة الموت المنبعث من داخل أحب البيوت الى قلبى التقيت بمجموعات من الاصدقاء فارقتهم عشرات السنين و كعادة السودانيين الذين تربطهم السراء و الضراء و تجمعهم ( الحارة ) التقيت بمن فارقتهم فى رفقة الدراسة فى كل المراحل و صداقة العمل فى اعظم مدن السودان ولذة الهواية فى شتى ضروب الفن و الادب و الشعر و الموسيقى من الشعراء و المطربين و الاذاعيين و الصحفيين و الاخباء و المهندسين و زملاء المهن الاخرى فركبت قارى فى لجة ذلك البحر و قذفت بى أمواجه الى شواخى أسطورية حملتنى الى اعماق عالم الأوبة الراحلين

و الحق يقال لقد احتفت بى بلادى و اكرمتنى جماعتى و اعزتنى صداقتى و شرفتنى علاقتى بكل من لاقيت و خففت عنى شعور الحزن و غسلت من قلبى مرارة الاغتراب.. لقد غمرنى الاصدقاء الاخباء بكرم الضيافة فى

ارقى البرامج التلفزيونية و احلى الامسيات الشعرية و اجمل الندوات الاذاعية و اروع اللقاءات الصحفية فاعادت لى الحياة و عادت بى الى الحياة و كنت أقول دائما ( لقد احيتنى الغربة انسانا و قتاتنى فنا )

كتبت هذا بالنص فى هذه الصفحة عندما كنت فى القاهرة فى خريقى الى الخرخوم  
وبعثت برسالة الى رفيق الصبا و توأم الدراسة منذ الطفولة الدكتور ابراهيم دقش اعتذر عن الحضور  
الى الخرخوم فى ابريل الماضى لظروف خاصة وما كنت ادري ان الاقدار تخبئ لى الحضور فى ميقات  
فى عالم الغيب لاعدود فى حزين الحزين لحضور المأتم الوخنى الكبير.. ربما كان الى جانب نعمة  
عظمة الموت أن يكون صيوان العزاء فرصة اللقاء لكل اهلى و اصدقائى و عشيرتى.. أشبه بالحجر  
يلقى به فى لجة الماء فتنداح دوائر تتسع لتشمل البحر كله كما يقول الشاعر ابن الرومى:

ان انسى لا انسى خبازا مررت به يدحو الرقاقة لمح الوجه بالبصر

ما بين رؤيتها فى كفه كرة وبين رؤيتها حوراء كالقمر

الا بمقدار ما تنداح دائرة... فى لجة الماء يلقي فيه بالحجر

فانداحت هذه الدوائر و اتسعت لتحملنى الى شواخى لم احلم بالوصول لها و مرافى لم افكر  
فى الابحار اليها.

فشكرى لكل وجه مضى الابتسامة منحنى من بريقه حفنة ضوء غمرت غياهب حزنى و  
لكل قلب نابض بالحب ضخ فى شرايينى دما جديدا لاواصل مشوارى فى رحلتى المضنية ولكل  
قلم صادق خط حروفا رقيقة على دفتر ذكرياتى و اضاف سطورا جديدة فى سيرتى الذاتية التى  
امتألت صفحاتها من أشجان الغريه.. ولم يجف الحبر من مداد قلمى و هو يكتب الأشعار مترعا  
بلوعة الحنين للوخن رغم حالة العشق التى تخصنى بها مدينتى.. أبوظبى .

## الإذاعة .. عالم الجميع

فى منتصف الستينات دخل على اجتماع (لجنة نصوص الاغانى ) بدار الأذاعة والتلفزيون شاب يطلب مقابلة الشاعر ابراهيم العبادى عضو اللجنة للسلام عليه وقال انه ظل من الصباح امام مبنى الأذاعة .

قال له الشاعر الراحل محمد المهدي المجذوب (أنت من وين) قال له أنا من قرية صغيرة نائية من قرى الجزيرة (وعرفتة كيف ؟) قال له (من الأذاعة فى برنامج (حقيبة الفن ) والذى يقدمه الاستاذ الراحل المبارك ابراهيم .. والتفت المجذوب الى أعضاء اللجنة قائلاً هذا الجهاز خطير .. ورفع جهاز الترانزستور الذى أمامه قائلاً هذا سيحدث ثورة ثقافية كبرى لو اهتمت به الدولة ..

وسافرت للبعثة الدراسية فى لندن عام ١٩٧٠م وانقطعت عن الأذاعة تماما .. فنصحنى الصديق إبراهيم شببكتة المستشار الثقافى بالسفارة السودانية آنذاك أن أذهب الى شارع (بيزوتر) فى وسط لندن وشراء جهاز راديو روسى الصنع ذى ١٦ موجة يلتقط اذاعة (أم درمان) .. فأسرعت لشراء الجهاز وقضينا ليلة تاريخية فى أمسية غنائية أولها أغنية (زهرة الروض الظليل) لاسطورة الطرب الأصيل الفنان عبد العزيز محمد داؤد .. وعندما رجعت من البعثة وفى حفل زفاف ابنى الاكبرالدكتور نادر غنى أحد فنانى الشباب هذه الأغنية فعاد بى عشرين سنة الى لندن وتذكرت قولة المجذوب مرة أخرى عندما سافرت الى الخليج واندلعت (ثورة الخمينى) فى عام ١٩٧٩م وكان يطلق عليها (ثورة الكاسيت) حيث كان اتباع الأمام الخمينى يتلقون تعاليمه بالجهاز الخطير) فى الجبال والوديان فأصبح أحد أسلحة تفجير الثورة الايرانية تذكرت مقولة المجذوب ..

ولكن رغم هذه الاحداث المتلاحقة التى تؤكد أهمية المذيع فقد جرفت المد الاعلامى فى البث الفضائى الذى غمر سماوات العالم .. بالقنوات الفضائية التى جمعت الكلمة والصوت والصورة فى حزمة ضوء الكترونية نثرتها فى الكرة الأرضية مع سرعة خطى العصر الذى التهم وقت الانسان فى رحلة الحياة اليومية واختزل الساعات الى ثوان هى مساحة التقاط الأنفاس فى ماراثون السباق اليومى فى حلبة الصراع حتى انقطعنا فيه تماما عن المذيع ..

وفى زيارتى الأخيرة للسودان .. وبعد مشاركتى فى عدة ندوات اذاعية .. وقد تعددت قنوات الارسال الخاصة بصورة شكلت اضافة جديدة ونافذة فريدة للاخلال على العالم فى الجهات الأربع .. وقد تابعت فى (أربعينية الراحل عثمان حسين) فى اذاعة البيت السودانى وهى تقدم برنامجا كاملا على مدار اليوم كان بمثابة فيلم وثائقى .. وأرشيف تاريخى .. وسجل حافل للسيرة الذاتية فى كتاب مفتوح خوال فترة الارسال يسهل قراءة صفحاته فى حالة استماع مشبعة بالراحة النفسية اكثر من ملاحقة الفضائيات فى الاعداد والتقديم والاخراج .. بصورة تؤكد ان الجزء ليس مجموعة الأجزاء .. وان كل جزء فى ديناميكية الاعلام المقروء والمرئى والمسموع له خصوصيته .. وله دوره المكمل فى هذه الآلة الاعلامية الضخمة .. وله أهميته المتميزة فى تروس الماكينية الكبيرة التى تدير سفينة الاعلام فى محيط المعلومات المتلاخم الأمواج .. واذا كانت وسائل النقل هى البر والبحر والجو وان وسائل الاعلام هى المرئى والمسموع والمقروء ولا يمكن لأحدهم أن يلغى دور الآخر بل يتكامل معه ولا يمكن أن يسيطر عليه قبل أن يتأثر به ولا يمكن أن يتصدر مسيرته الا إذا استصحب معه قدراته الخاصة على شد المستمع الى هذا (الجهاز الخطير) ...

وهذا الذى جعل الاعلام الحديث صناعة معرفة .. وسلطة قرار خاصة فى العالم النامى والذى يحتاج الى نشر المعرفة .. ووصول الحقيقة الى كل شرائح المجتمع بأبسط الوسائل .. وأقل

التكاليف .. لتعزيز الوحدة وتمكين السلام وفك خِلاصم (العولمة) و (حوار الحضارات) و(الشرعية الدولية) وبقايا أعراض الطاعون الحديث .. وصدق القائل : الاذاعة .. عالم الجميع.

## لا خيار لمن لا يختار

لقد ظهرت فى الآونة الأخيرة قنوات فضائية جديدة .. تحمل أحنانا من البشرى وحرمة من البشائر .. باتساع رقعة الحرية .. وسعة الصدر بالرأى الآخر وسعى الجميع الى منابع الألفة والمحبة والوحدة والسلام ..

وامام هذه المناظر المفرحة فى هذه اللوحة الفنية التى تشكلت بفرشاة الفن .. والشعر .. والغناء .. والدراما والفولكلور .. وجمع هذا التنوع فى الألوان .. والتباين فى الاجناس فى بوتقة واحدة فى قناة (الشروق) .. شمس السودان التى لا تغيب أو قناة (هارموني) التى رسمت لوحة الوحدة بشتى الألوان .. واللهجات والشحنات والرقصات وهى تختزل مساحة المليون ميل مربع فى شاشة حجمها بضع بوصات فى لحظة واحدة .

وتأخذ بتلاييب هؤلاء قناة (زول) بكل ما يحمله الأسم من خصوصية ذاتية ودلالة نفسية لدى المغترب .. لتصل الى قناة (سahور) التى جمعت النقائض فى فترة الصراع .. والاضداد فى ابحار النزاع .. والتكامل بعد الاقتناع والدخول فى جو الحوار والاستمتاع بان لا تناقض بين النشاط الانسانى كوظيفة حياتية وبين الابداع البشرى كسلوك انسانى يحمل اختلافًا لا يفسد للود قضية.

أقول هذه الخلفية .. يدفعنى هذا الخلط الذى امتزج عن وعى واردة فى محاولة صادقة لدعم فكرة الوحدة .. وعقيدة السلام .. كالخيار الوحيد للشعب السودانى فى الماضى .. والحاضر .. والمستقبل البعيد .. والبعيد لما لا نهائيه .

لقد تم عقد ندوة ثقافية فى (دار الشرخمة) فى الخرطوم فى الشهر الماضى بدعوة من قسم التوجيه المعنوى تحت عنوان (دور الكلمة فى ترسيخ ثقافة السلام) وقد أدار الندوة البروفسير والاعلامى الكبير الاستاذ على شمو ببراعته المشهوره .. ومجرد عقد الندوة تحت مظلة الشرخمة وتحت هذا العنوان ومشاركة كوكبة من الأدباء والشعراء دلالة على اتجاه البوصلة نحو بر السلام .. الخيار الأول .. والأصل والوحيد لكل القابضين على زناد البندقية فى الجهات الأربع فى السودان.

لقد وضع لنا من خلال تلك القنوات وهذه الندوات ضرورة اعادة قراءة الجغرافيا والتاريخ والسياسة والاقتصاد فى السودان بعيون جديدة وعقول متفتحة متجرده فى هذه القضية من نار العرقية وحقد الجمهويه .. هذه الآفات التى دمرت مستقبل دول أفريقية وعربية .. ولاتينية ومسحت وجودها من الخريطة والأمثلة حولنا شاهد عصر .. فالذين كانوا يتنازعون من أجل وحدة الوخن أصبح جميعهم بلا وخن وأصبح الوخن كله أما لاجئ أو ملاجئ للمتصارعين بالداخل أو القادمين من الخارج .. ولو قرأنا التاريخ لوجدنا أن المليون ميل مربع فى السودان تم اكتشافها فى عيون العالم بعد ظهور البترول والذى كان فى باخن الأرض منذ قرون وأن الأرض التى يمكن أن تكون (سلسلة غذاء العالم) قد ظهرت فى الخريطة قبل بضع سنوات وان (الأقليات المهشمة) قد تم رصدها فقط بعد أن خرج من السودان بعض الذين عاشوا فى الخرطوم وشاركوا فى صنع المأساة المفترى عليها وتسلبوا فى الظلام الى خنادق مظلمة حفروها فى مربعات السودان النائبة يطالبون باقتسام السلطة وتوزيع الثروة التى كانت رهينة بين ايديهم يتصرفون فيها قبل الغزو الحديث الذى يستهدف كل السلطة والثروة والجغرافيا والتاريخ أن الوحدة لا تعنى اكراه الآخرين على البقاء داخل الحضيرة .. والسلام لا يعنى فرض الاستسلام على المعارض أو المخالف للرأى .. ولكن يعنى ضرورة اقناع الجميع فى كل المواقع ان السودان برميل بارود يكفى ان نشعل شرارة فينفجر ..



ويتناثر شظايا تحرق الأخضر واليابس .. وتقضى على الأمل والعمل .. ولن يكون هناك غالب أو مغلوب والذين يتصورون أن فئة ستنفرد بالسلطة أو تنعم بالأمن ستكون غارقة في الوهم وسيرمى بها الغزاة في أعماق جحيم جهنم القادمة .

وتصدق مقولة المخططين للتقسيم للسودان .. ونبوءة المتربصين بتفتيت القارة السوداء وقلبها النابض بالثروة السودان حيث قالوا (هدفنا .. تقسيم المقسم وتفتيت المفتت)

فعلينا جميعا أن نعوض على خيار الوحدة بالنواجز

والا ... فلا خيار لمن لا يختار

## ما أحلى الرجوع اليه

وصلتني رسائل عديدة من مكان العمل والمرضى فى أبوظبى

يستفسرون لماذا تأخرت و قد اخذت اجازة بخارئة لمدة ثلاثة ايام و مضت ثلاثة اسابيع وصدقونى أننى لا املك اجابة لكل هذه الرسائل لماذا بقيت ؟ و متى اعود؟ وقد يعجب القارئ و يتذمر المريض و تتململ الاداره ولكننى لا املك اجابة رغم اننى استلمت تاشيرة الخروج.

وجلست امس فى محاولة للرد برسالة ترضى كل الاخراف فلم يحالفنى التوفيق و تأملت فى خبيعة عملى فى خصائص سيكلوجية الحداد... باختصار شديد تميز بين شريحتين من المحزونين..فئة الصغار و الذين يتميزون بسرعة الاثارة و شدة الاستجابة للصدمة بالعويل و الصراخ و لطم الخدود و شق الجيوب و دعوى الجاهلية فيصلون مرحلة التفريغ العقلى و قمة الترويح النفسى فيتفاعلون مع الحزن و المسرة... وعلى خرفى نقيض فئة الكبار الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا (انا لله و انا اليه راجعون)صدق اللخ العظيم و يتمثلون قول الرسول الكريم عند وفاة ابنه ابراهيم ( تدمع العين و يحزن القلب و لا نقول الا ما يرضى الرب و انا لفراقك لمحزونون يا ابراهيم) وهؤلاء يمتصون الصدمة من الخارج و يتصدعون من الداخل و يتقبلون وفود المعزين بقلوب ثابتة و عيون ثابتة و عندما يسكت اللسان تتكلم الجوارح فتتقرح المعدة و يتشنج القولون و ينفطر القلب و يبدأ الحزن لاحقا فى داء عضال او صعب المأل

وشأنى شان هؤلاء يجدون فى خول فترة الحداد الصامت و مؤاساة الجميع فرج الوجيع فى امتصاص حدة الحزن فى المأتم والذى قد يمتد حتى بقية العمر فيغسلون ادران الحزن فى ملاقاته الاصدقاء و مناجاة الاقرباء و سمر الاحياء من جيل الفقيده و لعلى وجدت فى دفء لقاءاتى الاذاعية

وظل حواراتى الصحفيه و تنوع مقابلاتى التلفزيونيه و التى تكرر العزاء صباح مساء وتجدد الذكرى بالكلمة المعبره و المانشئات المؤثره و تجسد صورة الفقيد بالصوت و الصورة فيتجمع شتات الماضى وحزن الحاضر و امل المستقبل فى جيل واعد يرعى التراث وولد صالح يصون الميراث... لقد ظلت كل هذه المنابر المرئية و المسموعة و المقرؤة لا تنقطع عن حلو الحديث عنه و احياء جذوة محبته فى قلوب الناس من كبار المسئولين حتى اصغر الواقفين فى حراسة بوابة المنشآت فى أخراف العاصمة.

ومن سيكلوجية الحداد ان حظيت بلقاء اكبر عدد من معاصريه والذين فارقتهم منذ عدة عقود فاحيا بعض ما مات داخلى فامتلاً الفراغ النفسى الذى تركه عثمان حسين فى حياتى خاصة فى اجازاتى القصيرة و التى اصبحت فى غيابه اخول من ليل النكبة.. ولعل وجودى فى حضن المكان الذى دفن فيه ما عاد بى و حرك فى اعماقى شجن المغترب المسكون فى اعماقه بشعور التوجس من وحشة الموت فى الغربية فيشعر بالامان فى دفء احضان الوجود و هذا الشعور الداخلى بالطمانينة لا ينبع الا من دفء العلاقات و خيب الملاقاة مع من تحب!

ولعلنى فى هذه العجالة اعتذر- ضمنا فيما أقول- للمرضى الذين قطعاً لا تسعدهم رؤيتى منقبض الاسارير معكر المزاج و عهدهم بى أسقيهم من كاس يفيض رقة و عذوبة و فاقد الشئ لا يعطيه..ومن حقهم على مرة اخرى الا اعود الا و قد هدأ الزلزال و سكت الالم و اندمل الجرح و انطفأ لهب الحزن المشتعل بداخلى و خفت مرارة الاسى فى غصنة حلقى و غسلت احزانى فى (مجراب النيل) الذى تغنى به عثمان و ذرفت دموعى فى تراب (الأرض الطيبة) التى شدا بجمالها صباح مساء..حتى اعود اليهم و قد استعدت عافية الحس و شفافية روح المحب للحبيب و رقة المعالج بكل الحواس وهذا عهدهم بى و قسمى لهم و هو قسم لو تعلمون عظيم

وحتى ذلك الموعد القريب فى أبوظبى و أنا فى قلب السودان النابض بالحب و الحنان أقول لهم  
جميعا..ما أحلى الرجوع اليه!!

## لذة الهواية... وألم الاحتراف

كثيرا ما اجد نفسى متنازعا بين لذة الهواية و ألم الاحتراف فى موقفين...العاشق للادب حتى النخاع و الملتزم بالطب بكل اخلاقيات المهنة وحتى أبرئ نفسى مما يعذب نفسى قررت ان اقنع بان القصور فى مجال الادب هو قدرى الذى ساقنى مرتين من كلية الآداب عودة الى كلية الطب فى جامعة الخرجوم بعد المراوحة تحت ظلال الاشجار التى تغطى شارع الكليه ولسان حالى يقول فى) نقوش على البحر):

خلقت لكى اقول الشعر..

تصبح حرفتى فى السوق..فن صناعة الكلمات

ولدت وفى يدي قلم من الأبنوس مملوء بجبر دواة

خريق الطب مكتوب على لوحى ..

لأمشى فيه رغم تعدد الطرقات !!

ولان الطبع يغلب التطبع فقد ظلت غريزة الشعر دفينتة فى اعماقى متجزرة فى خينة ارضى تنمو من الداخل وكثيرا ما يحدث لى عند دعوتى للمشاركة فى امسية شعرية او ندوة ادبيه تتطلب منى حفظ النصوص التى لا يتوفر لها الوقت عندى مما يحملنى على الاعتذار الذى لن يقبل التكرار وبين ضرورة المشاركة التى تحمل وزر المخاخرة و حرج السؤال فى خلب قصيدة لا تسعبنى فيها الذالكه فاعود انبش صفحات الديوان الذى احمله معى دائما وأقول عنه (عصا موسى) أتوكأ عليها و أهش بها على ذاكرتى ولى فيها مآرب اخرى!!

والمستمع دائما ما يتوقع من الشاعر ان يكون مستعدا لتلبية رغباته ليستمتع بالامسية وهذا حقه و لا يهمه ان يكون الشعراءالمشاركون من خلفيات مهنية متباينه أو تخصصات مختلفة لان مجرد قبول الدعوة يعنى ابرام عقد و العقد شريعة المتعاقدين

وحتى فى المؤتمرات الطبيه فى الداخل و الخارج كثيرا ما يطلب منى الزملاء قراءة بعض القصائد وهم فى هذه الحالة لا يتعاملون معى كزميل يحمل نفس هموم المهنة ولكن كصاحب هوايات اخرى ينبغى ان يوفر لها قدرا من الوقت للحفاظ

و التجويد ولذلك وجدت معذرة (عصا موسى) افضل بوابات الخروج من هذا المأزق ربما لان هذه الشريحة من العشاق يسهل التعامل معها لانها تدرك صعوبة المعادله فى احداث توازن بين الطرفين أو السير بهما على قدم المساواة!

ومن المواقف الطريفة الاخرى حدث وان دعانا احد الاخوة الى حفل عائلى يغنى فيه صديق الطرفين الفنان الراحل عثمان حسين فطلب منه ان يقدم لنا اغنية (الوتر المشدود) وهى من الاغنيات التى لم تسجل حتى الآن وتم تلحينها وتقديمها فى حفل غنائى كبير فى (قاعة السمكه الذهبية) فى ابوظبى فى عام ١٩٨٥م. وبما انها من كلماتى فقد خلب منى ان اقول كلماتها مشاركة منى فى المناسبة واسقط فى يدي لاننى لم اكن احفظها وكان موقفا محرجا واكبر بواعتى الحرج اننى وعثمان كنا الوحيدين الذين يعرفان قصة القصيده فلم يصدقوا ما بين من ظن اننى افتعل الموقف او استنكف المشاركه وما كان بوسعى ان اكتبها فى قصاصة اقرأها مثلما فعلت أخيرا فى البرنامج الاذاعى ( منازل القمر) مع الاديبة الشاعرة روضة الحاج وقد اعددت نفسى مسبقا للمفاجاة بعد ان تعلمت من التجريه

لقد اردت من هذه المقالة ان اشرح موقفى باثر رجعى من هذه الظاهره التى بدأت اتكيف معها وبدا يتقبلها الاقربون على علاتها حتى اشعار اخر وارجوا لا تبعث على الملل لاننى قصدت ان اشرح حجم معاناة المزوجة بين لذة الهواية و الم الاحتراف فى حياتنا المعاصره فى خغيان فكرة التخصص الدقيق على موسوعية الثقافة الخاصة و المعرفة العريضة التى كان يتميز بها الجيل السابق من الشعراء الاخباء و الأخباء الشعراء الذين اجادوا فن الشعر حفظا و نظما و فن الطب شكلا و مضمونا..والان اصبح ضروريا ان يتقلب جانب الحرفة على الهوايه و الصنعة على الابداع و التخصص الدقيق داخل اطار الثقافة العامه

وفى عهد التخصصات الدقيقة حين اصبح الشعر نفسه يخوض معركة الانعتاق من بحور الخليل بن احمد من المقفى الى المنثور و الانفلات من ديماجوجية الفكر الاشتراكى و خوبائية الادب الرومانسى و خرج من عباءة الهوايه فى الاصل الى جلاب الاحتراف فى الابداع داخل أروقة الكليات المتخصصة فى الجامعات..

والان وانا أقف فى مفترق الطرق بين لذة الهواية و الم الاحتراف اشعر اننى ينبغى ان أنفق ما تبقى من العمر فى اعادة قراءة مؤلفاتى الفديمه فى الشعر و الادب و ترتيب علاقتى به و اعادة اهتمامى اليه لا خصما من اسهاماتى المهنيه ولكن اضافة لها..فهوليس هوايه فقط وانما رساله بدأت بها حياتى و كلفتنى كثيرا من المعاناة قبل اختيارى تخريق الطب..وله دور كبير و مقدر و قادر على احداث تحولات جذريه على جميع الأصعبه نحن احوج ما نكون اليها فى الوقت الحاضر و اكثر من اى وقت مضى...

وحتى لا تعوزنى حجة ( البيئنة على من ادعى و اليمين على من انكر) تسعدنى زيارتكم

الموقع الالكترونى....[www.dralzainomara.com](http://www.dralzainomara.com)

## الطب والأدب

ليس من باب المكابرة أن نقول ان الطب النفسى من بين كل فروع الطب البشرى اكثر قدرة لفتح اكثر من مدخل لشكوى المريض بحيث يعرف الطبيب النفسانى من أسرارالمريض و حياته الخاصه..ميوله..مزاجه ..وقلقه ومسراته أكثر من اخراف علاقاته العائليه و بالضرورة الوحيد بين الكتاب و الأدباء يرصد و يسجل و يحلل نفسية المجتمع الذى يحمل همومه بحكم مهنته..فالظاهرة العارضة فى نظره مؤشرات دقيقة لابعاد عميقة فى بناء المجتمع و تركيب الاسره.. وبالفعل و الممارسة الوحيد بين الشعراء الذى ينبغى ان يعرف ماذا يكتب؟ لمن سيكتب؟ و ماذا ينبغى ان يقول؟ وعليه فى البدء تحديد متى يستعمل الرمز ومتى يلجأ الى المخالفة المباشرة؟ وأى القطاعات اكثر قدرة على فهم و هضم ما يقول؟ أليس رسالة الأديب كل هذه الأشياء مجتمعة؟

بينما يخالخب الشاعر الآخر مهما كانت أصالته و قدرته قطاعا يفترض فيه قدرا من الوعى ودرجة من الذكاء ورهافة الحس الفنى تجعله قادرا على استيعاب مدلول الرمز فى الميثولوجيا الاغريقيه ..سيزيف و بروميثيوس..ليصعد القارئ الى منزلة الشاعر لا ان ينزل الشاعر الى منزلة القارئ خشية مرض الضحالة و الاسفاف!

وإذا جاز هذا التعميم فى مجتمعات اخرى وصلت درجة من الوعى اصبحت مؤلفات مكسيم جوركى وفيكتور هيغو وديستوفسكى ووليام شكسبير وجان بول سارتر و أغانا كريستى جزءا صغيرا من مكتبة الاسرة..فاننا واهمون اذا كتبنا بنفس الاسلوب لأفراد كثيرا ما يجهلون أشهر الأدباء السودانين ويعجزون عن ادراك الفرق بين القصة و المسرحية الخ.



ان الطب النفسى قيثارة جديدة تعزف انعاما متجددة مشحونة بعنصر المأساة .. أزمة اليوم ..كآبة الغد..الأرق..الشعور بالخوف ..الرغبة فى الانتحار..فقدان الذاكره والخوف من مرض الاعصاب..تراجيديا محبوسة فى صدر الطبيب النفسى تملأ رثتيه و تشغل قلبه و تمزق وجدانه وبذلك يتحقق له امكانية نقل الحياة الى الناس فى اصدق صورها وادق ملامحها

فى الداخل ..والصور تتداعى فى مخيلته بشكل عفوى يصبح فى النهاية لوحة كقوس قزح تنضح بالالوان..الوان التعاسة التى ذاق خعمها بكل الانفعال التلقائى و الانسجام الحقيقى فيصلح للمظاهرة مدلول نفسى أكبر من التفاصيل الجزئية فالكل ليس مجموع الأجزاء فى نظر الطبيب النفسا نى وهذه مصيدة الشاعر الذى لم يجد نفسه بعد فيلجأ الى اصطياد الغريب والغامض فينفذ الى قلب القارئ من جهة العين العمياء والجانب المشلول بفضل تركيبه العقار السحرى الذى يحدثه مزج الرموز فى العمل الشعرى,

ان على الطبيب الذى يكتب الشعر ان يبتز القلق و التوتر و الذى هو سبب نكسة الفرد وتحوله الى العزلة و مرض الاعصاب..ويزيد من مرارة هذه النكسة انغماس الفرد فى كافة ملذاته الحسية..المخدرات ..الشذوذ الجنسى..الخ و الطبيب النفسى عليه عبء النفاذ الى أوهام الناس أولاً ثم تبديدها ثانياً بالادراك المتكامل لنوعيتها وظروفها وملابساتها

ان عليه خلق يوتوبيا جديدة أو مدينة فاضلة فى عقل كل فرد وحس كل جماعة..لا مدينة خرافية على أنقاض وهم عالق كخيطة العنكبوت فى جدران المعابد القديمة التى شوهدت وجه الحياة وجمدت حركتها.

أن يفلت من قبضة الكتاب الى رحابة الممارسة للعلاج.. بالكلمة.. بالإيحاء.. بالإسترخاء..  
بالموسيقى.. بالشعر.

من مقدمة ديوان (قصائد من بريطانيا) ص ١٣ دار الثقافة- بيروت- ١٩٧٥

## صفحات من مذكرات خبيب

أحدثكم أحبائي:

من المكتب.. للمكتب

أنا أنقاض ساقية تدور بثورها الأهدب

أنا خاحونة الموتى تأكل حجرها المتعب

أنا بئر الندى تعطى بلا من ولا تنضب

وخذ يقبل الصفعات فى صمت ولا يغضب

أتسألنى أقول الحق .. لا تغضب

أقول لكم : أنا متعب

فبعد شهادة التخريج قذفونى الى الشارع

الى جمهورنا المصلوب تحت الشمس مثل الخنجر القاجع

أداوى غصنة المظلوم.. أشبع معدة الجائع

واحقن فى سرير الموت جثة شعبنا الضائع

أخدر حسه الشفاف أخفى لونه الفاقع

و أخفى عن عيون الناس سر مصيره الفاجع

أتسألنى أقول الحق ... لا تغضب

أقول لكم : أنا ضائع

أحدثكم أحبائي:

وعند الصبح أحمل بعض أشياءي

الى المكتب

تقابلنى صفوف الناس تسند ظهرها فى الظل

تحت الحائط الأجرى

فلا تعجب

إذا بدأت صفوف الناس كالمأتم

وقد شخصت بأبصار من الاعياء تتألم

وقد ضاقت بها الحجرات كالصندوق تحت غطاءه المحكم

أنا وحدى حبيس الدار...

يرهقنى عزاء الناس فى المأتم

ألاقيهم بفاتحة..بآيات من القرآن...بالبلسم

وقد نفذت لفافاتي وأشرحتى

ولم تنفع وريقاتى وأدويتى

إذا ضجرت..إذا غضبت و صار الهمس يتكلم

فويل الكاهن الأعظم

فان الشعب لن يرحم

اذا أسرعت فى التشخيص فى عجل فلن يرحم

وان أبطأت فى التشخيص فى صبر فلن يرحم

فان الوقت يتقدم

وان الصف يتقدم

وأعصابى كنافذة أمام الريح تتحطم

أتسألنى أقول الحق : لا أعلم

فانسانيتى ذبحت على أبواب رؤسائى

و أغتيلت باحشائى

أقاموا متحفا للطب من جرحى وأشلائى

ومن أعصاب زملائى

و(شرف المهنة) المصلوب تحت لسان أعدائى

صليب يثقل الكتفين يرهقنى باعبائى

سأحمله لأبنائى

فقدر الطب فى بلدى خرافى وعشوائى

أحدثكم أحبائي:

أحدثكم عن السودان

أرض التيه..غاب الصمت و الأحزان

وأدمن شعبه المغلوب فى أزماته النسيان

ليعلن أننا شجعان

أحدثكم عن الدجال و العراف و الكهان

بنوا فى أرضنا هرما من الصدقات و الاحسان

وما زالت قوافلنا تزور ضرائح الغفران

و تسرق لقمة المحروم و المحزون و الجوعان

لتبنى قبة الأمجاد

و يدفع شعبنا بسخائه المعروف (للأسياد)

ويسجد عن خواعية يبارك قسوة الجلاد

يكذبنا اذا قلنا له : قد فاتك الميعاد

بحار الصحو قد غسلت شواخئنا من الاحقاد

رفعنا فى شوارعنا هنالك زينة الميلاد

هدايانا الى الاحقاد

أحدثكم عن الانسان:  
يشتمنى...وينعتنى بكل العار والخذلان  
ويرمىنى باشياء تغص الحلق بالغثيان  
يلاحقنى بكل مكان  
وينسى أننى انسان  
وأنى صورة للعجزان وجدت -بكل خريطة السودان  
أتسالنى أقول الحق..لا تغضب  
الاما أضيع الانسان فى السودان  
قد ضاعت هويته بلا اسم ولا عنوان

١٠مايو ١٩٦٩

ديوان ( مع رياح العودة) ص ٨٣

المجلد الأول-المجموعة الشعرية الكاملة

## سيكلوجية الابداع

ان القدرة على الابداع ليست قدرة عامه وانما هى قدرة نوعية خاصه وتختلف القدرة على الابداع فى مجال الرياضيات عنها فى أى مجال آخر مثل المجال الفنى أو الموسيقى أو اللغوى..

ودوافع الابداع متعددة ولكنها تعبر عن الاصاله الدوافع الفطريه الأوليه عن خريق الوراثة البيولوجية أو الوراثة البيئية المكتسبه عن خريق التعلم والممارسه ومن الدوافع الشعوريه كالرغبة فى الشهرة الى اللاشعوريه كمحاولة الرفض المبطن لموقف معلن أى كحيله نفس دفاعيه.

والابداع مصطلح عام يطلق للدلاله على العلاقه الديناميكيه بين الكائن الحى وبيئته فى شكل وظيفى خاص كالرسم..والموسيقى..والشعر..والقصه..والغناء وهذه العلاقه لا تكون فى شكل ظاهره سلوكية يمكن ملاحظتها فقط من الشكل الابداعى الخارجى ولكن كظاهرة استدلالية من مضمون هذا الشكل ومدى قدرته على التعبير عن خصوصية هذه العلاقه. والابداع لا ينطلق من فراغ ولا يصنع فى معامل ولكنه يتحقق من خلال سلوك يهدف فى النهايه الى تحقيق التوازن وخفض التوتر وتفجير الطاقات الكامنة المثيرة للمقلق عند الانسان.

قد لا يفهم الفرد المبدع الدوافع الحقيقية الكامنة وراء نشاخه العقلى وقد لا يفهمه المحيطون به بنفس الدرجه وهذا الجانب اللاشعورى فيه..ولكن قدرة المحيطين به من نقاد على تفسير السلوك والتنبؤ بحدوئه ومستقبله قد يخلق دوافع ثانويه توجه سلوك المبدع وجهه معينه تمنعه من الانحراف والاضطراب وتدفعه نحو الاجاده بصورة تجعل صورة الابداع مقبولة اجتماعيا لا تخرج على المألوف من القوانين والقيم أى ضبط الايقاع..وهذا الفارق بين الابداع السوى وغير



السوى..فالابداع هو تجسيد رغبة الصدق مع النفس لا هدف التجاوب مع الاخرين فقط وهنا تحدث المواجهة والمصادمة فاما الانسحاب من الساحة أو الموت فى سبيل الابداع..ولذلك كان خبيعيًا ان يواجه المبدع بالنفور أو الفتور من المتلقى و المستجيب منذ البدايه وحتى النهايه وقد يكتشف ابداعه فى عصر لاحق بعيون جديدة وعدسات متطوره عن زمانه لانه كثيرا ما يسبق زمانه بمسافات خرافيه وليس هذا صك براءة للذين يوغلون فى الغابات الموحشة ويعيشون فى الهوامش الضيقة بدعوى انهم سابقون لزمانهم...لان المحور الاساسى للابداع هو الصدق و لا بد ان تتغير المواقف الخاصة او العامة وينكشف الغطاء ويبدو ان الابداع كان مجرد قناع ..و مساحيق لتجميل التضاريس القبيحة فى وجه الاشكال الابداعيه.

ان الابدع محاولة خروج متميز عن المألوف دون تشويه الاخيار العام للقيم الاجتماعيه والجماليه.انه نظرة جديدة من زاوية مختلفة لمشكلة قائمة تنتظر الحل..انه قراءة جادة فى كتاب قديم واستقراء للمعانى الخفية بين السطور لاعادة الصياغة فى اسلوب مبتكر.انه تحليق باجنحة فولاذية لاختراق جدار الصمت وكسر حائط الجمود..انه دوران خارج نطاق الجاذبية التى تشد الأشياء الى الاسفل..ومحاولة الصعود الى الأعلى.

والابداع قدرة نوعية خاصة..الابداع ليس مرادفا للعبقريه..فاذا كان كل العباقره مبدعين فليس كل المبدعين عباقره وعليه يمكن القول:

العبقرية عملية خلق تصنع مبادئ و نظريات خاصة والابداع قدرة تفوق على الذات والاخرين من خلال الخروج على الأخر المألوفة والقوالب الجاهزة...

والابداع موهبة تصنع معجزة ولكنها ليست عملية اعجاز..والاعجاز قدرة ربانية واذا احتوت الموهبه فقد تتحول الى عبقرية وهى حالات نادرة ومحدودة مثل بتهوفن وشكسبير وليوناردو دافنشى وبيكاسو وديستوفسكى وتولستوى.

فالطفل المعجزة الذى يدخل الجامعة فى التاسعة أو يكتب النوتة الموسيقية فى السادسة مثل موزارت الذى عزف على البيانو فى الرابعة هوعبقرى مبدع ولكن المبدعين أمثال كولن ولسون وأرنست همنجواى والبير كامو لم يكونوا عباقره والفارق نوعى وموضوعى..فالعباقره ينتهون بحدوث المعجزة و المبدعون يستمرون بدافعية خاصة من الداخل نتيجة تيارات نفسيه واجتماعيه واقتصاديه تغذى هذا الوهج المتأجج..إن اينشتاين توقف ابداعه بعد نظريته الحسائية النسبيه ونيوتن بعد نظرية الجاذبية الارضية و دارون بعد نظرية النشوء و التطور.. والاختفال المعجزة كابطال الشطرنج وغيرهم فى المجالات الرياضية توقفوا بعد حدوث المعجزة دون بلوغ الاعجاز.. ذلك الرقم القياسى الذى ينتظر العبقرى الجديد ولكن المبدعين يستمرون يدورون خارج اخار المالوف و المتكرر دون بلوغ قمة يصعب الوقوف عليها وقد يستمر الابداع مدى الحياة..ويبقى مع المبدع حتى أرذل العمر...

وللحديث بقيه ان شاء الله...

## الابداع..والشخصيه

يتصور الكثيرون ان المبدع شخصية غير عاديه..وهذا صحيح اذا استطعنا ان نميز بين الشخصية العاديه وغير العاديه بالمفهوم العام وان نحدد الفارق بين الانسان السوى وغير السوى بالدقة العلمية..ان درجة السواء فى مفهومنا القاصر لهذا المدلول هى لا تتجاوز قول الرسول الكريم) لا افراط ولا تفريط وخير الامور الوسط) صدق رسول الله صلى اله عليه وسلم. وفى قوله تعالى) الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك) صدق الله العظيم.

فهذا الخلق السوى و التعديل الالهى و التركيب الربانى هو معيار السواء او درجة الكمال فاذا آمننا بان الكمال لله وحده فعلينا ان نعتبر ان درجة من السواء دون هذا الكمال مدروجة فى خبيعة الانسان كالخير والشر.

فالشخصية المبدعة شخصية قلقة متوترة منفعة ديناميكية متحركة فى كل الاتجاهات حتى وان دفعت بها هذه الحركة الى الخروج على دائرة المألوف والمتعارف عليه.. ولكنها ديناميكية موجبة وليست حركة سالبة..

وفى تصنيف الشخصية للعالم النفسى الالمانى كريتشمر والبريطانى شلدون يصنفون الشخصية بالبنية العضوية او النشاطات الفسيولوجية او الصفات المزاجيه كما فعل ابوقراط عندما قسم تكوين المزاج عند الانسان حسب سوائل الجسم..سوداوى ودموى واصفر ولفاوى وقارن بين هذه الامزجة ونوعية اعتلال الصحة النفسيه فى محاولة لتصنيف الامراض النفسيه ولكننا نجد ان الشخصية غير السوية او ( السايكوباتيه)فى مفهوم الطب النفسى او التى نطلق عليها

الشخصية المناهضة للقيم الاجتماعية تقسم الى ثلاث عينات افتراضيه حسب خابع السلوك المميز لها او الغالب عليها

١) السايكوباتيه الوضيعه

٢) السايكوباتيه العنيفه

٣) السايكوباتيه الخلاقه - الابداعيه

والاخيرة لديها قدرات خارقة ولكنها سالبه فى استغلال هذه القدرات. فقد تكون ابداعية بكل معانى الكلمة ولكن استيعابها لهذا الابداع وتعاخيها معه مرضى الى ابعد الحدود ومن خلال رؤية تفتقر الى البصيرة النافذة والواعيه.

اذن يمكن ان يكون عدم السواء من وجهة نظر اخلاقيه (Moral) وجهة نظر علميه (Scientific) احد مظاهر او دوافع الابداع.. وقد كان لكل المبدعين مظاهر سلوكيه غريبه هى فى حد ذاتها الحد الفاصل بينهم وبين غيرهم فى مجتمعهم واذا كان المقصود بتعبير العظماء الذين كانت لهم اسهامات ابداعيه فى مجالات حياتهم الادبيه او الاقتصاديه او السياسيه او الرياضيه فقد لا زمتهم صفات سلوكيه او وجهات نظر حياتيه مغايره لمجتمعاتهم هى بعض هذا الشئ اللافت فيهم الى حد كبير..

فاذا نظرنا فى سيرة العلماء و العظماء وسيرتهم الذاتيه لوجدنا ان ملكة الابداع الكبرى هى شكل من اشكال السلوك غير السوى ولكنه الايجابى الحميد العاقبه. ان (فان خوخ) الرسام العالمى قطع اذنه من أجل حبيبته ولكنه كان فى الاصل يعانى من مرض الصرع وديستوفسكى الروائى الاسطوره كان ضحية محنة عاغفية عاصفة فى حياته و(نيتشه)

كان فريسة الام نفسيه مبرحه بينما كان سقراط الحكيم المعلم الاول نموذجا فى الابداع ومثاليا خوبائيا فى حياته الخاصة ورجاحة العقل.

اذن فالابداع ليس ملازما للجنون و لا مظهرا من مظاهره وان صح ان نقول ان الجنون قد يولد حالة من الابداع ولكن الابداع لا يبدأ من حالة الجنون.

ولكن المبدع تتملكه حالة من الابتكار تكون فى نظر مجتمعه لوثة عقلية او حالة نفسيه او نمط سلوكى شاذ والخلط بين الابداع والعبقريه تركبة مثقلة فى الفكر الانسانى المعاصر نتيجة العلاقة القديمة بين الفلسفة وعلم النفس وافرازات الصراعات اللاعقلانية وغير الحميده بين علماء النفس و رجال الدين ..خاصة فى مجال النفس والروح...ولكننا فى الطب النفسى نرى رؤية مغايره لأن الطب النفسى أحد فروع العلوم التطبيقية ويرى النفس مجموعة وظائف فسيولوجيه نتيجة نشاط خلايا المخ خاضعة للقياس و التقييم بينما الروح قدرة الهية أودعها الانسان فى قوله تعالى ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمرى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) صدق الله العظيم..سورة الاسراء آية ٨٥..ولذلك نعتبر هذا الأمر محسوما بمعرفة غير مسبوقه بجهل فنطلقه فى اتجاه علمى حديث مودعين أهل بيزنطه فى جدلهم القديم..

ولنتذكر أن نفس النار التى تذيب الدهن هى التى تجعل البيض يتجمد!! وفوق كل ذى

علم عليهم.

## وسام الإبن البار

بطاقة تهنئة إلى معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

سمو الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان

بمناسبة تقليده وسام (الإبن البار) ... أكتب هذه القصيدة إفادة شاهد عصر على صدق التجربة ومعايشة الوجه الآخر

منها ... فقد لاقد صدا خاصا في نفسي وهزتي لفته التكريم ...

مآثر لا تحصى فكيف تعدد  
بأفضل لقب للخليفة يسند  
وتظل تتسامى به ... تتفرد  
تطيرا إلى أعلى السموات تصعد  
معاودة المرضى تغيث وتوجد  
وليس لتلك الزيارات موعد  
فريضة عين حيث تناي وتبعد  
وأقل هما منه في الناس يحسد  
بوالده أو أمه حيث يولد  
فلم تعد الحبلى بمثلك توعد  
رمى به في نار العقوق التمرد  
يزج كبار السن فيها أين توجد  
تبارك سيرته النساء وتحمد  
لفيض عطايك التي تتجدد  
فقدر أن يحيا بها الأمس والغد  
وأزرع بر الوالدين وأحصد  
قناعتي أن البر يشقى ويسعد

كفاك بر الوالدين بالفضل يشهد  
ويكفيك فخرا أن تعيش متوجا  
ويغنيك عن شكر العباد ومدحهم  
وتملك دعوات الأبوة رحمة  
وأشهد أنني قد عرفتك عاشقا  
وعندك في كل المشافي زيارة  
جعلتها نهجا في حياتك موجبا  
وأسال نفسي كيف يقضي همومه  
نعيش زمانا قل مثلك رحمة  
كأن بطون الأمهات تحجرت  
فتنجب خفلا نبت أرض غريبة  
يسوق لدور المسنين حجة  
ومثلك يعتز الرجال بفعله  
ولست اخبئ في ثنائك حاجة  
لقد هزني التكريم في خبج أمة  
وأعشق روح البر منذ خفولتي  
وبرني أبنائي كبارا فزاد من

أشاهد ما يجري هناك وأرصد  
تعود مريضا أينما كان يرقد  
ويحرسك الخلق الكريم المجد  
تربع في الكرسي يحل ويعقد  
يسارع في خطواته يتنهد  
وتغفل عمدا أن يثيرك مشهد  
وتسأل في لطف و لا تتوعد  
تخبئ عن يسراك ما تفعل اليد  
يجاهد في درب العلاج ويجهد  
واسمك بين الخيرين مخلد

وخيلة سنواتي خبيبا وزائرا  
أراك تجوب الممرات سائلا  
وتصعد في درج المشاء تواضعا  
يقابلك التمريض والحارس الذي  
وتألف أن يأخى الطبيب مهرولا  
تحاذر أن تؤذي مشاعر عامل  
وتدخل في صمت وتخرج هادئا  
تمد يدا عليا إلى كل عابر  
و بابك مفتوح لكل مسافر  
وقدرك شأن الصالحين سماحة

## نهر العطره

يا عطبره..

قد جئت يحملنى حنين الذكريات الغابره

أنا فى الطريق..

أكاد أدفع للأمام محركات القاخره

وأرى شعاع النور عند المنحنى...ينساب

يلمع كالسيوف الظافره

أشتم من خلف المداخن من هدبرالموج تحت القنطره

عطر الكفاح سحابة زرقاء تزحف كالغيوم الماخره

يا عطبره:

عشرون من عمر النضال و كنت اول مجزره

ولكم غسلت على ضفاف النهر..

خيطة الزئبق الفضى.. آلاف الجراح الغائره

فى ثورة التحرير

من اجل المصير

وقد تساقط فى الصراع جبابره



يا صرخة السودان فى وثباته المتحرره  
يا ملتقى الالاف فى الورش المليئة بالدخان..  
يثور فى ابوابها كالغيمه المتناثره  
فى حلقة الاكواخ ..خلف حظيرة الاسلاك..  
فى جدرانها المتجاوره  
من خلف عشرات السنين يسوقنى الماضى  
ورجع الذاكره..  
ذكرى كفاحك فى السنين الغابره  
حتى القباب المستديرة كالعيون الحائرة  
ذكرى كفاح عاخره  
يا عطبره  
يا ارض ميلادى ...ربيع خفولتى فى القرية المخضوضه  
ذكر الصبايا فى رمال الشط...  
فى ضوء الليالى المقمره  
سعف النخيل الاخضر الريان يرقص فى ضفاف العطبره  
يا عطبره

انا مذ ولدت صبيحة الحرب الخئون الغادره  
وتفتحت عيناي فى فجر الكفاح على الجيوش الفاجره  
وفطمت فى مهدي على صوت الرصاص..  
من الدماء الثائره  
دقات قلبى كالرياح الهادره  
كالصخرة المتحجره  
عطشى تثور مزمجره  
اقسمت باسمك يا بلادى  
باسم الاف الضحايا فى المدائن والقرى  
باسم الملايين الحبيسة فى السجون المقفره  
اقسمت باسم الطيبين و باسم نهر العطره  
لا...لن تكونى فى نضال الشعب أول مقبره

مايو ١٩٥٩

ديوان (الضياء والحريق) ص ١٣

المجلد الاول - المجموعه الشعريه الكامله

## خب الحواس... لماذا؟

يقولون ان الطب حرفة أصحاب الفراسة فلا بد ان يكونوا ذوى نفوس تستدل بالاحوال الظاهرة على الأمور الباطنه ويستدلون على صحة هذا الرأى بقوله تعالى (إن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين) وقد روى البخارى فى الطب (ما أنزل الله داء الا أنزل له دواء) صدق رسول الله الكريم

ويقول أهل الحرفة ان الطب (علم وفن) فاصطلاحا الطب علم يبحث فى بدن الانسان من حيث الصحة و المرض ويدرس وظائف بليارات الخلايا المكونة لتسيح أعضاء الجسم و موضوعا فالطب فن لا من حيث عنايته بالنفس والجسم معا بل من حيث قوة البحث فى تفسير علاقة اضطراب الوظائف العضوية باعتلال الصحة النفسية و الربط بين الموضوعين ..والطب فن من حيث ضرورة المعرفة بفن التعامل مع حقائق المختبر و لغة الارقام فى الوصول الى صورة حقيقية عن سبب الآلام ومصدر الأوهام..والطب فن فى تعلم ترتيب الأولويات فى تصنيف المعلومات حسب أهميتها فى كل حالة على حدة، وكالجدل القديم الموروث بين انصار الوراثة والبيئة فى الدراسات البيولوجية الاخرى فقد نشأ حوار جديد ومدارس فكرية معاصرة بين أنصار الطب كعلم يعنى برصد و تسجيل و تفسير العائد البيولوجى (Biofeed Back.....) من محصلة العلامات المرضية و الفحوصات المختبرية وبين أنصار الطب كفن يعتمد على نظرة فلسفية ذاتية فى ترتيب الحقائق فى شكل دائرة ضوء تسلط من عدة جوانب على المريض كنفس و جسم و محاولة الوصول الى اكثر العوامل تأثرا بالحقائق العلمية الموجودة، ورغم ان الأددواجية فى التطبيق تبدو غير منطقية الا ان هناك فئة من كبار الأخباء يرون ان الفحوصات و التحاليل الطبية هى العامل الموضوعى الحاسم فى تشخيص الحالة بينما يرى فريق آخر فى نفس المكانة العلمية الرفيعة ان حصيلة الفحوصات ما هى الا مجرد مؤشرات لاحتمال وجود خلل عضوى او وظيفى فى الجسد او النفس او كليهما، وان

الوصول الى التشخيص المناسب لا يعنى بالضرورة السير فى اتجاه بوصلة الكمبيوتر باعتباره المؤشر الاساسى فى رحلة العلاج.

ان التقدم التقنى المتمثل فى (مكنته) الحياة جعل الطب فى بعض مجالاته يتعامل مع المريض كالسيارة التى تدخل ورشة المصنع للفحص و الصيانة تمر على عدة اجهزة قياسية مثبتة على لوحات الكترونية ودوائر تلفزيونية مغلقة و اجهزة رسم وتخطيط من تسجيل الاسم و الرقم للمريض مرورا بفحص اعضاء الجسم واحدا تلو الآخر حتى نهاية السير المتحرك فى خطوط الاختبارات حيث يعطى الحاسب الالى صورة متكاملة عما يدور بداخل الجسم و قد يعطى التشخيص النهائى قبل ان يضع الطبيب يده على المريض...وهذا الجانب التقنى فى مقابل المعاينة الأكلينيكية..صورة الطب كعلم و فن..

اما صورة الطب كفن فهى لغة الحوار الداخلى.

(Dialogue) بين حواس الطبيب و احساس المريض وهى مرحلة الاختبار التى توضح ماذا يعنى المرض لصاحبه؟ ماقيمة الألم عنده و كمية الأمل لديه؟ ولماذا جاء فى هذا الوقت بالذات بهذه الشكوى بالذات لهذ الطبيب بالذات؟ لماذا تدور نبرات صوته و تعابير وجهه و جملة انفعالاته حول جانب لا تنعكس اهميته فى تصنيفات الكمبيوتر بينما يصرف النظر عن وعى و ارادة عن شكوى تحتل الصدارة فى فحوصات المختبر؟

لماذا يطيل الشكوى عن الامه القاسية من الصداع رغم علمه المسبق لسلبية الاختبارات فى هذا الاتجاه بينما يصرف ذهنه ووعى الطبيب عن أوجاع مزمنة تطل برأسها فى قائمة كل الفحوصات..لماذا؟؟؟

كتاب (مقالات مختارة بين الطب و الأدب)

ص ٣٠ الطبعة الأولى ١٩٩٠م

خب الحواس... إلى أين؟

ان قدرة الطب كفن تتجلى فى اخار الفحص السريرى و الذى يتطلب استخدام كل الحواس الخمس كوسيلة اتصال ذات قيمة مادية و معنوية كبيرة..والطب فى بداياته الأبقراجييه و قبل التقدم التقنى الحديث كان يعتمد أساسا على حاسة البصر و البصيرة(حسى و معنوى ) ولذلك كان يطلق على الطبيب الحاذق لفظ الحكيم قال تعالى (ومن أوتى الحكمة فقد أوتى شيئا كثيرا) صدق الله العظيم و البصير مثل (البصيره أم حمد ) والتى اكتسبت من شفافية الحس و نفاذ البصيره ما جعلها قادرة على التطبيق دون أجهزه من جبر الكسور ومداواة الجروح و شتى الأوجاع الباخنيه من خلال استغلال الحواس!! و تاتى قدرة السمع الحسية فى الاستماع الى ضربات القلب و التقاط المهممه و اللغط و الحفيف ذوات الدلالة المرضية الهامه و السماع الى الجهاز التنفسى فى حشجة الصدر و خريير الحويصلات الهوائيه و صرير حركة الامعاء..اما قدرة السمع المعنوية فهى فن الاصغاء واجادة الانصات الى المريض وقد يكون مجرد الاستماع الى الشكوى و اقتناع المريض بتفهم معاناته اكبر مدخل الى خريق العلاج كما ان حاسة اللمس تبدأ منذ لحظة مصافحة المريض صاحب اليد المبللة بالعرق أو المرتجفه أو الساخنه أو الباردة و لمس أعضاء الجسم لتحديد درجة الضمور او التضخم مع تحديد موقع الالم و شدته و علاقته بالأعضاء الاخرى وحركة الجسم و هذه احد الاعراض المرضية الاساسية التى لا تخضع للتصوير او التحليل المختبرى و فى الجانب المعنوى فان حرارة الملاقاة فى المصافحة تزرع الثقة و تجعل من اللمس لغة تخاخب بين الطبيب و المريض أشبه بحروف الشفرة تاخذ معناها من ترجمة الاحاسيس خلال العلاقة الحميمة التى تتم بين الطبيب و المريض على مدى رحلة الكشف و المعالجة و فيها قمة الترويج النفسى.

هذه مجرد خطوط عريضة لمواصفات الطبيب...خبيب الحواس...الذى يسمونه النطاسى البارع الذى عندما ينتهى من رحلة استكشاف عالم المريض بحواسه الخمس يكون قد وصل الى نوع من التشخيص و رسم من خلاله خطة عمل للفحوصات المخبريه و الاختبارات الاشعاعيه التى ينبغى ان

يقوم بها ليصل الى نتيجة نهائية قانخعة و كما يبدو واضحا ان دور خب الحواس و خب الممكنه يجب ان يلتقيا فى حالة توحده و روح تقمص فى نظرة متكاملة يمثله الاول البدايه الاساسيه الهامه فى علاقة المريض بالطبيب و يمثله الثانى النهايه المنطقيه و الضروريه لتقنين هذه العلاقة من خلال تطابق القول بالفعل و تثبيت القناعة الذاتية بالدليل العلمى و هكذا تكتمل صورة الطب كعلم و فن

ومع التقدم المذهل فى التكنولوجيا الطبيه بدأ دور الطبيب يتضاءل فى استخدام حواسه و بالضرورة اتسعت الفجوة بين الطبيب و المريض لان المريض قد يصل الى الطبيب بعد ان يكون قد قطع شوخا خويلا فى (ماراثون) الاختبارات و وصل الى الطبيب يحمل رقما و نشخيصا على الطبيب ان يؤكده او يعدله او يلغيه.. وهذا أشبه بالسير الصحيح فى الاتجاه الخاخى حيث تصبح العلاقة بين الطبيب و المريض علاقة شد و جذب فى محاولة لتغيير واقع فرضته ظروف الاختبارات خاصة فى المجتمعات التى تقدر الكمبيوتر و رسم القلب و المخ و كل اعضاء الانسان. فان اى خطأ فى يرصده جهاز الرسم لا يمكن ان تصححه نصائح عشرات الأخباء بانه لا يشكل خطورة على حياة المريض و قد تكون نهاية صلة المريض بالطبيب او علاقته بالمؤسسة العلاجية كلها

## خـب الحواس .. أخيرا

ليست هذه دعوة الى العودة الى الوراء او محاولة التقليل من دور التقنية الطبية و هى احد الركائز الاساسية فى تطوير و تحديث العلوم الانسانية و لكنها امنية ان لا يكون الطبيب التقنى البديل للنطاسى البارع الذى يبدأ باستخدام حواسه الخمس من شعرة راس المريض الى اخمص قدميه و ان لا يكون البداية لظهور الطبيب الآلى (الرويت) الذى يعمل بالتغذية الاسترجاعية (Biofeedback) و الاشارات السلوكية و اللاسلكيه.

فى حقل الطب النفسى تسمو العلاقة بين المريض و الطبيب الى مرحلة الاحلال الايجابى للمشاعر الوجدانية الاولى المكنونه فى العقل الباخن لذوى العلاقة الى شخصية الطبيب المعالج (Transference.....) و يصبح الرباط المقدس بينهما نسيجا من ظلال الكلمة الوارفة الظلال و المقابلة المشحونة بالمشاعر و الانفعال و الحواس النابضة فى اعماق الجانبيين... المنقولة فى خاصية اللغة المشتركة و حلاوة اللسان الواحد المتدفقة فى قنوات التفريغ العقلى لدفع الشحنة العاخفية المتميزه بخصوصية العلاقة بين المريض و الطبيب العام بصفة عامة و الطبيب النفسى بصفة خاصة.

ان على الطبيب ان يقوم برحلة علمية انسانية استكشافية فى جسم و نفس المريض يستغل فيها كل قدراته الخاصة و العامة و يستعمل فيها كل فنون المهمة من اىحاء و استرخاء و تخمأنيه تؤكد لها حصيلة الفحوصات المختبريه التى يجب ان تكون مختصرة فى اضيق نطاق.. و علينا ان نلغى من ذاكرتنا و نشطب من قاموسنا الطبى عبارة ( فحوصات روتينيه ) لان الانسان لم



يعد حقل تجارب او حيوان مختبر او أنبوبة اختبار.. ولكنه مريض ضالته الصحه يبحث عنها  
باسرع الطرق و افضل الوسائل و اقل التكاليف

سلطان اضافه.. هذه التتمه لم ترد فى اصل الموضوع فى كتابى ( مقالات مختاره بين الطب و  
الأدب) ولكنها اضافة للخروج مما قد يبدو نوعا من التنظير الى روح التأخير من واقع الممارسة  
اليوميه الان.. لقد علمنا استاذنا الراحل البروفسير داؤود مصطفى ( أبوالطب البشرى) والذى كان  
نموذجا يحتذى به لطبيب الحواس و النطاسى البارع و الحكيم الذى جمع بين الطب و الفن. فقد  
كان يعتمد على حواسه الخمس ودقة الفحص السريرى حتى يصل الى قدر كبير و نسبة عالية  
من الحقائق و التى تجعله قادرا على الوصول للتشخيص وان المختبر و الاشعة ادوات لتأكيد  
التشخيص و ليست بديلا للتدقيق فى الفحص السريرى. وكان اكثر ما يضايقه ان تطلب فحصا  
للدماغ او اشعة للمريض دون ان تعرف لماذا تريد هذا الفحص وهل فى الفحص السريرى ما يبرر اللجوء  
اليه؟ و اكثر ما يغضبه - و قليلا ما يفعل - ان تطلب فحصا ( روتينيا!؟) ويسالك هل جريت خعنة  
الابرة؟ وهل تؤمك؟ وان قلت نعم سالك لماذا تريد ان تؤلم المريض؟

و فى الجانب الآخر كان معلمنا الاول البروفسير التجانى الماحى ( الأب الروحى للطب النفسى)  
يقول لنا اذا اعتقدت انك فرغت من معاينة المريض و استمعت اليه ولم تصل الى تشخيص فقد  
خسرت نصف المعركه لانه لا توجد فحوصات تدلك على ما بداخل المريض اكثر من المريض  
نفسه.. لغة الكلام و لغة الجسد... نبرة الصوت و خريقة الوصف فى الشكوى و لغة الجسد  
فى تعابير الوجه و نظرة العيون و رعشة اليدين و برودة الاخراف.. كل هذه اشارات تقودك الى  
اعماق النفس البشريه فلا تتعجل التشخيص و اجلس مع المريض.. التشخيص الصحيح ليس غاية  
فى حد ذاته بل وسيلة للعلاج.. لا تجعل غايتك ان تعطى المريض تشخيصا ينشغل به و لكن  
اعطه املا فى الشفاء منه..

اعطه جرعة و احدة من الامل افضل من الف جرعة من الدواء..و الله الشافى ( واذا مرضت فهو  
يشفين ) ونحن الأخباء بعض الأسباب فى الشفاء فلنكن ملائكة الرحمة بالقول و الفعل..  
هؤلاء بعض النماذج الانسانية فى تاريخ الطب فى السودان .. فصاروا اعلاما فى الطب ..خب  
النفس و الجسد..خب الحواس

## وحدة المصير (١)

لا يملك المرء - كما يقول الانجليز- الا ان يخلع قبعته و ينحنى اجلالا وتقديرا للقنوات الفضائية الجديدة التي ترفع شعار (الوحدة فى التنوع) رؤية و غاية فى رسالتها الاعلاميه وتبدع فى عرض لوحات فلكلورية تعدد فصول العام الاربعة و توحد اركان السودان الاربعة وفى هذه اللوحات التشكيلية الرائعة تؤمن على ضرورة الوعى بترسيخ مفهوم الوحدة فى كل المسارات بأى شكل وبأى مضمون و بأى ثمن كالخيار الوحيد والذى مهما كان غالبا فى لغة الحوار فلن يكون أعلى من حصاد القتال و ليس له بديل غير ضياع الوخن كله.

أقول هذا على الصعيد المحلى واذكر فى مستهل الستينيات من القرن الماضى فى زمان المد الثورى و زخم التحرر الوخنى الذى اجتاح العالم كالطوفان واهتزت معه أركان الامبراجورية الاستعماريه وهبت فيه رياح الحرية تقتلع غابات الظلام التى حجبت رؤية الشمس من سماء القارة السوداء فلونتها بسمرة الصحراء فانقسمت شمال و جنوب الصحراء ..وهذا أضعف الايمان

ولكننا فى ذلك الوقت اعتصمنا بحبل الله ووحدة المصير و ارتبطتنا بمشيمة الحنين الى ولادة الجنين الذى كان ينمو فى رحم القارة الام فى قلب المعركة.. و كان هذا قدرنا مترفعين عن صفائر النفس الامارة بالسوء مستمسكين فى غير تنظير بقوله تعالى ( وفى انفسكم أفلا تبصرون) صدق الله العظيم ..وكنا مبصرين و مستبصرين بضرورة الوحدة من اجل التحرير من المحيط الى الخليج.

واذ نظرنا الى أنفسنا على المستوى الشخصى فاسرد حالتى كواحد من كل الزملاء فى تلك المرحلة فى شتى انحاء السودان..فقد ولدت فى مدينة (عطبره) و نشأت فى مدينة (شندى) ودرست

فى (محطة هيا) فى شرق السودان و اكملت فى مدينة (سنجه) فى مديرية النيل الازرق ودخلت الثانية فى حنتوب فى (مدنى الجزيرة) والتحتت بجامعة الخرطوم فى العاصمة وكانى اتنقل من غرفة الى اخرى داخل احد البيوتات فى الحوش الكبير.

وفى ذلك الوقت كان السودان مقسما الى ست مديريات قبل ان يصبح عشرات الولايات اليوم و الحبل على الجرار..ودخل مرحلة الحكم الذاتى يحمل على اكتافه وزر الانفصال بين الشمال و الجنوب ووصمة تاشيرة الدخول الى (المنافق المقفوله) ولم يكن هذا خيارا شماليا ولا اتفاقا جنوبيا بين اخراف متنازعه ولكنه تركه استعمارىه مثقلته ما زال ينوء بها كاهل الجميع..ولم افكر كثيرا فى فارق الجغرافيا بين اهلى المشتتين فى مدن السودان المختلفه فى شندى و الخرطوم و بورتسودان و الابيض ونيالا و جوبا والفاشر حتى كتابة هذه السطور.. أقارب من كل درجات صلة الرحم وكان يغنى لهم عمر الرباخبابى فى (ربوع السودان ) من (اذاعة امدرمان) الأم الحبلى باوجاع الجميع.

وخيلة المراحل الدراسيه لم اكن اعرف قبائل زملائى من أين ينحدرون وحتى من كنا نطلق عليهم (ود أم جر) و(ود الهلالية) و(ود أبوفروع) كانوا يستنكفون هذه الجهويه ويعتزون بان لهم آباء و يشاركوننا حب الوخن وهم على مرمى حجر من العاصمة قبل ان نصل مرحلة المجاهرة بالمعصية فأنشأنا جمعيات وروابط باسماء القبائل و المدن و القرى وكاننا نؤصل لنزعة (تقسيم المقسم و تفتيت المفتت) وكان هذا فى نظرى منذ زمن بعيد بداية السقوط فى هاوية الضياع فى اشكال الهوية و شكل الانتماء.فاصبح الولاء للقبيله يفوق الولاء للمدينه المنوط بها توفير العيش و الولاء للمدينه يفوق الولاء للولايه المثقله بهموم التنميه و الولاء للولايه يفوق الولاء للوخن المسحوق باوجاع الجميع وكان الله فى عون الوخن الذى اصبح كالقشة فى مهب الرياح تتقاذفه

ايدى القوى الطامعه وتنهشه اظافر الذئاب الجائعة المغروزة فى جسد الضحية لتمزقه اربا اربا و العياذ بالله.

ودخلنا الجامعه و اجتمعنا السودان كله تحت قبة جامعة الخرطوم ..الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب ولم يكن هنالك فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى فكان زميلى الدكتور على الحاج محمد فى كلية الطب بجامعة الخرطوم نتقاسم اجرة التاكسى لحضور اجتماعات المجلس الاربيعينى لاتحاد الطلاب حتى تخرجنا فانتهى بى المطاف الى الاغتراب و انتهت به السياسة الى وزير الحكم الاتحادى وخطط لتوزيع الولايات بالسودان وحدثنى عن رغبته فى نقل العاصمة من الخرطوم و لم نختلف خوال حياتنا حتى بعد ما جاء فى زيارة شخصيه قبل بضع سنوات الى ابوظبى دعانى الى مادبة غداء فى بيت القنصل السودانى وحدثنى عن نذر الخلاف و قضايا الاختلاف فى الخرطوم.وكان زميلى أيضا بالكلية الدكتور الراحل جستن ياك اروب من الجنوب يعزنى و ينادينى ( صديقنا الشاعر ) وعند ما عدت من البعثة الدراسية من لندن وجدته وزيرا للصحة للاقليم الجنوبى فى حكومة مايو وقد ساعدنى فى انشاء قسم الطب النفسى فى مستشفى كوستى من الميزانية المفتوحة للجنوب وكان زميلى ايضا الدكتور باسيفيكو لاقو فى كلية الطب وكان يسألنى ساخرا بعد عودتنا من كل مظاهره متى تحرروا السودان حتى يتحرر الجنوب..؟) و عندما زارنى ضيفا فى منزلى فى ( جوبا) و كنت اعمل فترة الشدة فى عام ١٩٦٨ قال لى ( اذا ما حليتو مشكلتة الجنوب على خريقتكم الان فسوف تحلوها على خريقتنا بعد خمسين سنة) فلنتامل ذلك التاريخ ونحن نقترب من موعد الاستفتاء فى ١٩١١م؟؟ و عدت من جوبا لاسافر الى البعثة فى لندن وذهب باسيفيكو الى المعارضة و عاد عضوا فى مجلس السيادة فى حكومة الانتفاضة ١٩٨٤..و ما زال فى الحركة الشعبية متعه الله بالصحة والعافية

وكان من زملاء الدراسة الدكتور (شلوم عبود) والذي لم اعرف هويته اليهوديه الا بعدما هاجرت الى الخليج وصرت اقرب من الصراع العربي الفلسطيني وعرفت ان كلمة (شلوم) بالعبرية تعنى (سلام) وقد كان سلاما معه حتى ترك السودان و حربا على اسرائيل حتى تترك فلسطين.

خلاصة القول اننا كنا نعيش حالة سلام مع النفس و الوطن من خلال قبولنا (الوحدة مع التنوع) والتعايش السلمى والبحث فيما يجمع و النأى عما يفرق وكان السودان افضل حالا فى فصول العام الاربعه و اوسع مجالا فى اركانه الاربعه رغم شح الامكانيات وقله الثروات المتاحة آنذاك

فاذا اصبح السودان الآن سلة غذاء العالم.. وذوو القربى أولى بالمعروف.. الا يكفى هذا مصدرا للطمانينة من شرور قلب لا يخشع وعين لا تدمع وبطن لا تشبع...؟؟

هذا على الصعيد المحلى أما على الصعيد الاقليمى - العربى و الاسلامى - فللحديث بقية..

## وحدة المصير (٢)

رحم الله الشاعر القائل:

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا.. واذا افترقن تكسرت أحادا

فقد كان هذا البيت على الصعيد الاقليمي فى المنطقة العربية والاسلامية يمثل بدء الانشاد فى فم كل خفل وقوة الاستشهاد فى قول كل خطيب فى منابر المساجد وكل منصة فى اللقاء السياسى مشددا على ضرورة الوحدة الوخنيه ومجددا شعار التضامن العربى..

وكان المناخ الاقليمي فى المنطقة مشبعا بالامانى القوميه فى حرب التحرير فى الجزائر ونضال المقاومه فى فلسطين وكان الصدى ينداح من المحيط الى الخليج فى سكون الليل و ضوضاء النهار قبل ان تنطفئ الجدوة فى خضم الخلافات و شرخ العلاقات.

وكانت القاهرة القلب النابض فى جسد الامه ومقدمة المسيرة تضخ الدم فى شرايين المنطقه من اذاعة (صوت العرب) وكانت وزارة الخارجية المصريه فى قسم الوفود و المؤتمرات تنظم رحلات تعريفيه و زيارات خلابيه لرفع الوعى القومى وخلق جيل جديد يحمل الرايه و يدافع عن القضايا و ينفذ الوصايا

وكان من افرازات هذه الصحوة الوخنيه تكوين (رابطة التضامن العربى) فى جامعة الخرطوم من شتات الطلاب الديمقراخيين و القوميين و الاسلاميين و المستقلين الذين يؤمنون بعدالة القضية الفلسطينيه وقد نظمت لنافى عام ١٩٦٢ رحلة الى القاهره ثم بالقطار الى قطاع غزه ورفح و العريش و خان يونس و زرنا الحاكم العسكرى المصرى للقطاع و تجولنا فى الحدود

الفاصلية بين القطاع و اسرائيل تحت رقابة جنود الامم المتحدة وعدنا الى القاهرة لنتلقى باقطاب الصحافة المصريه الاخوة التوأم مصطفى و على امين فى دار( اخبار اليوم)

وكان صدى صوت عبد الناصر ينطلق من اذاعة (صوت العرب) لينداح دوائر فى (صوت امريكا) و اذاعة (مونت كارلو) وكان العالم كله ينصت الى خطاب عبد الناصر ويسمع صوت رجل واحد او أمة كاملة فى صوت رجل واحد يمثل البوصلة الحقيقية التى تحدد اتجاهات الرياح السياسيه التى تهب من عواصم العالم العربى فى محطة الارصاد الغربى

وكانت الدعوة الى (سقوط الامبرياليه و الصهيونية العالميه) التى تعلق بها الشارع العربى و الاسلامى و الافريقى والهب بها قطب الحزب الوجودى الاتحادى الراحل أحمد السيد حمد كل خطب البرلمان و سود بها الحزب الشيوعى كل الشوارع و الجدران وبقدر ما ضاق الناس ذرعا بهذه الشعارات فى الماضى بقدر ما يستحضرونها هربا من فرط المعاناة فى الحاضر.

كنت مبعوثا للدراسة التخصصيه فى لندن عندما رحل عبد الناصر فجأة فى عام ١٩٧٠ فقطع التلفزيون البريطانى برامجه ليذيع خبر الوفاة وعقب النشرة قدم ندوة صفويه تضم وزير الخارجية البريطانىة آنذاك (جورج براون) والذى قال: (كنا فى العالم العربى نستمتع الى صوت رجل واحد فى العالم العربى .وان كنا لا نحبه فلا نملك الا ان نحترمه فقد كان يمثل رأى العرب فى كل القضايا السياسيه و سوف نعانى كثيرا فى التعامل مع مشاكل المنطقه فى غيابه عن المسرح السياسى)..والفضل ما شهدت به الاعداء

وكنت خجيبا فى مستشفى مدنى عندما قدم عبد الناصر استقالته بعد هزيمة حزيران وخرجت الجماهير الى الشارع و كانها كانت على موعد فى قلب القاهرة فى زمان لم تكن فيه فضائيات و لا ثورة اتصالات ولكنه موصول بساعة صفر مزروعة فى عقل كل مواخن عربى



وبوصلة حركة مبرمجة فى فكر كل وخنى و مشاعر وحدوية منحوتة فى وجدان كل الشعب العربى الذى كان يناضل من اجل الحفاظ على الهوية العربية و التى منذ ان بدأت تتهاوى قلاعها و يتمزق شراعها فى بحار الخلافات العربيه امتد الوهن والداء ينخر فى جذور الهوية الاسلاميه و يشوه الثوابت التى اصبحت مطية الاهواء و حجة الفرقاء!

وكانت الحرب الباردة فى ذروة اشتعالها وكان اعداء اليوم اصدقاء الامس لا يجدون منفذا الى قلب الامة و لا مطيه الى معاقل الدين فلجاوا الى أدلجة الصراع بين الاحزاب السياسيه فى البلاد فى وقت كان فيه الخلاف بين (الختميه) و (الانصار) اكبر خائفتين سياسيتين فى البلاد لا يفوق فى حدته و شدته الخلاف بين مشجعى الهلال و المريخ من افراد البيت الواحد فى السودان.

وكان الاتحاد السوفيتى الذى يدافع عن قضايا العرب تحت سقف نشر الاشتراكيه فى الدول الصديقه يقف فى مواجته الغرب الذى يسعى الى فض الشراكة بين القوميين و الاسلاميين تحت شعار محاربة الالحاد و العلمانية سعيا وراء تقويض اركان القومية العربيه بدس السم فى الدسم و ترويج مؤامرة تفريغ القضية الفلسطينيه من مضمونها الاسلامى الى مسخها العلمانى هنا بدأ الصراع الحقيقى و المفتعل فى خلق المحاور و دق المسامير فى نعش القومية العربيه

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى انقلبت صداقة الامس الى عداوة اليوم فى ملاحقة الاسلام تحت مسمى محاربة (الارهاب) مقابل محاربة الاشتراكية بالامس تحت مسمى محاربة (الالحاد) و شتان ما بين الاثنين فى الغاية و الوسيله. والواقع انه لم تكن هناك حرب (عقائد) و انما حرب (مصالح) الاولى دارت بالاستخبارات و الاخيرة تدور بالاستخبارات و الدبابات معا.

وهكذا تبلورت الصورة فانهيار الاتحاد السوفيتى و تصدع الثوابت الفكرية للقومية العربية ادى الى تداعيات تشرذم منظومة من الخليج الى المحيط الى جزر معزولة تحتاج الى جسور معلقة للتواصل فى محيط الخلافات السياسيه والعقائدية..

و ما أشبه الليلة بالبارحة..فاستشرت سياسة التشكيك فى الانتماء و نزعة التطرف و الاقصاء للطرف الاخر حتى بين خوائف المسلمين انفسهم وهم يستصحبون قوله تعالى( وخلقناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا) صدق الله العظيم وهيأت واقعا محزنا جعل ما كان يبدو للقوى المعادية أشبه بحلم إبليس بالجنة يتحقق بفعل بعض أهل الجنة.فبينما لا يزال المطلوب الاول (حيا أو ميتا) حرا خليقا اصبح الاسلام ذاته المطارد الوحيد فى الساحة والمطلوب الاخير بكل الوسائل المتاحة حتى لو كانت اخذ البرئ بجريرة المذنب وهذا مصدر شقاء العالم اجمع..و للحديث بقيه

## وحدة المصير (٣)

على الصعيد الأفريقي شهدت الستينيات غليانا وخنيا فى كل دول القارة بداية بحرب التحرير فى الجزائر الى ثورة السود ضد التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا وارتبطت بولادة (جبهة الصمود و التصدى) من الشام الى اليمن ومن المحيط الى الخليج وذلك كاحد تداعيات انتصار حرب السويس والتي اشعلت فتيل التحرير فى كل اخراف القارة السمراء وزعزعت تحالفات الاستعمار الغربى بعد معارضة امريكا للعدوان الثلاثى بقيادة بريطانيا و فرنسا واسرائيل عام ١٩٥٦ و قبل ان تتسلح الدول العربية بالنفط و تستقوى بقيام منظومة الكتلة الخليجيه فى حرب العبور

ولكن وجود منظمة دول عدم الانحياز كانت قد رسمت الحدود الفاصلة فى مفهوم سيادة الدول بقيادة عبد الناصر فى مصر و سوكارنو فى اندونيسيا و نهرو فى الهند و المارشال تيتو فى يوغسلافيا وأحمد سيكتورى فى غينيا و كوامى نكروما فى غانا و الزعيم الازهرى فى السودان

وبين نضال جومو كنياتا فى كينيا وثورا المقاومة فى روديسيا الشمالية ضد حكم (إيان سميث) وقف السودان الصوت الذى لا يعلى عليه فى تنظيم الادوار بين الاخراف مستلهما قوة مصر فى قيادة المنظمة و كان (مؤتمر باندونج) محطه فاصله فى تحديد موقع السودان فى الخريطة الجيوسياسيه واصبح الرقم الذى لا يمكن القفز فوقه فى صناعة القرار فى منظمة الوحدة الافريقية فى زمان لم تعرف فيه الزعامات الافريقية ذل الانكسار

وقد تميزت هذه المرحلة باكبر قدر من التضامن بين منظمة دول عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية ..الوحد العربية الافريقية التى جعلت غالبية الدول الافريقية تتبرأ من أى علاقة دبلوماسية مع اسرائيل وتشيد بقرارات الشجب و الادانه والتى أصبحت أثرا بعد عين والتى تصدر من مجلس الامن و الامم المتحدة ضد خروقاتها المتعدده

واذكر اننى سافرت فى عام ١٩٨٦الى بيروت (لدار الثقافة) لطباعة ديوانى الأول ( الضياء والحريق) فى زمان مقولة ( القاهرة تكتب و بيروت تطبع و الخرجوم تقرأ) والتقيت بالأخ الصديق والشاعر الرقيق السر دوليب الذى كان يحضر للماجستير فى علم النفس فى الجامعة الامريكية ببيروت والمفكر السياسى الاستاذ فرانسيس دينق خريج جامعة الخرجوم وقال لى..لقد اشتهر الشاعر الفيتورى فى الأوساط الأدبية فى لبنان بشاعر افريقيا وأرى ان معظم شعرك فى القضية العربية فهل نحن عرب أم أفارقه؟ فقلت له ان الشاعر الفيتورى يعيش فى قلب الأمة العربية ويكتب لأفريقيا وانا سافرت الى أرض فلسطين بدعوة لأرى بعينى وكتبت ما رأيت..قال لى اننى أمزح معك فلا تغضب.قلت له: ان منظمة الوحدة الافريقية تضم عربيا و افارقه! فهل هى عربيه أم أفريقيه؟.انهما الاثنان معا..

والحق كذلك فقد شهدت الخرجوم المؤتمر التاريخى و (لاءأت الخرجوم الثلاث) والتى رفعت استحقاقات القضية العربية الى اعلى سقف يصعب التنازل عنه او النزول منه فاصبحت الخرجوم الرقم الذى لا يمكن القفز فوقه واصبحت جسر العبور بين شمال وجنوب الصحراء وحققت الخرجوم المصالحة التاريخية بين الزعيمين العربيين الكبيرين الملك فيصل بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية والرئيس المصرى جمال عبد الناصر على يد المهنس السياسى البارع والدبلوماسية الموسوعى قطب حزب الأمة الراحل محمد أحمد محبوب وزير خارجية السودان آنذاك..

والان بعد هذا النسيج الدقيق و التلاحم العميق أين جبهة الصمود و التصدى؟ وأين منظمة دول عدم الانحياز؟ وأين منظمة الوحدة الفريقية؟ وأمل ان يكون فى هذا الحديث تحريضا للصديق الدكتور دقش خبير المنظمه ان يكتب عن الماضى و الحاضر فى هذا السياق ..فقد وجدت من الصعوبة (لممة ) الشتات والفتات من تغيير الاسماء وتعدد الزعماء وكثرة السدود وتعدد الحدود.

وبما ان السودان يمثل قلب القارة فى المساحة الجغرافية والخريطة الجيوسياسيه فان العالم ينظر الى التغيير المأمول فى مستقبل القارة من خلال الفسيفساء الموجودة فى ارض السودان

واذكر فى مؤتمر صحفى عالمى عقده الرئيس جمال عبد الناصر بعد ان رفضت امريكا تمويل السد العالى وبعد محادثات مياه النيل قال ( اننا يجب الان نخطئ فى حساباتنا مع السودان فهو العمق الحقيقى و الاستراتيجى للأمن القومى المصرى) فقال له احد الصحافيين: هذا فى موضوع المياه؟ قال : هذا من أجل مصر..ان أى خطر يهدد حدود السودان يكشف ظهرنا الى واقع البحر امامكم والعدو وراءكم ..هذه الجغرافيا و التاريخ)

هذه شهادة على العصر من زعيم كان يصنع الاحداث ولا تصنعه الاحداث..فليت صناع القرار داخل و خارج السودان يعيدون قراءة التناريخ والجغرافيا ويقدرّون حقيقة ما يحاك للسودان للوصول الى اخراف القارة الممتدة وعمق مصر المستهدفة فى الخطة البعيدة المدى فى مسلسل التقسيم و التهجير الداخلى و ترسيم الحدود واعادة تشكيل الشرق الاوسط الكبير فى حرب المياه القادمة والتي بدأت منذ ان فكرت اسرائيل فى تحويل مجرى النيل ودخلت الصراع مع (عيدى أمين) الزعيم الظاهرة فى أوغندا و الذى اتهم فى عقلانيته ووضح ان حتى العقلانيه مرتبطه بالمصالح.(كن تابعا لتكون عاقلا)

يخطئ كثيرا فى حق الوغى من يتصور أو يصور ما يدور فى السودان بعيدا عن هذا السياق مع الاحتفاظ بضرورة النظر فى اصلاح الوضع القائم فى الاجار العام للصراع والذى لن يرضى بديلا له لما حدث ويحدث فى العراق و الصومال على اقل تقدير ولنتذكر ان الذين كانوا يطلقون نفس المحاذير عن العراق و الصومال قبل الاحتلال ما زالوا (يؤذنون فى مالطا!). حتى وان اتضح انه لا توجد أسلحة دمار شامل أو خلايا ارهاب أو تطهير عرقى أو خرق لحقوق الانسان فان هناك أسبابا اخرى كافية فى أجندة الذين يستهدفون (وحدة المصير) فى السودان. ويكفى ان نرى اليوم اعصار الازمة المالية الأمريكية يكشف الراسمالية العالمية تترنح فى حلبة الملاكمة ويخرج ساكن البيت الابيض بعد ان دخل بالعالم الى حافة الهاوية بالضربة القاضية..والله أعلم؟!!

## موال الغلابه

أيها السابح فى بحر الكآبه  
ضد تيار التمزق و التداعى و الرتابه  
جسدك المغموس فى مليون جرح و اصابه  
وجهك (المنتفخ) من أرق الليالى ..لون فانوس الرقابه  
لا ترى شط الوصول على مدى خجل الخرابه  
فى النهايه قد تلاقى كل وجه حائرا فى ليل غابه  
قابضا فى كفه جمرات صوفى ( الصلابه)  
انه عصر التردى ..  
بدء خطوات التراجع عن بطولات الصحابه  
عهد اغماد السيوف ..وكسر أشواك المهابه  
أيها الاتى بلا وجه..  
بلا عنوان عن صلة القرابه  
هاربا من لعنة التاريخ..  
يركب قارب الاحزان ..يمخر فى ذرى الموج عبابه

عالقاً فى رأس مجداف التداعى يحمل الريح ضبابه  
لا تصدق ان فى وقت الهروب تكون للباب رحابه  
عندما تنطفئ فى الشفتين نار الضحك..كلمات الدعابه  
ضاع جرس النعمة الشكلى على وتر الربابه  
مات وهج النظرة العجلى ونزوات الصبابه  
قولك الماثور أخفاً شعله التاريخ من لهب الخطابه  
ثم ماذا؟.. ينهض الموتى  
كما تشتعل فى الظلمات أعقاب الذؤابه  
فالمحال الآن يبدو ممكناً...  
هكذا قد فسر العراف لغز الاستجابه  
يا صبايا..هزت الريح رؤوس النخل فالتقطوا رجا به  
واملاوا الاقداح من غثيان أمعاء السحابه  
أيها الحارس هذا عاشق  
قد خبير الصبر على العشق صوابه  
لعنة العشق تطارد فارساً.. عاد نصف الليل ممتطياً ركابه  
أوصد الحراس أبواب الهوى..



صمم التمثال من خزف الغرابه  
قد تناسى فى زمان الجهل أشكال القراءة و الكتابه  
لا تلمه.. لو أتى متعجلاً.. مستأذناً..  
أشارد النظرات منتظرا سرايه  
باكى الكلمات ينعى اغترابه  
وعذابات تذكره عذابه  
أسفا قد ضيعته لوعة العشاق أو ضيعها  
لم يعد يحتمل أوجاع الاصابه  
أيها العاشق من رجع الصدى...  
ابكت المعشوق اصداء الربابه  
أيها المقتول من فرط الأسى  
حسبك الناي و موال الغلابه

مايو ١٩٨٢

ص ٣١ - ديوان ( أشباح المدينه) المجلد الثانى-المجموعة الشعرية الكاملة

## ثم ماذا بعد؟؟

فى ظنى-وبعض الظن إثم- ان العالم كله وخاصة النامى والمتنامى و النائم و المتناوم سوف يتنفس الصعداء بعد نهاية الانتخابات الامريكية الجارية لا لان احدا بعينه سوف يدخل البيت الابيض ولكن قطعاً لان احدا بعينه سوف يخرج منه!!

لقد أدخل العالم كله سجنًا كبيرًا يشاهد فى شاشاته الدموية المعلقة فى اركانها الاربعه مسلسل افلام الرعب (هيتشكوك) على مدى ثمان سنوات وعاش فى حالة رعب أشبه بالكابوس فلم يكن حلما مخيفا تتواصل ماساته ولازلاعا عنيفا تحس هزاته أو اعصارا تدميريا تقدر درجاته ولكنه مزيج من كل هذه الالهوال المروعه التى ينام ويصحو عليها العالم ليل نهار..

والحق يقال ما عاد يهم من سيدخل لاننا فى رهاننا الطويل على نتائج انتخابات الاخرين نسينا فكرة الانتخابات لدينا واصابتنا الأميه الديمقراخيه واصبحنا نتلقى الدروس الخاخئءه من غيرنا و نحاول تطبيقها علينا ونفشل لاننا نسينا لعبة الاقتراع.. ولغة الحوار و الاقناع

وفى ظنى قد لا يكون البديل اكثر رحمة او أقل قسوه وهذا لا يهم لو اخذنا اقدارنا بايدينا ووضعنا مصالحنا نصب عيوننا ولكن سوف يسعد العالم حقا رؤية من سيخرج حتى يلتقط العالم انفاسه من التشوهات التى حدثت فى خريطة العالم والجراحات التى مسخت جغرافية العقل البشرى بصورة لم تكن فى حسابات اكثر المتشائمين و نبوءة أسوأ المنجمين

ثم ماذا بعد؟ بعد كل هذا ليت لونا واحدا قد تغير فى قوس قزح التعاسه التى ظللت فضاءات العالم وليت مفهوما واحدا ترسخ فى قاموس السياسه الذى ازداد اضطرابا من خلط الاوراق بعد انقلاب الهرم التقليدى للدبلوماسيه وانهيار اخلاقيات المؤسسات الدوليه بل ليت أمنيه واحده قد تحققت من

حزمة امنيات الحرية و الديمقراطيةيه و حقوق الانسان التى دخلنا بها النفق المظلم .. وأى انسان ؟..بل  
ليت اللون الابيض و الاسود ظل كما هو و لم يصبنا عمى الالوان !

لقد ظن كثيرون ان انهيار الاتحاد السوفيتى كان بداية زوال الانظمة الشموليه و شروق  
شمس الديمقراطيةيه فتمخض الحمل وولد نظاما (مكيا فيليا ) فيه..الغاية تبرر الوسيله..شعاره:  
تقسيم المقسم و تفتيت المفتت..تدمير الداخل من الداخل وفصل الباقي من البقيه.

فاصبح اخوة السلاح المحاربين ضد الاتحاد السوفيتى فى الماضى أول المستهدفين فى عقيدة  
النظام العالمى الجديد فى الحاضر لان دورهم انتهى فى أجندة المعيار المزدوج و لغة المصالح  
الخاصة..المعيار الاخلاقى الجديد فى تحديد العداوة و الصداقه.

و سياسة العصا والجزره المذلة دفعت روسيا الى دخول (جورجيا) فى وضح النهار وهى فى عمق  
دائرة اهتمام حلف الناتو مثلما دخل الاتحاد السوفيتى السابق (تشيكوسلوفاكيا) فى قارعة  
الضحى فى ١٩٦٨ م وهى فى قلب حلف (وارسو) وعلى مرمى حجر من حدود الناتو وهكذا رمت  
بالكرة فى مرمى النظام العالمى الجديد مبشرة بنذر حرب باردة جديدة..متعددة الاقطاب (وكاننا  
يابدر لارحنا و لا جينا) بعد اربعة عقود من النكوص بالعهود

وحتى خيرة الاصدقاء الذين قدموا الطاعة قبل الولاء بدأوار يتساقطون كثمار مشمشة  
عجوزن كما قال الشاعر نزار قبانى و لا أحد يزرع الدموع عليهم او يتعهد بتوفير ملاذ آمن او ملجأ  
اخير اليهم بعد ان فقدوا سند شعوبهم فى الانقياد الاعمى لاحترام الشرعية الدولية التى لم ترع  
شرعا و لم تحترم دوله..وهذه باكستان تتحرر من عبودية السلطان و افغانستان تشهد عودة  
(خالبان) و التى شيعها النظام العالمى الجديد الى مزبلة التاريخ..و العراق ما زال يحترق مثل روما  
القديمة بعد كل سنوات (الفوضى الخلاقة) من حملات التدمير الجماعى فى (صيف الغضب) و

خريف الموت) و(ر شتاء جهنم) الى اخر المسميات التراجيديه يبحثون عن مخرج يحفظ ماء الوجه وقبل ان يهضم العالم حيثيات الدخول اصطدموا بالبحث فى سيناريوهات الخروج... و الداخل مفقود و الخارج مولود.

و فلسطين...ارض الميعاد وصخرة سيزيف التى تتدحرج من قمة الجبل الى قاع السفح مع كل زيارة مكوكية ما زالت تحت نيران الحريق و خريطة الطريق التى قادت الى جهنم الفرقة و الشتات..وفى نهاية فترة الحمل الكاذب للادارة الحالية تعطى اشارة ولادة متعسرة لجنين مشوه لن يرى النور حتى بالولادة القيصريّة التى يجرى الاعداد لهل بين رئيس مغادر و شريك مكابر.

ثم ماذا بعد؟ و الحملة الكبرى التى انطلقت مع صفارة البداية لمحاربة الارهاب تعثرت فى كل خطواتها من التخطيط لاسقاط الحكومات بتغيير الانظمة من الداخل اما بتأجيج الصراعات الداخليه او تنشيط الخلايا النائمه تحت شعار حقوق الانسان

فانتهت اغلب السيناريوهات الى صعود اكثر الاحزاب المعارضه وأغلب القوى المناهضة حتى فى امريكا اللاتينية.الحديقه الخلفيه التى وصلت درجة الصدام!؟ فلم تنكسر شوكة الارهاب وعادت أشبه بصورتها الاولى الى خط الدفاع الاول قبيل الدخول فى جحيم العراق

ثم ماذا بعد؟ وأخيرا تململ الدب الروسى من فرط الاذلال وكشرت ايران عن انيابها بعد ذل السؤال فاهتزت جبال القوقاز أمام حدود النانو لتعيد صياغة معادلة الاقطاب فوجدت امريكا نفسها من حيث تدرى و لا تدرى ان القطب الاوحد قد انجب اقطابا اخرى تتعدد و تتمدد و ربما تتوحد فى وجه الهيمنة التى خرجت من لهيب احداث الحادى عشر من سبتمبر لتغيب فى خضم انتخابات القادم فى نوفمبر.

فى نظرى- وهذا لىس من باب التفكفر الرغبوى- ان امركا سآءء نفسها قد آرآء مع ساكن البىء الابىض وهى اقل قوة و اءنى شعبىه مما كانت علىه قبل ءخوله فىه وان الءول المارآة صارت أكآر رهبه وأشء رغبه مما كانت علىه بعء آروجه منه..

آم ماآا بعء ؟ لىء قومى يعلمون

## صدى صوت العقل

فى السنوات الاخيره أصيب العالم بمرض الدوار..وأخذ يدور حول نفسه كالطائر الذبيح..يسقط على الارض و يخبط على الجدار ويصطدم بالنافذة ولا يرى الباب الذى أحكم رتاجه منذ الحادى عشر من سبتمبر.

و بعيدا عن هوس السياسه وهواية الارتزاق من هموم الآخرين وهوى النفس الامارة بالسوء فان الصدى القادم من بعيد لا يستمع اليه الا من أنصت بحواسه الخمس لصوت العقل الذى يؤكد ان منطق القوة قد زلزل كل المعايير الثابتة و المتغيره وهدم كل المفاهيم القديمة و الجديدة و رسم بين الابيض و الاسود منطقة رمادية ليمشى فيها دون فضح نواياه و وضع بين الحق و الباطل معايير اذواجية حتى يخلط بين البرئ و المذنب و جعل بين الخطأ و الصواب علاقة نسبية لكى يقفز فوق القيم الانسانية و الشرائع الدولية..وهذا ما حدث و يحدث و سيظل لفترة خويلة قادمة الى ان يصل صوت العقل لكل الاذان و يدخل فى كل و جدان و نتعلم كيف نتعامل مع عالم اليوم..بقوة الحق لا بحق القوة

اننا نحتاج الى استعمال العقل أكثر من أى وقت مضى لأن العقل لا يخذل صاحبه حتى وان ذلت قدماه مرة لانه غير معصوم و لان السلوك العقلانى محسوب العواقب و هو الذى يحمى انضباط سلوك الفرد من الذوبان فى غوغائية الجماعة..ولعل مفهوم ( الفوضى الخلاقة ) الذى دخل القاموس السياسى حديثا أكبر دلالة على هذا المعنى..ففى ظل الانفلات الأمنى و سيطرة العنف ينشغل الناس بهموم الاستقرار و يتفرغ المخططون للفوضى بانتهاك القانون و نهب الثروات فى سياق منظم..كالحص الذى يدخل بيتا تشتعل فيه النار و الناس مشغولون باخفاء الحريق و هو منهمك فى نهب المغتنيات التى رصد موقعها قبل اشعال الحريق..و الحريق لا يقف عند المنزل او الحاره او

المدينة ولكن قد يمتد الى بقية الدوله و الدول المجاوره لان العنف أصبح مرضا معديا ينتقل بواسطة جرثومة السلاح والتي تتوفر بارخص من ثمن السلع الغذائية فى الاسواق خاصة وسط الحروب القبلية والعنصرية.

ولذلك عملت (بيوت الخبرة) فى صناعة الحروب على تراجع عبارة (تجارالحروب) فى قاموس الاعلام لان الموروث الاستعماري القديم قد ذاب كالجليد فى أتون الحروب الجديدة المغلفة كالمسدس الكاتم الصوت و الذى يؤدي المهمة بلاصدى و لا ضوضاء.

فارتفعت راية ( مكافحة الارهاب ) بديلا لعبارة (حرب الارهاب) لانها هى الوجه القبيح فى الاصل بعد معالجته بالمساحيق ليكون اخف وقعا على نفس الضحية و ضمير الشرعية الدولية فى وقت أصبح فيه تعريف كلمة ( الارهاب ) من اكبر التحديات و التى عجزت كل المؤسسات الدولية فى ايجاد تعريف لها..لانها كلمة حق يراد بها باخل. ومن فرط ما يجرى من تغييرات على هذه المسميات فقد اصبح تعريف الارهاب هلامى الشكل زئبقى المضمون..لانه احد مظاهر الفوضى الخلاقه) و تحت هذا المسمى يمكن ان تدرج فى نفس القائمه و تقدم الى نفس المحكمه من يقتل من اجل السرقة و من يحارب من أجل المبدأ و من يدافع من اجل كرامة الوخن..

وهكذا تختلط المبادئ و تندثر القيم و تتصادم المفاهيم فيشتد صراع الحضارات.وهناك مراكز(أكاديمية ) متخصصة مزودة بكوادربشرية مؤهلة لتلعب هذا الدور فى نسيج الاوهام و صناعة الاكاذيب مستقلة وسائل الاعلام الحديثة بمهنية عالية و تقنية متطوره حتى لا يصل صدى صوت العقل الى أذان المستمعين فى حيرة أو يحرك قلوب الواهمين فى غفلة يجترون دسم ( العولمة) كالمعزة فى ظل القيلولة..

أقول قولى هذا واستغفر الله لى و لكم..و للحديث بقية

## صوت العقل..لماذا؟

لأن صوت العقل يدفعنا لتساءل لماذا وكيف شكلت محكمة جرائم الحرب الدولييه؟ ومن يحاكم من؟ وكيف امتنعت عن عضويتها دول هي الخصم والحكم في اغلب القضايا؟  
ولأن صوت العقل يجعلنا نتساءل لماذا قضية دارفور بالذات؟ في هذا الوقت بالذات؟ في هذه الصورة بالذات؟

اننى أود أن أعترف مسبقا وأقرر صادقا أن لدارفور قضية مثل ما لبقية الأقاليم ولا أعتقد أن عاقلا واحدا في البلاد يتصور ان انكار هذا الحق قد يقود الى سلام..وأى سلام؟  
لقد قلت للمسئول الكبير الذى جاء الى أبوظبى فى الملحقية بالسفارة السودانية مبشرا بالسلام اثناء محادثات

( نيفاشا ):ليتكم أخذتم قضية السلام فى السودان صفقة واحدة تحت هذه المظلة الدولية - شمالا و جنوبا شرقا و غربا لان السلام لا يتجزأ لأن الأصل فى القضية اكبر من توحيد الشمال والجنوب وانما تقسيم السودان كله وما يجرى فى دارفور بعض مؤشرات التدويل .ورد المسئول :هل تطأخى الدوله رأسها لكل من حمل السلاح؟ وقلت:

أرى تحت الرماد وميض نار...ويوشك أن يكون له ضرام



وعاد المسئول الى الخرطوم واندلعت النار بعد بضعة أسابيع.وقد ذكرت هذا فى حوار صحفى مع صحيفة ( الوان ) عندما حضرت للمشاركة فى مؤتمر ( السلام والصحة النفسية) و الذى نظمته جمعية الأخباء النفسانيين السودانية فى مركز الشهيد الزبير بالخرطوم فى ٢٠٠٢/٣/٦

و لا زلت أقول أن قضية دارفور صعدت الى رأس قائمة الأجندة السياسية الدولية بفعل فاعل وجد ان ما لم يتحقق من خلال اتفاقية نيفاشا يتم استكمالها فى دارفور وهذا ما يجرى خبىئه فى أروقة المحكمة الدولية لأن حساسية الصراع بين الأديان بين الشمال و الجنوب لم يساعد فى حل مشكلة ( الارهاب ) ولكن دارفور المسلمة حتى النخاع و التى صدرت الاسلام الى قلب السودان يمكن أن تكون بديلا موضوعيا لاستمرار الصراع تحت شعار الحرب بين العرب و الأفارقة والذى تحول اضافة الى عنصر البيض و السود..ذلك الوجه القبيح و التاريخ الأسود الذى يؤرق مضاجع انصار المحكمة الدولية.

ولماذا فى هذا الوقت بالذات ؟ لأن التوقيت يصادف فى السودان تنامى لغة الحوار و تزايد أنصار الوحدة و هدوء جبهة الجنوب ووضوح ملامح الانتخابات القادمة و ( حلحلة ) عقدة أبيي و صعود عائدات البترول و ازدهار الاستثمار الأجنبى و فشل الحصار فى معركة كسر العظم .

ولماذا فى هذه الصورة بالذات؟ لان هذه أحدث أسلحة ( الفوضى الخلاقة ) التى هلكت لبنان و دمرت العراق و مسحت الصومال من الوجود و هى أكثر وسائل الحروب الحديثة فعالية فى تقسيم الداخل من الداخل و تفتيت الباقي من البقية.. ولكل هذه الاسباب مجتمعة فان صوت العقل يقول ان لا نتعامل مع هذه الأجندة الثابتة بروح الفعل ورد الفعل..لأن أفعالهم مدروسة سلفا و معدة فى (خريطة خريق) فى يد فريق عمل يهين الظروف المناسبة للتنفيذ و لكن ردود أفعالنا قد تكون انفعالية فى القول عشوائية فى الفعل

والقوى المضادة ترصد الأقوال و الأفعال وتقرأ الكلمات و تحلل المضامين خاصة من الكبار و صناع القرار وتخضع هذه الرسائل لدراسة متخصصة تصنع منها أسانيد ادانة و أدلة جنائية وهى تجعل من هتاف جماعة أمام سفارة او التحرش بالقوات الدولية كاختطاف بضعة جنود دليلا على عدم الاستقرار ينشر بأكبر المانشيتات وفى أشهر الصحف العالمية ثم سحب القوات او تقليص البعثات او ترحيل العائلات وهو اعلى درجات حالة الفوضى فى مفهوم المواخن الغربى..

و لأننا لا نحتاج الى ( تعبئة مستدامة ) بالداخل على هذا النمط نحتاج الى وجود مكثف فى الاعلام الخارجى بتكثيف الاتصالات ونقل المعركة من الشارع السودانى الى الشوارع الاجنبية لان الغرب لا يسمع اذاعاتنا و لا يشاهد فضائياتنا وهذه من تجربة شخصية خارج الوخن وقد اصبح الاعلام من أقوى أسلحة أى معركة فكرية فى عالم اليوم.. وفى الحديث الشريف ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ) صدق رسول الله.. ولكل مقام مقال فليكن القول لاصحاب القضية من دارفور و قادة الراى فى الجنوب و وسائل الاعلام الراشدة و الشخصيات ذات الوزن السياسى المشهود لها بالحكمة و تقدير المسئولية.

وقد جنينا كثيرا من ثمار هذا النهج العقلانى من الدول الصديقة و المنظمات الدولية المتجردة و الشخصيات العالمية المؤثرة فى ردة الهجوم المعاكس و تراجع الاندفاع الأعمى نحو فرض واقع مؤسف على البلاد ينبغى ان يفتح عيوننا ليل نهار على أن هذا المد و الجزر سيظل سمة المرحلة القادمة..

فلنثبت أقدامنا على قوة الحق لا حق القوة و صوت العقل و لا يصح الا الصحيح ..وللحديث

بقية

## رحلة بين (الصافيه) ..(وساريه)

دعانا الصديق الراحل المقيم البروفسير عمر بليل عطرالله ثراه جميع زملائه خلاب داخلية كلية الطب بجامعة الخرخوم لمشاركته حفل زفاف شقيقه الاكبر البروفسير عثمان بليل الاستاذ بكلية الزراعة بشمبات فى ضاحية الصافيه فى عام ١٩٦٣م وكانت ليلة من (حديث المدينة) ورجعنا فى الساعات الاولى من الصباح .

فى اليوم التالى كتبت قصيدة بعنوان ( ليالى الصافيه) نشرتها فى ديوانى الاول ( الضياء والحريق) فى الموقع اللاكترونى. وفى عام ١٩٦٦م سكنت فى (عيادة كلارا) فى شارع المعونه حى المزاد الخرخوم بحرى وفى ليلة مباراة كاس العالم بين انجلترا و البرتقال التى فازت فيها انجلترا لآخر مرة زارنى رجل البر الراحل الحاج الصافى مع زوجته مستشفيا لابنته الصغرى واكرمنى الله فيها..وبمناسبة الفوز وأثناء اللقاءعرض على قطعة سكنيه فى الصافيه باربعين جنيها وبالتسيط المريح اكراما لى فشكرته ووعدته بالتفكير.

فى اليوم التالى همس فى أذنى صديق ناصح (هذه منطقة الكرتون خارج المدينة) فاعتذرت فى اليوم التالى بأدب جم لاعود بعد عملى فى (مدينة جوبا) واسكن بالايجار فى نفس المنطقة بنفس المبلغ لاسافر وعود من البعثه وابحث عن نفس السكن بالملايين وكان أبعد من منالى ولا حياة لمن تنادى..

اكتفيت بارض المغتربين فى أخراف الخرخوم آنذاك والان وقد ترهلت وتكرشت واصبحت ضائقة بمن فيها خانقة لمن عليها فكرت فى الخروج من عنق الزجاجه الى اخراف المدينة ويممت وجهى شطر (مجمع ساريه) السكنى وهمس فى أذنى صديق ناصح مرة أخرى ( هذه منطقة

كرتونية خارج المدينة) قلت له: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين. فبعد بضع سنين سوف تكون رحلتى ما بين (صافية بحرى) و(سارية الخرخوم) أقل مشقة من معاناة غربتى الاولى فى بريطانيا وهجرتى الثانية للخليج

وقد وصلتنى اليوم من الخرخوم تهنئة عيد الأضحى فى رسالة قصيرة من السيد حافظ عثمان من أسرة ساربه أرد عليها شعرا بنفس قافية قصيدة (ليالى الصافيه) قبل اكثر من اربعين سنه فى عمر الزمن مقابل اكثر من اربعين دقيقه هى مسافة خريق الرحلة بين الضاحيتين... وما أشبه الليلة بالبارحة

والى اللقاء مع القصيدة...!؟؟

## بطاقة معايدة..الى (أسرة ساربه)

وارسل سلامى للوجوه الباهيه  
تنداح نورا فى النفوس الراضيه  
لقصيدة نظمت باحلى قافيه  
أشتات ذكرى من بقايا باقيه  
بحشاشتى تبكى دموعا جاريه  
وأدق ما فى الوصف دمعة باكيه  
ما كان قلبى عن ربوعك نائيا  
أحيا حياتى فى ربوع (الصفاه)  
معشوقه من كل عشق خاويه  
فى أجمل الاحياء أرقى ضاحيه  
عن قطعة فى أرضها المتراميه  
ومزادها يزداد حمى عاليه  
ماذا يروك فى (مجمع ساربه؟)  
تحيا حياتك متعة متناهيه  
حول المدينه رائحا أم غاديا  
ستكون أروع ذكريا تى الآتية  
موجا تصارعه الرياح العاتيه  
حتى يلامس قلب تلك الضاحيه  
فوق الحدائق و الزهورالناميه  
قد جاء من تلك البقاع النائيه  
ليحط فى اعلى غصون الداليه  
أنفاسه عبقا و رشت عافيه  
باقات ورد فى رحاب الناصيه  
فى حضن (فيلا) فوق تلك الرابيه

بلغ معايدتى (لأسرة ساربه)  
واحمل تحايا العيد فيض محبة  
وهديتى فى العيد بعض مقامح  
حملت اليك خطاى قصة غريه  
انفقت فيها غريه مشبوهه  
حبا لارض قد عشقت ترابها  
فان اغتربت وخال بعدى نائيا  
فى عزايام الشباب وغايتى  
قد حذرونى من مغبة عشقها  
وسكنتها فوجدت أحلى موقع  
وتركتها لأعود أبحث يائسا  
فوجدتها أعلى الأراضى قيمة  
والآن يسالنى الرفاق بدهشة  
وتعيش فى الخرخوم وسط مدينه  
إنى سئمت العيش فى دوامه  
إنى أبشركم باجمل بقعه  
أنا فى الطريق أقود قارب عودتى  
فافرش بساط الريح فى خرقاتها  
رش العطور على مداخل سورها  
حلق على أفق (المجمع) خائرا  
فأحس خفقان الهوى فى قلبه  
فى ليلة شتويه قد عطرت  
لما رأى مأواه حزمه سوسن  
مازال يبنى فى بقايا عشه

لأعيش أجمل ما تبقى متعة  
أشتم رائحة الدعاش تلفنى  
تمتلئ رثى بالهواء فانتشى  
قد عشت بدء حكايتى فى (الصافيه)  
حبلى باصناف القطوف الدانيه  
وتظلنى سحب الغمام الحانيه  
بين الشوارع والبيوت الراقيه  
لأعيش آخر قصتى فى (ساريه)

سلطان نظمت هذه القصيدة ردا على التهنية الرقيقة بعيد الأضحى المبارك

من (أسرة سارية) والتي بعث لى بها السيد /حافظ عثمان من الخرطوم

## فرحة الأعياد

تعيش البلاد هذه الايام فرحة عيد الأضحى المبارك موصولة بعيد الميلاد المجيد مقرونة بالعيد الهجرى والميلادى فى عناق يرسم ملامح العام الجديد بداية بعيد الاستقلال...

يقول المثل الأنجليزى ( الحياة جميلة بلون نظرتك اليها .. قبيحة بقدر عطائك فيها " وربما تكون الترجمة أقل قدرة على التعبير عن المعنى الذى يقول أننا بقدر ما نصنع الحياة ونتعب فيها نستمتع بها وبقدر ما نتشاءم منها ونضجربها تعبس فى وجوهنا كما يقول الشاعر ايليا أبو ماضى:

أيها المشتكى وما بك داء      كن جميلا ترى الوجود جميلا

وكثيرون هم الذين يشتكون من شتى العلل ولا يضعون يدهم على داء .. لأنها حالة وهم فى كثير من الاحيان يقاومون فيها الرغبة فى رؤية الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلته      كما أن عين السخط تبدى المساويا

وعيون الرضا هذه هى التى لاتبصرالعيوب فى وضح النهار .. وعيون السخط هذه هى التى تتصيدا فى عتمة الليل لانها تتحرك بالدوافع الغريزية للانسان فى الحب والكرهية وفى الجانب الآخر نشكو من قسوة الدهر .. وهو خوع بناننا ونحن القادرون على استخلاص الدروس ورؤية الاحداث وقراءة الواقع وسبر أغوار الماضى .. ولكننا نصر على ان زماننا تغير .. ولا نحاول ان نتغير حتى نجارى هذا الزمان .. ولكل زمان متطلبات والزمان هو قطار الحياة الذى لا يتوقف .. والمتطلبات هى الحياة ذاتها التى لا تنتهى وتؤكد:

كل ما أنبت الزمان قناة      ركب المرء فى القناة سنانا

وكل انسان بفطرته يطمع فى المزيد ويلوم الزمان الذى أصبح غير زمانه .. وهذه حقيقة ولكنها غير مقبولة حيث لا يستطيع الزمان الواحد أن يتوقف ويستقبل كل الأجيال وكل الاحداث .فلا بد ان تتوالى الأزمنة وتتغير الأمكنه .. وتتعاقب الاعياد وتقول لنا فى كل مرة:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

ونهجوذا الزمان بكل قبح ولو نطق الزمان لنا هجانا

ونحن نستقبل هذا العيد على الصعيد الخارجى متحللين من كابوس(بوش) تشيعه لعنة النعال الغاضب و خارجين من نفق الرعب الذى عشنا فيه سنوات نتطلع الى بشرىات كثيرة أولها خروج سجين قوانتانامو.. سارة بقدر ما ننظر اليها .. حزينه بقدر ما نجتر أحزان الماضى فيها ..وعلى الصعيد الداخلى لا بد أن نتطلع الى رؤية الشمس الخارجه من ظلمة السحاب الذى ظلل السودان سنوات خويله .. لقد كانت الحرب الأهلية فى الجنوب تنخر فى عظامنا .. وقد كان الجوع ينهش فى امعائنا .. وكان المرض يفتك بأرواحنا زرافات ووحدا .. وهذه ابتلاءات تطل فى حياة كل امة.. ولن نشطب فاتورة الفقر والمرض والجوع من مديونية حياتنا العامرة بالاستحقاقات ألا اذا أوفينا السلام حقه فى كل بقاع السودان .. والذين يديرون هذه الحروب الصغيرة هم نفس الذين ظلوا يشاركون بالأصالة أو الوكالة فى الحكم منذ فجر الاستقلال فى( العاصمة المثلثة) والتي كانت تمثل صفوة القادمين من اركان السودان الأربعة .. و(الكرة المثلثة) – المريخ – الهلال والمورده .. ولا توجد كرة فى السودان الا وقد خرجت من عباءة الثالوث .. والاحزاب المثلثة .. الوغنى الاتحادى .. والشعب الديمقراخى .. وحزب الأمة .. ولا يوجد حزب من أشبال الحركة السياسية الا خرج من عباءة الثالوث .. ومفاتيح السلطنة الثلاثة ..( كبرى أم درمان) و(الخرطوم بحرى) و(الاذاعة)



.. كل من أراد الصعود الى السلطة أو أفتراس الحكم قفز على ظهر دبابة فى الصباح الباكر قبل أذان الصبح .. وأخذ مفاتيح البوابات الثلاثة .. واستلم السلطة وأذاع البيان رقم (١)

والآن وقد جاءت فرحة الأعياد وقد أنتهى سيناريو العباءات الثلاث) فالحروب الصغيرة يتم تطويقها فى الجنوب والشرق والغرب والشمال) .. والثالوث الكروى وزع أشباله فى المربع الأخضر على كل أقاليم السودان .. وثالوث الاحزاب .قد أفرغت ما فى بطونها .. أحزابا صغيرة .. وجزرا متفرقة فى المحيط السياسى المتلاخم الأمواج فلم يعد هنالك أحد لا يجد مظلة سياسية يحتمى بها من هجير الحياه أ ويصل بها الى سلطه .. وقد تم اقتسام الثروة والسلطة .. وأصبحت المديریات التسع ..عشرات الحكومات الفدراليه .. وأصبح الدخول من بوابة الاذاعة أو استلام الكبارى لا يقود الى السلطه فقد تعددت الكبارى .. وانتشرت ثورة التقنية .. والفضائيات الخاصة .. والاذاعات الصغيرة .. ولم تعد اذاعة ام درمان هى المصدر الوحيد لمعرفة الأنباء .. واسم قائد الانقلاب الجديد .. وقد تخلصت البلاد تماما من مرض الانقلابات وهذه أكبر فاتورة كان يتم تسديدها دائما من مستحقات الشعب المغلوب على امره ..

وقد جاءت فرحة الأعياد والشعب يتطلع الى مرحلة لا يعكس صفوها الا الذين لا يحترمون حق الحرية للجميع .. فلا يمكن أن يصبح كل الناس حكاما .. ولا يبقى كل الناس مجرد رعايا .. غير شركاء فى صناعة القرار حتى ولو كانت دعوة حق يراد بها باخل .. فلم يكن مجرد التفكير فيها أو الحديث عنها أو الجهر بها ممكنا قبل بضع سنوات ولم يعد ممكنا السباحة عكس تيار الحرية والديمقراطية والتعددية الحزبية شئنا ام أبينا ولا خيار لمن لا يختار ..

ان هذه النظرة المتفائلة .. ليست دعوة للاستكانة والرضا بالامر الواقع دون المطالبة الجادة بالتحديث لكل مؤسسات الدولة .. وليست موالاة للنظام القائم إذا لم يجدد رؤاه ويتجرد من كل نواياه فى الالتفاف على الائتلاف .. والانحناء للعواصف والعودة الى المكر السئ بأهله ..

ولكن سوء الظن قد دفعنا الى التهلكة اكثر من عقود .. ولا نريد أن نمشى فى هذا الطريق الا بقدر الخطوات التى كتبت علينا فى الماضى ومشيناها حتى وصلنا نهاية الطريق نردد منهكين:

مشيناها خطى كتبت علينا                      ومن كتبت عليه خطى مشاها

ولا عذر لمن يسعى الى اثاره النعرات العنصرية .. وينكأ جراح الصراعات الطائفية ونحن فى أولى خطوات الطريق الى ( الدوحة) .. آخر المحطات فى قطار التسويه الذى جاب كل الآفاق يبحث عن ملاذ آمن للنازحين والمشردين

ويكفى أن نقول: (لا يصح غير الصحيح) ونؤكد ( لا غالب ولا مغلوب ولكن الوخن ضحيه) ونذكر ( من كان منكم بغير خطيئة فليرمها بحجر ) ونعيد ( وكل ابن آدم خطاء .. وخير الخطائين التوابون) .

وكل عام وانتم بخير

## وقفه على شرفة استقلال السودان

نظمت هذه القصيدة فى يناير عام ١٩٨٢ والقيت فى المركز الثقافى الاجتماعى السودانى فى مدينة (دبى) بدولة الامارات العربية المتحدة فى الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على الثورة المهدية فى السودان.. ونشرت فى صحيفة (الاتحاد) و (الخليج) وديوان (أشباح المدينة) فى المجموعة الشعرية الكاملة المجلد الثانى فى الموقع الالكترونى المنشور.

وخوق العجز الحانى وتصويرى  
جلت عن الوصف من نظم و منشور  
قرنا من العمر فى عصر الاساخير  
كذؤابة الضوء فى فجر التباشير  
حتى نخط جديدا غير مكرور  
شتى المعارك من بذل وتحرير  
حوافر الخيل فى (صحراء عتمور)  
ذات الصوارى رايات المشاهير  
تنساب ما بين تهليل و تكبير  
شيخا تحيط به حالات تقدير  
منارة العلم فى ليل الدياتير  
شعرا يعبر عن احلى تصاويرى  
جاءوا اليك بعشرات التقارير  
يختال فى دعة الاحوال ميسور  
متجاوزا كل انواع المحاذير  
ما لى أراك تناجح كل محظور؟  
ان لم تقلها فقول غير ماثور  
فالصدق يفعل فعل شهادة الزور  
وافضل الحال فيه غير منظور  
يستعذب النفخ فى كل المزامير

عفوا اذا خاننى شعرى وتعبيرى  
وجئت ياعيد تذكارا و موعظة  
ياثورة الفكر كم مر الزمان بنا  
خير المعارك انتصرت بفارسها  
اهدى لنا بضع صفحات نسطرها  
فى حقبة خوت الاعوام واندلعت  
أم المعارك فى (كررى) شواهدنا  
واعلام (شيكان) قد ظلت معانقة  
صوت المأذن من أعلى مساجدها  
فالعيد أقبل متشحا عباءته  
ما بين عيدين ظل الشعر محتضنا  
هز المشاعر والوجدان الهمنى  
ان قلت حالك يا وخننى يؤرقنى  
بعض يصنبنى من نوع مغترب  
بعض يشكك فى وخنيتى علنا  
والعاقل المؤمن المامون ينصحنى  
احفظ لسانك تكسب خير مكرمة  
واكتم شجونك لا تفصح بها حذرا  
ان قلت حالك يرضينى و يسعدنى  
قالوا تنكر مرتدا و مرتزقا

متعلقا بركاب المجد ترفعه  
يستمطر الغيث ربا فى مزارعه  
لن يوحش الله قلبا فى حشاشته  
نشكو اغترابا و لا أحد يقاسمنا  
هذا الزمان زمان لا مثيل له  
هذا يشيد أبوابا لجنته  
وغاية البعض ان يقضى حوائجه  
يزاوج الظلم و الانصاف مبتدعا  
مهما تباعدنا الايام وافترقت  
حلم الرجوع يراود كل مغترب  
ناديت باسمك ياسودان فاسمعنى  
أشتم عطرك يا وخنى تفوح به  
فامدد الى يدا عليا لتنشلنى  
لا تحسبن غريب الدار منغمسا  
انا الى الله قول الراجعين له  
والمعرضين عن الاوخان موعدهم  
والصابرين على خول النوى أبدا  
ما أحوج الشاعر الشاكى لمستمع  
أنفقت نصف حياتى تحت مطرقة  
قصيدة الشعر ظلت خيط مسبحتى  
قدر المقاتل لعنات تطاردنى  
تغير الناس من حولى وأعجزنى  
دهرى يصارعنى فى كل معترك  
وقد شكوت وما لاقيت مستمعا  
وما ارتكبت خطاياكى اكفرها  
ولست اخلب غفرانا ومغفرة

فوق المناكب وضاح الاسارير  
و ليضرب الجذب حقلا غير ممطور  
شوق الى الارض يغلى مثل تنور  
هم البقاء و لا الاحساس (بالجور)  
قد اغرق الناس فى وهم التبشير  
وذا يحلل للتقوى بتكفير  
من المأرب فى صمت وتديير  
شتى الشرائع فى كل الدساتير  
خرق المسيرة فى ليل الاعاصير  
عن الديار على ظهر المقادير  
نبضا تحرك فى قلب الجماهير  
هوج الرياح وأسراب العصافير  
من غربة خدرت حسى وتفكيرى  
فى المغريات تناسى وحشة الدور  
والمؤمنين بمقدور ومسطور  
بنيان منهدم أو جبر مكسور  
يستيقظون على احلام مذعور  
متجرد النفس من ذم وتشهير  
من قارع الطبل او من نافخ الكير  
من ربع قرن مضى نفثات مصدرور  
و ما سقطت به من حالق السور  
ترجيح كفة ميزان المعايير  
وما جنيت سوى هجرى وتهجيرى  
وقد سكت وما اجدت معاذيرى  
وما أتيت بذنب غير مغفور  
فغافر الذنب يعلم كل مستور

وما سعيت لجاه كان ينقصني  
و لاركبت جناح الشعريحملني  
لكن للشعر في قلبي قداسته  
إني أضم هوى السودان في كبدي

و لا تطاله كفى أو دنائيري  
إلى الشواخي مختصرا مشاويري  
مهما يكلفني عجزى و تقصيري  
لها من النارأم وهجا من النور

## أوباما.. لماذا؟؟

لقد كتبت فى هذه الصفحة قبل بضعة أشهر من الانتخابات الامريكية مقالة بعنوان (ثم ماذا بعد ؟؟) أقول فيها بالحرف الواحد ( فى ظنى- وبعض الظن إثم- ان العالم كله وخاصة النامى والمتنامى والنائم والمتناوم سوف يتنفس الصعداء بعد نهاية الانتخابات الامريكية الجارية لا لأن احدا بعينه سوف يدخل البيت الابيض ولكن قطعاً لأن احدا بعينه سوف يخرج منه؟! ) والآن وقد قال الشعب الامريكى كلمته فى الانتخابات الأخيره وخرج جورج بوش غير مأسوف عليه الى غير رجعة فقد آن لنا ان نتكلم وأول الكلام: أوباما لماذا؟؟

قد يكون من المنطقى و الطبيعى قبل الدخول فى متاهة الافراط فى التفاؤل او التفريط فى التشاؤم ان ننظر بعين ثاقبه و قلب مفتوح الى دلالة نتائج انتخابات الرئاسة الامريكيه على كل الاصعدة بداية بالصعيد الحزبى حيث سقط الجمهوريون مهزومين فى عقر ديارهم و معاقل دوائهم الانتخابيه وعلى الصعيد العنصرى فاز مرشح ملون و مستضعف و مصنف ومستهدف من اول السباق وعلى الصعيد النفسى قرر الشعب الامريكى بصورة منقطعة النظير وفى مناخ لم يعرفه منذ الستينيات و باجماع تجاوز كل توقعات استطلاعات الراى وقفز فوق كل التناقضات و كل الخطوط الحمراء التى و ضعها المحافظون القدامى و الجدد و بصياغة جديدة لكل مفاهيم العالم الغربى لا تزال تتناقلها الاوساط السياسيه فى همس واستحياء اخذتهم على غرة ليس فى حساب النصر و الهزيمة ولكن فى حجم هذا الاجتياح غير المسبوق و غير المنظور والذى كان و لا يزال اشبه بالصدمة عند صناع القرار حتى وان جاهروا بغير ذلك. وليس أدل على ذلك من المرشحة هيلارى كلينتون التى قالت ما لم يقله مالك فى الخمر وهى تنهياً الان للصعود الى اكثر المناصب حساسيه فاما ان تدافع عن (التغيير) الصحيح او تكشف عن الوجه الامريكى

القبیح..وكذلك الحال بالنسبة لبعض الوجوه القديمة والتي كانت سادرة فى (غى بوش) وقد قبلت المنصب تحت شعارات الرئيس الجديد فاما ان تغير لون جلدتها او تلاقى نفس نكبتها ولا خيار لمن لا يختار..ومن محاسن الصدف ان الوزراء فى الدول المتقدمة يستقيلون و لا تاخذهم العزة بالاثم فيبحثون عن من يقيلون كبش فداء.

ومن أجل عيون الحقيقه وعندما تم تعيين الجنرال كولن باول رئيسا للاركان خلفا للجنرال شوارزكوف قائد حرب ( عاصفة الصحراء) سئل بوش الأب ان كان يعتقد سوف يدخل البيت الابيض زعيم أسود فقال: نعم.. فى المستقبل..ولكن بطريقة سلميه .وجاء المستقبل الذى كان يراه بعيدا ونراه قريبا وأقرب من حبل الوريد وبطريق سلمية و حضارية وتاريخية أقت كل حقبة حكم أسرة بوش فى غياهب الجب

اذن فالمطلوب بعقلانيه شديده الا نقول ان أوباما و بوش وجهان لعملة واحدة.. نعم هى العملة الامريكه ونحن الذين من فرط ما تعودنا على رؤية الوجه الواحد للعملة فى حياتنا السياسيه أصبحنا لا نحتمل رؤية الوجه الآخر فى كل شئ ومن ليس معنا فهو ضدنا شعارنا:

صديقى من يرد الشرعنى .. ويرمى بالعداوة من رمانى

فاما هكذا والا فلا لا.. وان كان الهام والصحيح فيما أغفله التصحيح هو ان (أوباما) انتخب رئيسا لامريكا وليس لنا أو للعالم كله والافتلك حسابات أخرى تقتضى ان نعيد البصر كرتين لنستبصر ما كنا نقول ونفعل فى الماضى تجاه أمريكا. وان كانت أولوياته سوف تنصب على الشأن الداخلى فهذا من حق شعبه عليه فى ترتيب بيته من الداخل بعد ان فعل فيه بوش فعل (ديك العده) كما قال صديقنا الدكتور الجزولى دفع الله و لان (أوباما) ورث الدولة العظمى تعاني الفقر و العطالة و كراهية العالم !!؟ ولانه ما زال يرى بعينيه حتى الان وفى الفترة الانتقاليه

كيف تجرى زراعة مزيد من الالغام فى كل بؤر التوتر من عقد المعاهدات المشبوهة واثارة النعرات المكروهه وصنع الازمات والقنابل الموقوته مثلما كان يفعل الاستعمار القديم عندما يغادر البلد المستعمر. وهكذا يترك بوش البيت الابيض مفخخا بهذه التركة المثقلة لخلفه وربما يكون هذا المحرك الخفى فى أشراك بعض اخراف المؤامرة القديمه فى الادارة الجديده

إذا أردنا للسياسة الأمريكية ان تتغير فعلينا ان نتغير أيضا وليس المطلوب من السياسة الأمريكية ان تتغير فى وقت نرفض فيه نحن (التغيير).وقد قال تعالى (لن يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)صدق الله العظيم.. ويصدق علينا فى ترشيد قناعاتنا وتوخين صراعاتنا ووقف استيراد الحلول الجاهزه من الخارج حتى نجد موقعا تحت مظلة السياسة الأمريكية الداعية ذاتها للتغيير..وحتى لا تهبط أولويات قضايانا الى المرتبة السادسة حسب المصادر- فى سلم أولويات الادارة الأمريكية الملتزمة امام الناخب الأمريكى بمعالجة الازمة الاقتصادية الخانقه فى الداخل و انعكاساتها فى الخارج..وإذا اردنا مساعدة أحد فلا بد ان نحدد ماذا نريد وكيف نعبر عن هذه الارادة..فاذا كانت القضية الفلسطينيه وهى المحور الاول فى صراع الشرق الاوسط لم توحد صوت من يتحدث باسمها وكل يغنى على ليلاه وسط صراع لا يعرف احد سببه ومغزاه والى أين تقودنا خطاه ولا مع من تتكلم امريكا!!..وإذا كانت الجامعة العربية لا تجد القدر الواجب من الاجماع حتى تطاع و منظمة الوحدة الافريقية تقاوم ضغوط الانصياح ومنظمة عدم الانحيازتعانى حالة الضياع وقدر العالم الثالث كله فى كف عفريت بعد الانهيار الاقتصادى العالمى فما هى أجندتنا فى ملف (التغيير؟؟)

أخيرا أوباما لماذا؟؟ نقول لكل هذه الاسباب مجتمعة فان انتخاب (أوباما) (رسالة اعتذار) من الشعب الأمريكى لكل شعوب العالم عن الدمار السياسى و الاقتصادى و الاجتماعى و النفسى الذى حل بالعالم خلال الثمان سنوات العجاف التى تمثل الحقبة الظلامية من حكم بوش مصحوبة



ببراءة ذمّة من دم الابرياء ودعوة الى كلمة سواء.. وعلينا بالمقابل ان نبعث رسالة شكر للشعب الامريكى معبرين عن قبول الاعتذار مهئئين بفرحة الانتصار وحسن الاختيار متمنين لهم التوفيق فى (التغيير) وتصحيح المسار.. وعلينا ان نتبنى مواقف ايجابية تحسب لنا ولا تؤخذ علينا .

ولا يكفى ان ننكفئ على وجوهنا نردد مقولة الهزيمة: (انهما وجهان لعملة واحدة).. فنصبح الوجه الآخر لعملة الهزيمة ذاتها!؟

واذا كانت الكلمة الطيبة صدقة فعلينا فى هذه اللحظات الحرجة من انطلاقا السباق من البيت الابيض ان نتوقف عن ارسال الاشارات السالبة والتي تؤثر على رسم خريطة سياسة (التغيير) الجديدة وان نكون مبادرين فى المشاركة فيها بالنوايا الطيبة لبدء الحوار وفك الحصار مصدقين لما بين أيدينا فى قوله تعالى ( ولا تزر وازرة وزر اخرى ) صدق الله العظيم.

## أوباما لماذا؟ مرة أخرى

لقد كتبت فى هذه الصفحة الاخيره فى ٤ ديسمبر ٢٠٠٨ مقالة بعنوان ( أوباما لماذا؟) أقول (ان انتخاب أوباما بهذا الاجماع منقطع النظير (رسالة اعتذار) من الشعب الامريكى الى كل شعوب العالم عن الدمارو...الخ وان الهام والصحيح فيما اغفله التصحيح ان أوباما انتخب رئيسا لامريكا وليس لنا او للعالم كله والا فتلك حسابات اخرى...الخ. فاذا كانت القضية الفلسطينية و هى المحور الاول فى صراع الشرق الاوسط لم توحده صوت من يتحدث باسمها وكل يغنى على ليلاه فالى من يتكلم أوباما؟ انتهى.

فى حفل التنصيب القى أوباما خطابا حدد فيه اهم المعالم الفارقة فى (التغيير) واقوى الاشارات الايجابية فى صراعنا مع الادارة الامريكية الراحله وهى سيادة حكم القانون واحترام حقوق الانسان والتخلى عن عنجهية القوة الى احترام منطق الدبلوماسية خاصة مع الدول العربية والاسلاميه وكل شعوب العالم.

وفى اليوم التالى فى البيت الابيض وفى اول مرسوم يوقعه أمر باغلاق معتقل قوانتانامو وتعليق المحاكمات واغلاق كل المعتقلات الامريكيه المماثله خارج امريكا والتوقف عن الاعتقال التحفظى بدون محاكمات وانتهاك حقوق الانسان والتنصت على الافراد واحترام حكم القانون.

لقد كانت الشعوب العربية والاسلامية من اكبر ضحايا اختلال ميزان العدالة والمعايير المزدوجه وعدم احترام القانون وهى ابرز السمات المميزه فى حقبة بوش واذا كنا نريد التغيير فهذه اهم قواعد (التغيير) فى أى صراع فكرى او سياسى..

هذا ليس دفاعا عن أوباما ولكن من أجل عيون الحقيقه اذا كنا دعاة الحل الشامل والعاذل لقضايانا . واذا كان الوقت مبكرا للحكم على أوباما فان ما قال حتى الان حجة له لا بينة عليه .

أقول هذا وقد سمعت أحد قادة (حماس) يعلق على خطابه فى (قناة الجزيرة) بانه يسير على خطى سلفه بوش ولم يستفد من أخطائه فى المنطقه ولم يغير من سياسته تجاه اسرائيل ..والسؤال هل غيرنا نحن من سياساتنا تجاه القضايا المطروحه؟ اذا كانت العداوة بين حماس والسلطة لا تدع مجالاً لأحد يساند حماس الا وجد نفسه بالضرورة يعادى السلطة ناهيك عن اسرائيل التى لا تخفى عداها لحماس ويستعدى كلاهما عليها دول الطوق ان لم يكن العالم بأسره..واذا كانت آخر قمة عربية لم يجف مداد كلماتها من ورق البيان الختامى المخزى الذى استصدر بعملية قيصريه خطره لم يرد فيه ذكر حماس لا تلميحا ولا تصريحاً..فمع من يتكلم أوباما؟ وهل مخاخبته لحماس كان يرضى الآخرين من بنى جلدتها..ليته كان وليته فعل وما نيل المطالب بالتمنى.

ان المخطط السياسى المتسيد فى المنطقه هو تصفية حماس بالالة العسكرية الاسرائيلية وفى حالة الفشل بالعملية السياسية من خلال مسلسل المبادرات المطروحه لمنع تهريب السلاح وتأمين الممرات (الأمنه) لتوصيل الاموال لاعمار غزه تحت الرقابه الدوليه وتدمير حماس بالالتفاف حول الأخوة الأعداء واستدراجها بكماشة الترتيبات الامنية بين اسرائيل والادارة الراحله رغم خطورتها على عمق الامن العربى فى المنطقه.

انى من المناصرين (لحماس) مناصرة عقلانية فى مقاومتها ضد الاحتلال وليس ضد (السلطه) ولكن عليها ان تعيد قراءة الواقع الذى أفرزه انتصارها على مستقبل توجهاتها السياسيه وتعلم ان خيار المقاومه ليس بديلا لخيار الدبلوماسية ولكنهما متكاملان ومتلازمان فى ظل الاداره التى تبشر بنهاية العنجهية وفجر الدبلوماسية حيث كلمة (نعم) قد تعنى (ربما) وكلمة

ربما قد تعنى (لا)..وان تعيد ترتيب اوراقها مع الحليف الخصم رفيق السلاح المنشقة عليه وان يتوجه  
كلاهما بخطاب واحد الى أوباما يمثل نبض الشارع الفلسطيني..

واذا لم يكن من الممكن كسب أوباما فكريا فينبغى الا نخسره سياسيا..ويصدق فينا

قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

ونهجوذا الزمان بكل قبح ولو نطق الزمان لنا هجانا

## رسالة تونس الخضراء

عدت قبل يومين الى مدينة أبوظبى قادمة من العاصمة التونسية بعد المشاركة فى فعاليات المؤتمر الطبى المنعقد برعاية احدى شركات الصناعة الدوائية حول (الجديد فى علاج مضادات الذهان) وقد التقيت بمجموعة من الأخباء النفسانيين العرب من الخليج ودول المغرب العربى و من محاسن الصدف ان التقيت بالزميل الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد عكاشه رئيس الجمعية المصرية للطب النفسى و رئيس اتحاد الأخباء النفسانيين العرب و الرئيس السابق للاتحاد العالمى للطب النفسى ومعه الدكتور جمال التركى أستاذ الطب النفسى بتونس و مدير الموقع للأكترونى المشهور ( لشبكة العلوم النفسية العربية) وكنا نتحدث فى قاعة الفندق عن الاجتماع القادم لاتحاد الاخباء النفسانيين العرب والذي تقرر ان يعقد فى السودان و اذا تعذر فيعقد فى أبوظبى...

وما أشبه الليلة بالبارحة فقد عقد الاجتماع التاسع للاتحاد فى تونس فى عام ٢٠٠١ م وحضره صفوة من الاخباء النفسانيين السودانيين وتنازل السودان من اجل عقده فى العراق تضامنا مع الشعب الشقيق آنذاك وحدث ما حدث من ( تقسيم المقسم وتفتيت المفتت) وتقدمت الجزائر ثم تراجعت و تأجل حتى أغسطس الماضى حيث عقد بين دمشق والقاهره منفصلا و متصلا بدون ذكر تفاصيل ليس هذا مقام الحديث عنها ولكن تم الاتفاق على عقده فى عام ٢٠١٠ م فى السودان شريطة توفر الأجواء الأمنية المناسبه...

قلت للصيق الحميم البروفسير عكاشه اننى اعيش فى أبوظبى وخننى الثانى وقد شهدت له صولات وجولات فى ماراثون استضافة مؤتمرات الطب النفسى ولكن السودان وخننى الأول كان له شرف استضافه المؤتمر الأفريقى الأول للاخباء النفسانيين فى (الفندق الكبير) فى عام ١٩٦٥ م

برئاسة الراحل الكبير البروفسير التجانى الماحى وكان الدكتور عكاشه آنذاك من خلائع الأخباء الواعدين المشاركين من الشقيقة مصر ويذكر هذا بفخر كبير بعد ان أصبح رئيسا للاتحاد العالمى للأخباء النفسانيين..

قلت له لقد كنت فى الخرطوم قريبا فى أغسطس الماضى ابان فترة انعقاد المؤتمر فى دمشق وتحدثت الى الدكتور عبدالله عبد الرحمن استاذ الطب النفسى بكلية الطب جامعة الخرطوم و رئيس جمعية الأخباء النفسانيين و أوكد لك أنهم قادرون على اقامة المؤتمر. وأعطيت البروفسير عكاشة الهاتف الجوال للدكتور عبدالله عبد الرحمن فى الخرطوم ليتصل به من تونس ويتأكد منه حتى لا تتكرر أحداث الماضى وقد فعل مشكورا مؤكدا التزامه واحترامه لقرارات الاتحاد..

وعندما رجعت الى أبوظبى اتصلت بالدكتور عبدالله عبد الرحمن وأكد لى الاتصال و الاتفاق على عقد المؤتمر فى الخرطوم وربما يكون بالتزامن مع عقد المؤتمر الأفريقى. عدت وارسلت رساله الكترونيه الى كل الزملاء المعنيين داخل و خارج السودان لتأمين انعقاد المؤتمر القادم تحت مظلة ورئاسة جمعية الأخباء النفسانيين السودانية.اقول هذا وأنا أعلم سلفا استعداد أبوظبى لعقد المؤتمر وأشهد يقينا بسعادتها بانعقاده فى السودان لأن ذلك يحمل دلالات عدة للسودان الذى يخوض تجربة متميزة فى استعادة دوره الرائد فى قلب القاره السمراء و صياغه واقعه الجديد كجسر العبور بين المشرق و المغرب العربى و شمال و جنوب الصحراء الأفريقي و رابطة العقد الجيوسياسى والذى يشهد حراكا مشتركا من العمق العربى و الأفريقى وجميع انحاء العالم لا ينقطع ولسان حاله يقول:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا

وحتى لا نهون عند الآخرين علينا أن نوكد اننا قادرون على الفعل المؤثر فى استقطاب الدعم لهذه اللقاءات التى تصب فى مجرى همومنا بمستقبل الوحدة والهويه و الحوار وقضايا التضامن العربى الأفريقى على أعلى المستويات..

وهذا يصب فى قناعاتى الخاصه التى ظللت أكررها فى مقالاتى الأخيرة فى ( صحيفه الخرجوم) ولسان حالى يقول مع الشاعر:

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً صديقك لن تلقى الذى لا تعاتبه

إذا أنت لم تشرب دواما على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه؟

وهذه رساله تونس الخضراء الى جمعيه الأخباء النفسانيين السودانىه والى اتحاد الأخباء النفسانيين العرب والأفارقة والى حكومه وشعب السودان الجديد والذى يعيد كتابه التاريخ ولسان حاله يقول:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

وسوف ارسل نص هذه المقاله بعد نشرها الى جميع الأخراف المعنيه من أجل عيون الوخن

والله وراء القصد !!

## حنتوب وأخواتها؟؟

أهدانى الأديب الصديق و الشاعر الرقيق الاستاذ كامل عبد الماجد كتيبه النضير المتميز ( حنتوب الجميله ..ليلة للحنين و الذكرى) الذى أثار فى نفسى كوامن الشجن وأشعل جذوة الحنين الى الزمن..الزمن القديم! ومن من ( أبناء حنتوب) لاتحركه تلك الذكريات التى عاشها فى حنتوب والتى لم تكن محطة عابرة فى حياة خلابها و انما نقطة تحول فى التفكير و تجويد للاداء و ترويض للنفس ومن لم تتشكل ملامح شخصيته فى حنتوب و أخواتها فى تلك الفترة فقد فاته الشئ الكثير وان تم تعويضه لاحقا فبئس باهظ وضريبة غاليه..هكذا علمتنى السنوات اللاحقه..ويكفى واننى اتحسر الان على بعض مافاتنى من قطف ثمار الوعى المبكر فى حنتوب اننى وجدت و انا أخالع ذكريات الصديق الشاعر كامل عبد الماجد أننى تعلمت من الكتاب اشياء فاتتنى فى تاريخ حنتوب وحكايا و مواقف و اسماء لا تملك الا ان تضيفها الى شرف السيره الذاتيه كيف كنت حيث كانوا و تخرجوا يصنعون الاحداث الجسام فى الوخن الكبير..

وأذكر اننى قد تعرضت بايجاز وعلى استحياء لذكرياتى فى حنتوب فى كتابى ( رحلتى مع الطب النفسى) لأننى كنت و مازلت على قناعه بان هنالك من هو مؤهل اكثر منى لكتابة تاريخ حنتوب و أخواتها من الثانويات أمثال ( وادى سيدنا) و(خورخقت) لانه من اكبر فصول تاريخ السودان المعاصر..وثانيا لاننى فى غيابى خارج السودان عقود خويله قد حرمنى من فرصة المتابعة و دقة التوثيق ورغبة المشاركة فى عمل بحجم مسئولية الكتابه عن هرم علمى فى قامته حنتوب..مسئولية تنوء بها الجبال و ما اكثرها فى بلادى..وأخيرا لان حنتوب وأخواتها قد اختفت من



خريطة السودان حسب علمى وليس فقط من المسرح الاكاديمى الذى تخرجت منه الاجيال التى تتحمل عبء مسؤولية التعليم فى بلد المليون ميل مربع..

وقد درجت دائما على خلب المعذره عندما أتناول أحداثا عن السودان دارت خلال فترة غيابى التى امتدت حتى كتابة هذه السطور قائلًا: ( أرجو ان يكون فى غيابى عن الساحة العذر كل العذر فى الافراط او التفريط فى الصراحه) والله يشهد اننى لا أدعى العصمة و لا أصطنع الغفلة و لا أنتصيد العداوة ..

فقد اشتركت فى ندوة تلفزيونية مع صديقى الشاعر كامل عبد الماجد عندما اهدانى هذا الكتيب وقد خرجت وفى ذهنى ان اساله ماذا حدث؟؟ ولا ادري لماذا لم أفعل..ربما آثرت الا أفسد متعة اللقاء. وعندما استضافتنى الشاعر الاستاذه فاحمه الحاج فى برنامجها الاذاعى ( منازل القمر) سالتنى عن حنتوب الجميله وقلت لها ان حنتوب و أخواتها فى حاجة الى توثيق و مازلت انتظر اجابة العارف ماذا حدث لحنتوب وأخواتها حتى يكتمل التوثيق ووعدها ان اكون من المساهمين بجهد الكتابة لو تحققت من تفاصيل الرواية وان أضمنه الاحتفال بالذكرى فى ( منازل القمر)

لقد تداعت هذه الافكار فى مخيلتى وأنا أشاهد فى التلفزيون المصرى بعثة التنقيب عن هرم جديد عمره اربعة الاف سنه يتم اكتشافه ومصر ليست فقيرة فى الاهرامات ولكنها تكابد فى اكتشاف المزيد لانها تبحث عن معالم حضارتها القديمه..فاذا كانت حنتوب و اخواتها من اكبر رموز حضارتنا الحديثه فلماذا أهلنا التراب عليها حتى وان كانت لدينا اهرامات اخرى جديده فهى لن تغنى عن تراثنا الذى ما ضاقت به ارض المليون ميل مربع لو أردنا تحويله الى موقع آخر ان ضاق المكان او جار الزمان..وهناك هيئات الاثار الدوليه التى نقلت (معبد ابوسمبل) من مكان الى اخر حماية له من خوفان بحيرة السد العالى...ونحن لم نحفر بحيرة و لم ننشئ سدا فى الموقع...وحتى

تتوفر الاجابه فاننى اتھياً للكتابه عن حنتوب الجميله وأخواتها و لسان حالهن يقول: (واذا المؤودة  
سئلت بأى ذنب قتلت) صدق الله العظيم

## حنتوب الجميله

يقول الشاعر:

يا من يعز علينا ان نفارقكم وجداننا كل شئ بعدكم عدم

قد قلت هذا للصديق والشاعر الرقيق كامل عبدالمجد و انا أغادر الخرطوم بعد زيارتي  
الاخيره بعد ان احتفى بي و اصدقائى الكثيرون كاروع ما تكون الحفاوة قولاً و فعلاً و بعدما  
قرأت مقالاته عن حنتوب وجدته قد خصنى باحلى الكلام بصورة تنم عن رهافة حسه وصفاء  
وجدانه باكثر مما أستحق..وأكذب ان لم اقل ان كلماته قد تغلغت فى داخل اعماقى وأحييت  
فى ذاكرتى أبيات المتنبي:

وما قتل الاحرار كالعفو عنهمو ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

اذا أنت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا

وحتى لا يصدق علينا عجز البيت لا بد ان أوفى صديقى بعض حقه على فى ابسط صورته  
وهو يعيش حقا حالة عشق (قيس وليلى) مع حنتوب الجميله وأصدقاه القول فى ان اكون له خير  
معين فى تحقيق أمنية التوثيق لهذه الحالة الوجدانية العميقة والتي يشاركه فيها العشرات ممن  
كتبوا له و المئات ممن لم يحظوا بنسخة الكتيب و الالاف ممن ينتشرون فى العالم الواسع  
يحملون عشق حنتوب فى دواخلهم ويبحثون عن وسيلة مشروعة للتعبير عن هذه المحبة  
الاسطورية..وليست هذه مغالاة فى الوصف فقد ذكرنى سفيرنا فى ابوظبى الآن سعادة احمد  
جعفر عبد الكريم وهو يستقبلنى فى بيته العامر هنا عن زيارتى السفارة السودانية فى (بون) فى  
المانيا الاتحاديه فى السبعينيات حين كان قنصلا عاما وجئت فى زيارة أسريه خاصة لشقيق  
زوجتى الفريق حماده عبد العظيم وكان الملحق العسكرى آنذاك و اراد ان يدعوا أعضاء السفارة

حفاوة بى كضيفه قالوا له ما زحين: نحن نريد دعوتك للاحتفاء به (كحنتوبيان) وكان معظم  
اعضاء السلك الدبلوماسى فى السفاره من ( خريجى حنتوب) ومعظمهم كانوا من الذين سبقتهم  
فى الدراسه بسنوات خويله و لكن فى نظرهم يكفينى التمتع بشرف الانتماء لحنتوب لآكون  
احدهم..لا اعتقد ان هناك مجالا للشك فى هذا العشق الاسطورى لا العشيره ولا القبيله و لا المدينه  
تساوى ملتقى العشاق فى حنتوب ياسمراء ( مع الاعتذار للشاعر صلاح عبد الصبور)..أليس هذا  
كافيا لان نتحدث عن الزمن القديم؟؟

وفى مناسبة اخرى لاحقة فى ابوظبى جاء مستر هول –استاذ اللغة الانجليزية فى حنتوب فى  
زماننا ونزل فى الثمانينيات ضيفا على صديقنا شيخ العرب الاستاذ على محمد البشير المستشار  
القانونى باحدى شركات البترول حتى الآن وكان السفير المقيم سعادة حمد النيل محمد الأمين من  
ابناء الدفعة فى حنتوب واقام له مأدبة عشاء جمعت اكثر من عشرين من ابناء حنتوب فى مختلف  
الدوائر و التخصصات ذات الوزن الثقيل.. وكانت المفاجأة انه حمل سجلا أرشيفيا فيه اسماء  
دفعات الطلاب الذين درسهم فى حنتوب خييلة فترة عمله وتفاصيل فصولهم و درجاتهم وشهاداتهم  
التى تحصلوا عليها من (كمبردج) وهكذا انتقل داء عشق( قيس و ليلى ) الى الاجانب من  
الاساتذة الذين عاشوا ربيع العمر فى حنتوب!!

اننى اقترح ان يتولى الاخ كامل عبد الماجد بحكم علاقته المتمدده وقدراته المتجدده و  
صفاته المتعدده فى الشاعر و الكاتب والاعلامى والمستشار الصحفى فى استكتاب ابناء حنتوب  
–ولو أضاف لمن ورد ذكرهم فى المقالات ومنهم من يحمل كتابا جاهزا للطباعة و منهم من يجب  
الاتصال به وتصدر ( موسوعة حنتوب الجميله)..واننى على استعداد شأن الكثيرين مثلى لفعل ما  
يوكل الى من نوع المساهمه لانجاز هذا المشروع الوخنى الخالد وأؤكد ان هناك من هوأخول باعا

واكثر امتاعا فى الحديث عن محبوبته الجميع وعلى الصديق كامل بوصفه سيد العاشقين ان  
يحقق مقولة (لو تعقل قلب امرئ بالثريا لنالها) ويتبعه الغاوون والآخرين يرددون فى حسرة:

رب شئ بكيت منه فلما ضاع منى بكيت عليه

وأمل أن أكتب عن بعض ما ضاع منى وبكيت عليه من حنتوب فى مقالة قادمة باذن الله!!

## حنتوب..بكاء على الأخلال

لقد تكلمت فى المقالة السابقة عن ( الحميمية) التى تميز العلاقات وتنسج الصداقات و ترتق الشروخات فى ثوب المزاج السودانى المطبوع على روح الألفة والمودة فى أقصى الظروف وليس أدل على ذلك من الدعوة المشهورة للرئيس السابق جعفر النميرى لابناء دفعته من حنتوب. ولو نظر المتأمل الى قائمة المدعوين لرأى بأى عينيه صدق الحديث ودلالة الوصف فى الوقوف على الأخلال.

فالحديث كان تعبيراً عن هذه (الحميمية) ورموز الدعوة كانوا تجسيدا للنزعة القومية التى جمعت أمشاج النسيج السودانى من اركان السودان الاربعة حتى وقد بلغت بهم الخلافات فى تلك المرحلة حد القطيعة بفعل الازمة السياسيه ولكنهم صنعوا حقبة فى تاريخ السودان لا تقل زلزلة من (بركان بوش) الذى تفجر فى اركان العالم الاربعة ومن كل قدر خفاقة و لكل قدر حاجته..حتى وان كان ذلك فوق خفاقة العالم ودون حاجة الجميع..ولكنها وقفة عند فصل هام من تاريخ السودان تستحق البكاء على اخلال حنتوب الجميله

وفى الجانب التربوى و الرياضى يكفى ان نقف عند ذكر أستاذ الاجيال والذى ما غاب عن البال و لا رحل عن الذاكره..ليس فى عقل ابناء حنتوب فقط ولكن على امتداد خريطة السودان وهو المعلم العلم الفذ هاشم ضيف الله..فقد كان ظاهره فريده فى كل مناشط الحياة العلمية والعملية..فقد اشتهر باحترام الوقت فى زمان كان قطار السكّة الحديد يقطع المسافة ما بين بورتسودان و الخرطوم فى ثلاثة ايام فى خريق يمثل شريان الحياه و يحمل اكسير الحياه لكل اهل السودان..كان هاشم ضيف الله يمثل ساعة بيولوجية مركبة فى عقل كل خالب و بوصلته جغرافيه تحدد مسار كل خالب وقدوة والديه تشكل سلوك كل خالب تربية وتعليما. و

يخطئ من يقول ان من بين الوجوه التي علق بها الصدا من غبار الزمن الطويل ان تكون تلك المعالم المميزة فى نظرتة المحدقة ورؤيته المدققة وحيويته المتدفقة قد شابها الضباب.

أذكر اننى فى صباح باكر وانا أجرى مسرعا للفصل من داخلية (أبو عنجه) لألحق حصّة الاستاذ الشاعر الراحل الاستاذ الهادى آدم قطعت (ميدان النجيلة) .. كنت أعرف انها من (الكبائر) ولكن صاحب الحاجة أرعن يركب الصعب وهو عالم بركوبه. بعد نهاية الحصّة استدعانى الاستاذ هاشم ضيف الله فى مكتبه وخلفى العم (مصطفى جرس) وسالنى هل تعرف لماذا استدعيتك؟ قلت نعم! ونظر الى العم مصطفى وقال لى سوف استدعيك فى الوقت المناسب وبدأت مهمتى الشاقة فى جمع الملابس الواقية من العقاب لفترة خويلة حتى اصابتنى الغفلة وظننت اننى افلت من العقاب فاستدعانى وقال لى أتعرف لماذا استدعيتك؟ قلت: لا! قال لانك لن تكرر الغلطة ولذلك لن أعاقبك وصدقونى لم اكرر عبور (النجيلة الخضراء) حتى اليوم ونقلت هذا الدرس القيم لابنائى..دون عقاب!

وتتوالى السنوات وأعود خبيبا عام ١٩٦٨م لأسكن فى (الصافيه) خلف منزل رجل البر الراحل الحاج الصافى وأقف بسيارتى لاتزود من محطة الوقود الكائنه امام منزله..وفجأة ينزل من السيارة فى الجانب المقابل الاستاذ هاشم ضيف الله متوجها نحوى فما كان منى الا ان هرعت ترتعد فرائضى من هول المفاجاه وبادلته السلام وادخل رأسه للسلام على زوجتى التى كانت تجلس بجانبى ثم قادنى الى سيارته وقدمنى الى زوجته قائلا: الدكتور عماره احد خلابى المتميزين فى حنتوب ويسكن جوارنا فى الصافيه..

ويشهد الله أننى لم اكن اعلم أنه جارى حيث جئت حديثا منقولاً من جوبا أحمل معى أخنانا من هموم البحث عن السكن و البعثه المرتقبه..وكانه يقول لى: لكل مقام مقال..فقد قسوت

عليك رحمة بك ولعل من أكبر مظاهر هذه الرحمة اننى عرفت الوجه الاخر من أستاذى هاشم ضيف  
الله و امثاله من أقطاب ذلك الجيل من الرواد ..جيل التربية و التعليم وقد ربانى صغيرا و علمنى  
كبيراً..قدرا من أعلى كنوز العلم و المعرفة..



## الزراعة...البترول الحقيقى !

ما أشبه الليلة بالبارحه

شاهدت فى الفضائية السودانية فى نشرة الاخبار تحقيقا حول المحصول الزراعى فى مديرية النيل الزرق هذا العام تحت عنوان ( الزراعة ..البترول الحقيقى ) وكان المزارعون فرحين مستبشرين بنعمة الله عليهم فى هطول الامطار و ارتفاع معدلات الانتاج و يتضرعون ان يتم عليهم نعمته بعائدات تسد الرمق و تجزى الرهق

وتذكرت على الفور زيارة الوفد الكويتى للسودان فى الستينيات حيث قام بزيارة مشروع الجزيرة و عاد للخروج لتقييم له وزارة الاعلام و الثقافه حفلا ترفيهيا فى المسرح القومى للاذاعة و التلفزيون آنذاك..و بادر الأخ الصديق الكبير و الاعلامى المرموق مدير التلفزيون السودانى آنذاك البروفسير على شمو باستضافة وزير النفط الكويتى فى حلقة خاصة حول انطباعاته عن الزيارة و قال فيما قال ( لقد أعجبت بالمشروع ودهشت من حديث السودانين عن البترول -الذهب الأسود- وقد شاهدت بعينى الذهب البيض يمتد مساحات شاسعة على امتداد البصر. ان الذهب الاسود ثروة ناضبة على المدى البعيد و مكلفة على المدى القصير و لكننى أرى المساحات الواسعة والامطار الغزيرة وهذه هبة من الله..فالزراعة هى البترول الحقيقى)

هذا كان حديث الامس حين كانت دولة الكويت من اول الدول التى استثمرت فى السودان وكان (الدجاج الكويتى) احد اخواق النجاة عندما تتحدث الحكومات عن اعلان السودان منطقة كوارث او ضحية مجاعة بعد كل فيضان فى ارض السودان ولله فى خلقه شؤون.وتاتى

الكويت الشقيقه اليوم لتستثمر فى نفس المجال بعد ان لم يعد ضرورة محليه فقط بل ازمة عالميه بكل المعايير

وتذكرت عندما كنت خالبا فى (سنجة الوسطى) وكنت اشاهد مجموعات (الصعايده) يشقون بسواعدهم الفتية الترع الرئيسيه فى المشاريع الزراعيه ويطبِقون على أرض الواقع شعار (وحدة وادى النيل) قبل ان تصبح حبرا على ورق فى ملف الخلافات.

وفى مجال الايدى العامله كانت الحكومه قد رصدت بندا فى الميزانيه العامه يسمى ( بند العطاله) وكان فى اول قائمه المدرجين فى البند خريجو كليات الزراعه فى ارض المليون ميل مربع فهجروا المهنة الى وظائف اخرى لا تمت الى الزراعة بصله فخسرنا مرتين الانسان و الثروه

وسافرت فى الرحلة الطلابيه مع كلية الطب فى الستينيات بالباص الى (خزان الروصيصر) والدمازين على مدى ثلاثة ايام لا نرى غير السهول المنبسطة على مدى البصر لا يعبر فضاءها غير اسراب الغزلان تمرح خليقة فى الشروق و الغروب.

وصلنا الروصيصر وصعدنا اعلى (الخزان) وحدثنا المهندس عن مشروع تعليه خزان الروصيصر الذى مازال أضغاث احلام و اصبح خزان الروصيصر أشبه ( بلعنة الفراعنه) نتذكره كلما جاء الخريف و انقطع التيار و اظلمت الخرجوم و لو وضعنا لبنه فوق لبنه على مدى اربعين عام لبنينا هرما جديدا مع الاعتذار للتبسيط المخل و التعميم الاجوف الذى يفرزه الشعور بالاحباط

وكنا فى الخرجوم منشغلين (بالمعونة الامريكيه) منذ الستينات لتشييد شارع الخرجوم - ودمدى والذى كان يسمى شارع الموت ولا اعرف كيف انتهت قصة الشارع والمعونه ولكنى اعلم ان الشركات الأجنبيه التى جاءت للتنقيب عن البترول اكتفت بانشاء محطات لتوزيع البترول (المستورد) فى العاصمه و الاقاليم بعد ان اكتشفت بالاقمار الاصطناعيه ان ثقب الأوزون و

الانبعاث الحرارى والجفاف و التصحر قد جعل الارض الخصبة غير صالحة لاي شئ غير دفن النفايات النووية..

وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ورب ضارة نافعة فقد ارسل الله لنا من يبشرنا بان السودان بلد الذهب الابيض- سوف يكون سلة غذاء العالم فعلينا الاهتمام بزراعته وان الاكتفاء الذاتى يقتضى استخراج البترول-الذهب الاسود- حتى من تحت النفايات النووية وعلينا اعادة الحياة الى الخطوط البحرية التى كانت تنقل القطن من ميناء بورتسودان الى (ليفربول) فى بريطانيا و انشاء أسطول آخر ينقل النفط من (سواكن و بشائر) الى محيطات العالم الاخرى..

فقط علينا ان نتذكر ان كل هذا لن يتحقق الا من خلال نبذ القبليه و الجهويه و العرقية و العنصريه و اعلاء قيم التعايش السلمى و الوحدة الوخنيه الحقيقيه من أجل عيون الوخن لأن خلافاتنا الداخليه المفهومه ليست مبررا للاستقواء بتحالفاتنا الخارجيه المسمومه..ولا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ..و العاقل من اتعظ بغيره..وهزيمة الوخن ليس فيها غالب أو مغلوب..

الا هل بلغت اللهم فاشهد.

## دروس... من عرفات

لقد نشرت هذه المقالة فى عام ١٩٨١م فى الصفحة الأخيرة (واحة الاتحاد) فى جريدة (الاتحاد) الاماراتيه تحت عنوان ( من يحرسنا ..ممن ؟) بعد عودتى من اداء فريضة الحج وتم تضمينها فى كتابى ( أضواء على النفس البشريه) الطبعة الاولى الصادرة عن دار الثقافة ببيروت فى عام ١٩٨٧ واعيد نشرها هنا فى يوم (وقفه عرفات) ولومن باب التفكير فى الدروس والعبر المستقاة بعد مرور سبعة وعشرين عام فى وقفة بين الماضى والحاضر..

كانت القافلة عائدة من ( جبل عرفات) قبل وقت الغروب متجهة نحو المزدلفه لالتقاط الجمرات وكان أمير الركب ينادى بمكبر الصوت ( العين..العين ) كلمة السر وصوت البشيرالذى اتفقت عليه بعثة جامعة الامارات العربية المتحدة خوال رحلة الحج حتى لا يتفرق شملنا وينفرط عقدنا وسط الامواج البشرية الهادرة فى موكب النور.

نزلنا عند المزدلفة وقال لى صاحبى الراحل الدكتور فضل الله محمد استاذ العلوم السياسيه :انظروا رءك سبحان جامع القلوب ومؤلف الافئدة فى غمضة عين وانتباهتها ما بين القيلولة والمغيب كانت (عرفات) عراء ثم صارت خلية نحل والان تعود سيرتها الاولى عراء من جديد! تأمل فى القوى الخارقة التى تتحكم فى هذا (العالم المتحرك) المنحدر من كل حدب وصوب.

تركنا المزدلفة قبيل الفجر لرمى الجمرات وتصورت عدد حبات الحصى التى يحملها هذا الطوفان البشرى لرجم الشيطان وهناك شاهدت ملحمة من الجهاد النفسى لن يتصورها الا من عاش متعة ورهبة التجربه حيث تنصهر و يتلاشى كل عنفوان الشباب ووهن الشيخوخة فى بوتقة الايمان فيسقط القوى وينهض الضعيف بقوة الوهج المنبعث من داخل النفس ثم شاهدت عجوزا

اندونيسيا تجاوز الثمانين تكاد ضلوعه تخرج من القفص الصدرى يشق خريقه فى ثبات للوصول الى موقع الشيطان الاكبر فى جمرة العقبة لرجم عدو الله وعدوه وقبل وصوله سقط وسط الجحافل واستشهد فى سبيل الله واستمرت المسيرة وبعدها يمينا وجوهنا شطر البيت الحرام لأداء خواف الافاضة وظننت ان فارق السن بينى وبين العجوز الاندونيسى قد يؤتى ثماره فى ذلك الزحام فحملتنى الامواج بخوال الاشواط السبعة بانفاس متقطعة لم استردها الا حيث قذفتنى كالنواة بين جمهرة المهرولين بين الصفا و المروة ومن هنا امكنتى مشاهدة الزحف الذى كنت فيه وانا اتامل منظر افواج الطائفين حول الكعبة مرددا حقا (ان للبيت ربا يحميه) وبعدها عدنا الى (منى) متحللين فالتقيننا صدفة فى الطريق ببعض الاخوة من الحجاج السودانين مع ضيوف الرحمن من بلاد اخرى وجلسنا داخل الخيمة لتناول الطعام قال لى احدهم : كنت خائفا على والدتى ( الحاجة ) من زحام الجمرات وسالتها ان انوب عنها فرفضت مؤكدة انها تفضل ان تموت و(تجاور) قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فرمت الجمرات وعادت بسلام واستطرد يسالنى: هل شهدت معركة الحجاج فى رجم الشيطان؟ لو ان كل مسلم فى العالم قذف بهذا العدد من الحجارة على اسرائيل لما بقى شيطان واحد فهناك قرابة السبعمائة مليون مسلم فكم يكون عدد الاصفار وحجم الدمار ولو كانت هذه بنادق فمن سيمتلك حق المبادرة وصنع القرار وخشيت ان يتطور الحديث الى نقاش سياسى بحمىة السودانين فى نضح الحس المبكر وجدل الفكر المؤثر فى المواقف والاحداث فقلت له تذكر لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ) فصمت وخرجنا الى الصلاة.

والان أتذكر قول ذلك الرجل واتذكر كل ما قيل ودار واستعيد شريط الاحداث الى (خيمة منى) واسترجع صورة الاجتماع و الافتراق فى عرفات وتلك الارادة وصورة التقاط الحصى فى المزدلفة وذلك التصميم ولحظة رمى الجمرات ونشوة الجهاد واستشهاد الحاج الاندونيسى وقوة

الايان وقصة الحاجة السودانية الآتية بنية الحج تطلب الموت فى جوار الرسول فكتبت لها الحياة مع العائدين.

كان الدرس الاول من هذه الرحلة تاكيد حقيقة الوجود-الحركة والسكون بيد الله وان اجماع الامة على شئ لا يفت فى عضده جبروت خاغيه و لا خذلان داعيه فالذى جمع الشتات فى قمة (جبل عرفات) ما بين الظهيرة والغروب هو الذى يحى ويميت ينصر ويهزم وان الامة المؤمنة قادرة على صنع المعجزات فى سجل البطولات والدرس الثانى يتمثل فى ثبات مقولة (ان الحذر لا ينجى من القدر) وحكمة الموت والحياة بيد الله ولكن ذل الهوان والمسكنة بيد الانسان كما قال المتنبي:

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس اهونا

اما العبرة الكبرى فهى جملة هذه المواقف التى ترتفع فى كل منبر تنادى (من حذرك كمن بشرك) فاننا لم نقدر انفسنا حق قدرها لا كامة اسلامية تملك من القوة العقائدية و الحضارة التاريخيه و الامكانيات الماديه ما يزلزل الارض زلزالا و لا كامة عربية تملك من الثروات المادية والقدرات العسكرية ما يجعلها قادرة على حماية مقدساتها و صيانة حرمتها و ترك بصماتها واضحة على خريطة العالم ووجه التاريخ المعاصر تزيننا صفات خصنا الله بها فى قوله تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف و تنهون عن المنكر) سورة آل عمران) فمتى نساله التبديل فى الحال فيكفيننا ذل السؤال وقهر الرجال.

من يستطيع ان يستوعب ما وصل اليه حالنا من قبول الوصايه وشروط الاوصياء حتى صرنا مستضعفين فى الارض تحرسنا قوات اجنبيه متعددة الجنسيات فى عقر دارنا كالايتام تحت رعاية الامم المتحدة التى لم تتحد الا على ظلم المعذبين فى الارض..والتاريخ الحديث يذكرنا ان احد اكبر عوامل (هزيمة حزيران) كان خلب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر سحب قوات الطوارئ

الدولية من سيناء الذى عجل بالضربة الاسرائيلية القاضيه على قدرة الطيران المصرى ورغم ان الهزيمة دائما لقيطة والنصر له الف أب فما زال هؤلاء يتساءلون من كان يحرس من؟؟ هل كانت القوات الدولية تحرس اسرائيل فعجلت الاخيرة بالضربة حين انسحب الحارس وكشف الغطاء؟ ام كانت تحرس مصر فانهزمت مصر حين مارست سيادتها ورفعت الحراسة؟ لقد كانت قيادا علينا من صنع ايدينا فكسرناه وانكسرنا.

ونحاول الرجوع اليه مرة اخرى من فرط ما ادارت رؤوسنا صدمة الانكسار.. والان نغير المواقع ونتبادل الادوار فى فك الحصار ويطول بنا الانتظار و لا ندري من يحرس الحارس الذى سوف يبقى خليقا يتجول فى عرض سيناء وينتشر فى لبنان وسوريا ويتمرکز بين العراق وايران وكلها دول عربية واسلامية يامرها الله تعالى فى قوله ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمته اله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) صدق الله العظيم.فان كنا حقا نهتدى بالقرآن دستورا لكل زمان و مكان يصون حق عباده ويحمى كرامة الانسان وفى شهر رمضان فكيف نرفض حراسة بعضنا بعضا ذوى الجنسية والديانة الواحدة والهدف المشترك فى استرداد المقدسات الاسلامية والحقوق العربية ونقبل عن خواعية حراسة القوات المتعددة الديانات والجنسيات ذات الاهداف المغلوخة والاغراض المشروخة؟وكيف نضمن رحيلها لو خاب لها البقاء وكيف نفرض بقاءها لو قررت الرحيل وكيف نستبدل الاحتلال بابغض الحلال الى نفوسنا برؤية قوى خارجية تجوب شوارعنا تحرسنا من بعضنا البعض؟انها لن تحرسنا من العدو الذى بارك اختيارها ولا من حليفه الذى عزز انتشارها الا اذا اصبحنا امة فقدت خيارها فلم تقطع مشوارها ويئست من رحمة الله وهو عين الكفر والعياذ بالله الخالق الذى يقول (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) صدق الله العظيم.. سورة الأعراف.

إذن دعونا نتساءل..من يحرسنا..ممن؟؟(انتهى المقال)

حاشييه: والآن بعد مرور سبع وعشرين سنة على كتابة المقال. دعونا نتساءل مرة اخرى.. هل  
تغير الحال؟ وهل نملك الاجابة على السؤال.. من يحرسنا.. ممن؟؟ فى الداخل والخارج؟؟



## قارب الكرامة

تحية اجلال وتقدير الى نشطاء (قارب الكرامة) الذين يناضلون فى شرف و بطولته من اجل كسر الحصار على (غزة)..

وصيحة غضب واستنكار للحكومات العربية والاسلامية ومجلس الأمن والأمم المتحدة والشرعية الدولية التى تحرم

(ارهاب) المقاومة وتحلل (ارهاب) الدولة

ساعة الصفر واندلاع القيامه  
للسلاح الذى استراح و ناما  
ثم اغفى وقد عمى وتعمى  
لاذوا بالصمت خشية وملاما  
فاستبانوا ضحى الغد استسلاما  
يرجع القهقرى ويخشى الصداما  
ودمار (الكبار) صار سلاما  
يستحل اليهود فيه الحراما  
كل من فيه يرقب الاعداما  
يستجيرون فى العرا اغناما  
نار ثار تزلزل الحكاما  
فى عقول تستنسخ الاوهاما  
نتباكى على الرجال القدامى  
و تنادى وترفع الاعلاما  
فانهزمننا وليس ندرى إلاما؟  
واستباح المحرمات علاما؟  
عد يازمان للورا اعواما  
كنت أما..وقبلته..واماما  
سار من خلفه الورى أقزاما

قارب الخبز ام فتات الكرامه  
قارب يحمل الدواء بديلا  
للضمير الذى افاق قليلا  
وصمة العار فى جبين خفاة  
صدقوا كذبة السلام خيارا  
أصبح الحق فى المحافظ ظلما  
ونضال(الشعوب)اصبح حربا  
غخوقوا (غزة) الجريحة سجننا  
والمحايخون بالسياج قطع  
والعالقون فى(المعابر)قسرا  
صحوة الشعب يستعرشظاها  
اصبحت وحدة العروية وهما  
كيف كنا وكيف عدنا شتاتا  
كانوا مجدا لأمة تتباهى  
كانوا صوتا على المنابر يدوى  
فاستهان العدو شرقا وغربا  
صرخة الشعب فى(القطاع)تنادى  
آه يا مصر بيت كل عظيم  
آه يا مصر.أم خير زعيم

يلهب الكون ثورة وضراما  
تشعل الصمت ضجة وكلاما  
كان يخشى اليهود والاجراما  
ما له بات يندب الاهراما  
عند فقد الوصي يبكى اليتامى

كان تكفيه خطبة او بيان  
كان تكفيه زلّة من لسان  
أه يا مصر سيف كل ضعيف  
عرف الأمن فى حماك خويلا  
أنا لا أذرف الدموع ولكن

## الله...واللهيب

إن الذكرى تنفع المؤمنين..ذكرى حريق المسجد الاقصى..اولى القبلتين وثالث الحرمين..نشرت هذه القصيدة فى جريدة ( الصحافه) فى أغسطس ١٩٦٩م وفى ديوان (مع رياح العوده) ص ٢٢٩ المجموعة الشعرية الكاملةالمجلد الأول فى الموقع الالكترونى المنشور.

امام الله..والتاريخ...والانسان

امام الله قد سقطت حضارتنا بكل قداسة الأديان

بكل كرامة الانسان

بكل خرافة الامجاد والسلطان

اربيقت فى تراب (القدس) وانتهكوا شعائنا

وجاءت (فتح) بعد مواتنا جبرا لخاخرنا

وتمشى فى لهيب النار..

حارقة كطعم الثار..

جرحا فى حناجرنا

فوشحنا بروح الثار من يفدى مصائنا

خرجنا من مواقعنا

خرجنا نحن والاخفافا نبتا من مزارعنا

دخانا من مصانعنا

لهيبا من مدافعنا

شظايا من (حريق القدس) تهطل فى شوارعنا

غسلنا فى (حريق المسجد الاقصى) ضمائرنا

غمسنا فى مجامره سرائرنا

وقفنا وقفة عقدت على عهد خناصرنا

ووجدنا نزيف الجرح...

أغمد حدة السكين خعننا فى مشاعرنا

كما اتحدت مواقفنا

أجل..من روعة الاجماع قد شربت عواخفننا

كما ارتفعت امام المسجد الاقصى مصاحفنا

رفضنا قسوة الطغيان

وجاءت (فتح) ترفع هامة الانسان

شعار كرامة الانسان

شعار الصبر والايمان

شعار النصر فى سيناء والجولان

تساقطنا جماعات على النيران  
تذوب دماؤنا فى العظم والشريان  
تغطى القبّة الخضراء والجدران  
توقفنا عن الدوران  
أفقنا من برودتنا..وعاد النبض للخفقان  
يغذى الرأس والقدمين  
ونار البغى تاكل ثالث الحرمين  
امام الله والانسان  
تلاقينا بلا موعد  
فراشات هوت فى النار قربانا على المسجد  
واجساما رفعناها ضحايانا على الموقد  
فكن يا حائط المبكى شرارات من الاعصار  
وكن يا حصن اسرائيل آيات لنا.... تذكار  
وكن بالمسجد الاقصى... بركاننا من الاحجار  
وكن رمزا من الاصرار  
فلن يتوقف التيار

ولن يستسلم الثوار

مشينا خطوة اولى لنقطع آخر المشوار

أغسطس ١٩٦٩م

## من خط النار

نظمت هذه القصيدة في (قطاع غزة) في أبريل ١٩٦٢م في زيارتي مع خلاب رابطة التضامن العربي بجامعة الخرطوم بدعوة على نفقة قسم الوفود و المؤتمرات التابع لوزارة الخارجية بالشقيقة الكبرى (مصر) لربط الشباب بقضايا الوجود العربي وفي مقدمتها (قضية فلسطين). فالتقينا بالحاكم العسكري المصري في قطاع غزة وأوفدنا مع مساعديه للتعرف على أبناء القطاع. وقد نشرت القصيدة في جريدة (الايام) و (الرأى العام) آنذاك وفي ديوانى الأول ( الضياء والحريق) خبعت ١٩٦٨م ص٧٦ في الموقع الإلكتروني المثبت.

من خط النار

من خط الهدنة من ارض تبعد عنا بضعة امتار

من ارض ترضع صبيتها مذ ولدوا عزم الثوار

زغبا وصغار

يتغلغل فيهم حب الثار

كى تغسل ارض فلسطين المسلوبة من وصمات العار

من خط النار

شاهدت بعيني فلسطين

مأساة القرن العشرين

تتلظى..تغلى كالتنين  
والثورة فى أعماق الأرض جنين  
ينتظر مخاضا ثوريا  
قد عاش الثورة منذ سنين  
شاهدت بعينى (دير ياسين)  
ورأيت الأرض المسلوبه  
أرضا خضراء يانعة تتفتح مرعى وخصوبه  
تتفجر نبعا وعدوبه  
ورأيت بعينى يا أصحاب  
يا عار الأخوة..و الأحباب  
فى قلب الوجدن العربى  
(النجمه) تخفق فوق الباب  
عنوانا يحكى اسرائيل  
فى (العلم الراجف) فى ساريت كالانصاب  
ورأيت الحارس يتمشى..سفاح الغاب  
سفاح العصر الأسطورى



يحتقر مصيرك ومصيرى  
يمتشق المدفع يتحدى فى صلف الحكم الصهيونى  
فى أرض فلسطين الحره  
فى خان يونس ..فى غزه  
فى خط النار  
والشعب عيون ثاقبة فى صدر المدفع ليل نهار  
والأرض جباه صامدة فى خط الهدنة فى اصرار  
صافحت فدائى  
يتجول فى الليل الداغى  
يحتضن المدفع فى صمت ما بين خيام وملاجئ  
فى صمت يرفع ساعده ( الزمن عدوك يا لاجئ) سلطان  
فى غزه  
فى الوحش المثقل بالاحلام  
فى التربة فى حقل الالغام  
صوت الرصاص الطائش فى صدر الأيتام  
وجنود (الأمم المتحده)

تعارض الصبيته و الثوار

تعتقل النسوة والاحرار

تصطنع حدودا وهميه

تحمى أعمال الوحشيه

فى اسرائيل..القلعة..حصن الاستعمار

فى وخن العرب الاحرار

الزاحف فى عرض الصحراء

يتوغل ليلا فى سيناء

فى رأس الرمح المخضوب بدماء دعاة الحريه

(انصار الوحده العربيه)

فى غزه

والجيش الصاعد يستجلى جبهات النور

والبحر الابيض يتمدد امواجا تزحف دون فتور

كجنود فلسطين الحره

فى خان يونس... فى غزه

يستشهد فى ارض التحرير

من خط النار

من خط الهدنة..من أرض تبعد عنا بضعة أمتار

إنى أكتب للأحرار

فى كل زمان..كل مكان

عن مأساتك يا انسان

فى غزة..أرض البركان

تنتظر الفجر القادم كى يغسل ليل الأحزان

يا فجر الثورة والطوفان

أبريل ١٩٦٢

## غزه...تحت النار

(قبل ان ينطفئ الشعاع فى غياهب الظلام...الى من يهيمه الأمر...سلام)

كقطيع يعيش تحت الوصايه  
وتطارده الكلاب دون حمايه  
تحت نار الحصار تحت الرمايه  
ضيّعوا الشعب واستباحوا الولايه  
يحمل الروح فى أكف المنايا  
فى وجوه الطغاة من الشكايا  
بين مليار مسلم فى الزوايا  
بين مليار من قطيع السبايا  
والصدى مات فى ظلام الخطايا  
يفضح السراوى بين الخبايا  
تتهاوى على دروب الغوايه  
وأذل الهوان ..ذل النوايا  
فى قطيع تحقّ فيه الجبايه  
وقلوبا مريضه فى الحنايا  
ولئن عدت هل تموت الحكاياه؟  
ليس ذنبى ولا جنته يدايا  
لا يجازى خنوعنا بالهدايا  
وتسيل الدماء نهر سقايه  
شاركتنا النضال فرض كفايه  
وشققنا صفوفنا فى البدايه  
وابتلينا بكل خزئ الرزايا

أى حكم وحاكم والرعايا  
تفتسه الذئاب من كل صوب  
أى دين يبيح قتل أسير  
أى شرع يصون حق ولاة  
خرج الشعب للشوارع زحفا  
فجرالغضب صرخه فانهاالت  
من يرانى أنا هنا فى مكان  
من أنادى فيسمع صوتى  
وهديرالرياح يندرغضبا  
أى فصل من الفصول التوالى  
والقرارات فى المواقف سكرى  
أين يمضى بنا الخلاف هوانا  
ياصديقى أنا وانت نعاج  
فيم نبكى ومن يحرك موتى  
يسالونى لكى أعود لصمتى  
ان للصمت لعنة وعقابا  
حين نستجدى الحياة من جلاد  
هذه غزة الجريحة تدمى  
محنة حركت شعوب بلاد  
قد بدأنا هتافنا بخلاف  
فافترقنا على محاور شتى

واقتلنا بلا سماحة دين  
وصنعنا من المذاهب شتى  
وجعلنا من العروبة خصما  
وخلقنا من الصديق عدوا  
وقسمنا (القطاع) بين (حماس)  
اصبحت لعنة تطارد شعبا  
نلعن الغرب والمصيبة فينا  
واستمعنا لهم... وأخعنا  
نحن من سود الصحف ودرس  
فحصدنا الوعود قبضة ربح  
أيها الشعب سوف تحرز نصرا  
فسلاما ياصانع النصر فينا

واختلقنا لكل حرب روايه  
ورفعنا لكل حزب رايه  
وعدوا بدون أى جنايه  
لفلسطين وهى أم القضايا!  
بين(فتح)وبين باقى البقايا  
عاش تحت اللظى و الشظايا  
قد جعلنا من الخلاف مطايا  
كل من جاءنا بغير هدايه  
فى ثنايا الخطاب سمّ الوشايه  
وجنينا السلام محض دعايه  
عبقريا مؤزرا فى النهايه  
ولك المجد..عزة ..وتحايا

٤ يناير ٢٠٠٩م - أبوظبى

## قوة الحق.. أم حق القوة؟

لم يخطر ببال اكثر المتفائلين واكبر المناصرين للمقاومة الفلسطينية فى غزة ان تقود منفردة معركة فى هذا الحجم تحت الحصار المطبق والباب المغلق والصمت المطلق امام عدو فى ذلك الحجم من الاسلحة التدميرية والمساندة الدولية والمهادنة الاقليمية المعلنه والمستتره..ولكنه صراع الارادات..ارادة قوة الحق ضد حق القوة..

كانت قوة الحق مع المقاومة المستهدفة والمستضعفة منذ مفاجأة الانتخابات التى تداعت اليها الشرعية الدولية التى تباكت على العمليه السلميه وشهدت بنزاهتها المنظمات الانسانيه وصعقت بنتيجتها الاداره الامريكيه بعد ان دعت اليها من اجل تمكين الديمقراخيه وحملتها ومشت بها مزهوه فى جنازة الرئيس (عرفات) !؟

وبعد ان اكتشفت فى نور الحق الذى لم ينطفىئ منذ تلك اللحظه ان الوجوه التى تسلت من صناديق الاقتراع ليست الوجوه المعروفه و لا السمات المألوفه فى خاولة المفاوضات بدأ صراع الارادات بين قوة الحق و حق القوة..وكان الصدام حتميا عاجلا أو آجلا ويخطئ من يتصور للحظة واحدة انه سوف يكون الاخير..فقط ان المعطيات السياسيه الراهنه و ظروف (التغيير)هى التى فرضت هذا التوقيت..ورب ضارة نافعة..

واندلعت الحرب على غزة وهى تستغيث ولا مغيث ولسان حالها يقول: ( البحر امامنا و العدو وراؤنا والحصار يخنقنا و الجدار يعزلنا و المعابر تسجننا والقنابل تمطرنا والمدافع تقصفنا والبحرية تزلزلنا والجوع يهلكنا والبرد يقتلنا و الموت يطاردنا..ثم ماذا بعد؟؟ وفى غمضة عين وانتباهتها خرج العالم من اركانه الاربعه فى صوت رجل واحد تلاشت فيه الفوارق الدينيه والعنصريه

والعقائديه وانصهرت فى بوتقة الحق وتحت مظلة الحقيقة فى اجماع لم يشهده العالم فى تاريخه المعاصر رغم ازمة القيادة وضعف الارادة وهوان السيادة وحرب الابداه.

لقد اعادت الحرب على غزة صورة (الانتفاضه) أو ثورة الحجارة مكبرة ٢٢ مرة بعدد ايام الحرب معلقة على شاشات التلفزة عبر العالم ومحمولة على سواعد الملايين فى انحاء المعمورة شاهد صدق على ظلم الانسان لآخيه الانسان..لقد اعادت ترتيب الاوراق وسقوط الاقنعه ووضوح الرؤيا لمن تعامى او عمى وقلبت الموازين وغيرت المسارات وشطبت الخطط المكتوبه والسياسات المقلوبه والارادات المسلوبه ووضعت القضية فى صدارة اولويات العام الجديد والاداره الجديده وهى تودع (بوش) خارجا من البيت الابيض الى منتجعه الاخير تلاحقه لعنة التاريخ وتطارده صرخة النعال الغاضب بسوء الخاتمه وقد كذبت كل وعوده للعالم ..

فلو نجحت الحرب على غزة فقط فى تحويل (انتفاضة) الحجاره الى (انتفاضة) الضمير العالمى الحربهذه الصورة غير المسبوقة...لكفى بها انتصارا لقوة الحق لاحق القوة

ولا يصح غير الصحيح..

وللحديث بقيه!!

## دخان المعركة

لم ينقشع دخان القاذفات حتى تصاعد دخان الخلافات ..مع من ولأجل من وفيهم يختلفون؟ هذه معركة مصير ليس فيها غالب او مغلوب فى الوجود المسلوب اما ان يكون او لا يكون..وبعد ان خرجت غزوة الصامدة بفضل كل فصائل المقاومة المتحدة فى وجه العدوان منتصرة بكل المعايير وبشهادة الجميع (والفضل ما شهدت به الأعداء) وجدت بريق النصر يتراجع الى ضباب هزيمة نفسية فى قلب الجماهير والتي لم تعد قادرة على ان تفرح بميلاد الطفل وكانها تبحث له عن أب يتبناه وهو الوليد الشرعى لكل نساء ورجال الشعب الفلسطينى والذين يحق لهم ان يرفعوا له اقواس النصر فى احتفال بطولى موحد يجمع كل فصائل المقاومة لا يخشون غضب احد اخراف المعادلة الصعبة من جنود (المقاومة) اوسادة (الاعتدال) وكانهما خطان متوازيان لا يلتقيان فى خريطة النضال من اجل الوجود الفلسطينى ذاته على رقعة الارض المحتلة!

كنا نتطلع الى مهرجان النصر الذى احتفلت به جماهير العالم كله فى خرقاتها المزدحمة بالمتظاهرين والمنصرين لغزة الصامدة فماذا يريد الزعماء؟ كنا نتوقع ان ينتصر القادة فى مرحلة الانتصارات على كل الاختلافات وعلى ازمة الضمير فى قضية التحرير ووحدة المصير ويتحلون باعلى درجات الشعور بالمسئولية تجاه هذه الجماهير الصابرة على عذاب الجدار وذو الحصار وظلم المعابر وخطب المنابر وفيهم هم فيه مختلفون؟

هل هى اموال الاعمار والتي جاءت مناصرة من الاخيار؟ هل هى اشلاء السلطة المتنازع عليها فى الرمق الاخير والتي يحتاج قادتها الى اذن الدخول و الخروج؟ كنا نتوقع ان تكون (السلطة) من اول الحاضرين فى كل المؤتمرات واقوى المتحدثين



فى كل اللقاءات و اكبر الحاضنين للمبادرات التى تفك الحصار وتفتح سجن فلسطين الكبير لا من اجل (حماس) و لا ضد (السلطة) ولكن من اجل كل فصائل المقاومة التى كان لها فضل الجهاد وشرف الاستشهاد فى سبيل هذا النصر العظيم..

ان هذا الخلاف احد عناصر المؤامرة لتحويل النصر الى هزيمة يشمت فيها الأعداء واستحقاقات المعركة الى وليمة يتداعى لها عشاق الصيد فى الماء العكروهو خلاف يسير فى اتجاهين من الداخل و الخارج وبالعكس ويدور فى حلقة مفرغة كالباب الدوار بين الدفع و الجذب فالداخل مفقود والخارج مولود. وهذه استراتيجية كسب عامل الوقت وقتل لحظة الانتصار وكسر ارادة الصمود وتكريس واقع الخلاف على كل الاصعدة..

وأمام هذا الوضع المحزن ليس هناك غير حل واحد وخيار أخير وهو المصالحة الوخنية دون قيد او شرط من كل الاخراف سوى مصير الوخن كله والذى يقف فى مهب الرياح فالشعب لن يحتمل صراع قادة يضعون معاركهم الذاتية فوق معركة الوخن.. المعركة المصيرية.. معركة البقاء!؛

و الامة لن ترحم من يحول نصرها الى هزيمة ومكاسبها الى غنيمه ودماء شهدائها الى جريمه فى حق الاجيال القادمة التى دفعت ثمنا غاليا من الارواح و الدماء لتغسل ارضها من دنس الاحتلال.

وعلينا ان نتذكر ان الذين رفعوا غصن الزيتون وحمامة السلام واسقطوا خيار المقاومة وقعوا فى فخ الاستسلام دون ارادتهم ولم يسلموا من سوء الخاتمة من اعدائهم ولم يجنوا ثمار نضالهم مع شعوبهم..كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى!

وبنظرة متأنية فى قائمة الزعماء السياسيين فى التاريخ الحديث على امتداد خريطة العالم  
السياسيه هنالك أمثلة تذكر بهم فى الخيار بين الاراده الدوليه والارادة الشعبيه حين كان الخيار  
الأمثل للذين اختاروا الموت فى احضان الوحش شعارهم ( بيدي لا بيد عمرو )  
والعاقل من اتعظ بغيره !!؟

## حالة سيكولوجية خاصة

لقد عاش العالم بأسره حالة سيكولوجية خاصة خلال فترة حكم بوش كانت أشبه بحالة الذهول فى محاولة استيعاب شكل ومضمون الفكر الذى يتحكم فى اقواله وافعاله بصورة غير مالوفة فى تضاربها من وقت لآخر لرجل يجلس على رأس اكبر هرم للسلطة فى العالم ويعانى من ضبابية الرؤية رغم دورانه حول مصطلح (الشفافية) الذى لم ينزل به يوما الى ارض الواقع.. وربما يكون ادق وصف له ما قاله احد المحللين السياسيين فى معهد الدراسات الاستراتيجية فى واشنطن فى لقاء مع قناة (الجزيرة) قبيل الانتخابات وفى معرض حديثه عن فرز الادوار لشخصيات الادارة السابقة حين قال: (ان بوش كان يعيش فى عالمه الخاص به ويتحدث مع ربه الخاص به وقليلًا ما يلتفت الى الاخرين) ولعلنى أضيف على ذلك انه قد وصل درجة من (التوحد) مع الذات والمناجاة الالهية حتى دخل فى قوقعة فصاميه بعد هوس الانفتاح على العالم الاخر فصار نمطى السلوك متحجر العواخف يدور داخل نفق ضلالة (من ليس معنا فهو ضدنا) حتى قال العالم كفى! ومازال لا يسمع الا نفسه ولا يحاور الا ذاته ويعيد اسطوانته المشروخة حول (الديمقراطية) و(الارهاب) و(الشرعية الدولية) ولان ضبابية التفكير تطغى على عقلانية السلوك فقد ابتدع لهذه الهذات شروحات ومعايير هلاميه اكثر صعوبة من فك قوس قزح فى محاولة الفصل فى الالوان وحبس داخلها

كل العالم بعد عملية غسل دماغ (الحادى عشر من سبتمبر) والمستنسخة من عملية غسل الدماغ الاولى في اسطورة (المحرقة) و (معاداة السامية) وعقيدة (الجيش الذي لا يقهر) في أرض الميعاد وبقية الضلالات المقدسة والمحرمات التي لا تقبل الجدل و من فرط الانحباس العقائدي داخل هذه القناعات في سياق الحياة اليومية اصبحت أشبه بتعبير الروائي الفرنسي فكتور هيغو في رواية (البؤساء) صار البطل (مجنون يدعي النبوءة)..

وقد أخفق الكهنة والعراف على عقلية بوش الخارجة من غرفة الإنعاش بعد عملية الغسيل داخل قوقعة يتعاضى فيها فقط مع الاله الخاص به والذي يقول له: جورج افعل كذا ويفعل! خارج مجال الجاذبية التي تحاول شده الى أرض الواقع.. فظل يردد وجود أسلحة دمار شامل في العراق ضد تقارير كل خبراء الطاقة النووية ويجتر مقولة محاربة الارهاب و (القاعدة) التي أنكرت وجودها من الأصل و بفعل سيكولوجية الجنون المزدوج المعدي انتشرت العدوى من حوله حتى استيقظت الخلايا النائمة من الإحباط بشتى دوافعه لتدخل تحت مسى القاعدة وجماعات الإرهاب حتى اتسع الخرق على الراقق بما فيها الشرعية الدولية التي استغاثت خلبا لمؤتمر دولي لتعريف الإرهاب ولكنه رفض كل المحاولات لأن مفهومه الخاص غير خاضع للعقل ودخل الحرب ضد قانون الشرعية الدولية التي وصفها بالعجز والشيخوخة.

وتحت شعار نشر الديموقراطية ساند الانقلاب عليها في باكستان وحاول  
الإنقلاب ضدها في فنزويلا.. وتحدى المجتمع الدولي ضد التوقيع على اتفاقية معاهدة  
كيوتو للاحتباس الحراري في أكبر دولة مسببة له ومسئولة عن سلامة البيئة وضد  
قانون محكمة جرائم الحرب بعد ان حصن جنوده منها ودفع بكل أعدائه اليها.

وفي التبشير بالحريه والرخاء الاقتصادي وبعد اشعال الحروب غير المبرره وفواتير  
الاسلحة المحرمة المدمره والانفاق غير المحدود على الامن القومى وشبكات التجسس  
حول العالم قاد العالم الى أزمة اقتصادية غير مسبوقة ومشى فى جنازة النظام  
الرأسمالى وسلم الجثمان الى خلفه فى البيت الابيض الذى تحول الى مقبرة ملأى  
بتواييت الازمات.

وفي مجال حقوق الانسان ابتدع فضيحة (جوانتانامو) وزج فيه كل المتهمين  
بقضايا الارهاب المختلف عليه ومجاهرة بالمعصية فتح له فروعاً أخرى في دول خارج  
امريكا وامعانا في الاستخفاف بالامم المتحدة وبالقانون الدولي شارك في بناء الجدار  
العازل في أكبر سجن في العالم في (جوانتانامو) غزة تحت تأثير عملية غسل الدماغ  
المستمرة في ضرورة الدفاع عن أمن اسرائيل التي تملك السلاح النووى امام شعب غزة  
الذى منع من الخروج من (المعابر) هربا من جحيم الحرب رغم التحذيرات في المنشورات  
الملقاة من قاذفات الطائرات ليل نهار.. ورفض وقف الحرب رغم مظاهرات كل شعوب  
الكرة الارضية وقرار الشرعية الدولية.

وقبل مغادرته قرر شطب منظمة (مجاهدى خلق) المصنفة بالارهاب من القائمة الدولية وصرف مستحققاتها وجدد حبس (حماس) في نفس القائمة وأمر بالقضاء عليها مع اسرائيل ومصادرة ممتلكاتها والأولى ضد ايران احدى دول (المانعة) والثانية مع فلسطين أم دولة (المانعة) !! ألم يقل ان من ليس معنا فهو ضدنا؟ منظمة (مجاهدى خلق) تناضل ضد دولة ايران العضو فى الامم المتحده ومنظمة (حماس) جاءت بالانتخابات لتناضل ضد الاحتلال.. انه يرفع وينصب خارج قواعد اللعبة ويضيف ويحذف خارج منطق العقل ويعدل ويظلم خارج نطاق القانون بعقلية (بعدى والطوفان)..!! فأى عقلانية واى شفافية واى شرعية واى ديموقراطية؟؟

إنها حالة سيكولوجية خاصة.

## وثيقة سفر أم ناقوس خطر؟؟

فى الماضى كان المبعوث السودانى للخارج للدراسات العليا ومنذ اليوم الاول يفكر فى متى يحصل على شهادته ويعود الى البلاد . ويندر ان يبقى احد بعد حصوله على المؤهل.وبدات ظاهرة الهجرة واشتعلت كالحريق فى الخارج والداخل حتى من تخرج وقبل استلام شهادته بدأ البحث عن واسطة تسهل له أزمة الخروج الى اى مكان حتى وجدنا السودانيين موزعين فى كل الجزر و المحيطات المختلفة.

ثم اصبح وضع المهاجرين المطرقة و السندان..مطرقة الغربة وسندان الانظمة الحاكمة كل بحكمته وحاكميته والكثرة بحكم الضرورة والقلّة بحكم القانون وبقي المهاجر معلقا من يديه على مقابض (الدفع) و(الجذب) فى الباب الدوار فاصبح الداخل مفقود والخارج مولود وكانت النتيجة ان ثقلت موازين قوة الجذب للخارج وشدة الدفع من الداخل.

ولم يتمكن الجيل السابق ان يقنع الجيل الجديد رغم التكرار وكثرة الاجترار بقضايا الانتماء وروح التضحية والفداء وهم يشاهدونه يتخبط فى المطارات و يتعثر فى الجوازات وهم يتبعونه من خابور الى آخر.

وحتى لا أقع فى مصيدة التعميم الأجوف او التبسيط المخل أبدأ الحيث عن نفسى بعد ان اتصل بى احد ابنائى ينقل لى نبأ حصوله واسرته على الجواز البريطانى والذى كان يمكنه الحصول عليه قبل اكثر من ثلاثين عاما بعد ان حصلت عليه اخته الصغرى و لكننى قررت العودة بعد اسبوعين من حصولى على المؤهل العلمى مستنكفا الانتظار حتى نهاية العام للحصول على الجواز مستوثقا ان عودتى للسودان فى حد ذاتها هى اكبر جائزة لى. ولست ممتنا

عليه و لا نادما على شئ و قطعاً كان ابني آنذاك أصغر من ان يستوعب معنى الاصرار حتى كبرت معه تبعات القرار وما زال يقول ( هذا ما جناه أبى على و ماجنيته على أحد) وهو على حق مع معاناته ولكننى ما زلت على اكثر من حق فى قناعاتي وما كنت احسب ان العالم ستلحق به (لعنة بوش) و(شروع الشرعية الدولية) و (عولمة الشركات متعددة الجنسيات) ونكون من المغضوب عليهم او الضالين..

وصلت قبل بضع سنوات مطار احد الدول العربيه الشقيقه لحضور مؤتمر علمى بدعوة مسبقه تصحبنى ابنتى الكبرى المذكورة لحضور نفس المؤتمر لذات التخصص وعند ما تقدمت الى الجوازات دخلت وانا خلفها استوقفنى الضابط قائلاً:عفوا ارجو ان تستريح قليلا و سوف استدعيك قلت اشكرك ولكنها معى ورد بأدب قائلاً:هناك بعض الاجراءآت.قلت: ولكن هذا الطبيبة التى دخلت هى ابنتى وتقف فى الجانب الاخر تنتظرنى وللحظة اشفت عليه فقد ظلمه الفارق الواضح بين اللون الاخضر و الاحمر فى الجواز والذى يحتاج الى تدقيق فى لحظات الازدحام وصرامة النظام.

فدخل وخرج وعاد وسلمنى الجواز هامسا فى أذنى:لماذا لم تستخرج واحدا لك ؟ قلت له : المرة القادمة وحمدت الله على سلامة الدخول.وسالتنى ابنتى ماذا قال لك ؟ قلت لها:(فيما بعد؟

فى المؤتمر التالى جاء ابني الاكبر (صاحب القضية) لحضور نفس المؤتمر تصحبه اسرته قادما من بريطانيا بالجواز السودانى فطلبوا منه الانتظار فانتظر وصبر واستراح خوويلا حتى استنجد بصديق يعرفه هناك فوصله الصديق واخرجه من المطار بعد ساعات..وقد اتصل بى من هناك يحكى ما جرى و يسألنى ماذا ترى؟ قلت له افعل ماترى وستجدنى ان شاء الله من الصابرين القابضين على الجمر.



والان وقد كتبت لابنائى واحفادى فى آخر كتاب لى بعنوان (الغربة نثرا وشعرا) فى الموقع  
اللاكترونى أقول فى الاهداء دعوة خاصة جدا لابنائى واحفادى وهم يقرأون عنى فى الخارج ان  
يعيدوا قراءتى فى الداخل حتى تكتمل صورة الغربة:)...فوجدت الآن أن احفادى هم كنديون  
وبريطانيون وامريكان فى اسرة متعددة الجنسيات و بقيت وجدتهم السودانيين الوحيديين  
المطلوبين من جهاز المغتربين..

فاذا كان الاصل فى الجواز وثيقة سفر الا يستحق ان ننظر اليه الان كناقوس خطر يجلب  
فى الأذان يستحق ان نتوقف عنده وقفة جادة من اجل عيون الوخن لا لنجرمه أو نجرمه ولكن  
لننظمه فلا نجرم المغتربين من الحصول عليه و لا نكره الحاصلين فى حق العودة ونكون  
الخاسرين فى الحاليتين ولنا تجارب مريرة من نماذج هالكة ومهلكة فى دول صديقة فقدت خيرة  
ابنائها مهاجرين وعادت قلة منهم متطوعين على ظهور دبابات الغزاة المستعمرين الجدد وقوافل  
الشركات متعددة الجنسيات خطرا على الوحدة والامن والاستقرار..أقول قولى هذا واستغفر الله لى  
ولكم والعاقبة للمتقين..

## بين النصر والهزيمة

فى نهاية سنوات حكم بوش خرج العالم كله من (الامتحان) يتحدث عن (الدرس الكبير) الذى خرج به من (حصنة الارهاب) وكان من اصعب المواد المقرره على الاخلاق وقد استعصى على كل الفقهاء فى كل الديانات ودور العبادات ودهاليز السياسات و صفوة المنتديات الفكرية العالميه ومنذ ان قال فى اول خطاب له عن (الحرب الصليبيه) فور خروجه من عملية غسيل الدماغ الى عودة الوعى تسارع السحرة من حوله لتدارك العبارة خشية الصدام المباشر مع الاسلام وسموها (زلّة لسان) وهى من اهم الدلالات النفسيه التى لا تفوت على اصحاب هذا الاختصاص!!

وتراجعت لهجة الاستعداد نزولا عتبة فى سلم المواجهة الى عبارة الاصوليين والمتطرفين وهكذا رسا قارب الضياع فى شط الارهابيين ذلك البحر الذى اغرق كل سفن الحصار التى ظلت تطارد بلا هوادة اصدقاء الامس الذين انتصروا بهم ومعهم فى معركة (الاحاد) ضد الاتحاد السوفيتى وبما ان كلمة (الارهاب) اخف وقعا على اذن الجميع واقرب شرا الى لعنة (الاحاد) فى شرع المحاربة لان اصل الحرب فى الحالتين كان ومازال الدفاع عن المصالح. فاتسعت شبكة الصياد لتشمل الدول والاحزاب والهيئات والافراد متجاوزين مفهوم سيادة الدولة وتعدد الاحزاب وحرية المجتمع المدنى وحقوق الانسان وهكذا تقسمت الدول وتفتتت الاحزاب وانتهكت حقوق الانسان وتعارضت الديانات فى العقيدة الواحدة فى حوارات الاديان وهى اشبه بحوار الطرشان وانتهدت معظم الدول الى فتات الفتنة الطائفية و الصراعات المذهبية التى هزت الثوابت وزلزلت المتغيرات كالوباء الذى تفشى فى كل انحاء العالم.

ورب ضارة نافعة!؛ فقد اتاحت للعالم فرصة تاريخيه لاعادة صياغة وتصحيح المفاهيم المغلوخه منذ بداية هذا الصراع قبل عقود بعد ان احدث الدرس الكبير صحوة ضمير منقطعة النظر. ولاول مرة يقف العالم كله متوحدا ضد الظلم واصبح الارهاب صدى صرخة المستضعفين و المستهدفين و المظلومين بغض النظر عن العقيدة والدين او اللادين.. فلم يكن كل الذين خرجوا الى الشوارع واصطدموا بالسلطة يناضلون من اجل (حماس) واكثرهم لا يعرف حتى هويتها ولكنهم يناضلون مع المقاومة ضد الاحتلال.. العسكري والسياسى والفكرى والدينى والعنصرى بعد ان تبينوا ولاول مرة خبيعة الصراع وهذا فى حد ذاته اكبر انتصار.

وبعد ان تهاوى سجن (جوانتانامو) وسقط قناع الارهاب وتبدد الوعد بقيام الدولتين قبل نهاية فترة الرئاسة فى اتون الحرب على غزة -الجزيرة المنسية التى تم اكتشافها تحت اضواء القنابل الفسفورية وانهار الاقتصاد العالمى رغم (القمم العبثية) التى لا تنفض الا لتنعقد مرة تلو الاخرى فى مسلسل العصا و الجزره..

ورب ضارة نافعة!؛ ولاول مرة تخرج اسرائيل وهى ترتعد من هول كابوس الكراهية وشبح ملاحقة العالم وتبحث عن (الامن الحقيقى) من غضبة الشعوب التى عرفت الطريق الى محاكم العدل الجنائية والتى تتعرض لاختبار يفضح هوية (القابض و المقبوض) ولاول مرة نرى فى قائمة المطلوب القبض عليهم وجوه القادة والحاخامات المحصنين و المحصنات فى جرائم الحرب ولاول مرة تصطدم اسرائيل بمن يناخجها فى الامم المتحدة من أصدقائها المقربين من غير المستسلمين ومن احفاد العثمانيين امثال رئيس تركيا (رجب خيب اوردغان) الذى نزع ورقة التوت عن فضيحة المحرقة بلغة كانت محرمة على كل قادة العالم وخلع عن ظهر بلاده عباءة (رجل أورباالمريض) التى لبستها تركيا ردحا من الزمن لتهديتها للورثة الشرعيين من إخوة الاسلام.

وقد تكسرت على جدار الواقع اسطورة (الجيش الذى لا يقهر) وقد جرجر أذيال الهزيمة من لبنان ليتمرغ فى وحل المقاومة فى غزة و ما زال يجرى التحقيقات فى (الاهداف) التى لم تتحقق والتى لم تكتشف بعد و اذا استمر زخم هذه الملاحقة العالميه التى يتعرض لها من جهات ليست خرفا فى صراع اهل (بيزنطة) داخل و خارج غزة من الدول المجاوره او الاخرى الجائرة.. ان اسرائيل تعيش ازمة وجود حقيقيه ولذلك خرجت من المعركة كالثور الجريح تناجح كل من يقف فى خريقها وعلى الذين يتصدون لآخذ حقوقهم ان يقووا قبضتهم ويوحدوا ضربتهم قبل نهاية الوقت الضائع لان صحوة العالم على ضرورة محاكمة قادة اسرئيل تلقى صدى حتى بالداخل..

ويقيني ان المدعى العام المغلوب على أمره والذى اعترف بان جرائم اسرائيل فى لبنان و غزة لا تقع ضمن صلاحياته وشهادة الامين العام للامم المتحدة ببشاعة الدمار الذى حدث فى غزة أكبر شهادة تبنى عليها اركان الجريمة وتكفى لملاحقة (بوش) وقد سقطت عنه الحصانه واصبح مجرد(كرازافيدش) آخر تسلط عليه الآلة الاعلاميه التى تدور الان فى كل فضائيات العالم.وهكذا فى غمضة عين وانتباهتها اصبح (القابض مقبوض) و المطلوب الاول حيا او ميتا مقابل ٢٥ مليون دولار مازال خليقا يوزع البيانات ينعى رحيل بوش من مسرح الحياة السياسيه..

وهذه أبرز العلامات الفارقة بين النصر والهزيمة..

ورب ضارة نافعة..ولله فى خلقه شؤون

## خمس صفحات من مفكرة (أيلول الأسود) (١)

(١)

عبروا القناة على حبال الكبرياء

وتساقطوا شهباً هوت في الماء من جوف الفضاء

لم يدرك الأعداء من أين انطلقنا

كيف جئنا

أي درب ساقنا ذلك المساء؟

وتفرقوا في لحظة

وانفض سامرهم وانهار البناء

وتبدد الشمل القديم

كأن لم يجمعهم يوماً ولاء

هجروا الخيام

و"خط بارليف" الذي صنعوه من أغلى دماء

لم يبق غير مشوهي الحرب القديمة والنساء

ذاقوا "حزيران" الجديد... وكرروا  
أسطورة المتحاربين الهاربين بلا بنادق او حذاء  
عرفوا مرارة رفع ايديهم وراء رؤوسهم  
ومذلة التسليم بعد الانحاء  
وشراشة العربى حين تفور فى شريانه  
روح لأخذ الثار او سفك الدماء  
من كان يحلم ان يرش مواقع الثوار نور او ضياء  
من كان يحلم ان تعانق هضبة (الجولان) شرفات السماء  
من كان يحلم ان يسوق الفجر للصحراء حزمة انبياء  
يترقبون الليل تحت خيامهم  
وعلى الزناد اصابع تصطك من برد الشتاء  
من كان يحلم ان يعود الميتون الى الحياة من الفناء  
جيلا فدائيا و باقة انبياء  
يبنون من حجر المقابر قبة  
ومدينة كبرى تبشر باللقاء

كل الخطوط تفجرت لها تصاعد في الحدود بلا انتهاء  
كل المدائن تشتهي التسليم للثوار شرف الانتماء  
كل المعارك من وميض شرارة ولدت ونقطة ابتداء  
يهتز تحت القصف خط "بارليف" صكّ الذل في صدر الإمام  
"بارليف".يا وهما سيبقى عالقا في قلب سيناء القديمة مومياء  
لم تبق غير القدس تبكى لهفة للعائدين لها وتجزل في العطاء  
كتبوا بطاقات ورقم كتيبة رفعت على الوديان ألوية الفداء  
تركوهنا بصماتهم مكتوبة فوق الجدار..  
الى اللقاء... الى اللقاء

(٢)

أه...لو عندي مصباح علاء الدين  
لنحت لكم أنموذج خين  
غيرت خطوط الهدنة في غمضة عين  
ورسمت حدود (فلسطين)  
وجعلت مقر الامم المتحدة "ديرياسين"

وكتبت على واجهة الأنموذج: "أيلول بلا الوان"  
من يفلت من قبضة ايلول ستلحقه لعنة رمضان  
وخلعت قناعى الاسود بضع ثوان  
ليصير العالم فى نظرى لونين  
أبيض...أحمر  
الابيض شارة سلم دامية الطرفين  
كاذبة تتلوى مثل عصاة الدجالين  
والاحمر قطرة دم سالت ما بين الفخدين  
من جرح البكر المطعوننة بين النهدين  
اغتصبوها تحت الليل ولم تعرف وجه الشبحين  
استار الظلمة قد غطت وجه الابوين  
والدها يبرم شاربه المفتول كأعشاب الحنطة  
يتجول فى الامم المتحدة تحرسه عشرات الشرخه  
يستجدى اصوات بلاد لا يعرف موقعها فى الخرخه  
يترنح خربا فالبتروى يرجح ميزان السلطه



ويحيل (الفيل) الى (قطه)..

(٣)

آه..لو عندي مصباح علاء الدين

أو عندي بضع ملايين

لذهبت مع وفد المؤتمرين

في قلب "جنيف"

وحضرت هنالك أولى الجلسات

لأبدل كل الكلمات

وأصوغ الألفاظ المعسولة خلقات

تنطلق قذائف قاتلة محرقة من كل الجبهات

في (الجولان) وفي (سيناء)..الجرح الدامي..في (إيلات)

ماذا يعنى خط الهدنة في واجهة الدبابات

ما معنى حرب الكلمات

"ناصرمات"

قتلوه غدرا بالكلمات

ما اسرع ما تتجمع سحب الشبهات  
وانفتح الباب امام "جنييف" حيث تقام المؤتمرات  
حيث تحل قضايا الشارع... والازواج مع الزوجات  
مذ عرف العالم كيف يحيل نضال الشعب الى كلمات  
فى مادبة بين السادة والسادات  
فى السيرك الضاحك  
اسرائيل تجيد فنون الأكروبات

(٤)

يارب ضربنا وقد الخيمة فى سيناء  
وكتبنا اسم فلسطين خطوخا فى عرض الصحراء  
خط "بارليف"

خط "كيسنجر"

وخطوخا أخرى تنتظر بقايا الاسماء

من أرشيف (البيت الابيض)

من حجرات ال..ف..بى...أى.."

حيث تعاد صياغة كل خطوط العالم..

كل صباح كل مساء

(٥)

لا تطمسوا معالم المؤامرة

لا تكتموا صيحاتنا المتكرره

لا تدفنوا خيامنا المبعثره

رجالنا يستشهدون داخل المستعمره

ويرسمون فى جدرانها القديمة المشاهد المعبره

يستعرضون العالم القديم... يلعنون روحه المستهتره

فى هجمة جريئة على القرى..

او اختطاف خائره..!!

او خلقة تثير الرعب فى العواصم المغامره

ما أرخص الحياة حين لا تحرك الانسان غير مجزره

بوركت يا (أيلول) يامفجر الحريق فى (القنيطره)

اخفالك الصغار ودعوا لم يتركوا مذكوره

قد سجلوا بطولته مؤثره  
تعيش كالصنوبر القديم..نفحة معطره  
ترش بالعبير كل مقبره  
من سار فى خليعة الصفوف لن يموت فى المؤخره  
لا تحزنوا...ياساكنى الخيام  
يابقية المدينة المهاجره  
لا تطلبوا من السجن معذره  
لا تسالوا الجلاذ مغفره  
جريمة المشردين فى الخيام سبة  
تلوب فى جباهنا المعفره

لندن - فبراير ١٩٧٤

سلكه نشرته هذه القصيدة فى ديوان (نقوش على البحر) الطبعة الاولى - دار الثقافة بيروت فى الموقع الالكترونى

المنشور

## الصفوة..بين الصحوة..والغفوة

دفعنى الى كتابة هذا الموضوع اللقاء الذى اجرته قناة (الجزيرة) مع الطبيب الجراح النرويجى(داس جيلبيرت) الذى عاد من معركة الحرب على غزة وتحدث عن دوره كطبيب فى الحفاظ على (حياة) الانسان و رسالته كمثقف فى الدفاع عن (الحياة) الحرة الكريمة لهذا الانسان..واى (حياة) كما قال الشاعر:

لا تسقنى ماء الحياة بذلة بل فاسقنى بالعزكاس الحنظل

فقد كان دور المثقف فى الماضى بوصلة المجتمع التى تحدد اتجاهات الحركة والسكون والرياح التى تهب وتدب فى كل جوانب سفينة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسيه ولان معظم الدول كانت ترزح تحت مطرقة الاستعمار وسندان ثلوث الفقر والجوع والمرض بدرجات متفاوتة فقد كان الاهتمام بالشان العام هو المحرك الاساسى لنشاط القلة المتعلمه وكان التعليم فى حد ذاته هو القيمة الحقيقية للانسان فى المجتمع وكانت نعمة القراءة والكتابة مثار الاعجاب و مصدر الاهتمام و التباهى بين الناس ناهيك عن الترقى فى السلم التعليمى فكان المتعلم هو القدوة والمعلم الرائد الذى لا يكذب اهله.

وقد قامت النهضة الحديثة على اكتاف المتعلمين والمثقفين فى اندية الخريجين و منتديات الصفوة وكانت عبارة الصفوة وقفا على صفة المتعلمين الشريحة التى انجبت كبار القادة واعظم الساسة وبما ان الهم السياسى كان مركز الثقل فى الحركة الفكرية فى النضال ضد

الاستعمار فقد كان هؤلاء وقود هذه المعارك فى حرب التحرير دون التفكير فى الربح و الخسارة او النصر والهزيمة.

وبعد التحرير بدأ الصراع حول السلطة وتراجع دور المثقف الى الانكفاء على تاصيل مفاهيم الوجودية والحرية والامانى القومية من الاغاني والمدائح وخيف الفنون الشعبيه واشكال الابداع الفنى. وبأت الفجوة تتسع بين الصفوة والسلطة.

وعندما اشتد الصراع على السلطة بدأت نزعة الانقلابات العسكريه فى غياب الوعى السياسى والحوار الديمقراطى كبديل موضوعى لتبادل السلطة وافرزت الانقلابات العسكريه ثقافة العنف السياسى والاقصاء وقمع الراى المعارض واستنساخ كيانات بديله من قلة من الصفوة تكون واجهة جميلة للوجه القبيح تحت شتى المسميات.. وصعدت هذه القله على رافعة الانظمة العسكريه وعملت على تفكيك الاحزاب التقليديه الطائفية والدينيه الى كيانات سياسيه وعقائديه ثم تفتتت هذه الى عقائديه ومذهبيه ثم جهوية وعنصريه وبذلك خلعت الواجهة العسكريه للنظم وتبنت فكرة الانقلابات من الداخل ( الانقلاب و الانقلاب عليه) وهكذا أسست لفكرة الباب الدوار من عسكريه شموليه الى ديمقراطية انشطاريه لحقبة خويلت ترسخت فيها فكرة اخالة عمر الانظمة الحاكمة وصعوبة الانقلابات واستحالة التداول السلمى للسلطة وتعطيل ثقافة الحوار..

ومع خول فترة الغفوة وتراجع دور النخبه استحكمت الازمة فى اختصار فترات الصحوه لسنوات متباعدة تتسم بضعافية الشكل وهلامية المضمون واختلاف الرؤية فى الغاية والوسيله ومن خلال ذلك ضاعت فرصة التقارب فى تحقيق الاهداف الوجوديه الكبرى وضعفت روح المصالحة بين القيادات السياسية المتناحرة بصورة اقرب الى ( من ليس معنا فهو ضدنا)

فأصبح النقد يعنى اما الولاء الاعمى للسلطه أو الارتهان الكامل لأجندة المعارضه أو العداء المطلق للحوار وأصبح الهدم هو سلاح المعارضة وادعاء العصمة هو شعار السلطه وای محاولة للتقارب تثير علامات استفهام كبيرة حول الدوافع والنوايا وكأن الاصل فى الخلاف اللاعودة الى الحوار وكانت النتيجة هذا الحصاد المر الذى يجنى ثماره الجيل الجديد وبدأ الدوران حول الذات يفتح آفاق الخروج من فضاءات الوخن فى كل الجبهات..

وبات واضحا الان ان ثقافة الحلول المستورده أصبحت بديلا للصناعه الوخنيه للقرار السياسى فى اتجاه النقيضين من المتمسك بالحكم يبحث عن الشريك بالخارج للدفاع عنه أو المتطلع للسلطه يستجدى العون من الخارج للاخاحه به وفى الحالتين أصبح استعداد الخارج على الوخن ضرورة سياسيه فى خطة مرحليه لا تخضع لمحاسبة النفس الامارة بالسوء وهكذا تفشت ثقافة المؤامرة وكثرت التدخلات الاجنبيه والمحاكم الدوليه والقواعد العسكريه والقرارات الامميه التى لا يتم تطبيقها على الجميع الا من يتطوع بالبحث عنها نكاية اوغوايه وليذهب الوخن للجحيم..فتكرست ازمة ( الشعور بالدونيه) لدينا وتعززت نزعة (النظرة الفوقيه) لديهم فلا خير فى حبر العلماء و لا حرمة لدم الشهداء ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلينا ان نسال انفسنا ( لماذا نحن كذلك؟)

والان والاساخيل تحيط بعالمنا احاخه السوار بالمعصم يخطئ من يتصور انها لا تضمم سرا لاحد حتى لو هرول الجميع لتقديم فروض الولاء والطاعة بالخارج وارسال المطلوبين للعدالة للخارج ونرى ونسمع جهازا نهارا تغيير القوانين لحماية المطلوبين وتشديد القبضة على رقاب المظلومين شعارهم:

ومن نكد الدنيا على المرء ان يرى عدوا له ما من صداقته بد

وكثير ما ينقلب السحر على الساحر فتفترس القوى الكبرى اول من جاء بها لحيمايته بعد  
ان دفعته الاقدار الى تغيير اجندته فخرج من بيت الطاعه او جنح منا الاعتدال الى الممانعة وفي كلا  
الحالتين يصدق فيهم قول الشاعر العراقي الكبير عبد الرزاق عبد الواحد:

يا أهلنا ليس في حرب العدا خلل بل قتلکم بعضکم بعضا هو الخلل

فديتکم.. أنتم الباقون.. راحلة... هذى المسوخ... كما أبأؤهم رحلوا



## قطار التهده

لم يعد من الممكن لاي انسان يمتلك اقل قدر من الوعي السياسى أوادنى حد من الحس الوجودى ان ينأى بنفسه عن الخوض والملاحقة و المشاركة فى الاحداث التى تحيط بالعالم اليوم..لا لان العالم اصبح قرية كونية صغيرة يصعب الانعزال عنها و لا لان الانباء اصبحت تدخل معنا غرفة النوم ويستحيل النوم معها ولا لان ضربية الوعي ورسالة العلم تستوجب تعمير الارض التى نعيش عليها اما بعلم نافع أو رأى قاطع او صدقة جارية ولكن لان اضعف الايمان يفرض علينا كلمة حق عند سلطان جائر وقد يكون هذا السلطان سلطان الوعي والضمير او سلطان الراى والكلمة او سلطان الظلم والاستبداد.

وهذه المشاركة لم تعد فقط فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي لاننا من فرط الانكفاء على فروض الكفاية اسقطنا فروض العين فى اصعب الظروف

والدفاع عن الحق فرض عين فى فقه الضروره لان الساكت عن الحق شيطان اخرس ولان المثل الصينى يقول : (ان توقد شمعة خير من ان تلعن الظلام) فكفانا (اللعة عليهم) وعلينا ان نعمل عملا يخرج بنا من ظلمات هذا الدهليز الذى دخلنا فيه بحثا عن السلام فلا حققنا السلام ولا اوقفنا الحرب علينا.

ولان العالم خرج من (حرب غزة) يبحث عن التهده بدل السلام فقد اختزل كل المعارك وضغط كل الانجازات فى كبسولات مهدئه بدأ بالخيار الاستراتيجى ثم خارجة الطريق ثم الشرق الاوسط الجديد ثم التهده وكأن الحرب لم تكن اكثر حاجة للتهده حين كان العالم كله

يصرخ بحثا عن تهدئة الموت العاصف لا الحياة الموات وعزت التهدئة على الجميع..فأى تهدئة التى نتحدث عنها الآن ومن اجل ماذا؟؟

اننا فى قمة الازمات نخرج من العام الى الخاص ونهرب من الاصل الى الفروع ونقفز من العناوين الى التفاصيل علما بان الشيطان يكمن فى التفاصيل وكأننا نتحرش به ونوقظه من سبات عميق لياخذنا من متاهة الى اخرى.

عندما زرت غزة فى عام ١٩٦٢ فى رحلة خلايية بدعوة من الحكومة المصرية وجدت الجبهات فى هدنة تامة والكتيبة الكنديه من جنود الامم المتحدة تحرس المنطقة العازلة بين الجيش العربى و الاسرائيلى حتى تحولت الهدنه الى حرب كاسحة فى حزيران ١٩٦٧ ثم احتلال غزة بالكامل ثم حلت التهدئة وبعدها حرب العبور فى ١٩٧٢ ثم حلت التهدئة حتى تراجع الواقع السياسى من السئ الى الأسوأ ومن نفق الى اخر حتى وصلنا الى خريطة الطريق التى ضل فيها الجميع ثم خيار السلام الذى تحول حوار تكتيكى لكسب الوقت لتكريس الاحتلال وتغيير الديموغرافيا الارض وتهويد القدس.ورغم المتغيرات الكبيره التى احدثتها الحرب على غزة على خريطة العالم أجمع سياسيا وفكريا وزلزلت القناعات الراسخة فى اذهان اعنى الاعداء وازافت بعدا انسانيا ودعما نفسيا لدعاة (التغيير) فى الادارة الامريكية الجديده الا اننا وجدنا انفسنا نبحت عن (التهدئة) فى وقت تتحرك فيه كل الحقائق على الارض ووصلنا درجة من التشرزم والانقسام وقدرا من الخلاف والخصام أقرب الى نقض العهود وفض الاجماع والخروج على الملء..

فالخلاف الفلسطينى ليس له مبرر سياسى ولا دينى الا الانصياع لأرادة خارجيه ضد ارادة الأمة والانقسام العربى ليس له مبرر استراتيجى الا تهيئة الأجواء لابتلاع المنطقة العربية والاسلامية

والاجماع الدولى ليس له دوافع غير الانقضااض على البقية من الاخلال الواقعة على جبهة الممانعة او حلبة المصارعة.

ما من أحد فى كامل قواه العقليه يجنح للحرب فى معركة السلام او يشعل النار فى بقايا الهشيم ولكن فضيلة الوقفة مع النفس و محاسبة الضمير ضرورة حياتيه للسير فى خريق الاحياء لا الدوران فى دوامة الوهم الذى نراه قريبا كلما سار بعيدا و لا نسال انفسنا لماذا نحن كذلك؟ ونتشكك فى نوايا الذين يطرحون علينا هذا السؤال..لماذا تملكون كل اسباب القوة و لا تشعرون باى قوة..؟ولا تؤمنون بان الهزيمة ليست قدرا.؟

والثابت الآن ومنذ انطلاقة رحلة الخيار الاستراتيجى فى قطار السلام من محطة (أوسلو) مرورا بمعاهدات السلام التى أضعفت الأمة و صكوك التطبيع التى مزقت اللحمه وبناء جدار العزلة العنصريه و زيادة خلايا المستوطنات السرخانيه و حرب لبنان الأسطوريه و نكبة غزة الاجراميه حتى صعود اليمين المتطرف فى الحكومة الاسرائيليه وسرعة قطار السلام فى العد التنازلى نحو (التهدئه) حتى توقف تماما قبل العدوان الاخير...

وعاد ركاب (أوسلو) المصطفون فى محطة (ترانزيت) الحكومة الاسرائيليه القادمه يقطعون تذاكر سفر جديده لركوب قطار (التهدئه) الى محطة مجهولة!؟

## من أجل عيون السودان

قد يكون من غرائب الصدفة ان اكتب هذه المقالة فى عجاله خارج الوجود من باريس بعد ان عانيت فى استخراج تأشيرة دخول الى فرنسا لحضور مؤتمر علمى رغم اننى دخلت فرنسا اول مرة عام ١٩٧١ قادمًا من لندن بالقطار من محطة (ووترلو) ثم بالباخرة من مدينة (دوفر) الى مدينة (كاليه) عبر المانش الانجليزى قبل بناء نفق العبور ولا اذكر حتى اللحظة ان كنت قد دخلت اذنا من أحد للدخول..ومازلت ادخل بصورة منتظمة حتى دخلت السفارة للحصول على (الشنجن فيزا) و دخلت منى الموظفة الى جانب اوراق تعجيزيه كثيره ان اقوم بتوقيع (البصمه) فقلت لها (هذا حلم ابليس بدخول الجنه فان كان هذا ثمن الدخول الى باريس فلتذهب الى الجحيم..انظرى فى الجواز كم مرة خفت اركان العالم الاربعة؟

فردت فى نبرة متعاليه (هذه شروط الدخول لبعض الجنسيات ودار نقاش حاد متوتر للجميع وكنت اول المعنيين به حين اكتشفت العبارة المكتوبة فى الجواز (كل الاقطار ما عدا اسرائيل) وربما الدعوى الأخيره المحرضة فى مذكرة المحكمة الجنائيه وربما المواقف المعلنة فى وعد اسبانيا للحكومة الاسرائيلية بتغيير قوانينها حتى لا تطال يد العدالة مجرمى الحرب على غزة..وكان بجانبى غيبب دنماركى من اصل عراقى كان يعمل معنا فى (أبوظبى) قبل ان يقرر الهجرة فى الثمانينات تحت مظلة اللجوء للحصول على الجواز بعد ان كان الوحيد منا الذى يرفض له خلب التأشيرة قبل حرب (التحرير) على العراق وفجأة تغيرت هويته رغم اننى اشهد له انه اعظم الناس وخنيه واكثرهم كراهية ولكنه ركب الصعب وهو عالم بركوبه وقد قال لى: (عندما فكرت فى الحصول على الجواز لم يكن فقط هروبا من الواقع ولكن رغبة فى الخلاص من هذه

المضايقات والان نعيش فى الدنمارك رعايا غير مرغوب فيهم يصارعون من أجل البقاء خاصة بعد ان وضع فشل الحرب وتصاعد العنف فاصبحنا مستهدفين فى الداخل والخارج ووضح الان اننا حررنا انفسنا وتم استعباد العراق كله ولم يكن هذا واردا فى التفكير و لا مبيتا فى النوايا لكثيرين ممن تحمسوا للغزو والاختاحه بالنظام بسبب كراهيتنا له ولكن الثمن كان الوخن كله الذى سلمناه رهينة مقابل وهم الحريه الذى نعيشه الان..الله يغفر لنا) واستطرد يقول لى: (نصيحتى لكم ولست خير الناصحين الا تضيقوا ذرعا بهذه المضايقات والملاحقات فانها عمليات ابتزاز تدفعكم الى كراهية البلاد و الخروج من حضن الوخن الى حد التضحية به و فى النهايه ستجدون انفسكم اول الضحايا ولى أخوة يعملون فى السودان الان ويقولون لى ان الصراع فى الأصل بين الدول الكبرى حول مستقبل البترول والثروات المعدنية ولو سلمتم كل السودانين الى محكمة العدل الدوليه لن يقنعوا باقل من تسليم البلاد كلها والدخول لتقسيم السودان كما يحدث فى العراق..

وقال لى صديقى الطبيب المصرى الذى حرم تاشيرة دخول احدى الدول العربيه لحضور مؤتمر مماثل وكان يجلس فى دكة الاحتياط فى السفارة:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

(اننى أعجب من دول تتغنى بحقوق الانسان وتعاقب الشعوب بذنب الحكومات وان كانوا اكثر المعارضين لها! واضاف (صدقنى اذا تصالحت حكومتكم مع الغرب وقبلت شروخه سوف يسقط كل هذه التهم ويجعل منها نموذجا للاعتدال والعقلانيه ولكم أسوة حسنة فى دول افريقيه وعربيه فعلت هذا وخرجت من محور الشر الى عالم الملائكة..ولم يتغير حال الشعب فى  
الحالتين؟؟

دار كل هذا النقاش قبل ان نخرج من قاعة السفارة وفى يدى الصحيفة اليوميه تحمل قرار المحكمة الدولية.وقلت فى نفسى( أليس هذا استنساخا لنظرية (الفوضى الخلاقة) التى مزقت الصومال و قسمت العراق وزلزلت لبنان ؟ الم يجربوا النسخة المعدله والتى تمزقت فى فنزويلا و تبخرت فى ايران و تعذرت فى زيمبابوى وتعثرت فى سوريا؟ اليست هذه النسخة الجديده التى يجرى تجريبها فى السودان؟ والا كيف تفسر هذا (التوقيت) الذى يفضح السباق مع الزمن !

واتساءل بعد توقيع كل هذه الاتفاقيات (بالجملة والقطاعى) وفى وقت تجرى فيه اجتماعات فى (مؤتمردوحة) بمشاركة دولية لم يجف حبر التوقيع فيها على حسن النوايا من أجل تحقيق السلام يتم اصدار هذه المذكره...؟ماذا يحدث لو تاخرت حتى نهاية المفاوضات فتكون شاهد عصر على صدق النوايا؟ وكيف تكون حرية الحوار تحت سيف القرار؟.ان السودان الان أشبه (بجزيرة الكنز) فى قلب افريقيا يراد فك الطوق حوله والنفاز اليه اما بتغيير الحرس الحالى او توظيف (الفوضى الخلاقة) فى تحقيق السيناريوهات المعدة سلفا :

وعلينا ان نتذكر قول الشاعر المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ولكن...؟؟!! فى هذه اللحظة على الدولة ضم كل السودانين تحت خيمة الاجماع الوخنى و على كل السودانين ضم وحدة السودان فى حدقات العيون ...من أجل عيون السودان..

## قصتي مع عثمان حسين..

لقد كتبت فى مقدمة كتابى (مقالات مختاره بين الطب والأدب) والذى اهديته الى روح استاذى الجليل العالم الراحل البروفسير التجانى الماحى ما قاله لى فى مطلع حياتى العلميه بعد الوعكة الصحيه التى أمت به وهو يحاول كتابة مذكراته بصعوبة بالغة وأنا جالس معه (أوصيك يا ابنى ان تكتب وانت صغير لا تنتظر حتى ياخزك الزمن على غره فى انتظار نضج التجربة فان منحك الله العمر قد لا تتوفر لك العافيه وان اكرمك بها فقد لا يجتمع لك الاثنان معا وعلى كل حال لن تعدم العدو القادح أوالصديق المادح واترك الحكم للاخرين وان واتتك الفرصة فيمكنك تصحيح التجربة وكما قلت فى الكتاب لقد اخزت هذه الوصية وعملت بها ووجت نفسى قد كسبت الكثير منها.

والان وأنا انشر هذه السلسلة من المقالات حسب التسلسل الزمنى فى الفهرست واكتب عن (قصتي مع عثمان حسين) خشيت ان يدركنى العمر قبل ما انشر الجزء الذى اصبح ملكا للقارئ وجزءا من تراث عثمان حسين ومن حق الناس ان يطلعوا عليه وان يحكموا فيه خاصة وفيه حقائق من تراثه الفنى الذى لم يتوفر للناس لظروف موضوعية تاتى فى سيق السرد وان أمهلنى الله فى العمر قد تتوفر الفرصة لكتابة ما يدخل فى السيرة الذاتية لى مع عثمان حسين وأفراد أسرته وأصدقائه داخل وخارج الوسط الفنى. وفى هذا السباق مع الزمن قد لا أكتب كل شى وقد تفوتنى اشياء ولكننى التمس العزرفى اننى أكتب من خارج السودان بعد غربة امتدت اربعة عقود وعشرة تواصلت خمسة عقود مع عثمان حسين عطر الله ثراه فقد تفوتنى بعض التفاصيل ويخزلنى عمق التحليل فيما اتصور انه عين الحقيقه والعز اننى اكتب من زاوية شخصية خالصة فى علاقتى به حتى اشعار آخر.. واول اغنياتى (أوعدينى) فى عام ١٩٦٣ م ثم اغنية ( الوتر المشدود) فى

عام ١٩٨٥ م والاولى انتشرت فى الازاعة والتلفزيون والسينما الثابتة والمتجولة والثانية ليس لها وجود فى اى منبر من وسائل الاعلام الا من شريط الفيديو الذى احتفظت به ربع قرن و الآن اهديته الى منظمة عثمان حسين الخيريہ والتي اتشرف بان اهدى لها هذا الكتاب اعترافا منى لها بالتفانى فى خدمة رسالة الفن ومساهمة منى معها فى حفظ تراث عثمان حسين والاعنية الأخيرہ(صدى ) قرأها عثمان شخصيا فى البرنامج الرائد( اسماء فى حياتنا) وغناها بالعود فى تلك الحلقة ومن الحقائق التى تستحق التسجيل حفل التكريم المشهود والذى أقامته الجالية السودانية فى مدينة مسقط فى سلطنة عمان والذى كان فى نظرى لفتة بارعة وفاتحة خير غيرت مفهوم التكريم من منحة قطعة ارض بعد الوفاة الى كرنفال فرح ووسام تقدير ملء الحياه وبعدها والحق يقال بدأ الغيث أوله قطر فينهمر وتوالت مواسم التكريم لكل المبدعين وفى مقدمتهم عثمان حسين واشهد صادقا ان هذا التكريم رفع من روحه المعنوية الى عنان السماء.وقد زكرت اننى ترددت كثيرا فى الكتابة عن عثمان نحسين فى حياته وهو مفرط الحساسية فى تقبل الأخرء خاصة فى وجوده مع جماعة وان كان لا يتحرج منه منفردا كنصيحه ورأى فنى وكانت هذه الخاصيه من اكبر مصادر تعاسته خاصة فى التعامل مع الجهات الرسمية داخل وخارج البلاد وقد عانى كثيرا فى سبيل الحفاظ على وقاره المعهود فى ظل هذا التزمت والجحود.

ولكل هذه المعطيات أثرت ان أنشر هذا النزر اليسير حتى لا أرحل وقد أخطات فى حقه وظلمته حيا وميتا عندما لم اكتب عنه حيا فأتحفه ولم أوثق له ميتا فأنصفه..والحق أقول لكم. وما كل ما يعرف يقال. سالنى مرة احد الأصدقاء فى إحدى الحفلات فى أبوظبى: لماذا لا تقدم عثمان حسين بنفسك وانت صديقه؟! قلت له فى استحياء هل يمكن ان تتحدث عن نفسك للناس؟ قال: لا! قلت له هذا تحديدا ما أحس به وانا أتحدث عن عثمان..وحتى يقترن القول بالفعل فقد يزكر الزين حضروا ليلة المأتم كيف خنقتنى العبرة وأقعدتنى الحسره وماتت فى فمى



الكلمات عندما قدموني مع خابور المكلمين فى كلمة تأبين وكنت أحسب نفسى عصى  
الدمع الى عهد قريب وأكثر من هزا بعد كتابتى عشرات المرثيات فى عدة دواوين لم أجد بيتا  
واحدا من الشعر أرثى به عثمان حسين حتى هذه اللحظة وكأن كل حروف الأبجدية عجزت عن  
التعبير عن الشجن الزى أحس به يسكن داخلى ويمزق احشائي حتى القاه راضيا مرضيا

وهذا بعض ما جاء في المقالات

## (١) أغنية (الوتر المشدود)

قد يبدو من الضرورة الملحة الان بعد الرحيل المفاجئ للصديق والمطرب الأسطورة عثمان حسين وقبل ان أفرغ من كتابي الذى أهديه الى روحه الطاهره (قصتى مع عثمان حسين ) بعد ان نوهت عنه عدة مرات وعز على ان أكتب عنه وهو مازال بيننا – ليس فقط لاننى ما تمنيت ان أعيش الى زمن أنعى فيه عثمان ولكن بحكم صلتى اللصيقة به ويقىنى بانه ما كان سيقبل الاخراء والمدح ممن يملك حق ممانعتهم وصدق معاتبتهم على شعوره بالحرى فى ذلك وقد كنت احد هؤلاء وسمعتة منه اكثر من مره..ولكن ولأن غيرى يملكون الحق فى ذلك وعثمان ملك الجميع اردت للذين يريدون التوثيق لمسيرته الفنيه ان تتوفر لهم بعض الحقائق التى لم يتواضع عثمان على ذكرها فى الفترة الاخيره والتى تمثل بعض ملامح (العزلة الحميده) عن الاضواء الفنيه الا ما كان من المشاركات الوجدانيه التى تملئها حياته الاجتماعيه وخببعتة الودودة.

(الوتر المشدود)..اسم اغنيه قام بتلحينها وادائها فى مدينة أبوظبى فى حفل عائلى ساهر كبير فى قاعة السمكة الذهبية فى عام ١٩٨٥ م وقد قدمها كاملة مع الفرقة الموسيقية للمركز الثقافى الاجتماعى السودانى بابوظبى..وقد كانت من كلماتى وليس هذا بيت القصيد ولكن لانها لم تسجل فى الاجهزة الرسمية حتى اليوم وقد تبين لى هذا عند ما دعيت للمشاركة فى ندوات اذاعيه وتلفزيونيه فى زيارتى الأخيرة للخروج ولم نجد تسجيلا للاغنيه رغم اننى احتفظ بها فى شريط فيديو وكاسيت وCD فى ابوظبى وقد قمت بارسال الوثائق الى صديق الطرفين الاذاعى اللامع والموثق الموسوعى لسيرة عثمان حسين الفنيه والمستمع العاشق المسكون بفض عثمان حسين..الأستاذ الأديب عمر الجزلى ومن اجل عيون الحقيقه كانت هذه الاغنيه شهادة عصر على قدرة عثمان الفذه فى الابداع فى التلحين حتى آخر خطواته فى مشواره الفنى اذ لم تستغرق منه

بضعة ايام مع الموسيقار الموهوب (عازف الفلوت) حافظ عبد الرحمن) و(عازف البيكلو) (أسامه بيكلو) فى ابوظبى آنذاك لحننا وتوزيعا..وكانت محاولة مقصودة منى فى دفع عثمان لان يواصل الابداع رغم المعاناة التى هى قدر المبدعين وقد فعل وتفوق على نفسه كالعادة...

وقد درج عثمان حسين خبيب الله ثراه ان يزورنى فى ابوظبى فى فترات متباعدة بعد اصرار وتكرار للدعوات وعندما ياتى لم يسال يوما عن وسائل الاعلام ولم يبادر للاتصال..ولاننى كنت اعرف عثمان حسين معرفة أصابع الكف للضير فقد كفيته ذل السؤال وكنت أقوم بتنظيم وتبويب مواعيد ومواضيع لقاءاته فى أجهزة الاعلام بما يرضى عثمان لا ما يطلبه القائمون على الأمر..

وقد عرفت هذا عن عثمان حسين منذ الخمسينات فى الخرجوم وكنت صديق حميما لاجهزة الاعلام زمان اللواء المرحوم خلعت فريد وزير الاعلام فى حكومة الفريق عبود وفى حكومة مايو وصديقى الاديب والكاتب والمحقق الناقد الراحل عمر الحاج موسى وزير الثقافة والارشاد...قال لى عثمان حسين آنذاك ( انا غنيت للوخن..(ارضنا الطيبه) للشاعر حسين بازرعه:

أفديك بالروح ياموخنى...فأنت دمي وكل ما اغتنى

بلادى أنا

وغنيت للوخن فى ثورة أكتوبر ( الشهيد القرشى) للشاعر بازرعه:

هذا الفتى ما أروعه...

قلبي معه..قلبي معه..

قدح الشرارة ثم لاقى مصرعه...

وعرفت من الاثنين ان الغناء للوخن يبقى وما دونه يذهب هباء..

وهذه شهادة على العصر ان عثمان حسين عانى معاناة (القابض على دينه كالقابض على الجمر) فى سبيل ان ينأى بفضه عن بورصة الانظمه وقد كان هذا خصما على حياته اليوميه ولكنه يبقى رصيذا واطافة الى حياته وتاريخه الفنى.

عودا على بدء.. فقد ذكر عثمان حسين هذه الاغنيه (الوتر المشدود) وقرأ أبياتا منها فى البرنامج المتميز (اسماء فى حياتنا) وكانت موجودة فى شريط فيديو وكاسيت مع ابنه البار صلاح عثمان حسين ولم يقدمها وذكر الاغنية الثانية (صدى) والتي لحنها وغناها فى ابوظبى ايضا ولا توجد فى مكتبة الاعلام حسب ظنى - والله اعلم. وهنا للحديث بقيه !

وتقول ابيات اغنيه الوتر المشدود:

أغنى على وتر مشدود بحنيه

أنادى واقول تعال يا وخنى عود لى

تعال احكى الحصل ليك

وشوف ايه الحصل لى

كفانا فراق.. كفانا عتاب

كفايه عمرنا ضاع فى غربه منسيه

سلطان سلطان سلطان سلطان

ان المشتاق وما لاقى  
دوام اتذكرك واسال  
واقول باكر جناح الشوق  
يشيل هناك وليك ارحل  
اخاف القاك بعيد عنى  
وقبال ما اجيك واوصل  
تموت الفرحة فى الاحداق  
ونار اشواقنا ما تتبل  
أخاف غدر الليالى يعود  
ويرجع زى زمان يحصل

سلطان سلطان سلطان سلطان

حلفت عليك ومنك وليك  
وما فى عزيز عليك واغلى  
وكنت أقول اقبل وين  
وجدت محبتك قبله

ومهما تكون بعيد عنى

فى وجدانى تتجلى

وكيف من غريبه لى غريبه

اجد خنعم العذاب احلى..

وللقصة بقية....

## (٢) أغنية ( صدى )

مواصلة للحديث السابق حول أغنية (الوتر المشدود) والتي تم تلحينها فى سبتمبر ١٩٨٥ م وغناها الراحل عثمان فى جلسة عائلية احتفائية بمولد ابنتى (إيمان) ثم تقديمها بالاوركستر الكامله فى الحفل الغائى الساهر فى قاعة السمكه الذهبية ما زلت احتفظ بالشريط المسجل حتى الان...لم يكتب لهذه الأغنية ان تسجل حتى جاء عثمان مرة اخرى الى أبوظبى فى عام ١٩٨٨ م وكان قد اصبح انتقائيا فى لقاءاته الفنيه ومقابلاته الصحفيه ومقلا الى ابعد الحدود فى التعامل مع الاجهزة الرسمية فى الاذاعة والتلفزيون.زوقه بذل الاعلامى المعروف عمر الجزلى جهودا شخصية ورسمية مضنيه فى اقناع عثمان بانه اصبح ملك الشعب السودانى وارث أمة لا تعاقب بجريرة اهل السلطة او قبيلة المتسلطين عليها فى أى زمان ومكان..اما الزبد فيذهب جفاء ويبقى فى الارض ما ينفع الناس وقد قدر له ان يكون ممن بقوا فى الارض ليعمروها وينفعوا الناس..وبقيت معه أياما فى الخرجوم لكى نقدم لقاء فى برنامج ( اسماء فى حياتنا ) وحتى اللحظات الاخيرة وان لم اكن متهيأ لهذا اللقاء فى زيارتى القصيره ذهبت الى البرنامج وغاب عثمان حسين وما كان للبرنامج ان يكتمل وما زال متصلا ومنفصلا لم تكتمل حلقاته بانفراط واسطة العقود وما زال صديق الطرفين يتمنى ان نلتقى حتى نكمل البرنامج حتى لو فى الخليج ويشاء قدر الله ان يرحل عنا عثمان قبل ان يتم اللقاء..ولكن بعد عودة عثمان الى ابوظبى المرة الاخيرة حاولت جاهدا فى عام ١٩٨٨ م وفى وجود ابنه الاكبر حسن عثمان وبعض اخوان الصفا امثال الصديق الفنان والاديب والطبيب الراحل الدكتور محمود زروق عطر الله ثراه وكانت له محبه خاصه وعلاقة متميزه ومكانة فريدة فى قلب عثمان حسين وامثال الصديق الاديب والكاتب العميد م حسن عثمان ابراهيم رئيس البعثة العسكرية فى أبوظبى والدبلوماسى المتقاعد ورجل الاعمال وعاشق الفن

والادب الصديق محمد بابكر حمد والصديق الدكتور عمر أبوبكر رئيس قسم الصيدله بوزارة الصحة بابوظبى آنذاك وغيره ممن يضييق المجال عن ذكرهم فلهم العتبي حتى موعد آخر.

كون هذا الرصيد الضخم من النسيج الاجتماعى بيئة جديدة ومناخا صحيا خاليا من توتر الخرخوم وضجيج الاعلام وأوجاع السياسة وبدأنا فتح كوى مضيئه يبصر منها شمس السودان التى لا تغيب خارج الخرخوم.

كتبت قصيدة (صدى) المنشورة فى مؤخرة هذا المقال وجاء الدكتور عمر ابوبكر حاملا مسجلا صغيرا يستمع ويسجل مقايخع من البروفه وفى المساء كان اللحن قد قطع شوخا بعيدا فى المشوار وجاءنا الصديق محمد بابكر ليسال عثمان لماذا لم يسجل فى الاجهزة الرسميه قصيدة (الوتر المشدود)

قال له عثمان بسرعة واختصار شديد: ( المشغوليات )

قال لى محمد :ماذا حصل

قلت له :تذكر الكوبليه:

انا المشتاق وما لاقى دوام اتذكر واسال

واقول باكر جناح الشوق يشيلنى هناك وليك ارحل

أخاف القالك بعيد عنى وقبال ما أجيك واوصل

تموت الفرحة فى الاحداق ونار اشواقنا ماتتبل

اخاف غدر الليالى يعود ويرجع زى زمان يحصل



قال لى فعلا حصل...قلت له :ربما هذا ما حصل مع عثمان ايضا ثم نظر الى عثمان وسكت..وربما يذكر القارئ ما قال الشاعر والاديب الموسوعى السر أحمد قدور فى برنامج ( أغانى وأغانى ) ان عثمان خييلة حياته لا يعاتب ولا يهاجم ولا يغتاب أحدا وازيد عليه وحتى الذين بدأوا معه هذا المشوار لم يصحبهم فيه..

عندما عاد الى الخرطوم بدأ اخلاسته الاولى بعد اعتكاف خويل فى برنامج ( اسماء من حياتنا ) وهذه تحسب فى ميزان حسنات الصديق عمر الجزلى ويشاء الله ان تهب رياح الانصاف وتزهى كرنفالات الابداع و مواسم التكريم بعد الخروج من النفق المظلم فى مسيرة الفن والابداع ..ولن أنسى حفل تكريم أبناء الشايقيه عندما قال الفنان المبدع ( ود اليمنى) فى مستهل الحفل : لقد درج الناس ان يقولوا يو شكرك ما يجىء ولكننا نريد عثمان ان يسمع شكره باذنيه..وأمسك أذنه اليمنى معبرا فكان هذا اجمل التعابير التى شرحت صدر عثمان وتوالت القطرات والغيث أوله قطر فينهمر وبدات تنقش سحابات الظلمة من عيون عثمان المثقلة بوحشة النظر الى عالم ملئ بالظلم:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وليته ينعم بشأبيب الرحمة فى آخرته مثلما سعدنا بحسن الخاتمه فى دنياه عندما صلت عليه جماهير لو تقبل الله دعاء الثلث من المتوسمين الخير فى وداعه والضارعين الى الله خلبا لشفاعته لكفاه وحشة القبر.

وفى موكب التشييع ومراسم الدفن كانت صلاة رئيس الدولة عليه لفتة تكريم و صك

براءة من ظلم الانظمة والمسؤولين فى مطلع عهد الانقاذ خاصة والانظمة الشمولية عامة والتى

فرضت ضريبة ولاء للنظام على الابداع فى الكلام ..والله وراء القصد

أغنية ( صدى )

حرام تتمادى فى الحرمان وانا المحروم بلا آخر  
حليلك... يارسالة شوق معلقه فى جناح خائتر  
نقول جاينين..وكيف ومتين نشيل اشواقنا ونسافر  
ونمشى بعيد..وحييد لوحييد نعيش فى القلب والخاخر

سلطان سلطان سلطان سلطان

ونار اللوعه فى الوجدان تزيد لى فى عذاباته  
عزاي رضاك أمل مجهول وما عارف نهاياته  
وقلبى يخوض بحار الشوق يصارع اعنى موجاته  
ليالى الوحده ما بالايدي بتحرق فى حطام ذاته

سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان

أضمك فى ضلوعى سنين أهاتى وانادى ليل ونهار  
يطول بينا الطريق ونقيف نقيف فى أول المشوار  
أقول ارجع..أقول أصبر ويا ما كترت الاعذار  
صدى الذكري حروف وسطور... بتروى أجمل الاشعار  
وللقصة بقيته...

### ( ٣ ) أغنية (أوعدينى)

فى مطلع الستينيات ورياح التحرر الوجودى تهب من أركان العالم الأربعة كنا قد تخرجنا من مدرسة حنتوب الثانويه ( حنتوب الجميله ) وقد صقلتنا بالتجارب وزودتنا بالمواهب وملأت نفوسنا بالتطلع للمستقبل فى كل مجالات الحياة العلم الفن الشعر النحت التصوير السباحة وكل مناشط الرياضة وشتى ضروب السياسة..وكان نموذجنا مصغرا للمجتمع المتميز فى كل شئ..خرجنا نحمل همومنا وتطلعاتنا من مختبر التجريب الى ميدان التطبيق..وبعض هذه الهوايات كان التفاننا مجموعات خلف كل فنان..رابطة ذوق وصلته عشق للفنان وكنت من مجموعة عشاق فن الفنان الرجل الأستاذ عثمان حسين..بيبادلن الشوق والصبابة فيه على سبيل المثال لا الحصر- الصديق الكاتب الدكتور ابراهيم دقش والصديق القاضى صلاح الشريف حبيب الله والشاعر الرقيق المستشار القانونى الجليل عبد المنعم عباس وكان التخرج من حنتوب والدخول لجامعة الخرجوم أشبه بنهائي موندريال كاس العالم...وكان عندى الوصول الى منزل عثمان حسين والاستمتاع بأغانيه كما يقول صديقنا الوفى الشاعر صديق مدثر ويتغنى بها الفنان المبدع الكابلى فى (ضنين الوعد) :

بعض أحلامى التى أنسجها.. فى خيالى وأناجيتها مليا

وخرجت وتوجهت اول ما فعلت الى منزل عثمان فى السجنه وكان يعرفنى على بعد حيث كنت اتردد عليه فى زيارة الأهل فى الاجازات الصيفيه لأحضر بروفات بعض الأغانى فى منزله امثال ( لا تسلىنى ) و (نادانى غرامك) مع العازفين فتاح الله جابو وعبدالله عربى وحمزه سعيد وحسن بابكر وغيرهم من أبناء حى السجنه الوسط الفنى العريق- وتوخدت العلاقة حتى انتظمت

فى الدراسة الجامعيه فقلت فرص التلاقى لكننى لم انقطع عنه..وكان يزورنى فى داخلية كلية الطب واذهب معه الى بعض الحفلات الخاصة والعامه.

وقد بدأ ضمن النشاطات الاعلاميه ما يسمى (بالجريدة الرسميه) فى شكل شريط أنباء قصير عن أهم الأحداث فى البلاد وتقوم بالتصوير وحدة الانتاج السينمائي فى وزارة الاعلام..وكانت تنتج افلاما وثائقية قصيرة توزع فى الساحات العامه فى الاقاليم و دور السينما قبل عرض الافلام

ثم تطورت الفكرة الى تصوير ما يسمى (اسكتش غنائي) أشبه بما يسمى (فيديوكليب) الان وقد تمت تسجيلات وثائقيه لأغنية (الخرجوم) للفنان حسن عطيه و(رحماك يا ملاك) لعميد الفن السودان الأستاذ أحمد المصطفى ومازالت تحكى روعة ذلك الجيل وتعكس ملامح ذلك الابداع..ثم بعد ذلك فكر مدير سينما كلزيوم (ليكوس) فى عمل اسكتش غنائي للفنان عثمان حسين وتم اختيار أغنية ( لا وحبك ) للشاعر الرائع والألق البديع حسين بازرعه :

لا وحبك.. لن تكون أبدا نهاية

انت عارف نظرتك كانت بدايه

وما بتغير حينا السامى وشايه

وقد كان السائد فى ذلك الزمن الجميل ان تعقب الأغنيه الكبيره أغنيه خفيفه اوما تسمى مجازا ( كسر) بفتح الكاف..وقد حضرت الاجتماع الذى تم فى السطوح (الروف ) فى سينما كلزيوم وعندما خرجنا خلب منى عثمان حسين ان اعمل له أغنيه خفيفه حتى تعرض فى نهاية (لا وحبك) حتى تعطى معنى الاستمراريه او النهايه السعيده للقصه ( لن تكون أبدا نهاية) ووعدته فرحا بها مستبشرا متيمنا..فكتبت أغنية (أوعدينى) وعندما بدأ التلحين كان تقريبا

كل أعضاء الأوركستر موجودين فى ورشة عمل مفتوحة فى منزل عثمان بالسجانه لأخراج الأغنيه فى ثوب يناسب الفكره ويواكب المستوى الفنى لأغنية (لا وحبك ) إحدى (الحوليات) كما يسميها اعضاء الفرقة الموسيقيه .لقد كانت بعض أغانى عثمان حسين تاخذ عاما كاملا فى التلحين أى (حول) قبل ان يقرر الذهاب بها الى الاذاعه وكان هذا سر الاتقان والأبداع فى اللحن والموسيقى والأداء.

فقد كان الأخذ والعطاء الذى يتم من خلال الورشه لا يثرى العمل الفنى فقط ولكنه يؤسس لكثير من المفاهيم الفنيه ويصقل المهارات الفرديه وليس أقل من ابداع عازف الكمان المشهور فتاح الله جابو من تصميم وصناعة (آلة كمان ) من جهده الخاص عزف بها ارقى الأغانى فى زمان كانت تستورد فيه الآلات الموسيقيه من القاهره..وقد برزت مهارة عازف الكمان عبدالله عربى فى وضع اللزمات الموسيقيه المتميزه فى معظم اغانى عثمان حسين حتى اصبح مدرسة جديدة بالدراسه خاصه فى أغنية ( شجن ) إحدى (إليازات) عثمان حسين وهو الذى ابتدع الزغرودة بالكمان فى مقطع ( والمشاعر زغردت يوم الخطوبه) فى زمان استحال فيه وجود صوت نسائي يزغرد فى كورال موسيقى فى ذلك الوقت حتى تطور الفن والاخراج والمونتاج بادخال صوت زغرودة فى الأسكتش الراقص مع الفنانة الاثيوبيه الشهيره (سيلاس) فى فيلم (لا وحبك) وهذا نص الأغنيه:

(أوعدينى)

اوعدينى بكلمه منك

واحكى لى عنى وعنك

وين مكانك..وين حنانك..وين

سلطان سلطان سلطان

كنت ساليه وناسيه حيك

واحلى ايام عمرى قريك

ليه عتابك واكتئابك

وانت فى قلبى وخيالى

الامانى والسعاده بى حياتك يا حبيبى

والمشاعر زغردت يوم الخطوبه

رقصه حلوة

فى كل غنوه

وفرحه فى كل الليالى

سلطان سلطان سلطان

عدت وحدك فى النهايه

عوده احلى من البدايه

عدت احلى

وحبك اغلى

وريدتى نادره وحبى غالى

## (٤) أسطورة الطرب .. وقيثارة التطريب

أسعدتني دعوة كريمة وصلتني من الجالية السودانية في (مسقط) بسلطنة عمان الشقيقة في مطلع العام بمناسبة اقامة مهرجان ( أسبوع السودان في عمان ) إحتفاء بعيد الإستقلال وقدم العام الجديد ودخول الألفية الثالثة .. وكان برنامجا حافلا بالفعاليات .. عامرا بالود والمحبة .. نابضا بالصدق في الوفاء شاهدا على البذل والعطاء من كل أفراد الجالية المتلاحمة كالعظم باللحم والمتكاتفه كخيوط النسيج المتناسقة كإيقاع النغم .. والمتألفة كسرب الطيور .

وقد عشت بينهم ثلاث ليال كانت تتسارع في سباق الماراثون نحو الوصول الى الكمال .. وتتلاقى كزخات المطر في ري السنايل المورقة في اعالي التلال .. وتتكامل في حمل رسالة الى البلد المضيف .. عمان رسالة حب ووفاء وعرفان .. والى الوخن البعيد السودان .. رسالة شوق واغتراب وحرمان . وكان من أجمل الأمسيات لفتة الوفاء .. وأذكاء جذوة الشعلة التي بدأت تشتعل نارها ويشع ضياؤها .. ويتردد نداؤها في أرجاء البلاد .. شعلة تخليد ذكرى الخالدين من أهل الفن والابداع وتكريم قمة المبدعين في شتي مجالات الخلق والابداع. كان النشاط الثقافي يحمل فكرة التكريم .. في صورة جديدة ولغة متحضرة .. ودلالة مغايرة للنمط القديم .. نمط حفل التابين وهو أشبه بالغناء في ظل مقبرة .. والنواح في ساحة مأتم ولطم الخدود وشق الجيوب في مسيرة جنازة .

لقد جاء التكريم فى ثوب الحياة .. يرفل فى قامته الرجل .. ويعطر أجواء الحفل بعبق الأريج  
الناضح من قلب المباخر .. ونشوة الزغاريد المنطلقة من أعماق الحناجر .. وعندما يلتقى هذا الصدى  
وذاك الندى بتلك الرؤى تكاد تلمس رقة الكلمات .. وتتذوق صدق العبارات .. فى نبرة المقدم ..  
وحديث المتكلم فعل الحواس الخمسة الذى نادى فى الناس (( هنا السودان )) فى عمان .. يكرم  
عثمان .. وعثمان لم يكن يحتاج الى تعريف ولا ينقصه توصيف .. فهو الفنان عثمان حسين ،،  
الذى ظل يعطر الليالي .. ويطوع المحال . خيملة مسيرة نصف قرن فى دروب الفن والابداع .. تاريخ  
امّة .. وأمجاد جيل .. فى السير ماخباً فى كل الزوايا .. البعيدة الضاربة فى أعماق التاريخ ..  
والقريبة المنحوتة فى وجدان شباب اليوم .. من جيل المطربين الذين يشقون صمت الليالي باغانية  
الخالدة فى بيوت الأفراح .. والليالي الملاح ..

لقد كان من أهداف زيارتى .. ومصدر سعادتي .. وصدق قناعتي بتسجيل هذا الحدث وتوثيق  
هذه المناسبة أن حققت الجالية السودانية فى ( مسقط ) حلم حياتي .. واحلى امنياتي وسط هذا  
الظلام الدامس فى تخريق الذكريات .. أمنيتي فى أن أحضر حفل تكريم الفنان عثمان حسين.  
يصعد منصبه .. ويلقى كلمته .. ويعلن فرحته يوم العين تلاقى العين .. مع أجمل الحلوين .. من  
فئة مقدرة .. صادقة معبرة .. عن أهل السودان .

وكان حلمى ان أكون بين المدعوين لهذا العرس الفنى الكبير لأمد يدي .. مصافحا عثمان  
بدفء حبى له خلال نصف قرن واعجابى بفضله فى رحلة عمرى كعاشق لجيل الصفاة من فناني  
الحقبة الأولى الذين يمثلون قاعدة الهرم .. وقمة العطاء .. الذين حفروا بأظافرهم فى صخور الأرض  
الصلبة ليبنوا تمثالاً للفن .. وتصيب عرقهم فى هجير السنين الطويله لينحتوا على قاعدة الصخر  
اسم الفن السودانى .. اسطورة الطرب .. من الموهبة الفطرية والرغبة الوخنية والروح المثالية فى البحث  
والتنقيب عن روائع التطريب فى فن الغناء ..



لقد كان عثمان أحد هؤلاء .. وهو آخر العنقود من ذلك الرحم المعطاء الذى أنجب عمالقة منهم من قضى نحبه ومنهم من ما زال ينتظر .. وحتى لا تفوت الفرصة التى لن تتكرر والحلم الذى لم يتحقق .. والعجز الذى ظل عائقا مسيرة الإبداع .. ينبغى على الدولة وعلى أعلى المستويات إعادة النظر فى معنى التكريم وأسلوب التقويم للمبدعين فى شتى المجالات .

لقد كانت لنا أسوة حسنة بالشقيقة مصر .. والتى نالت قصب السبق فى مهرجانات التكريم .. وقبل بضع سنوات .. وقبل أن يرحل الفنان الخالد محمد عبد الوهاب وأنا فى رحلة فى الخارج وجدت لوحات اعلانية فى مترو الانفاق فى لندن وعليه صورة الفنان الكبير الراحل محمد عبد الوهاب واعلان عن حفل كبير فى قاعة ( البرت هول ) فى بلد الضباب .. وهى رمز للقامات الطويلة . واللفتات النبيلة تدعو الى تكريم ذلك العملاق وما ماتت امة خلدت رموزها فى سجل التاريخ فهو الميراث الشرعى للأجيال القادمة .. وقلت لنفسى هكذا تغرس مصر فى وجدان اخفائها حبهم لها .. لأنها تحببهم اليها فى حب من أحبوا .. ويتواصلون معها خمعا فى ان يصلوا الي مكانة تلك المحبة .

وواصلت رحلتى وفي مطار أوهارا فى شيكاغو بالولايات المتحدة وفي جانب السلم الألى وأنا اتلفت مأخوذا بالاعلانات التى تخلب العقول وتحدث الذهول فوجئت بلوحة الكترونية تحمل عبارة عربية تعلن عن ( السوق الحرة فى مطار دى الدولي ) وبجانبتها لوحة الاعلان عن حفل الفنان محمد عبد الوهاب فى قاعة ( البرت هول ) فى لندن .. وهكذا تنفذ النسمة الحلوة تعبر القارات من القاهرة الى شيكاغو فمتى تنفذ اخري مماثلة من الخرجوم الى نيويورك والسودانيون ملأوا أركان العالم الاربعة .

لقد اثار رغبتى في الكتابة في هذا الموضوع الذي عاش في وجداني نصف قرن . وفي ذاكرتى بضعة عقود .. وفي لساني عدة سنوات عندما شاهدت حفل تكريم الفنان الخالد محمد عبدالوهاب . وكنت قد كتبت في مرثية شعرية في ديواني (نقوش على البحر) في مطلع الثمانينات قصيدة بعنوان (بكائية في موسم الحداد) في رثاء الصديقين الادييين الراحلين عطر الله ثراهما وذكراهما الاستاذ عبدالله حامد الأمين رئيس الندوة الأدبية بأمر درمان والأستاذ القاص المتفرد أبوبكر خالد وبكيت فيها على واقع المبدعين وان سقطت دموعى شاييب رحمة علي قبر الصديقين الراحلين . وكنت ادعو متمنيا ان نكرم المبدعين أحياء .. حتى يقدروا الوفاء ولو في كلمة خيبة جذورها في الأرض وفروعها في السماء .. لا ان نكرمهم وهم اموات لا يسمعون هذه الصرخات .. وصالح الدعوات .

وقد تحقق حلمي في عمان .. وامل ان يتحقق حلم الأمة في السودان .. بتكريم جيل عثمان .. وقد يكون من لطف الله بنا ونعمته علينا ان أمد في عمرهم الطويل بأذن الله .. تذكرة لمن شاء ان يتذكر .. حتى لا نندم ولات ساعة مندم . وقد أثلج صدرى حديث وزير الثقافة والإعلام الدكتور غازي صلاح الدين والذي وعد ان يكون نهج الدولة تكريم المبدعين احياء بكلمة شكر .. لا اموات باهدائهم مليون متر في ارض المليون ميل مربع لتشييد مسكن وهم ينعمون في جنات الخلد مع الشهداء والصديقين وحسن اولئك رفيقا باذن الله .

ان هذا السلوك الإنساني والأسلوب الحضارى والنهج الجديد في بعث الروح المعنوية هم الخطوة الاولى في الاتجاه الصحيح .. اتجاه احترام الذات من خلال تقدير اصحاب المواهب وحملت الرسائل الفنية والأدبية والعلمية والسياسية .

ان بلادنا حبلى بالعباقره .. فقد انجبت الاستاذ العلامة عبداللّله الطيب فهو اسطورة الادب ..  
وعملاق الساحة على مستوى القارة الافريقية والعالم العربي والاسلامى .. لم يتوهج نوره ولم يذع  
صيته بحجم عطائه .. وقدر رداؤه .. وحسن بلائه فى مجال الفكر الانسانى والغيث اوله قطره  
فينهمر.

ألا أمد اللّله فى عمره هؤلاء . وأنعم عليهم بالعافية .. واكرمهم بخير الجزاء وحسن الخاتمة

## (٥) وداعا... عثمان حسين

وصلت الخرخوم فجأة بلا حقايب على متن خائرة منهكة من الاسفار و المتاعب فى رحلة معاناه ووقفه مواساة فى ليلة حزينة و مظلمه...فى لحظة فراق مفاجئة و مؤلمة مباغتة و مروعة كانها حشجة ذبيح انطلقت من حنجرة مترعة بالانين مشبعة بالاهات مثقلة بالالم ونظرة وجوه مقروحة العيون متورمة الجفون..يبكى فراق الراحل الجميل ينبوع الحزن النبيل و قيثاره الفن الاصيل عثمان حسين..والعين لا تدمع مرتين و القلب لا يحتمل خعتين

لم أجهش بالبكاء لان حبال حنجرتى تقطعت من جفاف الريق..و احتبست انفاسى من مرارة الزفير و الشهيق..فخاننى البكاء و خذلنى العويل لاننى كنت خارج دائرة العزاء..الاهل و الاصدقاء..أئمة الصلاة و الدعاء و ذروة الايمان بالقضاء ساعة الزلزال الذى ضرب الوسط الفنى و عصف بآمال الامة المتعلقة بضوء اليقين فى آخر شعاع من قناديل الماضى او كما قال المتنبى عند وفاة ابنه( وشرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى) قلت فى فراق أخى اللهم لا نسالك رد القضاء ولكن نسالك اللطف فيه.

دخلت الطائرة السودانية ليحضننى المضيف المتهدج الصوت يبكى معزيا فى وفاة فقيد الامة.. وكانت أصداء أغنية ( شجن ) تنبعث من داخل كابينة الطائرة و كانى بها تعزى جموع المسافرين الى نفس الماتم الحزين..وتثير الشجن فى ليلة الشجن و يوم الشجن العظيم.

وكانت عيونى تشكو وخآة الالم من نار ( الليزر) بعد عملية جراحية فى اليوم السابق وحرقة الدمع الحار المتدفق كشلال الدم المنحدر كحمم بركان من اعماق النفس الجريحة

بسكين القدر فى خريف العمر.. و ما أضيع العمر لولا فسحة الامل..الامل المتبقى فى الارث  
الفنى...فى الصدى الباكى والوتر الشاكى..الشاكى من فراق الانامل التى صاغت من نبراته  
الموسقة أنشودة الخلود.. و الصدى الباكى على الصوت المطبوع فى وجدان الامة فى (همس  
السنبل و خريز الجدول)..و لوحة منحوتة فى قلب الوخن فى مجرى (محراب النيل) و تحفة موناليزا )  
أرضنا الطيبه) وتشكيلية ( الفراش الحائر) و بصمات مزخرفة فى رائحة ( قصتنا )...قصتنا كلنا  
مع الفن ..مع الحب ..الحزن النبيل

ولانى ماكنت أحسبني احيا الى زمن أنعى فيه عثمان حسين تركت كتابى ( قصتى  
مع عثمان حسين ) بابا مفتوحا أدخل و أخرج منه كلما ضاقت بى سعة الحياة.. وكدرت صفو  
شرب عذب الماء فى غير كوب عثمان حسين حتى سقطت القارورة و تدفق العطر وبقى لنا العبق  
المنداح المتناثر فى الأجواء ..نشتم فنهوى و نحتر فنروى..و أولها صورته معى قبل اربعين عاما ترفرف  
على غلاف الكتاب و كأنها تذكرنى مجددا :ولكم فى الموت حياة اخرى يا أولى الألباب..

و كاننى ولدت من جديد فى قراءة متأنية للكتاب..لاكتب سطورا ما كنت قد  
كتبتها واصوغ كلمات لم احسن صياغتها وأتأمل نهايات ما كنت قد استشرفتها.. و اعيد  
روايات لم تخطر ببال عثمان و ما خافت بخياله الفنان فى أقسى اجاباته عندما قال لى :اننى لا أحب  
الموت ولكننى اتمناه من (القوة للهوة)..أمامى أبنائى وخلفى جماهيرى وليته رأى كيف تحققت  
أمنيته و صدقت نبؤته فى ( أرضنا الطيبه) التى غنى لها فانبتت مليون شجرة من الحب و الوفاء  
خوقت (مقابر فاروق) فحولتها روضة من رياض الصالحين فى موكب حزين يحكى مراسم تشييع  
جثمانه الطاهر و تقول ( الذكرى للانسان عمر ثان )

وما زلت باقيا هنا وكاننى - أستغفر الله - انتظر عودته من مشوار بعيد.. الحق أقول لكم  
أننى انتظر عودة الروح الى جسد قصيدة دفنت فى اعماق لحظة وفاته..



سلطان من مواليد مدينة عطبرة فى شمال السودان  
سلطان نال تعليمه الثانوى بمدرسة حنتوب الثانويه  
سلطان نال بكالوريوس الطب والجراحه من جامعة الخرطوم  
سلطان نال دبلوم الطب النفسى من جامعة لندن  
سلطان نال عضوية الكلية الملكية البريطانية للأخباء  
النفسانيين

سلطان نال عضوية الجمعية الأمريكية للأخباء النفسانيين  
سلطان عضو جمعية الطب النفسى للأخفال بالكلية الملكية  
البريطانية

سلطان عمل أخصائيا للطب النفسى بوزارة الصحة السودانيه  
وبريطانيا والبحرين ودولة الإمارات العربيه المتحدة  
سلطان عمل مستشارا للصحة النفسية بوزارة الصحة بدولة الإمارات  
العربيه

سلطان قام بتدريس علم النفس فى جامعة الإمارات ومركز التأهيل التربوى  
وكلية الشرخه والنيابة العامه فى أبوظبى  
سلطان عضو الاتحاد العربى للأخباء النفسانيين العرب  
سلطان عضو اتحاد الكتاب والأدباء العرب  
سلطان صدرت له المجموعات الشعريه التاليه:

(١) الضياء والحريق

(٢) مع رياح العوده

(٣) مايو والأخفال

(٤) قصائد من بريطانيا

(٥) نقوش على البحر

(٦) اشباح المدينه

٧) اخلاللة من شرفة أبوظبى

٨) مرأيا مهشمة

٩) قصائد من فلسطين

سلطان صدرت له المطبوعات التالية:

١) مدخل الى الطب النفسى

٢) أضواء على النفس البشريه

٣) أساسيات الطب النفسى (باللغة الأنجليزية)

٤) مقالات مختاره بين الطب والأدب

٥) حول سيكلوجية رعاية الطفل

٦) رحلتى مع الطب النفسى

سلطان يجرى له تحت الطبع :

١) الغرية..نثرا..وشعرا

٢) قصتى مع عثمان حسين

كل هذه الاصدارات متوفره فى الموقع الالكترونى الشخصى : [www.dralzainomara.com](http://www.dralzainomara.com)